

تراثنا

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة

تأليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي

٨١٣ - ٨٧٤ هـ

الجزء السابع

طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب

وزارة الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحّابه والمسلمين

الجزء السابع^(١)

من كتاب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة

ذكر ولاية الملك المعزّ أَيْبَك التُّرْكُمَانِيّ على مصر

هو السلطان الملك المعزّ عَزَّ الدّين أَيْبَك بن عبد الله الصّالحيّ النّجّميّ المعروف بالتُّرْكُمَانِيّ، أوّل ملوك التّرك بالديار المصريّة . وقد ذكرهم بعض النّاس فى أبيات موالياً إلى يومنا هذا، وهم الملوك الذين مَسَّهم الرّق، غير أولادهم، فقال :

أَيْبَك قَطَرَ يَعْقُبُ بَيْرَسَ^(٢) يَأْذَا الدّين * بعدو قَلَاوُون بعدو كَتَبْنَا لَاجِين
بَيْرَسَ مِنْ بَرْقُوق بعدو شَيْخ ذَوَاتِ بَيْن * طَطَّرَ رَسْبَاى جَقْمَق صَاحِبَ التَّمْكِين

قلت : هذا قبل أن يتسلطن الملك الأشرف إينال. العَلَايى ، فلمّا ملك إينال قلت أنا :

(١) يلاحظ أنه ابتداءً من سنة ٥٦٧ هـ التى تسلطن فيها السلطان صلاح الدّين يوسف بن أيوب على مصر إلى سنة ٧٤٥ هـ التى تسلطن فيها الملك الكامل شعبان على مصر وجد مصدر آخر لهذه السنين ، نقل عن نسخة بالمكتبة الأهلية بباريس ، وهى محفوظة بالدار تحت رقم ٥٦١٦ تاريخ ، وهذا غير المصدر الذى روجعت عليه الأجزاء السابقة ، وهو النسخة المصورة عن نسخة مكتبة أياصوفيا بالأساتنة ، والمحفوظة بدار الكتب المصريّة تحت رقم ١٣٤٣ تاريخ . وقد تقدّمت الإشارة إلى ذلك فى المقدّمة .

(٢) هذا بَيْرَس العَلَايى البندقدارى ، وأما التانى فهو بَيْرَس الجاشنكير المنصورى .

أَيْتِكَ قُطِرَ يَعْقُبُو بِيْرَسَ ذُو الْإِكْالِ + بعدو قلاوون بعدو كَتَعَا الْمِفْضَالِ
 لَاجِنِ بِيْرَسَ بِرْقُوقِ شَيْخِ ذُو الْإِفْضَالِ * طَطَّرَ بَرَسْبَايَ جَقْمَقِ ذُو الْعِلَالِ إِيْنَالِ
 وَقَدْ نَحْرَجْنَا عَنْ الْمَقْصُودِ . وَلِنَعُدَّ إِلَى ذِكْرِ الْمَلِكِ الْمُعْزَّائِيكَ الْمَذْكُورِ ، فَنَقُولُ :

أصله من مماليك السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ، اشتراه في حياة
 والده الملك الكامل محمد ، وتنقلت به الأحوال عنده ، ولازم أستاذَه الملك الصالح
 في الشرق حتى جعله جاشنكيره^(١) ، ولهذا لما أمره كان يحمل رَنَكَه صورة خَوَانِجَا .
 وَأَسْتَمَرَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ قُتِلَ الْمُعْظَمُ تُورَانِ شَاهٍ وَمَلَكَتْ شَجَرَةُ الدَّرِّ بِعَدِهِ ؛ أَتَّفَقَ
 الْأُمَرَاءُ عَلَى سُلْطَانَةِ الْمَلِكِ الْمُعْزَّائِيكَ هَذَا وَسُلْطَنُوهُ بَعْدَ أَنْ بَقِيَتْ الدِّيَارُ الْمِصْرِيَّةُ
 بِلا سُلْطَانٍ مَدَّةً ، وَتَشَوَّفَ إِلَى السُّلْطَانَةِ عِدَّةُ أُمَرَاءَ ، فَنَجِيفَ مِنْ شَرِّهِمْ ؛ وَمَالَ النَّاسَ
 إِلَى أَيْتِكَ الْمَذْكُورِ ، وَهُوَ مِنْ أَوْسَطِ الْأُمَرَاءِ ، [و] لَمْ يَكُنْ مِنْ أَعْيَانِهِمْ ؛ غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ
 مَعْرُوفًا بِالسَّدَادِ وَمِلَازِمَةِ الصَّلَاةِ ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ ؛ وَعِنْدَهُ كَرَمٌ وَسَعَةٌ صَدْرٍ وَلِينٌ
 جَانِبٍ . وَقَالُوا أَيْضًا : هَذَا مَتَى أَرَدْنَا صَرْفَهُ أَمَكُنَّا ذَلِكَ لِعَدَمِ شَوْكَتِهِ . وَكَوْنِهِ مِنْ
 أَوْسَطِ الْأُمَرَاءِ . فَبَايَعُوهُ وَسُلْطَنُوهُ وَأَجْلَسُوهُ فِي دَسْتِ الْمُلْكِ فِي أَوَاخِرِ شَهْرِ
 رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَمْنَاءَةٍ . وَحُمِلَتِ الْفَاشِيَّةُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَرَكِبَ

(١) الجاشنكير : هو الذي يتصدى لنفوق المأكول والمشروب قبل السلطان أو الأمير خوفًا من
 أن يَدَسَّ عَلَيْهِ فِيهِ سَمٌ وَنَحْوُهُ . وَهُوَ مُرَكَّبٌ مِنْ لَفْظَيْنِ فَارْسِيَيْنِ : أَحَدُهُمَا « جاشنا » بِجِيمٍ فِي أَوَّلِهِ قَرِيبَةٍ
 فِي اللَّفْظِ مِنَ السَّيْنِ وَمَعْنَاهُ النَّفُوقُ وَلِذَلِكَ يَنْفُولُونَ فِي الَّذِي يَذُوقُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ الشَّيْئِي ، وَالثَّانِي « كِير »
 وَهُوَ بِمَعْنَى الْمُتَعَاطَى لِذَلِكَ ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى الَّذِي يَذُوقُ (عَنْ صَبِيحِ الْأَعْنَى ج ٥ ص ٤٦٠) .

(٢) الرنك : كلمة فارسية معناها الشعار ، وخوانجيا : كلمة فارسية أيضا معناها الخوان أو المائدة
 الصغيرة ، والمقصود من هذه العبارة هو أن الملك الصالح أيوب لما جعل المعز أيك جاشنكيرًا عمل شعاره
 صورة مائدة لكي يتفق مع وظيفته وهي الإشراف على مائدة الملك . (٣) المقصود بها هنا قطعة
 من الجلد المطبق على شكل وسادة مخروزة بالذهب ، يحاكي الناظر جميعها مصنوعة من الذهب ، وتحمل
 بين يدي السلطان عند الركوب في المواكب الحفلة كالأيادي والأعياد ونحوها ؛ يحملها الركابدار راسًا لها
 على يديه بلفتها يمينًا وشمالًا . وهي من خواص الدولة الأيوبية (صبح الأعنى ج ٤ ص ٧) .

بشعائر السلطنة، وأول من حمل الغاشية بين يديه الأمير حسام الدين بن أبي علي^(١)،
ثم تداولها أكابر الأمراء واحدًا بعد واحد . وتم أمره في السلطنة وخُطب له على
المنابر، ونُودي في القاهرة ومصر بسلطنته ، إلى أن كان الخامس من جمادى
الأولى بعد سلطنته بخمسة أيام نارت الممالك البحرية الصالحية وقالوا : لابد لنا من
سلطان يكون من بني أيوب يجتمع الكل على طاعته ؛ وكان الذي قام بهذا الأمر
الأمير فارس الدين أقطاي الجمدار^(٢)، والأمير ركن الدين بيبرس البندقداري^(٣)، والأمير
سيف الدين بلبان الرشيدى^(٤)، والأمير شمس الدين سنقر الرومى^(٥) ؛ وآتفقوا على أن
يكون الملك المعز أيك هذا أتابكًا عليهم ، واختاروا أن يقيموا صبيًا عليهم من بني
أيوب يكون له اسم السلطنة ، وهم يدبرونه كيف شاءوا ويأكلون الدنيا به !

كل ذلك والملك المعز سامع مطيع . فوقع الاتفاق على الملك الأشرف
مظفر الدين موسى ابن الملك الناصر يوسف ابن الملك المسعود أقسيس ابن السلطان
الملك الكامل محمد ابن السلطان الملك العادل أبي بكر ابن الأمير نجم الدين أيوب ؛
وكان هذا الصبي عند عمته القطيبات^(٦) ، وتقدير عمره عشر سنين ، فأحضروه

(١) لعله : « بشعائر السلطنة » . (٢) هو حسام الدين محمد بن أبي علي الهذلي نائب

السلطنة بمصر . وسذكر المؤلف في حوادث سنة ٦٥٨ هـ . (٣) الجمدار : هو الذي
يتصدق لإلباس السلطان أو الأمير ثيابه ، وأصله : جامادار لحذفت الألف بعد الجيم وبعد الميم استقلالا
وقيل « جمدار » . وهو في الأصل مركب من لفظين فارسيين : أحدهما « جاما » . ومعناه الثوب ،
والثاني دار ومعناه ممسك ، فيكون المعنى ممسك الثوب (صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٩) .

(٤) ضبط بالقلم في تاريخ سلاطين الممالك (فتح الباء واللام) . وفي كترير : (Belban) .

(٥) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٦) في الأصل :
« عند عمته بالقبطية » . وتصحیحة عن المنيل الصافي وتاريخ الواصلين وما ساق ذكره المؤلف في هذه الترجمة .
وعمته من بنات الملك العادل الكبير ابن أيوب المعروفات بالقبطيات نسبة إلى شقيقهن الملك المنفل
قطب الدين ابن الملك العادل (راجع تاريخ الواصلين في حوادث سنة ٦٤٨ هـ) .

(٧) في خط المقيزي (ج ٢ ص ٢٣٧) والسلوك : « وعمره نحو ست سنين » .

وسلطنوه وخطبوا له ، وجعلوا الملك المعزَّ أَيْتَكَ التُّرْكَمَانِيَّ أتابكَه ، وتمَّ ذلك . فكان التوقيع يخرجُ وصورته : « رُسِمَ بالأمرِ العاليِ المولويَّ السلطانيَّ المَلِكِيَّ الأشرقيَّ والمَلِكِيَّ المُعزِّيَّ » . وأستمرَّ الحال على ذلك مدةً ، والمعزُّ هو المستولي بالتدبير ويُعلم على التواقيع ، والأشرف المذكور صورة

وبيناهم في ذلك ورد الخبرُ عليهم بخروج السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام وحب ، خرج من دِمَشق إلى المِزَّة يريد الديارَ المصرية لِيَمْلِكَهَا لما بلغه قُتلُ آبنِ عمه الملك المعظم تُوْران شاه . فاجتمع الأمراءُ عند الملك المعزَّ أَيْتَكَ وأجمعوا على قتاله وتأهبوا لذلك ، وجَهَّزوا العساكرَ ونَهَبُوا للخروج من مصر .

وأما الملك الناصر فإنه سار من دِمَشق نحو الديار المصرية بإشارة الأمير شمس الدين لؤلؤ [الأميني] ، فإنه أَلَحَّ عليه في ذلك إلحاحاً كان فيه سبباً لحضور منبته ، وكان لؤلؤ المذكور يستهزئُ بالعساكر المصرية ، ويستخف بالممالك ، ويقول : آخذها بمائتي قنّاع ، وكانت تأتبه كتبٌ من مصر من الأصاغر فيظنها من الأعيان ، ودخلوا الرَّمْلَ ودَنَوْا من البلاد ؛ وتقدّم عسكرُ الشام ومعهم الأمير جمال الدين بن يَغْمُور نائب الشام وسيفُ الدين المُشَدَّ وجماعةٌ ، وأنفرد شمس الدين لؤلؤ ، والأمير ضياء الدين البَقِيمَرِيُّ ؛ وخرجت العساكرُ المصرية إليهم ، وألْتَقَوْا معهم وتقاتلوا فانهزم المصريون ونُهِبَتْ أُنْفَالُهُمْ ، ووصلت طائفةٌ منهم من البَحْرِيَّة على وجوههم إلى الصعيد ،

(١) هو الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف بن ايوب صاحب حلب . (٢) المزة (مزة كلب) : قرية كبيرة غناء في وسط بساتين دمشق ، بينها وبين دمشق نصف فرسخ (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) زيادة عن السلوك (ص ٣٨٠) . (٤) يريد مائتي امرأة . (٥) هو جمال الدين موسى بن يغمور بن جلدك بن سليمان بن عبد الله أبو الفتح الأمير . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٥٦٦٣ .

- وكانوا قد أساءوا إلى المصريين ونهبوهم وأرتكبوا معهم كل قبيح ، فخافوا منهم فتوجهوا إلى الصعيد . وخطب في ذلك النهار بالقاهرة ومصر والقلمة للملك الناصر صلاح الدين يوسف المذكور وفي جميع البلاد . وأيقن كل أحد بزوال دولة الملك الميز أنيتك . وبات في تلك الليلة جمال الدين بن يغمور بالعباسة ، وأحى الختام للملك الناصر صلاح الدين يوسف ، وهياً له الإقامة . كل ذلك والملك الناصر ما عنده خبر بما وقع من القتال والكسرة ، وهو واقف بسناجقه وأصحابه ينتظر ما يرد عليه من أمر جيشه .

- وأما أمر المصريين فإنه لما وقعت الهزيمة عليهم ساق الملك الميز أنيتك وأقطاي الجندار المعروف بـ «أقطيا» في ثلثمائة فارس طالبين الشام هارين ، فعتروا في طريقهم بشمس الدين لؤلؤ المقدم ذكره والضياء القيّمري ، فساق شمس الدين لؤلؤ عليهم ١٠ حملوا عليه فكسروه وأسرّوه وقتلوا ضياء الدين القيّمري ، وجرى بشمس الدين لؤلؤ إلى بين يدي الملك الميز أنيتك ، فقال الأمير حسام الدين بن أبي علي : لا تقتلوه لناخذ به الشام ، فقال أقطاي الجندار : هذا الذي يأخذ مصرتنا بمائتي قناع ! وجعلنا تخانيث ، كيف تركه ! وضربوا عنقه ، وساقوا على حمية إلى جهة ، فاعترضوا طلب السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف فوقع المصاف بينهم ، ١٥

(١) عبارة عقد الجبلان : « وخطب ذلك اليوم (حادي عشر ذي القعدة سنة ٦٤٨ هـ) للملك الناصر يوسف صاحب حلب بالقلمة وجامع مصر ، وأما بالقاهرة فلم نغم بجماعها جمعة وتوقفوا لينتقوا » . وفي المنهل الصافي في ترجمة الميز أنيتك : « ولم يبق إلا تملك الناصر ويخطب له في قلعة الجبل » .

(٢) في الأصل : « ومات » . والنصوب من حيون التواريخ لابن شاكر ونزعة الأنام في تاريخ الإسلام لابن دقاق والسلوك . (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٠٩ من الجزء الثالث من هذه الطبعة .

(٤) لما تكلم صاحب صبح الأعشى في (ج ٤ ص ٨) في الفصل الذي عقده لتكرار رسوم الملك وآلاته على الأعلام ، قال : ومنها أيات صفراء تسمى السناجق . وفي عهد الحكم العثماني بمصر كانوا يستعملون كلمة سنجق وجمعها سناجق لكل من يتولى رئاسة جماعة من الجند المكلفين بحفظ الأمن العام في الأقاليم .

نخامر على الملك الناصر جماعة من المماليك العززية من ممالك أبيه، وجاءوا إلى الملك المعز أيك التركاني، وقالوا له : إلى أين تتوجه ؟ هذا السلطان واقف في طلبه ليس له علم بكسرتهم، فعطفوا على الطلب، وتقدمتهم العززية فكسروا سناجق السلطان وصناديقه ونهبوا ماله، ورموه بالنشاب، فأخذه نوفل الزبيدي وجماعة من مماليكه وأصحابه وعادوا به إلى الشام، وأسر المصريون الملك المعظم [توران شاه] ابن السلطان صلاح الدين بعد أن جرحوه وجرحوا ولده تاج الملوك، وأخذوا الملك الأشرف صاحب حصن، والملك الزاهر عمه، والملك الصالح إسماعيل صاحب الوقائع مع الملك الصالح نجم الدين أيوب، وجماعة كثيرة من أعيان الحلبيين، ومات تاج الملوك من جراحته فجعل إلى بيت المقدس ودفن به، وضرب الشريف المرتضى في وجهه بالسيف ضربة هائلة عرّضاً وأرادوا قتله، فقال : أنا رجل شريف وآبى عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركوه، وتمزق عساكر ديمشق كل ممزق، ومشوا في الرمل أياماً .

وأما المصريون فإنهم لما وقعت لهم هذه النصرة عادوا إلى القاهرة بالأسارى، وسناجق الناصر مقلوبة وطبوله مشققة، ومعهم الخيول والأموال والعدد وشقوا القاهرة، فلما وصلت المماليك الصالحية النجمية إلى تربة أستاذهم الملك الصالح نجم الدين أيوب بين القصرين أخذوا الملك الصالح إسماعيل الذي أسروه في الوقعة،

(١) في الأصل : «نوفل البدوي» . وتصحيحه عن المنهل الصافي والسلوك . وهو الأمير ناصر الدين سيد عرب زبيد، كان ذا حرمة ورجاحة ومكانة . توفي سنة ٦٧٥ هـ (عن المنهل الصافي) .

(٢) زيادة عن السلوك . وهو الملك المعظم نجر الدين أبو المفاخر توران شاه ابن السلطان صلاح الدين

يوسف بن أيوب . وسيد كره المؤلف في حوادث سنة ٦٥٨ هـ . (٣) هو الملك الأشرف

مظفر الدين موسى بن المنصور إبراهيم بن شيركوه بن محمد بن أسد الدين شيركوه الكبير . وسيد كره المؤلف في حوادث سنة ٦٦٢ هـ .

(٤) في الأصل : « من جراحة كانت به » . وما أشتاء عن عيون التواريخ .

وكان عدو أستاذهم الملك الصالح المذكور، ووقفوا به عند التربة، وقالوا: يا خونذ، أين عينك ترى عدوك أسيراً بأيدينا! ثم سحبه ومضوا به إلى الحبس، فحبسوه هو وأولاده أياماً ثم غيبوه إلى يومنا هذا، ولم يُسمع عنه خبرٌ إلا ما تحدث به العوام بآتلافه .

- وأمّا عساكر الناصر الذين كانوا بالعباسة (أغنى الذين كسروا الملك المعز أَيْتِكَ أَوَّلًا) فإن المعز لما تم له النصر وهزم الناصر ردّ إلى المذكورين في عودته إلى القاهرة، ومال عليهم بمن معه قتلاً وأسرّاً حتى بدّد شملهم، ورحل إلى القاهرة بمن معه من الأسارى وغيرهم . ولما دخل الملك المعز أَيْتِكَ هذا إلى القاهرة ومعه الممالك الصالحة مالوا على المصريين قتلاً ونهباً ونهبوا أموالهم وسبوا حريمهم وفعلوا بهم ما لم يفعله الفرنج بالمسلمين .

- قلت : وسبب ذلك أنه لما بلغهم كثرة المعز فرحوا وتباشروا بزوال الممالك من الديار المصرية ، وأسرعوا أيضاً بالخطبة ^(١) لملك صلاح الدين يوسف صاحب الشام المقدّم ذكره . وكان وزير الملك الصالح إسماعيل المقدّم ذكره معتقلاً بقلعة الجبل هو وناصر الدين [إسماعيل] ^(٢) بن يغمور نائب الشام وسيف الدين القيمريّ ^(٣) والحوارزى صهر الملك الناصر يوسف ، فخرجوا من الحب وعصوا بقلعة الجبل ، فلم يوافقهم سيف الدين القيمريّ بل جاء وقعد على باب الدار التي فيها أعيان الملك المعز أَيْتِكَ وحماها من النهب ، ولم يدع أحداً يقربها ، وأما الباقون فصاحوا :

(١) في أحد الأصول : « لما ملك الناصر صلاح الدين ... الخ » .
 (٢) هو أمين الدولة السامري أبو الحسن بن غزال المسلماني . سيذكره المؤلف في حوادث هذه السنة .
 (٣) سبق الكلام عليها في الحاشية رقم ١ ص ٥٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
 (٤) زيادة عن السلوك (ص ٣٧٨) .
 (٥) سبق الكلام عليه في الحاشية رقم ٢ ص ٢٥٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

« الملك الناصر يامنصور ! » . فلما جاء الترك فتحوا باب القلعة ودخلوها ، وأخذوا من كان عصى فيها ، وشتقوا وزير الصالح وأبن يَمُور والخوارزمي متقابلين ، وشتقوا أيضا مُجِير الدين بن حَمْدان ، وكان شاباً حسناً ، وكان تعدى على بعض الممالك وأخذ خيله .

وأما الملك الناصر يوسف فإنه سار حتى وصل إلى غَزّة وأقام ينتظر أصحابه ، فوصل إليه منهم مَنْ سَلِمَ من عسكر الشام وعسكر الموصل ومضوا إلى الشام .

وأما العساكر المصرية فإنَّ الملك المِعِزَّ أَيْتَك المذکور لما دخل إلى مصر بعد هذه الواقعة عَظُم أمره وثبتت قواعده مُلْكُهُ وَرَتَحَتْ قَدَمُهُ . ثم وقع له فصول مع الملك الناصر يوسف المذکور يطول شرحها . محصول ذلك : أنه لما كانت سنة إحدى وخمسين وستمائة وقع الاتفاق بينه وبين الملك الناصر المذکور على أن يكون لِلْعِزِّ وَخُشْدَاشِيَّتِهِ الممالك الصالحية البحرية الديار المصرية وغَزّة والقُدُس ، وما بقى بعد ذلك من البلاد الشامية تكون للناصر صلاح الدين يوسف . وأفرج الملك المِعِزَّ عن الملك المعظم توران شاه أبن الملك الناصر صلاح الدين يوسف المذکور وعن أخيه نُصْرَة الدين وعن الملك الأشرف صاحب مَحْصٍ وغيرهم من الاعتقال ، وتوجهوا إلى الشام .

ولما فرغ الملك المِعِزَّ من ذلك أخذ ينظر في أمره مع فارس الدين أقطاي الجمدار فإنه كان أمره قد زاد في العظمة وألْتَفَتْ عليه الممالك البحرية ، وصار أقطاي المذکور

(١) خُشْدَاشِيَّة : جمع خُشْدَاش وهو عرب اللفظ الفارسي «خوجاناش» أى الرميل في الخدمة .
والخُشْدَاشِيَّة — فى اصطلاح عصر الممالك بمصر — : الأمراء الذين نشأوا بمالك عند سيد واحد
فثبتت بينهم رابطة الزمالة القديمة (راجع هامش السلوك رقم ٣ صفحتى ٣٨٨ ، ٣٨٩) .

يركب بالشاويش وغيره من شعار الملك، وحدثته نفسه بالملك، وكان أصحابه يسمونه « الملك الجوّاد » فيما بينهم . كلّ ذلك والمُعزّ سامع مطيع ، حتّى خطب أقطاي بنت الملك المظفر تقيّ الدين محمود صاحب حمّاة وكان أخوها الملك المنصور هو يومئذ صاحب حمّاة بعد موت أبيه . وتحدّث أقطاي مع الملك المُعزّ أيّك أنّه يريد يُسكّنها في قلعة الجبل لكونها من بنات الملوك ، ولا يليق سكناها بالبلد ، فاستشعر الملك المُعزّ منه بما عزم عليه ، وأخذ يدبر أمره وعمل على قتله فلم يقدر على ذلك . فكتب الملك المُعزّ السلطان صلاح الدين يوسف واستشاره في الفك به ، فلم يُجبه في ذلك بشيء ، مع أنّه كان يؤثّر ذلك ، لكنّه علم أنّه مقتول على كلّ حال ، فترك الجواب . ثم سیر فارسُ الدّين أقطاي الجمدار المذكور جماعة لإحضار بنت صاحب حمّاة إليه ، فخرجت من حمّاة ووصلت إلى دِمَشق بجعلٍ عظيم في عِدّة محفّات مُغشاة بالأطلس وغيره من فاخر الثياب وعليها الخيل والجواهر ، ثم خرجت بمن معها من دِمَشق متوجّهة إلى الديار المصرية .

وأما الملك المُعزّ فإنه لما أبطأ عليه جوابُ الملك الناصر صلاح الدين في أمر أقطاي وتحقّق أن بنت صاحب حمّاة في الطريق بقي متعيراً ، إن منعه من سكّنى القلعة حصلت المبينة الكلية ، وإن سكّنه قويت أسبابه بها ولا يعود يمتكّن من إخراجها ، ويترتب على ذلك استقلال الأمير فارس الدين أقطاي بالملك فعمل على معالجته ؛

(١) في صبح الأعشى في الكلام على هيئة السلطان في أسفاره ج ٤ ص ٤٨ : « وصاحت الجارية بين يديه » والظاهر أنهم الذين يركبون في مقدمة مركب الملك أثناء سفره . (٢) هو الملك المنصور محمد آبن الملك المظفر محمود الذي ولّ حمّاة بعد موت أبيه سنة ٦٤٢ هـ وعمره حينئذ عشرين (عن تاريخ أبي الفدا إسماعيل في حوادث سنة ٦٤٢ هـ) .

(٣) جمع محفة وهي الهودج المنظّاة بالقماش التي يحمل على ظهور الجمال حيث يجلس فيها المسافرين .

فدخل أقطاي عليه على عادته ، وقد رتب له الملك المِعْزُ جماعةً للفتك به ، منهم :
الأمير سيف الدين قُطْزُ المِعْزِي (أعنى الذى تسلطن بعد ذلك) ، فلما دخل أقطاي
وثبوا عليه وقتلوه فى دار السلطنة بقلعة الجبل فى سنة اثنتين وخمسين وستمائة ؛
فتحرك لقتله جماعةٌ من حُشْدَاشِيَّتِهِ البحرية ، ثم سكن الحال ولم ينتطح فى ذلك
شأنان ! .

ولما وقع ذلك ألفت الملك المِعْزُ إلى خلع الملك الأشرف مظفر الدين مرعى
الأيوبي فخلعه وأزله من قلعة الجبل إلى حيث كان أولاً عند عماته القُطَيَّات ^(١) .
وركب الملك المِعْزُ بالسناجق السلطانية وحملت الأمراء الناشبة بين يديه واستقل
على الملك بمفرده استقلالا تاما إلى أن قصدت المهابيك العزيزية القبض عليه فى سنة
ثلاث وخمسين ، فشر بذلك قبل وقوعه فقبض على بعضهم وهرب بعضهم . م
وقعت الوحشة ثانيا بين الملك المِعْزُ هذا وبين الملك الناصر صلاح الدين يوسف ،
فشق الشيخ نجم الدين البادراني ^(٢) بينهما حتى فز الصلح بين المِعْزُ وبين الناصر ، على
أن تكون الشام حيلةً للامك الناصر ، وديار مصر للامك المِعْزُ ؛ وحدهما بينهما بئر القاضى ^(٣) ،

(١) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٥ من هذا الجزء ..

(٢) البادراني : نسبة إلى بادرايا ، قرية من عمل واسط . وهو نجم الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن
الحسن بن عبد الله البندادى . وسيدكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٥٥ هـ . (٣) لما تكلم صاحب
صبح الأضنى على مراكز البريد فى آخر الجزء الرابع عشر ص ٣٧٨ ذكر بئر القاضى ضمن مراكز البريد الواقعة
فى الطريق بين مصر وغزة . وبعد أن ذكر مركز الورداء قال : « ثم منها إلى بئر القاضى والمضى بينهما بميد
جدا ، يله السالك ومنها إلى العريش » . ومن هذا يفهم أن بئر القاضى كانت أقرب إلى العريش منها إلى
الورداء . وبالبحث عن مكان هذه البئر فى الطريق المذكورة تبين أنها كانت واقعة فى الجهة التى تعرف
اليوم باسم حفرة الزول على بعد عشرة كيلو مترات غربى العريش بالقرب من السكة الحديدية من
الجهة البحرية .

وهو فيما بين الوردانة والعريش^(١)، وأستمر الحال على ذلك . ثم إن الملك المعز تزوج بالملكة شجرة الدر^(٢) أم خليل في هذه السنة ودخل بها ، وكان زواجه بها سبباً لقتله على ما تقدم في ترجمتها ، وعلى ما يأتي في هذه الترجمة أيضا .

- ولما تزوجها وأقام معها مدة أراد أن يتزوج بنت الملك الرحيم صاحب الموصل ، وكانت شجرة الدر شديدة الغيرة ، فعميت عليه وقتلته في الحمام ، وأعانها على ذلك جماعة من الخدام . وقد ذكرنا ذلك كله مفصلاً في ترجمة شجرة الدر فيما مضى . وكان قتل الملك المعز في يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسين وستمائة . وكان ملكاً شجاعاً كريماً عاقلاً سيوساً كثير البذل للاموال ، أطلق في مدة سلطته من الأموال والخيول وغير ذلك مالا يحصى كثرة حتى رضى الناس بسطان مسه الرق . وأما أهل مصر فلم يرضوا بذلك إلى أن مات ، وهم يسمعون ما يكره ، حتى في وجهه إذا ركب ومرت بالطرقات ، ويقولون : لانريد إلا سلطاناً رئيساً مولوداً على الفطرة . على أن الملك المعز كان عفيفاً طاهر الذيل بعيداً عن الظلم والعسف كثير المداراة نحشداً شيتيه والاحتمال لتجنبتهم عليه وشر أخلاقهم ، وكذلك مع الناس . وخلف عدة أولاد منهم الملك المنصور على الذى تسلمن بعده ، وناصر الدين قان .

١٥

- (١) ورد في كتاب أحسن التقاسيم في معجم البلدان : أن الوردانة من نواحي الجفار في وسط الرمل في طريق مصر والشام في الجنوب الغربي للعريش وعلى مسيرة يوم منها . وبالبحت تبين أن مكانها يعرف اليوم باسم « المزار » بقرب محطة المزار الواقعة على بعد ١١٠ كيلومتر شرق القنطرة الشرقية في الطريق الحديدي بينها وبين العريش ، بقسم سينا الشمال . و يوجد في الشمال الشرق لمحطة المزار على بعد تسعة كيلومترات آثار مدينة قديمة يقال لها الفلوسيات واسمها الروى « أوستراسين » واقعة في إحدى جزر سبخة البردويل . وفي الشمال الشرق لأطلال هذه المدينة على بعد كيلومترين آثار قلعة الفلوسيات الشهيرة بقلعة الزرائق . وجغرافيو الافرنج يخطئون بين الفلوسيات والوردانة ويقولون لأنها جهة واحدة في حين أن إحداها بعيدة عن الأخرى .

٢٠

(٢) سبق الكلام عليها في الحاشية رقم ٤ ص ١٥٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

قال الشيخ قُطُبُ الدِّينِ الْيُونِنِيُّ^(١) في الذَّيْلِ عَلَى مِرْآةِ الزَّمَانِ : « وَرَأَيْتُ لَهُ وَلَدًا آخَرَ بِالْدِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَهُوَ فِي زِيِّ الْفُقَرَاءِ الْحَرِيرِيَّةِ^(٢) » .
 اِتَّهَمَ . وَكَانَ لِلْعِزِّزِ وَمَعْرُوفٍ وَعِمَّائِرٍ ، مِنْ ذَلِكَ : الْمَدْرَسَةُ الْمُعْزِيَّةُ عَلَى النَّيْلِ بِمِصْرَ الْقَدِيمَةِ وَوَقَفَ عَلَيْهَا أَوْقَافًا . وَدِهْلِيزِ الْمَدْرَسَةُ مُتَّسِعٌ طَوِيلٌ مُقَرَّبٌ ، قِيلَ : إِنَّ بَعْضَ الْأَكْبَادِ دَخَلَ إِلَى هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ الْمَذْكُورَةِ فَرَأَاهَا صَغِيرَةً بِالنِّسْبَةِ إِلَى دِهْلِيزِهَا ، فَقَالَ : هَذِهِ الْمَدْرَسَةُ بِجَازٍ بِلا حَقِيقَةٍ ! اِتَّهَمَ . وَكَانَ مَدْرَسَهَا الْقَاضِي بَرَهَانَ الدِّينِ الْخِطُّرُ^(٣) ابْنُ الْحَسَنِ السَّنْجَارِيِّ إِلَى أَنْ مَاتَ . وَكَانَتْ مَدَّةُ سُلْطَانَةِ الْمَلِكِ الْمُعْزِ عَلَى مِصْرٍ سَبْعَ سِنِينَ . وَمَاتَ وَقَدْ نَاضَرَ السِّتِينَ سَنَةً — رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى — .

قُلْتُ : وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الْمَلِكَ الْمُعْزَ أَيْكَ هَذَا هُوَ أَوَّلُ مَنْ مَلَكَ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ مِنَ الْأُمَرَاءِ الَّذِينَ مَسَّاهُمُ الرُّقْ . وَقَدْ ذَكَرْنَا مَبْدَأَ أَمْرِهِ وَمَا وَقَعَ لَهُ مِنَ الْحُرُوبِ

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٣٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) يريد بهم أتباع الشيخ على الحريري الذي تقدمت وفاته سنة ٦٤٦ هـ .

(٣) ورد في الجزء الرابع من كتاب الانتصار لابن دقاق أن هذه المدرسة أنشأها الملك المعز أيك في شهر سنة ٦٥٤ هـ بركة دار الملك التي تعرف بركة الخروب ليجمع بها والتي كانت في زمن المقرزي تعرف بركة الحناء . ولما تكلم المقرزي في الجزء الأول من خطه ص ٣٤٥ على ساحل النيل بمدينة مصر ووصل إلى موضع الجامع الجديد الذي أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون قال : وقد شرع خواص السلطان في العبارة على شاطئ البحر من قبالة موضع الجامع الجديد إلى المدرسة المعزية . ثم لما تكلم في هذا الجزء على المنشأة ووصل إلى جسر الأفرم قال : إن هذا الجسر في طرف مصر (مصر القديمة) فيما بين المدرسة المعزية وبين رباط الآثار (قبة أثر النبي) . وكان الجسر مطلا على النيل دائما أي أنه كان على حافة شاطئ النيل . وذكر مؤلف هذا الكتاب بأعلاه إن صاحب الترجمة أنشأ المدرسة المعزية على النيل بمصر .

وأقول يتضح مما ذكر أن هذه المدرسة كانت واقعة على شاطئ النيل وبالبعث تبين أن مكانها اليوم جامع عابدي بك الشهير بجامع الشيخ وريش المطل على النيل في آخر شارع مصر القديمة من الجهة الجنوبية . وعرف هذا الجامع باسم أمير اللواء عابدي بك لأنه جدد في سنة ١٠٧١ هـ . ثم اشتهر باسم الشيخ وريش لجوارته لغيره الكائن بجارة الخوخة بالجهة الشرقية للقبلة من الجامع المذكور .

(٤) هو برهان الدين السنجاري قاضي القضاة أبو محمد الخطير بن الحسن بن علي النشافى وسيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٨٦ هـ .

- وغيرها على سبيل الاختصار . ولنذكر هنا أيضًا من عاصره من ملوك الأفطار ليعلم الناظر في هذه الترجمة بأصل جماعة كبيرة من الملوك الآتي ذكرهم في الحوادث ، وأيضًا بمجد مملكة الملك المُعزّ يوم ذاك ، وحدّ تحكُّم من البلاد ؛ ومع هذا كان له من المالِك والحَقْم والعساكر أضعاف ما للملوك زماننا هذا مع اتّساع ممالكهم . انتهى .
- ونذكر أيضًا من أمر النار التي كانت بارض الجحاز في أيام سلطته في سنة أربع وخمسين وستمائة ، فنقول :

- استهلت سنة أربع وخمسين المذكورة والخليفة المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله العباسي ببغداد ، و سلطان مصر الملك المُعزّ أَيْتَكَ التُّرْكَانِي هذا ، و سلطان الشام إلى الفرات الملك الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي ما خلا حماة وحمص والكرك بلاداً أخر نذكر ملوكها فيما يأتي — إن شاء الله تعالى — وهم : صاحب حماة الملك المنصور ناصر الدين محمد بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب . وصاحب الكرك والشوبك الملك المُغيث فتح الدين عمر بن الملك العادل أبي بكر بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب . وصاحب صهيون وبرزيه وبلاطنس الأمير مظفر الدين عثمان بن الأمير ناصر الدين منكورس . وصاحب تل بآشر والرجبة وتدمر الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن إبراهيم بن شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شادي . وصاحب الموصل وأعمالها الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ الأتابكي . وصاحب ميافارقين

- (١) كذا ضبطناها فيما سبق قلاع من معجم البلدان لياقوت وقد ضبطها بالعبارة . وضبطها صاحب تقويم البلدان بالعبارة أيضًا : (فتح الصاد المهملة وسكون الهاء . وضم المثناة التحتية وسكون الواو وبعدها فون) . وراجع الحاشية رقم ١ ص ٤٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
- (٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٤١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
- (٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٤٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
- (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٠١ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .
- (٥) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٢٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

وديار بكر وتلك الأعمال الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر شهاب الدين غازي بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب . وصاحب ^(٢)ماردين الملك السعيد إيلغازي الأرتقي . وصاحب إربل وأعمالها ^(١)الصاحب تاج الدين بن صلاحيا العلوي من جهة الخليفة . والنائب في حصون الإسماعيلية الثمانية بالشام ^(٣)رضي الدين أبو المعالي . وصاحب المدينة الشريفة - صلوات الله وسلامه على ساكنها - الأمير ^(٤)عز الدين أبو ملك مئيف بن شبيحة بن قاسم الحسيني . وصاحب مكة المشرفة - شرفها الله تعالى - الشريف قتادة الحسيني . وصاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر . وأما ملوك الشرق : فسلطان ما وراء النهر وخوارزم السلطان ^(٥)ركن الدين وأخوه عز الدين والبلاد بينهما مناصفة ، وهما في طاعة هولاكو ملك التتار .

وأما أمر النار التي ظهرت بالمجاز قال قاضي المدينة ^(٦)سنان الحسيني : « لما كان ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة ، ظهر بالمدينة الشريفة

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٧٩ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٢) هو صاحب تاج الدين أبو المكارم محمد بن نصر بن يحيى بن علي المعروف بابن صلاحيا نائب الخليفة بإربل . توفي سنة ٥٦٥ هـ (عن عيون التواريخ وشذرات الذهب والحوادث الجامعة لابن القوطي)

(٣) سيذكرها المؤلف بتفصيل واف في آخر ترجمة الظاهر بيبرس .

(٤) في الأصل : « شهاب الدين أبو ملك سيف بن شبيحة » . والتصويب عن تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة للإمام زين الدين المراغي (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٩ تاريخ) . والتعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة للمافظ جمال الدين (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٦٤ تاريخ) . وعن تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة للقاضي أبا البقا المعروف بأبن الضياء المكي (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٧٠ تاريخ) . والسلوك .

(٥) هو ركن الدين قليج أرسلان بن غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباد .

(٦) هو عز الدين كيكافوس بن غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباد .

(٧) هو شمس الدين سنان بن عبد الوهاب بن نميلة الحسيني قاضي المدينة (عن عقد الجمان والذيل على الروضتين وعيون التواريخ) .

- دوى عظيم ثم زلزلة عظيمة رجفت منها المدينة والحيطان والسقوف ساعة بعد ساعة إلى يوم الجمعة خامس الشهر المذكور ظهرت نار عظيمة ، وقد سالت أودية منها بالنار إلى وادى شظا حيث يسيل الماء ، وقد سدت مسيل شظا وما عاد يسيل .^(٢)
- ثم قال : والله لقد طلعنا جماعة نبصرها فإذا الجبال تسيل نيرانا ، وقد سدت الحرة طريق الحاج العراقي ، وسارت إلى أن وصلت إلى الحرة فوقفت بعد ما أشفقنا أن تجيء إلينا ، ورجعت تسير في الشرق ، يخرج من وسطها مهود وجبال نيران تأكل الحجارة ، كما أخبر الله في كتابه العزيز فقال عز من قائل : ﴿ إِنهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَاصِر . كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴾ . قال : وقد كتبت هذا الكتاب يوم خامس رجب سنة أربع وخمسين والنار في زيادة ما تغيرت ، وقد عادت إلى الحرة وفي قرينة طريق الحاج العراقي .

١٠

وأما أمر النار الكبيرة فهي جبال نيران حمراء ، والأثم الكبيرة النار التي سالت النيران منها من عند قرينة وقد زادت ، وما عاد الناس يدرون أى شيء يتم بعد ذلك ، والله يجعل العاقبة إلى خير ، وما أقدر أصف هذه النار . انتهى كلام القاضى في كتابه .

- وقال غيره بعد ما ساق من أمر النار المذكورة عجائب نحو ما ذكرناه وأعظم إلى أن قال : « وقد سال من هذه النار واد يكون مقداره أربعة فراسخ وعرضه

١٥

(١) في الأصلين : « خفقت منها المدينة » . وما أثبتناه عن الذيل على الروضتين وعقد الجمان وعبون التواريخ . (٢) وادى شظا ويقال له وادى الشظاة : واد يأتى من شرق المدينة من أماكن بعيدة عنها إلى أن يصل إلى السد الذى أحدثته نار الحرة التي ظهرت في المدينة (عن تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ، وعن التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة) .

٢٠

(٣) كذا في عبون التواريخ والذيل على الروضتين وعقد الجمان . وفي الأصلين : « إلى أن وصلت آخره توقفت » . (٤) في الأصلين : « تأكل الحجارة منها » . ورواية عقد الجمان وعبون التواريخ والذيل على الروضتين : « فيها نموذج عما أخبر الله تعالى ... الخ » .

أربعة أميال وعمقه قامة ونصفا، وهي تجرى على وجه الأرض، وتخرج منها أمهادٌ وجبالٌ صغار تسير على الأرض، وهو صخر يذوب حتى يبقى مثل الآل^(١)ك، فإذا جمد صار أسود، وقبل الجمود لونه أحمر؛ وقد حصل بسبب هذه النار إقلاعٌ عن المعاصي والتقرب إلى الله تعالى بالطاعات؛ وخرج أمير المدينة عن مظالم كثيرة» .

ثم قال قطب الدين في اللّٰهليل : « ومن كتاب شمس الدين سنان بن ميملة الحسيني قاضي المدينة إلى بعض أصحابه يصف الزلزلة إلى أن ذكر قصة النار وحكى منها شيئا إلى أن قال : وأشفقنا منها وخفنا خوفا عظيما ، وطلعت إلى الأمير وكتبته وقلت : قد أحاط بنا العذاب ، إرجع إلى الله ! فاعتق كل ممالكه ، وردّ على جماعة أموالهم ، فلما فعل هذا قلت له : إهيط الساعة معنا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فهبط ، وبقنا ليلة السبت والناس جميعهم والنسوان وأولادهم ، وما بقي أحدٌ لا في النخيل ولا في المدينة إلا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأشفقنا منها وظهر ضوءها إلى أن أبصرت من مكة ، ومن الفلاة جميعها . ثم سال من ذلك نهر من نار وأخذ في وادي أخيلين وسد الطريق ثم طلع إلى بحيرة الحاج ، وهو بحر نار يجري وفوقه جمر يسير إلى أن قطعت الوادي : وادي الشظا ، وما عاد يجري سبيل قط لأنها حفرته نحو قامتين . والمدينة قد تاب جميع أهلها ولا بقي يُسمع فيها رباب ولا دُف . ثم ذكر أشياء مهولة من هذا الجنس إلى أن قال : والشمس والقمر من يوم طلعت النار ما يطلّان إلا كاسفين ! قال : وأقامت هذه النار أكثر من شهرين » . وفيها يقول بعضهم :

(١) الآلك : كلمة فارسية معناها الرصاص الأسود . وفي الأصلين : «الألك» وهو تحريف .

(٢) كذا وجد مضبوطا بالقلم في التعريف بما أنبت الهجرة ، من معالم دار الهجرة ، وتحقيق النصره ، بتلخيص معالم دار الهجرة . وفي تاريخ مكة المشرقة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة : «أخيلين» بالحاء . المعجمة . وفي الذيل على الروضتين : «أجلين» بالميم . وفي الأصلين : «أجلين» بالحاء . المهملة .

يا كاشف الضرِّ صَفِّحَا عن جرائنا * لقد أحاطت بنا ياربُّ بأساءُ
 نشكو إليك خُطوباً لا تُطيقُ لها ^(١) * حملاً ونحن بها حقاً أحقاءُ
 زلازلاً تَحْشَعُ الصَّمُ الصَّلابُ لها * وكيف يَقْوَى على الزَّلْزَالِ شِمَاءُ
 أقام سبعا يُرْجُ الأرض فأنصدعت * عن منظرٍ منه عينُ الشمسِ عَشْواءُ ^(٢)

والقصيدة طويلة جداً كلها على هذا المنوال. ولولا خشية الإطالة لذكرنا أمر هذه
 النار وما وقع منها، فرأينا أن الشرح يطول، والمقصود هنا بقية ترجمة السلطان
 الملك المعز أيك .

ولما مات المعز رثاه سراج الدين الوراق بقصيدة أولها :

نُقيِمُ عليه مَأْتَمًا بعد مَأْتَمٍ * وَتَسْقَعُ دمعاً دون سَقْعِ المقْطَمِ
 ولو أننا نبكي على قدر فقيد * لدُمْنَا عليه نُتْبِعَ الدَّمْعَ بالدم
 وسَلَّ طَرْفِي يُنْهِيك عَنِّي أُنْثَى * دعوتُ الكَرَى من بعده بالمحرَّم

ومنها في ذكر ولده الملك المنصور على - رحمه الله - :

بَنَى اللهُ بالمنصور ما هَدَمَ الرَّدَى * وَإِنْ بِنَاءَ اللهِ غَيْرُ مُهَدَّمٍ
 مَلِكُ الْوَرَى بُشِّرْهُ لَمْضِيْر طَاعَةٍ * وَبُؤْسَى لَطَايِجَ فِي زَمَانِكَ مُجْرِمٍ
 فَمَا لِلَّذِي قَدَّمْتَ مِنْ مَتَانَةٍ * وَلَا لِلَّذِي أَنْعَرْتَ مِنْ مَتَقَدَّمٍ

وأيك صوابه كما هو مكتوب، وهو لفظ تركي مرگب من كلمتين. فأى هو القمر،
 وبك أمير، فعنى الأسم باللغة العربية أمير قمر، ولا عبرة بالتقديم والتأخير في اللفظ،
 وأيك (بفتح الهمزة وسكون الياء المثناة من تحت وتفخيمهما معا) وبك معروف
 لا حاجة إلى التعريف به . انتهى .

٢٠ (١) في الأصلين : « لا نلق لها » . والتصويب عن الذيل على الروضتين وعيون التواريخ والسلوك
 للقرنيزي (ص ٣٩٩) . (٢) في الأصلين : « عشراء » . وما أثبتناه عن الذيل على الروضتين .
 (٣) هو سراج الدين عمر بن محمد بن حسن الوراق الشاعر المشهور . وسيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٩٥ هـ



السنة التي حكم في محرمها الملك المعظم توران شاه ابن الملك الصالح نجم الدين ، ثم في صفر والربيعين منها الملكة شجرة الدر أم خليل الصالحية ، ثم في باقيها الملك المعز أيبك صاحب الترجمة ، ومعه الملك الأشرف مظفر الدين موسى ، والعمة في ذلك على المعز هذا ، وهي سنة ثمان وأربعين وستائة .

فيها كانت كسرة الفرنج على دمياط وقبض على الفرنسيين كما تقدم . وفيها قتل الملك المعظم توران شاه ، وقد مر أيضا .

وفيها كانت الواقعة بين الملك الناصر صلاح الدين يوسف وبين الملك المعز هذا .

وفيها حج طائفة من العراق ، ولم يحج أحد من الشام ولا مصر في هذه السنة .

وفيها ثارت الجند ببغداد لقطع أرزاقهم . وكل ذلك كان من عمل الوزير ابن

العلقي الرافضي ، فإنه كان حريصا على زوال دولة بني العباس ونقلها إلى العلويين ، وكان يرسل إلى التتار في السر والخليفة المستعصم لا يطلع على باطن الأمور .

وفيها لما فرغوا من حرب دمياط وتفترق أهلها نقلوا أخشاب بيوتهم وأبوابهم

منها وتركوها خاوية على عروشها ، ثم بنيت بعد ذلك بليدة بالقرب منها تسمى المنشية .

وكان سور دمياط من أحسن الأسوار .

(١) هو محمد بن محمد بن علي الوزير الكبير مؤيد الدين أبو طالب العلقي البغدادي الرافضي وزير

المستعصم بالله . توفي سنة ٦٥٦ هـ ، كما في شذرات الذهب ، والحوادث الجامعة لابن القوطي ،

وقلادة النحر في وفيات أعيان الدهر لأبي محمد محمد الطيب (نسخة مأخوذة بالتصوير الشمسي ثلاثة أجزاء

في ستة مجلدات محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٦٧ تاريخ) ، أوفى سنة ٦٥٧ هـ كما في المنهل

الصافي وفيات الوفيات لابن شاكر . (٢) هي بذاتها مدينة دمياط الحالية حيث أنشأها السكان

بجوار دمياط القديمة وانتقلوا إليها وسموها المنشية ، لأنها في عرفهم حديثة بالنسبة إلى دمياط القديمة ،

ولكن الجغرافيين احتفظوا باسم دمياط إلى اليوم ، لأن المنشية المستجدة تجاوز أطلال المدينة القديمة .

ويؤيد ذلك ما ورد في كتاب السلوك للقرنزي (ج ١ ص ٣٧٢) .

وفيهما تُوُفِّيَتْ أرغوان الحافظية عتيقة الملك العادل أبي بكر بن أيوب، سُمِّيَتْ الحافظية لأنها رَبَّتْ الملك الحافظ صاحب [قلعة] جَعْبَر، وكانت امرأة عاقلةً صالحةً، وكانت مدةً حبس الملك المُنْغِيث ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب بدمشق تُهَيِّئُ له الأَطِيعَة والأشربة وتبعث له النياب، فحَقَّقَ عليها الملك الصالح إسماعيل فصادرها وأخذ منها أموالاً عظيمةً، يقال: إنه أخذ منها أربعمائة صندوق. ولها تربة ومسجد ووقفت عليهما أوقافاً.

وفيهما قُتِلَ الأمير شمس الدين لؤلؤ بن عبد الله مقدَّم عسكر حَلَب، وهو الذي قتلته المماليك الصالحية في الواقعة التي كانت بين الناصر والمُعِزَّ صاحب الترجمة. وكان أميراً شجاعاً مقداماً زاهداً مدبراً عظيم الشأن، وكان فيه قوَّة وبأس غير أنه كان مستخفّاً بالمماليك، ويقول: كلُّ عشرة من المماليك في مقابلة كُرِّي، ولا زال يُمَيِّن ١٠ في ذلك حتى كانت منيته بأيدي المماليك الصالحية كما تقدَّم ذكره.

وفيهما تُوُفِّيَ أبو الحسن المُتَطَبِّب وزير الملك الصالح إسماعيل، وهو الذي كان السبب زوال مُلْك مَخْدومه، فإنه كان سيئ السيرة كثير الظلم قليل الخير، وكان يتستر بالإسلام، وكان يُرْمَى في دينه بعظامه، وقيل: إنه كان أولاً سامرياً فلم يحسن إسلامه، وظهر له بعد موته من الأموال والجواهر والتحف والذخائر ما لا يوجد في خزائن الخلفاء، وأقاموا ينقلونه مدة سنين. وقيمة ما ظهر له غير ما ذهب عند الناس ثلاثة آلاف ألف دينار، ووُجِدَ له عشرة آلاف مجلَّد من الكتب النفيسة والخطوط المنسوبة. قال الشيخ إسماعيل [بن علي] الكُورَانِي يومًا وقد زاره الوزير

(١) في الأصلين وزعة الأنام: «أرغون». وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام للذهبي وعقد الجمان وشذرات الذهب وعيون التواريخ. (٢) زيادة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب وعقد الجمان وعيون التواريخ. (٣) راجع ما كتب عنه في الحاشية رقم ١ ص ٣٤٩ من الجزء السادس من هذه الطبعة. (٤) تقدَّمت وفاته سنة ٦٤٤ هـ فبين نقل المؤلف وفاتهم عن الذهبي.

المذكور : لو بَقِيَتْ على دينك كان أصلح لأنك تَمَسَّكَ بيدَي في الجملة ؛ وأما الآن فانت مُدْبَذَب لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ! .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها تُوُفِّي الإمام أبو محمد إبراهيم بن محمود بن سالم بن الخير في شهر ربيع الآخر، وله خمس وثمانون سنة . والحافظ شمس الدين يوسف بن خليل الدمشقي الأديمي بحلب في جمادى الآخرة ، وله ثلاث وتسعون سنة . والقاضي أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن الحباب التميمي^(١) السعدي ، وله سبع وثمانون سنة في شهر رمضان . والمحدث أبو محمد عبد الوهاب ابن رواح^(٢) ، وأسمه ظافر بن علي بن فتوح القرشي المالكي ، وله أربع وتسعون سنة . وأبو المنصور مظفر بن عبد الملك بن القوي المالكي . ونائب الملك الناصر الأمير شمس الدين لؤلؤ قُتِل في جماعة في الوقعة الكائنة بين المصريين والشاميين .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وأربع أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وإصبعان .



السنة الثانية من ولاية السلطان الملك المعز أَيْتَك الصالح النجيمي التُّركماني على مصر ، وهي سنة تسع وأربعين وستمائة .

(١) في الأصلين : « ابن الحر » . والتصويب عن تاريخ الإسلام للذهبي وشذرات الذهب وشرح القصيدة الالامية في التاريخ . (٢) في تاريخ الإسلام للذهبي وشرح القصيدة الالامية في التاريخ : « ابن الحباب » بالميم . وراجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٩٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٣) هو عبد الوهاب بن ظافر بن علي بن إبراهيم وشيد الدين بن رواح كما في تاريخ الإسلام وشذرات الذهب والسلوك .

فيها عاد الملك الناصر صلاح الدين يوسف من غَزَّة إلى دِمَشق، وأرسل المُعزَّ عسكرَ مصر فَنَزَلَ إلى غَزَّة والساحل، ثم عادوا إلى القاهرة .

وفيها أيضا أخذ الملك المُفَيْثُ آبن الملك العادل آبن الملك الكامل الكَرْك والشُّوبَك، أعطاه إياهما الخادم . ولما سَمِعَ الملك المعزُّ بذلك جهَّز الأمير فارس الدين أقطاي الجندار في ألف فارس إلى غَزَّة .

وفيها نقلوا تابوتَ الملك الصالح نجم الدين أيوب إلى تربته بالقاهرة بين القصرين، ولبس الأمراء ثيابَ العزاء وناحوا عليه بين القصرين، وتصدقت جاريته شجرة التز في ذلك اليوم بمالٍ عظيم .

وفيها أُخرب الترك دِمَياطَ (٣) وحملوا آلاتها إلى مصر وأخربوا الجزيرة (٥) أغنى الروضة) وأخلوها .

وفيها كثر الظلم بالديار المصرية وعظم الجور والمصادرات لكل أحد حتى أخذوا مال الأوقاف ومال الأيتام على نية القرض، ومن أرباب الصنائع كالأطباء والشهود (٦) .

(١) عبارة نزهة الأنام : « فيها عاد الملك الناصر يوسف من غَزَّة إلى دمشق وجاء عسكر مصر فنزل غَزَّة والساحل ونابلس وحكموا البلاد على الشريعة وجهز الملك الناصر صلاح الدين عسكره وجاءته نجدة وساروا إلى غَزَّة فعاد الترك إلى مصر راجعين الخ » . وقريب من هذا عبارة امرأة الزمان وعيون التواريخ . (٢) هو بدر الدين الصوابي الصالحى نائب الملك الصالح نجم الدين . راجع حوادث سنة ٦٣٨ هـ من الجزء السادس من هذه الطبعة ، وتاريخ أبي الفدا في حوادث السنة .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣١٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٤) في نزهة الأنام وعيون التواريخ : « ونقلوا أهلها إلى مصر » .

(٥) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٧٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٦) هذه القفلة لا يهتمها السياق . ولم نعر على هذا الخبر في المصادر التي تحت أيدينا وعبارة نزهة الأنام : « وفيها أحدث بمصر ظلمات كثيرة على الرعية وذلك بإشارة الأسعد الفاضلى » . ولم يأت فيه بالعبارة الأخيرة منه .

وفيهما توفي الفقيه بهاء الدين علي بن هبة الله بن سلامة بن الجُمَيْزِيّ، كان إماماً فاضلاً عارفاً بمذهب الشافعي ديناً، وكان يخالط الملوك . ولما حج قبل هدية صاحب اليمن فأعرض عنه الملك الصالح نجم الدين أيوب لذلك . وكانت وفاته في ذي الحجة بمصر، ودُفِنَ بالقرافة .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفي الإمام عبد الظاهر ابن نَشْوَان السَّعْدِيّ المقرئ النحويّ الضرير في جُمادى الأولى . وأبو نصر عبد العزيز ابن يحيى بن الزبيديّ، وله تسع وثمانون سنة . والإمام أبو المظفر محمد بن مُقْبِل ابن فُتَيْان التَّهْرَوَانِيّ بن المُنَيّ في جُمادى الآخرة . وأبو نصر الأعز بن فضائل ببغداد في رجب . والأمير صاحب جمال الدين يحيى بن عيسى المصري ابن مطروح الأديب . وأبو القاسم عيسى بن أبي الحرم مكيّ بن حسين العامريّ المصريّ المقرئ في سؤال . والإمام أبو محمد عبد الخالق بن الأنجب بن المعمر النَّشْتَبَرِيّ بمَايَرِدِينَ في ذي الحجة . والإمام العلامة بهاء الدين أبو الحسن علي بن هبة الله بن سلامة بن الجُمَيْزِيّ في ذي الحجة، وله تسعون سنة وأُسْبُوعَان . والفقيه عُبيد الله بن عاصم خطيب رَنْدَة، وله سبع وثمانون سنة .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وثمانى عشرة إصبعا .

- (١) في تاريخ الإسلام للذهبي وشذرات الذهب وغاية النباهة : « ابن نَشْوَان الجُذَامِيّ » .
 (٢) كذا في الأصلين وتاريخ الإسلام وشذرات الذهب . وفي غاية النباهة وشرح القصيدة اللامية في التاريخ : « عيسى بن أبي الحرم » بالزاي المعجمة . (٣) في الأصلين : « التستري » وهو تحريف . وتصحيحه عن المشتبه في أسماء الرجال للذهبي وتاريخ الإسلام ومعجم البلدان . والنشترى : نسبة إلى نشترى ، قرية كبيرة ذات نخل ويسانين تختلط بساتينها بساتين شهرابان في طريق خراسان من نواحي بغداد . (٤) في الأصلين : « عبد الله » . والتصويب عن تاريخ الإسلام وشرح القصيدة اللامية في التاريخ . (٥) رَنْدَة : حصن من حصون الأندلس بين إشبيلية ومالقة .



السنة الثالثة من ولاية الملك المعز أيك الترمكي على مصر، وهي سنة خمسين وستائة .

- (١) فيها وصلت التار إلى الجزيرة ونهبوا ديار بكر وميافارقين ، وجاءوا إلى رأس عين وسروج وغيرها ، وقتلوا زيادة على عشرة آلاف إنسان ، وصادفوا قافلة خرجت من حران تقصد بغداد ، فأخذوا منها أموالاً عظيمة : منها ستائة حمل سكر مصري وستمائة ألف دينار ، قاله أبو المظفر في مرآة الزمان ، قال : وقتلوا الشيوخ والعجائز وساقوا من النساء والصبيان ما أرادوا ، ثم رجعوا إلى خلاط . وقطع أهل الشرق الفرات وخاض الناس في القتلى من دنيسر إلى الفرات . قال بعض التجار : عددت على جسر بين حران ورأس عين في مكان واحد ثلثمائة وثمانين قتيلاً من المسلمين ، ثم قتل ملك التار كشلوخان .

وفيهما حج بالناس من بغداد بعد أن كان بطل الحج منذ عشر سنين من سنة مات الخليفة المستنصر .

- (٦) وفيها قدم الشيخ نجم الدين البادراني رسولا من الخليفة وأصلح بين المعز أيك صاحب الترجمة وبين الناصر يوسف ، وقد تقدم ذلك ، وكان كل واحد من الطائفتين قد سئم وضرم من الحرب ، وسكنت الفتنة بين الملوك وأستراح الناس .

- (١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٨٢ من الجزء الثالث من هذه الطبعة . (٢) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٨٠ من الجزء الثالث من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١١٣ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٤) راجع الكلام عليها في الجزء الثالث من هذه الطبعة ص ٢٧٨ ، ٢٢٠ (٥) دنيسر : بلدة عظيمة مشهورة من نواحي الجزيرة قرب ماردين بينهما فرسخان (عن معجم البلدان لياقوت) . (٦) في الأصلين هنا : « بدر الدين » . والتصويب عما تقدم ذكره للؤلؤ في ترجمة المعز وزعة الأنام وعيون التواريخ . وراجع الحاشية رقم ٢ ص ١٢ من هذا الجزء . (٧) يلاحظ أن استعمال هذا الفعل لا يناسب المقام هنا وإن كان المراد واضحاً .

وفيهما تُوفِّي العلامة رَضِيَ الدين أبو الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن بن
 حيدر بن علي - القُرشي - العدوي - العمري - الصاغاني^(١) الأصل الهندي - اللاهوري^(٢) - المولد
 البغدادي - الوفاة المحدث الفقيه الحنفى - اللغوى - الإمام صاحب التصانيف ، وُلِدَ بِمِنَةِ
 لاهور في عاشر صفر سنة سبع وسبعين وخمسمائة ونشأ بفَرْزَةَ ، ودخل بغداد فسمع
 الكثير في عِدَّة بلادٍ ورَحَلَ . وكان إليه المنتهى في علم العربية واللغة ، وصنَّف
 كتاب «مجمع البحرين» في اللغة ، أثنا عشر مجلداً ، وكتاب «المُباب الزاخر» في اللغة
 أيضاً عشرون مجلداً ، وأشياء غير ذلك . قال الحافظ الدِّمَاطى^(٣) : وكان شيخاً صَدُوقاً
 صالحاً صَمُوتاً عن فضول الكلام إماماً في اللغة والفقه والحديث ؛ قرأت طيه يوم
 الأربعاء وتُوفِّي ليلة الجمعة تاسع عشر شعبان ، وحضرتُ دفنه بداره بالحريم
 الطاهري ببغداد . ثم ترجمه الدِّمَاطى ترجمة طويلة وأثنى على علمه وفضله ودينه .
 وفيها تُوفِّي الشيخ شمس الدين محمد بن سعد^(٦) [بن عبد الله بن سعد بن مُقْلِح بن
 هبة الله] الكاتب المُقَدِّسِيّ نشأ بقاسيون على الخير والصلاح وقرأ النحو والعربية
 وسمع الحديث الكثير ، وبرع في الأدب . وكان ديناً حسن الخط وكتب لللك
 الصالح إسماعيل وللك الناصر داود . ومن شعره :

- ١٥ (١) الصاغاني : نسبة إلى الصاغانيان (فتح الصاد المهملة والعين المعجمة وألف ونون ومثناة
 تحية ونون في الآخر) مدينة فيما وراء النهر فتحها قتيبة بن مسلم الباهل في خلافة عمر بن الخطاب .
 (٢) نسبة إلى لاهور وهي حاضرة إقليم پنجاب ببلاد الهند فتحها محمود الغزنوي سنة ١٠١٣م = ٤٠٤هـ .
 وكما يقال فيها لاهور كساجور ، يقال أيضاً لاهور كجفهر ، ولوهور بفتح اللام وسكون الواو ين و بينهما هاء
 مفتوحة وفي آخرها راء ، كما يقال فيها لاهور ورواوين . (٣) غزنة هي مدينة عظيمة وولاية واسعة
 في طرف خراسان وهي الحد بين خراسان والهند وهي هكذا ينطق بها العامة والعلماء ينطقونها غزنين ويعربونها
 فيقولون جزنة (عن معجم البلدان لياقوت) . (٤) هو عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف
 الدِّمَاطى أبو أحمد وأبو محمد شرف الدين . (عن تذكرة الحفاظ والدرر الكامنة وشذرات الذهب والمنهل
 الصافي) وسيزكره المؤلف في حوادث ٥٧٠هـ . (٥) الحريم الطاهري : دار محمد بن عبد الله بن
 طاهر في الجانب الغربي من بغداد . وراجع الحاشية رقم ٥ ص ١٢٦ من الجزء الثالث من هذه الطبعة .
 (٦) الزيادة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب .

لنا بقدم طلعك المناء * وللأعداء ويحهم الفناء
 قدمت فكنت شبه الغيث وافي * بلاداً قد أحل بها الظماء
 قلت : ويعجبني في هذا المعنى قول القائل ولم أدري لمن هو :

قدمك أشهى من زلال على ظما * وأحسن من نيل المني في المارب
 حكى الغيث وافي الأرض من بعد جدبها * وأطلع فيها النبات من كل جانب
 وفيها توفى الأمير صاحب جمال الدين أبو الحسين يحيى بن عيسى بن إبراهيم
 ابن الحسين بن علي بن حمزة بن إبراهيم بن الحسين بن مطروح . كان أصله من
 صعيد مصر، وولد به ونشأ هناك، ثم قدم القاهرة واشتغل وبرع في الأدب والكتابة
 واتصل بخدمة الملك الصالح نجم الدين أيوب . قال أبو المقفّر : كان فاضلاً كيساً
 شاعراً . ومن شعره لما فتح الناصر داود بروج داود بالقدس، قال :
 المسجد الأقصى له عادة * سارت فصارت مثلاً سائراً^(١)
 إذا غدا للكفر مستوطناً * أف يبعث الله له ناصراً
 فناصر طهره أولاً * وناصر طهره آخراً

قال : وتوفي في شعبان ودفن بسارية بالقرافة وكانت له أخبار عظيمة، وكان
 قد دخل بين الخوارجية والصالح أيوب، واستنابه أيوب بالشام وليس ثياب الجند
 وما كانت تليق به . ثم غيظ عليه الصالح وأعرض عنه إلى أن مات، فأقام خاملاً

(١) هو الذي تقدمت وفاته فيمن ذكر الذهبي وفاتهم في السنة الماضية ووافق الذهبي في ذلك
 ابن خلكان ومقد الجمان وعيون التواريخ وشذرات الذهب ونزهة الأنام .
 (٢) في الأصلين : « ابن الحسن » . والتصويب عن المصادر عينا .
 (٣) في شذرات الذهب وابن خلكان وتاريخ الإسلام : « وكانت ولادته بأسبوط » .
 (٤) في الأصلين : « وصارت » . وما أثبتناه عن ديوانه ومرآة الزمان .
 (٥) في ابن خلكان والمهمل الصافي : « ودفن بسفح جبل المقطم » .

إلى أن مات . وقد كان جَوَادًا ذا مُروءة متعصبًا سمحًا حلِيمًا حسن الظنِّ بالفقراء^(١)
 عارفاً فاضلاً . انتهى كلام أبي المظفر . قلت : وديوان شعره مشهور . ومن شعره
 القصيدة المشهورة :

هي رامةٌ نُحْضِدُوا يمين الوادى * وذروا السيوفَ تَهْزُ في الأغصَادِ
 وحذارٍ من لحظاتٍ أعينَ عَيْنِهَا * فلكم صَرَغَنَ بها من الاسَادِ
 مَنْ كَانَ مِنْكُمْ واثقاً بفؤادِهِ * فهناك ما أنا واثقٌ بفؤادِي
 يا صاحِبِي ولى يَجْرُطَاهُ الجَمَى * قلبٌ أسيرٌ ماله من فادِي
 سلبته مني يوم بانوا مُقْلَةً * مكحولَةٌ أجفانها بسوادِ^(٢)
 وبجى من أنا في هواءِ مَيِّتٍ * عَيْنٌ على العُشاقِ بالمِرْصادِ
 وأغنَّ سِكِّي اللّٰمَى معسولَهُ * لولا الرقيبُ بلفتُ منه مرادِي
 كيف السبيلُ إلى وصالِ حُجْبٍ * ما بين بيضِ ظُلبٍ وشمَرِ صِعادِ
 في بيتِ شَعْرٍ نَزَلَ من شعرِهِ * فالحسنُ منه ما كَفُ في بادِي
 حرسوا مُهَفِّهَفَ قَدِّهِ بِمُتَّقِفٍ * فتشابهَ المَيَّاسُ بالمَيَّادِ
 قالت لنا أَلِفُ العذارِ بخدِهِ * في ميمٍ مَهِسِمِهِ شفاءُ الصادِي^(٣)

وهي أطول من ذلك آخِثَصْرُهَا خَوْفُ الإطالة . ويعجبني قصيدة الجزار
 في مدح ابن مطروح هذا . أذكر غزَلَهَا :

هو ذا الرُّبْعُ ولى قَسٍّ مَشُوقَةٍ * فاحسِ الركبَ عَصَى أَقْضَى حَقُوقَةٍ^(٤)
 فقيحٌ بى في شَرِّعِ المَوَى * بعد ذاك اليرَّ أن أرضى عَقُوقَةٍ^(٥)

(١) في الأصلين : « حسن النظر » . والتصحيح من مرآة الزمان .

(٢) رواية ديوانه : * ولى من أنا في هواءِ مَيِّتٍ * .

(٣) هو جمال الدين أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد بن علي المعروف بالجزار .

وسيدكره المؤلف في حوادث سنة ٦٧٩ هـ . (٤) في الأصلين : « حتى أقضى ... إلخ » .

وما أثبتناه عن ابن خلكان . (٥) في الأصلين : « أن أقضى » . وما أثبتناه عن ابن خلكان .

لَسْتُ أَتَى فِيهِ لَيْلَاتٍ مَضَتْ * مَعَ مَنْ أَهْوَى وَسَاعَاتٍ أُنِيقَ
 وَلَنْ أَهْجَى بَحَارًا بَعْدَهُم * فَضْرَامِي فِيهِ مَازَالُ حَقِيقَةِ
 يَا صَدِيقِي وَالكَرِيمُ الْحُرُّ فِي * مِثْلَ هَذَا الْوَقْتُ لَا يَنْتَسِي صَدِيقَةَ
 ضَعُ يَدًا مِنْكَ عَلَى قَلْبِي عَسَى * أَنْ تَهْدِي بَيْنَ جَنَّتِي خُفُوقَةَ
 فَاضْ دَمْعِي مُدْرَأَى رَيْحِ الْهَوَى • وَلَكَمْ فَاضَ وَقَدْ شَامَ بُرُوقَةُ
 نَفْدِ اللَّوْثِ مَنْ أَدْمَعَهُ * فَعَدَا يَنْثُرُ فِي التَّرْبِ عَقِيقَةَ
 قَفٍ [مَعِي] ^(١) وَأَسْتَوْقِفُ الرِّكَبَ فَإِنْ * لَمْ يَقِفْ فَأَتْرُكُهُ يَمْضِي وَطَرِيقَةَ ^(٢)
 فَهِيَ أَرْضٌ قَلْبًا يَلْحَقُهَا * أَمِلْ وَالرَّكْبُ لَمْ أَعْدَمْ لِحُوقَةَ
 طَالَمَا أَسْتَجَلَيْتُ فِي أَرْجَائِهَا * مِنْ يَتِيهِ الْبَدْرُ إِذْ يُدْعَى شَقِيقَةَ
 يَفْضَحُ الْوَرْدَ أَحْمَرَارًا خَدَّهُ * وَتَوَدُّ الْخَمْرُ لَوْ تُشْبِهُ رَيْقَةَ
 فِيهِ الْحَسَنُ خَلِيقٌ لَمْ يَزَلْ * وَالْمَعَالَى بَابُنْ مَطْرُوحِ خَلِيقِهِ
 وَلَهُ بَيْتَانِ ضَمْنُهُمَا بَيْتَ الْمُتَنَبِّيِّ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ قَصِيدَتِهِ، وَهُوَ :
 تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْعَذِيبِ وَبَارِقِ * جَحْرٍ عَوَالِينَا وَجَحْرَى السَّوَابِقِ
 فَقَالَ ابْنُ مَطْرُوحٍ مَضْمَنًا :

إِذَا مَا سَقَانِي رَيْقَهُ وَهُوَ بِاسْمٍ * تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْعَذِيبِ وَبَارِقِ
 وَيُذَكِّرُنِي مَنْ قَدَّهُ وَمَدَامِي * جَحْرٍ عَوَالِينَا وَجَحْرَى السَّوَابِقِ

الَّذِينَ ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ وَفَاتَهُمْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، قَالَ : وَفِيهَا تَوَفَّى أَبُو الْبَرَكَاتِ، هَبَةُ اللَّهِ
 ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ [الْمَعْرُوفُ بِآ] بْنِ الْوَاعِظِ الْمُقَدِّسِيِّ ثُمَّ الْإِسْكَنْدَرَانِيَّ عَنْ إِحْدَى

(١) التَّلْكَةُ عَنْ ابْنِ خُلْكَانَ . (٢) فِي الْأَصْلَيْنِ : « يَمْضِي فِي طَرِيقِهِ » . وَمَا أَتَيْنَاهُ عَنْ

ابْنِ خُلْكَانَ . (٣) زِيَادَةٌ عَنْ تَارِيخِ الْإِسْلَامِ .

وثمانين سنة . وأبو القاسم يحيى بن أبي السعود [نصر] ^(١) بن مُثيرة التاجرى جمادى الأولى،
وله خمس وثمانون سنة . والعلامة أبو الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن العدوى
المعمري الصّغاني النحوي اللغوي . والأديب شمس الدين محمد بن سعد بن عبداقه
المقدسي الكاتب في شوال . والمسند رشيد الدين أحمد بن المفرج بن علي ^(٢) [بن
عبد العزيز] بن مسامة العذل في ذى القعدة .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وسبع أصابع . مبلغ الزيادة
ثمانى عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا .



السنة الرابعة من ولاية الملك المعز أيتك الصالحى النجمى التركمانى على

مصر، وهى سنة إحدى وخمسين وستمائة .

فيها كانت الوقعة الجمعة .

وفيها عظم بمصر أمر الأمير فارس الدين أقطاي الجندار ورُفّع للسلطنة، وكان
من حزبه من خُشدايشته يبرس البندقدارى، وبلبان الرشيدى، وسنقر الرومى،
وسنقر الأشقر ^(٥) . وصار الملك المعز في خوف . وقد تقدم ذكر هذه الحكاية
في ترجمة المعز .

وفيها كان الفلاء بمكة المشرفة ، وأبيع فيها الشرابة الماء بدرهم ، والشاة

. بأربعين درهما .

- (١) الزيادة عن شذرات الذهب والسلوك . (٢) كذا في شذرات الذهب والوافى
بالوفيات للصفدى وتاريخ الإسلام للذهبي والقصيدة اللامية في التاريخ والسلوك . وقد ضبط في الوافى
بالقلم (بضم القاف وفتح الميم) . وفي الأصلين : « ابن نهيرة » . وهو خطأ .
(٣) في الأصلين : « ابن الفرج » . وما أثبتناه عن شذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبي .
(٤) التكملة عن تاريخ الإسلام للذهبي . (٥) في الأصلين : « وسنقر الأصغر » .
وما أثبتناه عن المهمل الصافي وما تقدم ذكره للولف في ترجمة المعز أيتك .

وفيهما تُوُفِّيَ الشيخ الإمام سعد الدين محمد بن المؤيد^(١) [بن عبد الله بن علي] بن حمويه ابن عم شيخ الشيوخ صدر الدين^(٢) . مات بخراسان ، وكان زاهدا عابدا دينيا متكلما في الحقيقة ، وله مجاهدات ورياضات ، وقدم الشام^(٣) وحج وسكن بدمشق ، ثم عاد إلى الشرق بعد أن آتفر بالشام ، واجتمع بملك التتار فأحسن به الظن وأعطاه مالا كثيرا ، وأسلم على يده خلق كثير من التتار ، وبني هناك خانقاه وتربة إلى جانبها ، وأقام يتعبد ، وكان له قبول عظيم هناك — رحمه الله تعالى — .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها تُوُفِّيَ أبو البقاء صالح بن شجاع بن محمد بن سيدهم المديني الخياط في الحرم . وسببط السلفي^(٤) أبو القاسم عبدالرحمن بن أبي الحرم مكي بن عبدالرحمن الطرابلسي الإسكندراني في سؤال عن إحدى وثمانين سنة . وأبو محمد عبد القادر بن حسين [بن محمد بن جميل] البندنجي^(٥) البواب آخر من روى عن عبد الحق اليوسفي^(٦) .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وتمانى أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعًا .



السنة الخامسة من ولاية الملك المعز أئيك الصالح النجفي الترمكاني على مصر ، وهي سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة .

- (١) التلمذة عن المهمل الصافي وشذرات الذهب ، وذكر فيها أن وفاته كانت سنة ٦٥٠ هـ .
- (٢) هو صدر الدين محمد بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه الجويني . تقدمت وفاته سنة ٦١٧ هـ .
- (٣) في عقد الجمان ونزهة الأنام « وقدم مصر ... الخ » .
- (٤) هو أحمد بن محمد بن أحمد الحافظ أبو طاهر . تقدمت وفاته سنة ٥٧٦ هـ .
- (٥) الزيادة عن نزهة الأنام . (٦) هو أبو الحسين عبد الحق بن عبد الخالق اليوسفي وقد ذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٥٧٥ هـ فيمن نقل وفاتهم عن الذهبي .

فيها وصلت الأخبار من مكة بأن نارا ظهرت في أرض عدن في بعض جبالها،
بحيث يطير شررها إلى البحر في الليل، ويصعد منها دُخان عظيم في النهار، فما شكوا
أنها النار التي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أنها تظهر في آخر الزمان . فتأب الناس
وأقلعوا عما كانوا عليه من المظالم والفساد، وشرعوا في أفعال الخير والصدقات .

قلت : وقد تقدم ذكر هذه النار بأوسع من هذا في ترجمة الملك المعز هذا .^(٢)

وفيها وصلت الأخبار من الغرب باستيلاء إنسان على إفريقية وأدعى أنه خليفة،
وتلقب بالمستنصر^(٣)، وحُطِب له في تلك النواحي، وأظهر العدل وبني بُرجا وأجلس
الوزير والقاضي والمحاسب بين يديه يحكمون بين الناس، وأحبته الرعية وتم أمره .

وفيها توفى الإمام عبد الحميد بن عيسى الخسروشاى^(٤) . كان إماما فاضلا في فنون،
وصحب الفخر الرازي ابن خطيب الرى، وأقام عند الملك الناصر داود سنين كثيرة
بدمشق والكرك، وكان متواضعا كبير القدر كثير الإحسان . مات بدمشق ودفن
بقايسون في تربة المعظم عيسى .

(١) عدن : أهم ميناء في جنوب بلاد العرب ، تبعد عن باب المندب زهاء مائة ميل ونحسة . وهي
قلعة حصينة تشبه جبل طارق في الغرب ، دخلت في حوزة الانجليز سنة ١٨٣٩ م واستعملت مستودعا للقمم
لتكوين البواخر الانجليزية ، وقد تضاعفت أهميتها بعد فتح قناة السويس ومرور البواخر بالبحر الأحمر ،
وهي فوق ذلك مرفأ تجارى لحاصلات بلاد العرب الصمغ والبن وغيرها [القاموس الجغرافى طبع لـ لندن
سنة ١٩٠٥ م] . (٢) يلاحظ أن النار التي تقدم ذكرها للؤلؤ في ترجمة المغزأليك هي النار التي
ظهرت بالمدينة سنة ٦٥٤ هـ وليست بالنار التي ظهرت بعدن . (٣) هو المستنصر بالله أمير المؤمنين
محمد بن أبي زكريا يحيى الحفصى صاحب تونس تولى بعد وفاة أبيه سنة ٦٤٧ هـ ودخل في بيته شرق
الأندلس ، واستفزه للجهاد ضد الفرنج ، ثم بايع له شريف مكة بالخلافة سنة ٦٥٢ هـ وخطب له بمكة .

وفي أيامه تحولت الحملة الصليبية من الشرق إلى الغرب ، فكانت الحملة التاسعة والأخيرة بينه وبين
لويس التاسع ملك فرنسا سنة ٦٦٨ هـ وأنهت بموت لويس التاسع المعروف عند العرب بالفرنسيس وقد توفى
المستنصر هذا سنة ٦٧٥ هـ [راجع ترجمته في تاريخ ابن خلدون من ص ٤١٠ - ٤٤٦ الجزء الأول
طبع الجزائر سنة ١٢٦٣ م ١٨٤٧ م بناية المستشرق البارون رسلان] . (٤) الخسروشاى :
نسبة إلى خسرو شاه ، قرية من قرى تبريز ، بينهما سنة فرائخ . (عن طبقات الشافعية ومعجم البلدان لياقوت) .

وفيهما توفى الشيخ الإمام العلامة مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله
 [ابن أبي القاسم الخضر بن محمد بن علي] بن تيمية الحراني الحنبلي - جد الشيخ تقي الدين
 ابن تيمية . ولد في حدود سنة تسعين وخمسمائة وتفقه في صغره على عمه الخطيب
 نقر الدين؛ وسمع الكثير ورحل البلاد وبرع في الحديث والفقه وغيره ، ودرس
 وأفتى وانتفع به الطلبة، ومات يوم الفطر بحزان .

- (٥)
 الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفي سديد [الدين]
 أبو محمد مكي [بن أبي الفنائم] بن المسلم [بن مكي] بن علان القهسي في صفر ،
 وله تسع وثمانون سنة . والرشد إسماعيل بن أحمد بن الحسين العراقي الحنبلي
 عن نيف وثمانين سنة في جمادى الأولى . والمفقي كمال الدين أبو سالم محمد بن
 طلحة النصيبي بحلب عن سبعين سنة . وأبو البقاء محمد بن علي بن بقاء [بن]
 السباك . والعلامة مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم
 ابن تيمية بحزان يوم الفطر عن اثنتين وستين سنة . وأبو القيث فرج [بن عبد الله]
 الحنبلي تقي أبي جعفر القرطبي في شوال . والإمام شمس الدين عبد الحميد بن عيسى
 الخسروشاوي بدمشق . وأبو العزائم عيسى بن سلامة بن سالم الخياط بحزان
 في أواخر السنة ، وله مائة وستة . والفارس أقطاي مقدم البحرية ، قتله المعز بمصر .

- (١) زيادة من شذرات الذهب وغاية النباه والمنهل الصافي . (٢) هو تقي الدين أبو العباس
 أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٧٢٨ هـ .
 (٣) في الأصلين : « في حدود سبعين وخمسمائة » . والتصويب من غاية النباه وشذرات الذهب والمنهل
 الصافي وما ينهم من جارة السلوك . (٤) في الأصلين هنا : « من الدين » . والتصويب عن مختصر
 طبقات الحنابلة وشذرات الذهب والمنهل الصافي ، وهو نقر الدين بن تيمية أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الخضر
 ابن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله . ذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٢٢ هـ . (٥) التكلة عن
 عيون التواريخ . (٦) تكلة من شذرات الذهب . (٧) الزيادة عن عقد الجمان وشذرات
 الذهب وابن كثير والذيل على الروضتين . (٨) هو أبو جعفر أحمد بن علي القرطبي المقرئ إمام
 الكلاسة . ذكره المؤلف في حوادث سنة ٥٩٦ هـ . (٩) في أحد الأصلين : « في أول السنة » .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وِسْتُ أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وأثنا عشرة إصبعا .



السنة السادسة من ولاية الملك المُعزَّ أَيْتِكَ الصالحى - النَجْمِيَّ - التُّرْكُمَانِيَّ -

على مصر، وهى سنة ثلاث وخمسين وستمائة .

فيها عزمت الممالك العزِيزِيَّة على القبض على الملك المُعزَّ وكتبوا الملك الناصر فلم يوافقهم أَيْدُغْدِيَّ العَزِيزِيَّ، واستشعر الملك المُعزَّ منهم بذلك وعلم الخبر، وعلماهم هم أيضا فهربوا على حِمَّة، وكبيرهم آقوش البرنلى، ولم يهرب أَيْدُغْدِيَّ وأقام بِغِيَّحِه، بجاء الملك المُعزَّ راكبا إلى قرب خِيَمَتِه فخرج إليه أَيْدُغْدِيَّ فأمر المُعزَّ بمجمله، وقبض أيضا على الأمير الأتابكى ونُهيت خيامُ العَزِيزِيَّة وكانوا بالعبَّاسة، والأعيان الذين هربوا : هم بَلْبَانُ الرِّشِيدِيَّ، وعزَّ الدين أَزْدَمَرُ، وسِبْرَسُ البُنْدُقدَارِيَّ، وسُنْقَرُ الأَشْقَرُ، وسيف الدين قَلَّاوون الأَلْفَى، وبدر الدين بَيْسَرِيَّ، وسُنْقَرُ الرُّومِيَّ، وبَلْبَانُ المُسْتَنْصَرِيَّ .

وفيها عاد الملك الناصر داود من الأنبار إلى دِمَشْق بعد أن حبسه الملك الناصر صلاح الدين يوسف بقلعة جِمْص ثلاث سنين وبعث به إلى بغداد، ثم عاد إلى دمشق وأقام بها، ثم عاد في سنة ثلاث وخمسين إلى العراق، ورجَّ وأقام بِالْحِلْمَةِ^(٢)، وكان قد جرى بين الحِجِّ العِرَاقِيَّ وأصحاب أمير مَكَّة فتنة، فأصلح بينهم .

الذين ذكر الذهبى وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفى المفتى ضياء الدين صَفَر بن يحيى بن سالم الحَلَبِيَّ في صَفَر عن نيف وتسعين سنة . والمحدث

(١) في حيون التواريخ : « بلبان المستعرب » . وفي نزهة الأنام والسلوك : « بلبان المسعودى » .

(٢) المراد بها حلة بن مزيد؛ راجع الحاشية رقم ٢ ص ١١٤ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

شهاب الدين أبو العرب إسماعيل بن حامد الأنصارى القوصى في شهر ربيع الأول عن ثمانين سنة . والنور محمد بن أبي بكر بن أحمد بن خلف البلخي ثم الدمشقي في شهر ربيع الآخر، وقد رأى السلفي .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وأثنا عشرة إصبعا .
مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا سواء .



السنة السابعة من ولاية الملك المعز أيك الصالحى النجيمى التركمانى
على مصر، وهى سنة أربع وخمسين وستمائة ،

فيها فتح الملك الناصر صلاح الدين يوسف مدرسته التى أنشأها بدمشق
بباب القرايس .

وفيها غرقت بنداؤ الفرق العظيم الذى لم يُعهد مثله بحيث أنتقل الخليفة،
ودخل الماء إلى دار الوزير وغرقت خزان الخليفة ، وجرى شيء لم يجر مثله ،
وكان ذلك في شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى .

وفيها توفى الشيخ الزاهد العابد الورع المجاهد عماد الدين عبد الله [بن أبي المجد
الحسن بن الحسين بن على - الأنصارى] [ابن النحاس ، خدّم في مبادئ أمره المملوك ،
1٥ وولى الوزارة لبعضهم ، ثم أقطع في آخر عمره بقايسون بزاويته ، فأقام بها ثلاثين
سنة صائما قائما مشغولا بالله تعالى ويقضى حوائج الناس بنفسه وماله ، ودُفن
بقايسون ، وكان له مشهد هائل .

(١) النكبة عن شذرات الذهب وبعيون التواريخ .

وفيها كان ظهور النار العظيمة بالمدينة الشريفة وهي غير التي ذكرناها في السنة الماضية ^(١) ، وهذه النار التي تقدم ذكرها في ترجمة الملك المعز هذا .

وفيها احترق مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان ، وهذا غير النار التي ظهرت بنواحي المدينة ، فإن هذا الحريق له سبب ^(٢) ، ابتداء من زاوية الحرم النبوي ^(٣) [الغربية من الشمال] ، فعلقت في آلات الحرم ثم دبَّت في السُقُوف ، فما كان إلا ساعة حتى احترقت سقوف المسجد أجمع ، ووقع بعض أساطينه ، وكان ذلك قبل أن ينام الناس ، واحترق أيضا سقف الحجرة ، وأصبح الناس في يوم الجمعة فزلوا موضعا للصلاة . ونظم في حريق المسجد غير واحد من الشعراء ، فقال معين الدين بن تولو المغربي :

قل للروافض بالمدينة مآلکم * يقتادکم للدم كل سفیه
ما أصبح الحرم الشريف محرقا * إلا لسبکم الصحابة فيه

وقال غيره :

لم يحترق حرم النبي لحادث * يُخشى عليه ولا دهاه العارُ
لكنها أيدي الروافض لامست * ذاك الجنب فطهرته النارُ

قال : وعُد ما وقع من تلك النار الخارجة وحرق المسجد من جملة الآيات . وقال أبو شامة : في ليلة السادس عشر من جمادى الآخرة خسف القمر أول الليل ، وكان شديد الحمرة ثم انجلى ، وكسفت الشمس في غده ، إحترت وقت طلوعها

(١) يشير إلى ما ورد عن هذه النار في سنة ٦٥٢ هـ راجع أمر هذه النار من ص ١٦ — ١٩ من هذا الجزء . (٢) في شذرات الذهب أن احتراق المسجد النبوي كان ليلة الجمعة أول ليلة من

رمضان بسد صلاة التراويح على يد الفراش أبي بكر المراغي بسقوط ذبالة من يده .

(٣) زيادة عن عيون التواريخ وعقد الجمان والتذيل على الروضتين .

و [قريب^(١)] غروبها، وأتضح بذلك ما صوره الإمام الشافعي^٢ من اجتماع الخسوف والكسوف، وأستبعده أهل النجامة .

وفيهما تواترت الأخبار بوصول هولاكو إلى أذربيجان قاصداً بلاد الشام ، فتصالح العسكر المصري والشامي على قتاله وتباً كل منهم للقاء التتار .

- ٥ . وفيها توفي الأمير مجاهد الدين إبراهيم بن أونها [بن عبدالله] الصوابي نائب دمشق ، ولها بعد حسام الدين بن أبي علي ، وكان في أول أمره أميراً تدار الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وكان أميراً كبيراً عاقلاً فاضلاً شاعراً . ومن شعره - رحمه الله تعالى - :

أشبهك الفصنُ في خِصالٍ * القلْد واللين والثمنِي
لكن [تَجَنَّبِكَ] ما حكاه * الفصنُ يُجَنِّي وأنت تجنِّي

- ١٠ . وفيها توفي الإمام العلامة عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله بن محمد بن جعفر بن الحسن زكي الدين أبو محمد البغدادى ثم المصري المعروف بأبن أبي الإصبع . كان أحد الشعراء المحيدين ، وهو صاحب التصانيف المفيدة في الأدب وغيره . ومولده في سنة خمس و قبل سنة تسع وثمانين وخمسمائة بمصر وتوفي بها . ومن شعره في نوع « التصدير » وسماه الأوائل « ردَّ العجز على الصدر » على خلاف وقع في ذلك :

إصبرْ على خُلُقٍ مَن تصاحبه^(٥) * وأصحَبْ صَبُوراً على أذى خُلُقِكَ

- (١) التكلة من الذيل على الروضتين . (٢) في الأصلين : « مجاهد بن إبراهيم » . والتصحيح والزيادة عن عيون التواريخ وشذرات الذهب والمنهل الصافي . (٣) أمير جانداز ، هو لقب الذي يستأذن السلطان للأمراء وغيرهم في أيام المراكب عند الجلوس بدار العدل . وهو مركب من ثلاثة ألقاب : أمير ، وجان ومعناه الروح ودار ومعناه مملك فيكون المعنى : الأمير المملك للروح قال صاحب صبح الأعشى : ولم يظهر لي وجه ذلك إلا أن يكون المراد أنه الحافظ لدم السلطان فلا يأذن فيه إلا لمن يأمن عاقبه . (صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦١) . (٤) التكلة عن شذرات الذهب وعيون التواريخ والمنهل الصافي . (٥) في كتابه تحرر التحير (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٦٥ بلافة) : « من تعاشره » .

وذكر أيضا في نوع « المدح في معرض الذم » أبياتا يعارض بها القاضى
السعيد ابن سناء الملك في قواد . فقال هو فيمن أدعى الفقه والكرم :
إِنِّ فَلَائِذَا أَكْرَمُ النَّاسِ لَا * يَمْنَعُ ذَا الْحَاجَةِ مِنْ قَلْبِهِ^(١)
وهو فقيه ذو اجتهاد وقد * نصَّ على التقليد في درسه
فِيْحَسِّنُ الْبَحْثَ عَلَى وَجْهِهِ * وَيُوجِبُ الدَّخْلَ عَلَى نَفْسِهِ
وأما قول ابن سناء الملك في قواد :

لِي صَاحِبٌ أَفْذِيهِ مِنْ صَاحِبٍ * حُلُوُ التَّائِي حَسَنُ الْإِحْتِيَالِ
لَوْ شَاءَ مِنْ رِقَّةٍ أَلْفَاظِهِ * أَلْفٌ [مَا] بَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ
يَكْفِيكَ مِنْهُ أَنَّهُ رَبِّمَا * قَادَ إِلَى الْمَهْجُورِ طَيْفَ الْخِيَالِ
قلت : وَيُجِبُنِي قَوْلُ مَنْ قَالَ فِي هَذَا الْمَعْنَى — أَعْنَى فِي قَوَاد — :
إِذَا كَانَ الَّذِي تَهَوَّاهُ غُصْنًا * وَأَقْسَمَ لَا يَرِقُّ لِمَنْ يَسِيمُ^(٢)
فَدُونَكَ وَالنَّسِيمَ لَهُ رَسُولًا * فَإِنَّ الْغُصْنَ يَعْطِفُهُ النَّسِيمُ
وأحسن من هذا قول من قال :

لِي صَاحِبٌ مَا زِلْتُ أَشْكُرُ فَعْلَهُ * قَدْ عَمَّنِي بِلَطَائِفِ الْإِحْسَانِ
لَوْلَمْ يَكُنْ مِثْلَ النَّسِيمِ لَطَافَةً * مَا كَانَ يَعْطِفُ لِي غُصْنًا الْبَانِ

(١) رويت هذه الأبيات في كتاب البديع في صناعة الشعر المعروف ببحرير الحبير هكذا :

إِنِّ فَلَائِذَا لِكَرِيمٍ غَدَا * لَا يَمْنَعُ السَّائِلَ مِنْ فُلْسِهِ
وهو فقيه ذو اجتهاد فقد * نصَّ على التقليد في درسه
يَسْتَحْسِنُ الْبَحْثَ عَلَى وَجْهِهِ * وَيُوجِبُ الشَّغْلَ عَلَى نَفْسِهِ

(٢) تكملة عن ديوانه (نسخة مأخوذة بالتصوير الشمسي محفوظة بدار الكتب المصرية تحت
رقم ٤٩٣١ أدب) . (٣) في الأصلين :

إِذَا كَانَ مِنْ تَهَوَّاهُ غُصْنًا * وَأَقْسَمَ لَا يَرِقُّ لِمَنْ يَسِيمُ
فَدُونَكَ وَالنَّسِيمَ لَهُ رَسُولٌ * فَإِنَّ الْغُصْنَ يَعْطِفُهُ النَّسِيمُ

- وفيهما توفى الشيخ الإمام الفقيه الواعظ المؤرخ العلامة شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأوغل بن عبد الله البغدادي ثم الدمشقي الحنفي سبط الحافظ أبي الفرج ابن الجوزي . كان والده حسام الدين قزأوغل من ممالك الوزير عون الدين يحيى ابن هبيرة ، وكان عنده بمنزلة الولد ، رباه وأعتقه وأدبه . ومولد الشيخ شمس الدين هذا في سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ببغداد ، وبها نشأ تحت كنف جدّه لأئمه الحافظ أبي الفرج ابن الجوزي إلى أن مات في سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، واشتغل وبرع في عدة علوم ، ووعظ ببغداد وغيرها ، وقدم دمشق وأستوطنها ، ونالته السعادة والوجاهة عند الملوك ، لا سيما الملك المعظم عيسى ، فإنه كان عنده بالمنزلة العظمى ، ورحل البلاد وسمع الحديث وجلس للوعظ في الأقطار ، وكان له لسان حلوتي الوعظ والتذكّار ، ولكلامه موقع في القلوب ، وعليه قابلية من الخالص والعام ، وله مصنفات مفيدة : تاريخه المسمى « مرآة الزمان » وهو من أجل الكتب في معناها . ونقلت منه في هذا الكتاب معظم حوادثه . وكانت وفاته في ذى الحجة . رحمه الله تعالى .
- وقد أستوعبنا ترجمته في تاريخنا « المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي » بأوسع من هذا إذ هو كتاب تراجم وليس للإطنباب في ذكره هنا محل ، كون أننا شرطنا في هذا الكتاب ألا نطنبب إلا في تراجم ملوك مصر الذين تأليف هذا الكتاب
- بصددهم ، وما عداهم يكون على سبيل الاختصار في ضمن الحوادث المتعلقة بالترجم من ملوك مصر . انتهى .

وفيهما توفى الأمير سيف الدين أبو الحسن يوسف بن أبي الفوارس بن مؤسك القيمري واقف المارستان ببجل الصالحية^(٢) ، كان أكبر الأمراء في آخر عمره وأعظمهم

- (١) هو الوزير يحيى بن محمد بن هبيرة بن سعد بن حسن الشيباني عون الدين أبو المظفر . تقدّمت وفاته سنة ٥٦٠ هـ . (٢) في عقد الجمان : « المارستان الذي بسفح جبل قاسيون » . والصالحية : قرية كبيرة ذات أسواق وجامع في لطف جبل قاسيون من غوطة دمشق .

مكانة ، وجميع أمراء الأكراد القيمرية وغيرهم كانوا يتأدبون ويقفون في خدمته إلى أن مات في شعبان ، وهو أجل الأمراء مرتبة .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفى العباد أبو بكر عبد الله بن أبي المجد الحسن بن الحسين الأنصارى ابن النحاس الأصم في المحرم ، وله اثنتان وثمانون سنة . والإمام أبو إسحاق إبراهيم بن محمد [بن عبد الرحمن] بن وثيق الإشبيل المقيري بالإسكندرية ، وله سبع وثمانون سنة ، توفى في شهر ربيع الآخر . والقاضي أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد السلام بن المقدسية السفاسي ، آخر من حضر على السلتي في جمادى الأولى . والمفتي شمس الدين عبد الرحمن بن نوح المقدسي . والواعظ شمس الدين يوسف بن قزأوغلي سبط ابن الجوزي في ذى الحجة .

§ أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم أربع أذرع وست عشرة إصبعا .

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وثلاث أصابع .

- (١) عبارة الأصلين : « وجميع أمراء الأكراد والقيمرية » . وما أئتناه عن عيون التواريخ .
 (٢) التكملة عن شذرات الذهب وغاية النهاية . (٣) السفاسي : نسبة إلى سفاس : ميناء تونس على خليج قابس ، وهى مدينتان السفلى التجارية والعليا . وميناؤها على عمق ٢٢ قدما ، تصدر القطن والصوف والفاكهة والزيت والطور ، وقد اتصلت بقابس بخط حديدى سنة ١٩٠٠ م . وسكانها ١٥ ألف نسمة منهم ثلاثة آلاف بين افرنج ويهود (قاموس لينكوس الجغرافى) .

ذكر سلطنة الملك المنصور على بن أيبك التتركاني على مسر

- السلطان الملك المنصور نور الدين على - ابن السلطان الملك المعز عز الدين أيبك التتركاني الصالح - النجمي ، ملك الديار المصرية بعد قتل أبيه المعز أيبك في يوم الخميس خامس عشرين شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسين وستائة ، وتم أمره وخطب له من الغد في يوم الجمعة سادس عشرينه على منابر مصر وأعمالها . والمنصور هذا هو الثاني من ملوك مصر من الترك بالديار المصرية .

- وتسلطن المنصور هذا وعمره خمس عشرة سنة ، وركب في يوم الخميس ثاني شهر ربيع الآخر يشعار السلطنة من القلعة إلى قبة النصر في موكب هائل ، ثم عاد ودخل القاهرة من باب النصر ، وترجل الأمراء ومشوا بين يديه ما خلا الأتابك علم الدين سنجر الحلبي ، ثم صعد المنصور إلى القلعة وجلس بدار السلطنة ومد السماط للأمراء فاكلوا ، ووزر له وزير أبيه شرف الدين الفائزي وأقضى الموكب . وفي يوم الجمعة ثالث شهر ربيع الآخر خطب للملك المنصور وبعده لأتابكه

- (١) ذكر القريري في الجزء الثاني من خططه (ص ٤٢٢) عند الكلام على قبة النصوص (١١١) من الجزء المذكور عند الكلام على ميدان القيق : أن هذه القبة كانت زاوية يسكنها فقراء الصيم ، وهي خارج القاهرة بالصحرى تحت الجبل الأجر تجاه قبة الأمير يونس الدوادار الظاهري بآثر ميدان القيق من بحريه . جددها الملك الناصر محمد بن قلاوون .

- ويستفاد مما ذكره السخاوي في التبر المسبوك في حوادث سنة ٨٥٤ هـ : أن السلطان أمر بإقامة صلاة استسقاء في الصحراء ، فخرج سائر الناس ونصب للامام منبرين تربة الظاهر برقوق وبين قبة النصر بالقرب من الجبل .

- ٢٠ من هذا يتبين أن القبة المذكورة كانت واقعة في القضاء الكائن شرق خاققاء السلطان برقوق وقبة الأمير يونس الدوادار بينهما وبين الجبل الأحمر وقد اندثرت هذه القبة . وأما خاققاء السلطان برقوق فلا تزال موجودة وتعرف اليوم باسم تربة برقوق بجبانة المالك . وأيضاً فبة الأمير يونس لا تزال موجودة شمال تربة السلطان برقوق .

- (٢) هو شرف الدين أبو سعيد هبة الله بن مساعد الفائزي الوزير (راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٧٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة) . (٣) في الأصلين : « هنا ثامن شهر ربيع الأول » . والصحيح مما تقدم ذكره قولف في ترجمة الملك المنصور هذا والتوقيعات الالهامية .

(١) علم الدين سَنَجَر الحَلْبِيّ المذكور. وقَوَّض القضاء بالقاهرة وأعمالها إلى القاضي بدر الدين السَّنَجَارِيّ، وعزَّل تاج الدين أبن بنت الأهرَ وَأَتَقَى عليه قضاء مصر القديمة وأعمالها. وفي طائر شهر ربيع الآخر قبض الأمير قُطُز وسَنَجَر [الغُتِيّ] وبَهَادُر وغيرهم من الأمراء المِعْزِيَّة على الأتابك سَنَجَر الحَلْبِيّ، وأنزلوه إلى الحبِّ بالقلعة، وكان القبض عليه لأمر: أحدها أنه كان طِمَعَ في السلطنة بعد قتل الملك المِعْزِيّ أَيْبَك لما طلبته شجرة الدُرّ وعَرَضَتْ عليه الملك، والثاني أنه بلغهم أنه نِدِم على ترك الملك وهو في عزم الوثوب؛ فعاجلوه وقبضوا عليه. ولَمَّا قُبِض عليه اضطربت خُشْدَاشِيَّتُهُ من المماليك الصالحية النُجُمِيَّة وخاف كُلُّ أحد على نفسه، فَهَرَبَ أَكْثَرُهُمْ إلى جهة الشام، فخرج في إثرهم جَمَاعَةٌ من الأمراء المِعْزِيَّة وغيرهم، وَتَقَنَّنَ بِالْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ أَيْبَك الحَلْبِيّ الكبير قُورُسُهُ، وكذلك الأمير خَاصُ تَرْك الصغير فهلكا خارج القاهرة وأَدْخِلَا مَيْتَيْنِ، وكانوا ركبوا في جماعة من المماليك الصالحية في قصد الشام أيضا. وَاتَّبَعَ العسكرُ المهزومين إلى الشام، فَقُبِضَ على أَكْثَرِهِمْ وَجُمِلُوا إلى القلعة وَأَعْتَقِلُوا بِهَا. وَقُبِضَ أيضا على الوزير شَرَف الدِّين الفائزِيّ. وقَوَّضَ أَمْرُ الوزارة إلى القاضي بدر الدين يوسف السَّنَجَارِيّ مضافا إلى القضاء، وأُخِذَ موجودُ الفائزِيّ

(١) كان قد وصل إلى أن صار أتابك المنصور هذا ثم قبض عليه بعد ذلك واعتقل وأقيم سيف الدين قطز نائب السلطنة وصار مدير الدولة (راجع تاريخ أبي الفدا ج ٣ ص ٢٠١ والسرور ص ٤٠٥).
(٢) هو بدر الدين السنجاري القاضي القاضي يوسف بن الحسن بن علي. سيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٦٣ هـ. والسنجاري: نسبة إلى سنجار، وراجع الحاشية رقم ٤ ص ١٤٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة. (٣) هو قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن محمود بن بدر أبو محمد المصري الشافعي صدر الديار المصرية ورئيسها. سيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٦٥ هـ.
(٤) زيادة عن عقد الجمان وعيون التواريخ. (٥) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٥٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة. (٦) في المثل الصافي: «الأمر سيف الدين أيبك بن عبد الله الصالح الحلبى أحد المماليك الصالحية».

وكان له مال كثير . ثم قبض على بهاء الدين على [بن محمد بن سليم] بن حنا وزير
شجرة الدر ، وأخذ خطه بستين ألف دينار . ثم خلع الملك المنصور على الأمير أقطاي^(٢)
المستعرب بأستقراره أتابكاً عوضاً عن سنجار الحلبي . ثم في شهر رجب رفعت
يد القاضي بدر الدين السنجاري من الوزارة وأضيف إليه قضاء مصر القديمة ،
فكفل له قضاء الإقليم بأكمله ، وولي القاضي تاج الدين آبن بنت الأعز الوزارة .

ثم في شعبان كثرت الأراجيف بين الناس بأن الأمراء والأجناد آتفقوا على إزالة
حكم ممالك الملك المعز من الدولة ، وأن الملك المنصور تغير على الأمير سيف الدين
قطز المعزى ، واجتمع الأمراء في بيت الأمير بهاء الدين بغدي مقدم الحلقة ،
وتكلموا إلى أن صلح الأمر بين الملك المنصور وبين مملوك أبيه الأمير قطز . وخلع
عليه وطيب قلبه ؛ ثم وقع الكلام أيضاً من المعزية وغيرهم . فلما كان رابع شهر
رمضان ركب الأمير بغدي وبدر الدين بلغان وأنضاف إليهما جماعة ووقفوا بأله
الحرب ، فخرج إليهم حاشية السلطان فقاتلهم وهزمهم وقبضوا على بغدي بعد أن
جرح وعلى بلغان ومجلا إلى القلعة ؛ ودخلت المعزية إلى القاهرة ، فقبضوا على
الأمير عز الدين أيبك الأسمر وأرزن الرومي وسابق الدين بوزنا الصغير وغيرهم
من المماليك الأشرفية ونهبت دورهم ، فأضطربت القاهرة حتى نودي بالآمان
لمن دخل في الطاعة وسكن الناس ، وركب السلطان الملك المنصور في خامس

(١) الكلمة عما تقدم ذكره للؤلف في حوادث سنة ٦٤٨ هـ . (٢) هو أقطاي بن عبد الله
النجمي الصالحى الأمير فارس الدين ، كان أصله مملوكاً لنجم الدين محمد بن يمن ، ثم انتقل إلى ملك الملك
الصالح نجم الدين أيوب ، ولهذا كان يقال له أقطاي المستعرب . وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٧٢ هـ .

(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٧٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٤) في نزهة الأنعام والسلوك (ص ٤٠٦) : « سيف الدين » .

شهر رمضان وشق القاهرة وفي خدمته الأمير قُطز وباقي مماليك أبيه ،
ثم نزل أيضا في عيد الفطر وصلّى بالمصلّى . وركب وطاد إلى القلعة ومَدَّ السَّاط .

ثم ورد كتاب الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام وحلّب على الملك
المنصور بمُفارقة البحريّة والصالحية له (أعنى الأمراء والمماليك الذين خرجوا من
القاهرة بعد القبض على علم الدين سَنَجَر الحَلَبِيِّ المقدّم ذكره) . فلما وقف
المصريّون على الكتاب ظنّوا أن ذلك خديعةٌ من الملك الناصر فأحتزّزوا لأنفسهم .
ثم جهّز الملك المنصور عسكريا من المماليك والأمراء ومقدّمهم الدّمياطي^(١) إلى الشام ،
فتوجّهوا ونزلوا بالعبّاسة ؛ فوردت الأخبار على السلطان الملك المنصور بأن عساكر
الملك الناصر وصلت إلى نابلس لقتال البحريّة الذين قدّموا عليه من مصر ثم فارقوه ،
وكان البحرية نازلين بغزة ، ثم وردت الأخبار بأن البحريّة ، وكان مقدّم البحرية
بَلْبَن الرّشيدى وبيبرس البندقدارى ، خرجوا من غزّة وكبّسوا عسكريا الملك الناصر
وقتلوا منهم جماعة كثيرة ليلًا . ثم ورد الخبر ثانيا بأن عسكريا الملك الناصر كسروا
البحريّة وأن البحريّة انحازوا إلى ناحية زُغَر من القُور . ثم ورد الخبر أيضا بحجى
البحريّة إلى بجهة القاهرة طائعين للسلطنة ، فقدم منهم الأمير عزّ الدين أيبك
الأفَرَم ومعه جماعة ، فتلّقوا بالإكرام ، وأفرج عن أملاك الأفَرَم وأرزاقه ونزل بداره
بمصر . ثم بلغ السلطان أن البحرية (أعنى الذى بقي منهم) رحلوا من زُغَر طالبين
بعض الجهات ، فأُتّضح من أمرهم أنهم خرجوا من دِمَشق على حِمْية وأنهم قصدوا
القُدس الشريف ، ومقطّع القدس يوم ذاك سيفُ الدين كَبَك من جهة الملك الناصر

(١) هو الأمير عزّ الدين أيبك بن عبد الله الدمياطي . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٧٦ هـ .

(٢) زُغَر (كفر) : قرية بمشارف الشام . (عن معجم البلدان لياقوت) وشرح القاموس
في الأصلين : « دعر » بالعين المهملة . وهو تصحيف .

يوسف صاحب الشام وحلب، فطلبوا منه البحرية أن يكون معهم فامتنع
فأعتقلوه، وخطبوا بالقدس للملك المغيث بن العادل بن الكامل بن العادل بن أيوب.
ثم جاءوا إلى غزة وقبضوا على واليها (أعنى نائبها) وأخذوا حواصل الملك الناصر
من غزة والقدس وغيرهما. ثم إنهم أطمعوا الملك المغيث صاحب الكرك في ملك
مصر، وقالوا له: هذا ملك أبيك وجدك وعمك، ثم عزموا على قصد الديار المصرية،
بغاء الخبر إلى مصر بذلك ففرج إليهم العسكر المصري، وأجتمعوا بالمصالحية وأقاموا^(٢)
بها، فلما كان سحر ليلة السبت متصف ذي القعدة وصلت البحرية بمن معهم من
عسكر الملك المغيث، ووقعت الحرب بين الفريقين واشتد القتال بينهم وجرح
جماعة، والمصريون مع ذلك يزدادون كثرة وطلعت الشمس، فرأت البحرية كثرة
المصريين فأنهزموا وأسير منهم بلبان الرشيدي وبه جراحات وهو من كبار القوم،
وهرب يبرس البندقداري وبدر الصوابي إلى الكرك، وبعض البحرية دخل
في العسكر المصري، ودخل العسكر المصري القاهرة، وزين البلد لهذا النصر وفرح
الملك المنصور والأمير قطز بذلك.

وأما البحرية فأنهم توجهوا إلى الملك المغيث صاحب الكرك وحسنوا له أن
يركب ويحيى معهم لأخذ مصر فأصغى لهم وتجهز وخرج بمساكره من الكرك في أول
سنة ست وخمسين وسمائة، وسار حتى قدم غزة، وأمر البحرية راجع إلى
يبرس البندقداري. فلما بلغ ذلك المصريين نخرج الأمير سيف الدين قطز بمساكر

(١) في أحد الأصلين: « وغيره ». وفي الآخر: « وغيرهم ». (٢) راجع الحاشية رقم ١

ص ١٥ من الجزء الخامس من هذه الطبعة. (٣) في الأصلين: « ووقفت العرب بين الفريقين

وأشتد القتال الخ... ». (٤) هو بدر بن عبد الله الصوابي الأمير بدر الدين أبو المحاسن

الصوابي الطواشي الحبشي، أصله من خدام الطواشي صواب العادل. سيذكره المؤلف في حوادث

مصر ونزل بالنباسة ، فلما تكامل عسكره سار منه قاصداً الشاميين ، وخرج الملك المغيث من غزّة إلى الرمل فالتقى بالعسكر المصري وتقاتلا قتالاً شديداً في يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من شهر ربيع الآخر ، فأنكسر الملك المغيث بمن معه من البحرية ، وقبض على جماعة كثيرة من الممالك البحرية الصالحية ، وهم : الأمير عز الدين أيّك الرومى وعز الدين أيّك الحموى وركن الدين الصيرفى^(١) وابن أطلّس خان الخوارزمى وجماعة كثيرة ، فأحضروا بين يدى الأمير سيف الدين قطز والأمير القتيبي والأمير بهادر المعزية فأمرؤا بضرب أعناقهم فضربت ، وحملت رموسهم إلى القاهرة وعلقت بباب زويلة ، ثم أنزلت من يومها لما أنكر قتلهم على المعزية بعض أمراء مصر واستشنع ذلك .

وأما الملك المغيث فإنه هرب هو والطواشي بدر الصوائى وبيرس البندقدارى ومن معهم ، ووصلوا إلى الكرك فى أسوأ حال بعد أن نهب ما كان معهم من الثقل والخيام والسلاح وغير ذلك وأقاموا بالكرك ، وبينما هم فى ذلك أرسل الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام جيشاً مقدّمه الأمير مجير الدين إبراهيم^(٢) [بن أبى بكر] بن أبى زكري والامير نور الدين على بن الشجاع الأكتع فى طلب البحرية ، وخرجت البحرية لما بلغهم ذلك إلى غزّة ، وألتقوا مع العسكر الشامى وقاتلوا فأنكسر العسكر الشامى ، وقبض على مجير الدين ونور الدين وحملوهم إلى الكرك ، وهوى أمر البحرية بهذه الكسرة وأشتدوا .

وأما الملك الناصر لما بلغه كسر عسكره تجهز وخرج بنفسه لقتال البحرية ، وضرب دهلزة قبلى دمشق ، فلما بلغ البحرية ذلك توجهوا نحو دمشق وضربوا

٢٠ (١) فى الذيل على مرآة الزمان : « الصرق » . (٢) فى الأصلين : « محي الدين » وهو تحريف ، وتصحيحه عن المنهل الصافى وعبود التواريخ . وما سياتى ذكره للؤلؤ فى حوادث سنة ٦٥٨ هـ . (٣) تكملة عن المنهل الصافى وعبود التواريخ .

أطراف عساكر الملك الناصر ، وخَفَّ بِسَبَرٍ الْبُنْدُقْدَارِيَّ حَتَّى إِنَّهُ أَتَى فِي بَعْضِ
الْأَيَّامِ وَقَطَعَ أَطْنَابَ خِيَمَةِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ الْمَضْرُوبَةِ ، وَذَلِكَ قَبْلَ خُرُوجِ النَّاصِرِ مِنْ
دِمَشْقَ . وَبَيْنَمَا النَّاسُ فِي ذَلِكَ وَرَدَ الْخَبْرُ بِأَخْذِ التَّارِ لِبَغْدَادِ وَقَتْلِ هَوْلَاكُو الْخُلَيْفَةِ
الْمُسْتَعَصِمِ بِاللَّهِ وَإِحْرَابِ بَغْدَادِ .

- قلت : نذكر سببَ أَخْذِ هَوْلَاكُو لِبَغْدَادِ ثُمَّ نَعُودُ إِلَى أَمْرِ الْمَصْرِيِّينَ وَالشَّامِيِّينَ
وَالْبَحْرِيَّةِ .

فَإِنَّمَا أَمْرُ هَوْلَاكُو فَإِنَّهُ هَوْلَاكُو : وَقِيلَ : هَوْلَاكُو [وَقِيلَ هَلَاوُونُ] ^(١) بَنَ تُولِي خَانَ
ابْنِ جَنْكَرْخَانَ الْمُغْلِيَّ ، وَلِيَّ الْمُلْكِ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ تُولِي قَانَ ، وَأَتَسَعَتْ مَمَالِكُهُ وَعَظُمَ
أَمْرُهُ وَكَثُرَتْ جَبُوشُهُ مِنَ الْمُغْلِ وَالْتَّارِ ، وَلَا زَالَ أَمْرُهُ فِي زِيَادَةٍ حَتَّى مَلَكَ مَدِينَةَ
أَلَمُوتَ ^(٢) وَقَتْلَ مَتُولِيهَا شَمْسَ الشَّمُوسِ وَأَخْذَ بِلَادِهِ ، ثُمَّ أَخَذَ الرُّومَ وَأَبْقَى بِهَا رُكْنَ الدِّينِ
كَيْقُبَادَ بْنَ غِيَاثِ الدِّينِ كَيْخُسْرُو صُورَةَ بِلَا مَعْنَى وَالْحَكْمَ وَالتَّصَرُّفَ لغيرِهِ ؛ وَكَانَ
وَزِيرَ الْخُلَيْفَةِ الْمُسْتَعَصِمِ بِاللَّهِ مُؤَيَّدَ الدِّينِ بْنِ الْعَلَقَمِيِّ بِبَغْدَادِ ، وَكَانَ رَافِضِيًّا خَبِيثًا
حَرِيصًا عَلَى زَوَالِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَنَقَلَ الْخِلَافَةَ إِلَى الْعُلُوِّيِّينَ ، يَدْبِرُ ذَلِكَ فِي الْبَاطِنِ
وَيُظْهِرُ لِلْخُلَيْفَةِ الْمُسْتَعَصِمِ خِلَافَ ذَلِكَ ، وَلَا زَالَ يُثِيرُ الْفِتْنَ بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالرَّافِضَةِ
حَتَّى تَجَالَدُوا بِالسُّيُوفِ ، وَقُتِلَ جَمَاعَةٌ مِنَ الرَّافِضَةِ وَنُجِّبُوا ، فَأَشْتَكَى أَهْلُ بَابِ الْبَصْرَةِ
إِلَى الْأَمِيرِ مُجَاهِدِ الدِّينِ الدَّوَادَارِ وَلِلْأَمِيرِ أَبِي بَكْرِ بْنِ الْخُلَيْفَةِ فَتَقَدَّمَا إِلَى الْخُلْدِ نَهَبَ ^(٣)

(١) زِيَادَةُ مِنَ الْمُهْلِ الصَّافِي وَأَحْبَارُ الدَّوَلِ وَأَتَارُ الْأَوَّلِ لِأَبِي الْعَبَّاسِ الْفَرْمَانِ .

(٢) رَاجِعِ الْحَاشِيَةَ رَقْمَ ٣ ص ١١٧ مِنَ الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ .

(٣) هُوَ شَمْسُ الشَّمُوسِ ابْنُ عَلَاءِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ جَلَالِ الدِّينِ حَسَنِ الْمُنْتَسِبِ إِلَى زُرَّارِ بْنِ الْمُنْتَصِرِ بِاللَّهِ
الْعُلُوِّيِّ سَاحِبِ مِصْرَ (عَنِ الذَّيْلِ عَلَى مِرْآةِ الزَّمَانِ لِلْقُطُبِ الْيُونَنِيِّ) . وَرَاجِعِ الْحَاشِيَةَ رَقْمَ ١ ص ٣٣٤
مِنَ الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ . (٤) فِي الْأَصْلِ هُنَا فِي مَوْضِعِ آتَمِنْ هَذِهِ التَّرْجُمَةُ ،
«رُكْنَ الدِّينِ» . وَالتَّصْحِيحُ عَنْ الْحَوَادِثِ الْجَامِعَةِ وَعَيُونِ التَّوَارِيخِ وَذَيْلِ مِرْآةِ الزَّمَانِ وَمَاسِيَاتِي ذِكْرُهُ لِلتَّوَلُّفِ .
وَهُوَ مُجَاهِدُ الدِّينِ أَيْبُكَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الدَّوَادَارِ . قَتَلَ صَبْرًا يَدَ النَّارِ سَنَةَ ٦٥٦ هـ (عَنِ الْمُهْلِ الصَّافِي) .

الكَرْخُ فَرَكَبُوا مِنْ وَقْتِهِمْ وَهَجَمُوا عَلَى الرَّافِضَةِ بِالكَرْخِ وَقَتَلُوا مِنْهُمْ جَمَاعَةً وَأَرْتَكَبُوا
مَعَهُمُ الْعِظَامَ فَخَنَّقَ الْوَزِيرُ ابْنَ الْعَلْقَمِيِّ وَنَوَى الشَّرَّ فِي الْبَاطِنِ وَأَمَرَ أَهْلَ الْكَرْخِ
الرَّافِضَةَ بِالصَّبْرِ وَالْكَفِّ عَنِ الْقِتَالِ ، وَقَالَ لَهُمْ : أَنَا أَكْفَيْكُمْ فِيهِمْ وَكَانَ الْخَلِيفَةُ
الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ قَدْ اسْتَكْثَرَ مِنَ الْجُنْدِ قَبْلَ مَوْتِهِ حَتَّى بَلَغَ عَدْدُ عَسْكَرِهِ مِائَةَ أَلْفٍ ،
وَكَانَ الْوَزِيرُ ابْنُ الْعَلْقَمِيِّ مَعَ ذَلِكَ يُصَانِعُ التَّارَ فِي الْبَاطِنِ وَيَكْتَبُهُمْ وَيُهَادِيهِمْ ، فَلَمَّا
اسْتُخْلِفَ الْمُسْتَعْمِمْ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ الْمُسْتَنْصِرِ ، وَكَانَ الْمُسْتَعْمِمْ خَلِيًّا مِنَ الرَّأْيِ
وَالْتَدِيرِ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ ابْنُ الْعَلْقَمِيِّ الْمَذْكُورُ بِقَطْعِ أَرْزَاقِ أَكْثَرِ الْجُنْدِ ، وَأَنَّهُ بِمَصَانِعِ
التَّارِ وَإِكْرَامِهِمْ يَحْصُلُ بِذَلِكَ الْمَقْصُودُ ، وَلَا حَاجَةَ لِكَثْرَةِ الْجُنْدِ فَفَعَلَ الْخَلِيفَةُ ذَلِكَ !

قلت : وكلمة الشيخ مطاعة !

ثم إن الوزير بعد ذلك كاتب التَّارَ وأطعمهم في البلاد سراً ، وأرسل إليهم
غلامه وأخاه وسهّل عليهم فتح العراق وأخذ بغداد ، وطلب منهم أن يكون نائبهم
بالبلاط فوعدهو بذلك ، وتأهبوا لقصد بغداد وكاتبوا لؤلؤا صاحب المَوْصِلِ في تهئية
الإقامات والسلاح ، فكاتب لؤلؤ الخليفة سراً وحذّره ، ثم هيا لهم الآلات والإقامات .
وكان الوزير ابْنُ الْعَلْقَمِيِّ الْمَذْكُورُ لَيْسَ لِأَحَدٍ مَعَهُ كَلَامٌ فِي تَدِيرِ أَمْرِ الْخَلِيفَةِ ،
فصار لا يُوَصِّلُ مَكَاتِبَاتِ لَوْلُؤٍ وَلَا ضِرَّةَ الْخَلِيفَةِ ، وَعَمِيَ عَنْهُ الْأَخْبَارُ وَالنَّصَائِحُ ،
فَكَانَ يَقْرَأُهَا هُوَ وَيُجِيبُ عَنْهَا بِمَا يَخْتَارُ ، فَتَجَّ أَمْرُ التَّارِ بِذَلِكَ غَايَةَ التَّجَاجِ وَأَخَذَ
أَمْرُ الْخَلِيفَةِ وَالْمُسْلِمِينَ فِي إِدْبَارٍ ! وَكَانَ تَاجُ الدِّينِ بْنُ حَسَلَايَا نَائِبَ الْخَلِيفَةِ بِأَرْبِلَ

(١) في الأصلين : « منهم » . (٢) عبارة عيون السواروخ والذيل على مرآة الزمان :
« فأمرهم بالكف والتفاني وأضر هذا الأمر في نفسه » . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٧٥
من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٤) في الأصلين : « نائب الخليفة ببغداد » . وتصحيحه من
الذيل على مرآة الزمان وعيون السواروخ والحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المسألة السابعة لابن القوطي .
وراجع الحاشية رقم ٢ ص ١٦ من هذا الجزء .

حُدَّ الخليفة وحرك عزمه ، والخليفة لا يتحرك ولا يستيقظ ! فلما تحقق الخليفة^(١) حركة التآمر نحوه سَير إليهم شرف الدين بن محي الدين ابن الجوزي رسولا يَدهم بأموال عظيمة ، ثم سَير مائة رجل إلى الدَّربند يكونون فيه يطالعون الخليفة بالأخبار ، فمضوا فلم يطلع لهم خبر ، لأن الأكراد الذين كانوا هناك دَلُّوا التآمر عليهم ، فهجموا عليهم وقتلوهم أجمعين .

- ثم ركب هولاكو بن تولى خان بن چنكِر خان في جيوشه من المغل والتآمر وقصدوا العراق ، وكان على مقدمته الأمير بَأيجُونُون^(٢) ، وفي جيشه خلقٌ من أهل الكرخ الرافضة ومن عسكري بركة خان ابن عم هولاكو ، ومدد من صاحب الموصل مع ولده الملك الصالح ركن الدين إسماعيل ، فوصلوا قرب بغداد وأقتتلوا من جهة البر الغربي عن دجلة ، فخرج عسكرُ بغداد وعليهم ركن الدين الدَّوادار ، فالتقوا على نحو مرحلتين من بغداد ، فأنكسر البغداديون وأخذتهم السيوف ، وغرق بعضهم في الماء وهرب الباقون . ثم ساق بَأيجُونُون مقدمه هولاكو فنزَل القرية مقابل دار الخلافة وبينه وبينها دجلة لا غير . وقصد هولاكو بغداد من البر الشرقي ، وضرب سُوراً وخندقاً على عسكره وأحاط ببغداد ، فأشار الوزير ابنُ العلقَمي على الخليفة المستعصم بالله بمصانعتهم . وقال له : أخرج إليهم أنا في تقرير الصلح فخرج إليهم ، وأجتمع بهولاكو وتوثق لنفسه وردَّ إلى الخليفة ، وقال : إن الملك قد رَغِب

(١) في الأصلين : « فلما تحقق ابن صلايا ... الخ » . والتصحيح عن ذيل مرآة الزمان وعيون التواريخ . (٢) هو شرف الدين عبد الله بن محي الدين يوسف بن أبي الفرج

عبد الرحمن بن الجوزي . قتل في وقعة التآمر في حوادث ٦٥٦ هـ (عن شذرات الذهب)

(٣) في الأصلين : « ناحونون » . وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان وعقد الجمان والحوادث الجامعة لابن القوطي .

(٤) القرية : محلة ببغداد في حريم دار الخلافة فيها محال وسوق كبيرة (عن معجم البلدان لياقوت)

في أن يُزوّج بنته بآبنك الأمير أبي بكر، ويُقيك على منصب الخلافة كما أبقي صاحب
الروم في سلطنته، ولا يطلب إلا أن تكون الطاعة له كما كان أجدادك مع السلاطين
السلجوقية، وينصرف هو عنك بيمينه ! فتجيبه يا مولانا أمير المؤمنين لهذا، فإن
فيه حقّ دماء المسلمين، ويمكن أن تفعل بعد ذلك ما تريد ! والرأى أن تخرج
إليه ؛ فسمع له الخليفة ونرج إليه في جمع من الأعيان من أقاربه وحواشيه وغيرهم .
فلما توجه إلى هولاكو لم يجمع به هولاكو وأُنزل في خيمة ؛ ثم ركب الوزير وعاد
إلى بغداد بإذن هولاكو ، وأستدعى الفقهاء والأعيان والأمانل ليحضروا عقد
بنت هولاكو على آبن الخليفة ، فخرجوا من بغداد إلى هولاكو ، فأمر هولاكو
بضرب أعناقهم ! ثم مُدَّ الحُسْرُ ودخل بايخوتون^(١) بمن معه إلى بغداد وبذلوا السيف
فيها وأستمر القتل والنهب والسبي في بغداد بضعة وثلاثين يوماً ، فلم ينجُ منهم
إلا من آخنى . ثم أمر هولاكو بعد القتل بلفوا ألف وثمانمائة ألف وكسرا .
وقال الذهبي - رحمه الله - في تاريخ الإسلام : والأصح أنهم بلفوا ثمانمائة ألف .
ثم نُودي بعد ذلك بالأمان ، فظهر من كان آخنى وهم قليل من كثير .

وأما الوزير آبن العلقمي فلم يتم له ما أراد، وما اعتقد أن التار يبدلون السيف
مطلقاً في أهل السنة والرافضة معا، وراح مع الطائفتين أيضا أُم لا يُحْصَوْنَ كثرةً ،
وذاق آبن العلقمي الهوان والذل من التار ! ولم تطل أيامه بعد ذلك كما سيأتي
ذكره . ثم ضرب هولاكو عُنُقَ مقدّم جيشه بايخوتون لأنه بلغه عنه من الوزير
آبن العلقمي أنه كاتب الخليفة المستعصم لما كان بالجانب الغربي .

وأما الخليفة فيأتى ذكره في الحوادث على عادة هذا الكتاب في محله غير أننا نذكره
هنا على سبيل الاستطراد . ولما تم أمر هولاكو طلب الخليفة وقتله ختفاً . وقيل

(١) في الأصلين هنا : « باكونون » .

- ثُمَّ فِي بَسَاطٍ ، وَقِيلَ جَعَلَهُ هُوَ وَوَلَدَهُ فِي عَدَّتَيْنِ وَأَمْرَ بَرَفْسِهِمَا حَتَّى مَاتَا . ثُمَّ قَتَلَ
الْأَمِيرَ مُجَاهِدَ الدِّينِ الدَّوَادَارَ ، وَالْخَادِمَ إِقْبَالَ الشَّرَابِيِّ صَاحِبَ الرِّبَاطِ بِمَكَّةَ ،
وَالْأَسْتَاذَ رَحْمَى الدِّينِ ابْنَ الْجَوْزِيِّ وَوَلَدَاهُ وَسَائِرَ الْأَمْرَاءِ الْكَبَرِ وَالْحُجَابِ وَالْأَعْيَانِ ،
وَأَنْقَضَتْ الْخِلَافَةُ مِنْ بَغْدَادَ وَزَالَتْ أَيَّامُهُمْ مِنْ تِلْكَ الْبِلَادِ ، وَخَرِبَتْ بَغْدَادُ الْخُرَابِ
الْعَظِيمِ ، وَأَحْرِقَتْ كُتُبُ الْعِلْمِ الَّتِي كَانَتْ بِهَا مِنْ سَائِرِ الْعُلُومِ وَالْفُنُونِ الَّتِي مَا كَانَتْ
فِي الدُّنْيَا ، قِيلَ : لَأَنَّهُمْ بَنَوْا بِهَا جِسْرًا مِنَ الطِّينِ وَالْمَاءِ عِوَضًا عَنِ الْآجُرِّ ، وَقِيلَ
غَيْرَ ذَلِكَ . وَكَانَتْ كَثْرَةُ الْخَلِيفَةِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَسَمِئَاتٍ
الْمَذْكُورَةِ ، وَنَزَلَ هُوَ لَا تُكُونُ بَظَاهِرِ بَغْدَادَ فِي عَاشِرِ الْحَزَمِ ، وَبَقِيَ السَّيْفُ يَعْمَلُ فِيهَا
أَرْبَعَةً وَثَلَاثِينَ يَوْمًا وَآخِرُ جُمُعَةٍ خَطَبَ الْخَطِيبُ بِبَغْدَادَ ؛ كَانَتْ الْخُطْبَةُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي هَدَمَ بِالْمَوْتِ مَشِيدَ الْأَعْمَارِ ، وَحَكَّمَ بِالْفَنَاءِ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الدَّارِ ، إِلَى أَنْ قَالَ :
اللَّهُمَّ أَجْرْنَا فِي مَصِيبَتِنَا الَّتِي لَمْ يُصِيبِ الْإِسْلَامُ وَأَهْلَهُ بِمِثْلِهَا ، وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ !
ثُمَّ عَمِلَ الشُّعْرَاءُ وَالْعُلَمَاءُ قِصَائِدَ فِي مِرَاتِي بَغْدَادَ وَأَهْلَهَا ، وَعَمِلَ الشَّيْخُ تَقِي الدِّينِ
إِسْمَاعِيلُ [بْنُ إِبْرَاهِيمَ] [بْنِ أَبِي الْيُسْرِ] [شَاكِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّنُوخِيُّ] [قَصِيدَتَهُ
الْمَشْهُورَةَ ، وَهِيَ :

- لِسَائِلِ الدَّمْعِ عَنْ بَغْدَادَ أَخْبَارُ * فَا وَقُوفُكَ وَالْأَحْبَابُ قَدْ سَارُوا
يَا زَاثِرِينَ إِلَى الزَّوْرَاءِ لَا تَفِدُوا * فَا بِذَلِكَ الْحِمَى وَالْدَارِ دَيَّارُ
تَاجُ الْخِلَافَةِ وَالتَّرْبُوعِ الَّذِي شَرُفَتْ * بِهِ الْمَعَالِمُ قَدْ عَقَاهُ إِفْقَارُ

(١) فِي الْمَثَلِ الصَّافِي وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ أَنَّ وَفَاتِهِ كَانَتْ سَنَةَ ٦٥٣ هـ .

(٢) هُوَ يُوسُفُ بْنُ أَبِي الْفَرَجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْجَوْزِيِّ . (٣) عِبَارَةُ شَذَرَاتُ الذَّهَبِ

وَعِيُونَ التَّوَارِيخِ : « وَقَتْلَ مَعَهُ أَوْلَادِهِ الثَّلَاثَةِ : جَمَالُ الدِّينِ أَبُو الْفَرَجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ يُوسُفَ ،
وَشَرْفُ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ ، وَتَاجُ الدِّينِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنُ يُوسُفَ » .

(٤) زِيَادَةُ عَنِ الْمَثَلِ الصَّافِي وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ ، وَمَا سَمِعْتُهُ الْوَلَفَ فِي حَوَادِثِ سَنَةِ ٦٧٢ هـ .

أضْحَى لَعَطِفَ الْبَيْلَى فِي رَبْعِهِ أَثْرُ * وَلِلدُّمُوعِ عَلَى الْآثَارِ آثَارُ
يَا نَارَ قَلْبِي مِنْ نَارِ لَحْرِبٍ وَغَى * شَبَّتَ عَلَيْهِ وَوَافَى الرِّبْعِ إِعْصَارُ
عَلَا الصَّلِيبُ عَلَى أَعْلَى مَنَابِرِهَا * وَقَامَ بِالْأَمْرِ مَنْ يَخْوِيهِ زُنَارُ
ومنها :

وَكَمْ بُدُورٍ عَلَى الْبَدْرِيةِ أَنْخَسَفَتْ * وَلَمْ يَعُدْ لِبُدُورٍ مِنْهُ إِبْدَارُ
وَكَمْ ذَخَائِرُ أُضْحَتْ وَهِيَ شَائِعَةٌ * مِنَ النَّهَابِ وَقَدْ حَازَتْهُ كُفَّارُ
وَكَمْ حُدُودٍ أَقِيمَتْ مِنْ سَيُوفِهِمْ * عَلَى الرِّقَابِ وَحُطَّتْ فِيهِ أَوْزَارُ
نَادَيْتُ وَالسَّبِيَّ مَهْتُوكٌ يَجْرُمُ * إِلَى السَّفَاحِ مِنَ الْأَعْدَاءِ دُعَارُ
ومنها :

وَهُمْ يُسَاقُونَ لِلْوَتِ الَّذِي شَهِدُوا * النَّارِ يَا رَبِّ ... (٢) ... وَلَا الْعَارُ
يَا لِلرَّجَالِ لِأَحْدَاثٍ تَحْدَثُنَا * بِمَا غَدَا فِيهِ إِعْذَارُ وَإِنْذَارُ
مِنْ بَعْدِ أَمْرِ بْنِ الْعَبَّاسِ كُلِّهِمْ * فَلَا أَنْارَ لَوَجْهِ الصُّبْحِ إِسْفَارُ
مَارَاقٍ لِي قَطُّ شَيْءٌ بَعْدَ بَيْنِهِمْ * إِلَّا أَحَادِيثُ أَرْوِيهَا وَأَنْارُ
لَمْ يَبْقَ لِلدِّينِ وَالْدُنْيَا وَقَدْ ذَهَبُوا * شَوْقٌ لِحِجْدٍ وَقَدْ بَانُوا وَقَدْ بَارُوا
إِنَّ الْقِبَامَةَ فِي بَغْدَادٍ قَدْ وُجِدَتْ * وَحَدَّثَهَا حِينَ لِلْإِقْبَالِ إِدْبَارُ
أَلَّ النَّبِيِّ وَأَهْلَ الْعِلْمِ قَدْ سُبُّوا * فَمَنْ تَرَى بَعْدَهُمْ تَخْوِيهِ أَمْصَارُ
مَا كُنْتُ أَمَلُ أَنْ أَبْقَى وَقَدْ ذَهَبُوا * لَكِنْ أَبَى دُونَ مَا أَخْخَارَ أَقْدَارُ

(١) البدرية : نسبة إلى بدر مولى المعتضد ، والمراد بها قصر المنصور ، فقد ورد في تاريخ بغداد (ج ١ ص ١٠٨) «قال أبو بكر : وزاد بدر مولى المعتضد من قصر المنصور المسقطات المعروفة بالبدرية في ذلك الوقت» . (٢) هكذا في الأصلين ولعله : النار يارب تَصْلَاهَا وَلَا الْعَارُ . (٣) في الأصلين : «بأحداث» . (٤) هكذا في الشعر وهو خطأ والصواب «سبوا» وإن كان لا يترن به البيت .

وهي أطول من ذلك . وجملة القصيدة ستة وستون بيتاً . وقال غيره في فقد
الخليفة من بغداد بيتاً مفرداً وأجاد :
خَلَّتِ المنارُ والأَسْرَةُ منهمُ • فعليهم حتى الماتِ سلامُ
إتتهى ذكر بغداد هنا ، ولا بد من ذكر شيء منها أيضاً في الحوادث .

- وأما أمر البحرية فإنه لما دخلت سنة سبع وخمسين وسقائة رحل الملك الناصر
صلاح الدين يوسف صاحب الشام بعساكر في أثر البحرية ، فاندفعوا البحرية أمامه
إلى الكرك ، فسار الناصر حتى نزل بركة زيزاء ليحاصر الكرك ، ^(١) وُصِفَتْهُ الملك المنصور
صاحب حماة ؛ فأرسل الملك المغيث عمر بن العادل بن الكامل صاحب الكرك ^(٢) رُسُلَهُ
إلى الملك الناصر يطلب الصلح ، وكان مع رُسُلِهِ الدارُ القُطَيْبِيَّةُ ابنة الملك المفضل ^(٣)
قُطِبُ الدِّين بن العادل ، وهي من عَمَّاتِ الناصر والمُغِيثِ يتضرعون إلى الناصر
ويطلبون الصلح ورضاه على ابن عمه المَغِيثِ ، فشرط عليه الناصر أن يقبض على مَنْ
عنده من البحرية ، فأجاب إلى ذلك وقبض عليهم وجهزهم إلى الملك الناصر على
الجمال ، وهو نازل ببركة زيزاء . فحملهم الملك الناصر إلى حلب وأعتقلهم بقلعتها
ما خلا الأمير بَيْرَسَ البُنْدُقَادِيَّ ، فإنه لما أحس بما وقع عليه الصلح هرب من
الكرك في جماعة من البحرية وأتى إلى الملك الناصر صلاح الدين المذكور داخلًا
تحت طاعته ، فأكرمه الملك الناصر وأكرم رُفَقَتَهُ إكراماً زائداً ؛ وعاد الناصر إلى
دِمَشْقَ وفي خدمته الأمير ركن الدين بَيْرَسَ البُنْدُقَادِيَّ وغيره من البحرية .

(١) زيزاء : من قرى البلقاء كبيرة يطؤها الحاج ويقام بها لهم سوق وفيها بركة عظيمة (عن معجم
البلدان لياقوت) . (٢) في الأصلين : « على بن العادل » . وتصحيحه عن شذرات الذهب
ما ساق ذكره للزلف في حوادث سنة ٦٦٢ هـ . وهي سنة وفاته .
(٣) حجارة تاريخ أبي الفداء وتاريخ الواصلين : « والقطبية بنت الملك المفضل قطب الدين أحمد
ابن الملك العادل » . (٤) راجع الحاشية رقم ١٦ ص ١٧٢ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
وفي الأصلين هنا : « الأفضل » .

وأما المصريون فإنه لما بلغ الملك المنصور علياً والأمير قُطز المعزى ما وقع
 للبحرية فرحاً فرحاً زائداً ، وزُيّنت مصر أياً ما لذلك ؛ وصفا الوقت للأمير قُطز .
 وبينما هو في ذلك ورد الخبر عليه بنزول هولاكو على مدينة آيمد من ديار بكر ، وأنه
 في قُصْد البلاد الشامية ، وأن هولاكو بعث رسلاً إلى الملك السعيد نجم الدين إيلغازي
 صاحب ماردين يستدعيه إلى طاعته وحضرته ، فسار إليه الملك السعيد ولده الملك
 المظفر قرا أرسلان ^(١) وقاضي القضاة مهذب الدين مجد [بن مجلى] ^(٢) والأمير سابق الدين
 بلبان وعلى أيديهم هدية ، وحملهم رسالة تتضمن الاعتذار عن الحضور بمرض منعه
 الحركة ، ووافق وصولهم إلى هولاكو أخذَه لقلعة اليمانية وإنزاله من بها من حريم
 صاحب ميافارقين وأولاده وأقاربه ، وهم : ولده الملك الناصر صلاح الدين
 يوسف جفناي ، والملك السعيد عمر وابن أخيه الملك الأشرف أحمد وتاج الدين
 على ابن الملك العادل ، فأدوا الرسالة ؛ فقال هولاكو : ليس مرضه بصحيح ، وإنما
 هو يتمارض مخافة الملك الناصر صاحب الشام ، فإن أنتصرت عليه اعتذرت لي بزيادة
 المرض ، وإن أنتصر على كانت له اليد البيضاء عنده ، ثم قال : ولو كان لللك الناصر
 قوة يدفعني لم يمكنني من دخول هذه البلاد ؛ وقد بلغني أنه بعث حريمه إلى مصر ؛
 ثم أمر برد القاضي وحده فردّ القاضي وأخبر الملك السعيد بالجواب .

وأما هولاكو فإنه لا زال يأخذ بلدًا بعد أخرى إلى أن استولى على حلب
 والشام ، واضمحل أمر الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام بعد أمور
 ووقائع وقعت له ، وأنقل عنه أصحابه . فلما وقع ذلك فارقه الأمير بيبرس البندقداري
 وقدم إلى مصر ومعه جماعة من البحرية طائعا لللك المنصور هذا فأكرمه قُطز

(١) هو قرا أرسلان بن إيلغازي بن أرتق بن غازي بن أبي بن تيمرتاش السلطان الملك المظفر نجر الدين .
 توفي سنة ٦٩١ هـ (عن المنهل الصافي) . (٢) زيادة عن عيون التواريخ .

وأكرم رفقته وصاروا الجميع من عساكر مصر على العادة أولاً . يأتي تفصيل ذلك في ترجمة الملك المظفر قُطز . إن شاء الله تعالى .

- ولما استفحل أمر قُطز بديار مصر وصار هو المشار إليه فيها لصغر السلطان الملك المنصور على^(١) ، ولكثرة حواشي قُطز المذكور ، ثم تحقق قُطز مجيء التَّار إلى البلاد الشامية ، وعلم أنه لا بد من خروجه من الديار المصرية بالعساكر للذِّب^(٢) عن المسلمين ، فرأى أنه لا يقع له ذلك ، فإن الآراء مغلوله لصغر السلطان ولاختلاف الكلمة ، بجمع قُطز كمال الدين بن العديم الحنفى وغيره من الأعيان والأمراء بالديار المصرية ، وعرفهم أن الملك المنصور هذا صبي لا يُحسن التدبير في مثل هذا الوقت الصَّعب ، ولا بد أن يقوم بأمر الملك رجل شهم يطيعه كل أحد ، وينتصب للجهاد في التَّار ، فأجابه الجميع : ليس لها غيرك ! وكان قُطز قبل ذلك قد قبض على الملك المنصور على هذا وعوقبه بالدور السلطانية ، فخلف الملك المنصور في الحال من الملك وبُويع الأمير قُطز ولقب بالملك المظفر سيف الدين قُطز ، وأعتقل الملك المنصور ووالده بالدور السلطانية من قلعة الجبل ، وحلف قُطز الناس لنفسه وتم أمره ، وذلك في يوم السبت سابع عشر ذى القعدة سنة سبع وخمسين وستمائة . وكانت مدة الملك المنصور في السلطنة بانيار المصرية ستين^(١١) وسبعة أشهر وأثنين وعشرين يوماً ، وبقي معتقلاً سنين كثيرة إلى أن تولى الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى^(٣) ، ففناه هو ووالده وأخاه ناصر الدين قاقان إلى بلاد الأشكرى^(٤) في ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة .

(١) في الجوهر الثمين والسلوك : « فكانت مدة ملكة المنصور سنين وثمانية شهور وثلاثة أيام » .
 وفي عقد الجمان : « فكانت مدة ملكة ستين وستة أشهر » . (٢) لعلها « شهورا كثيرة » .
 لأن قُطز لم يستمر في الملك إلا ستة واحدة كما سيأتي . (٣) في الأصلين : « فان » .
 والتصويب عن السلوك للقرينى وعقد الجمان . (٤) المقصود ببلاد الأشكرى هي الامبراطورية =

قلت : والملك المظفر قُطز هذا هو أول مملوك خَلَعَ ابنَ أستاذه من الملك وتسَلَطَ عِوَضَه ، ولم يقع ذلك قبلَه من أحد من الملوك . وتمت هذه السَّنة السيِّئة في حاصد إلى يوم القيامة . وبهذه الواقعة فسَدَت أحوال مصر .



السنة الأولى من ولاية الملك المنصور على ابن الملك المعز أيك التُّركمانيّ على مصر ، وهي سنة خمس وخمسين وثمانئة ، على أن والده الملك المعز حَكَمَ فيها نحواً من ثلاثة أشهر .

فيها أرسل الملك الناصر يوسف صاحب الشام ولَدَه الملك العزيز بهدية إلى هولاكو ملك التتار وطاغيتهم .

وفيها قُتِلَت الملكةُ شجرة الدر الملك المعز أيك ، ثم قُتِلَت هي أيضاً . وقد تقدّم ذكر ذلك كُلِّ واحد على حدّته في ترجمته من هذا الكتاب ، فلا حاجة إلى الإعادة .

وفيها تُوُفِيَ الأمير عز الدين أيك بن عبد الله الحلبيّ الكبير ، كان من أعيان المماليك الصالحة النجدة ، وممن يُضاهي الملك المعز أيك التُّركمانيّ في موكبه ، وكانت له المكانة العُظمى في الدولة ، كان الأمراء يعترفون له بالتقدم عليهم ، وكان له عدّة مماليك نجباء صاروا من بعده أمراء ، منهم : ركن الدين إياجي الحاجب ، وبدر الدين بيليك الجاشنكير ، وصارم الدين أذربك الحلبيّ وغيرهم . ولما قُتِلَ الملك

= البيزنطية ، وكان صاحبها في تلك السنة « تيودور بن لاسكريس » الثاني اليوناني . والأشكرى محروقة عن « لشكري » وهذه عن لاسكريس والد الملك المذكور ، وقد غلب هذا اللقب فيما بعد على جميع أباطرة المملكة البيزنطية . (١) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٤٢ من هذا الجزء . (٢) في المنهل الصافي : « سيف الدين إياجي بن عبد الله الحاجب الأمير » . توفي سنة ٦٨٦ هـ . (٣) في المنهل الصافي : « أذربك بن عبد الله الحلبيّ العزيز الأمير سيف الدين » . توفي سنة ٦٧٩ هـ .

المعز أيك التركماني حدثته نفسه بالسلطنة ، فلما قبض قُطز على الأمير سنجر الحلبي ، ركب أيك هذا ومعه الأمراء الصالحة فتنظر به فرسه فهلك خارج القاهرة وأدخل إليها ميتا ، وكذلك وقع للأمير خاص ترك . وقد تقدم ذكر ذلك في ترجمة الملك المنصور .

- وفيها توفى الشيخ الإمام العلامة نجم الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن ابن عبد الله البغدادي البادرائي ، ولد في سنة أربع وتسعين وخمسمائة ، وسمع الكثير وتفقه وبرع وأتقن ودرس ، وترسل عن الخليفة إلى ملوك الشام ومصر غير مرة إلى هذه السنة ، ولى قضاء القضاة ببغداد . ومات في سلخ ذى القعدة .

- وفيها توفى الشيخ الأديب أبو الحسن علي بن محمد بن الرضا الموسوي الحسيني الشريف المعروف بأبن دفترخوان . ولد سنة تسع وثمانين بحماة ، وكان فاضلاً وله تصانيف وشعر جيد ، من ذلك قوله :

إذا لمت قلبي قال عيناك أبصرت * وإن لمت عيني قالت الذنب للقلب
فعيني وقلبي قد تشاركن في دمي * فيارب كن عوني على العين والقلب

- وفيها توفيت صاحبة غازية خاتون بنت الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر ابن أيوب ، والدة الملك المنصور صاحب حماة . كانت صالحة دينية دبرت ملك ولدها المنصور بعد وفاة زوجها الملك المظفر أحسن تدبير ، وهي والدة الملك الأفضل نور الدين أبي الحسن علي أيضاً . وكانت وفاتها في أواخر ذى القعدة أو في ذى الحجة من السنة .

(١) هو الملك المنصور ناصر الدين أبو المعالي محمد بن الملك المظفر تقي الدين محمود بن المنصور محمد

ابن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب (عن شذرات الذهب في حوادث سنة ٦٨٣ هـ) .

وفيهما تُؤَقُّ الشَّيْخُ الإمام العالم العلامة المقرئ أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم
 [قاسم] ^(١) بن ^(٢) فَيْرَ بن ^(٣) خَلْفَ الرُّعَيْنِي الشَّاطِئِي الأصل المصري المولد والدار الضَّرِير
 راوى القصيدة المشهورة في القراءات التي لم يُسَبِّقْ إلى مثلها التي سماها « حِرْز
 الأمانى ووجه التهانى ». ومولده في حادى عشر ذى الحجة سنة ست أو سبع وسبعين
 وخمسمائة بمصر، وتُؤَقُّ بها في حادى عشر شَوَّال ودُفِنَ من يومه بِسَفْحِ المَقْطَمِ، ولم
 يخلف بعده مثله . وكان الشَّيْخُ كثيراً ما يُنْشِدُ هذا اللَّغْزَ وهو « نَعش الموتى »
 واللَّغْزُ المذكور للخطيب أبي زكريا يحيى بن سلامة الحَصَكْفِيّ، وهو :

أَتَعْرِفُ شَيْئاً فِي السَّمَاءِ نَظِيرَهُ * إِذَا سَارَ صَاحِبُ النَّاسِ حِينَ يَسِيرُ
 فَتَلْقَاهُ مَرْكُوباً وَتَلْقَاهُ رَاكِباً * وَكُلُّ أَمِيرٍ يَتْلِيهِ أَسِيرُ
 يَحُضُّ عَلَى التَّقْوَى وَتَكْرَهُ قُرْبَهُ * وَتَنْفِرُ مِنْهُ النَّفْسُ وَهُوَ نَذِيرُ

وفيهما تُؤَقُّ الوَزِيرُ الصَّاحِبُ شَرَفُ الدِّينِ هِبَةُ اللَّهِ بن صَاعِدِ الْفَائِزِيّ، كَانَ أَوَّلًا
 تَصْرَانِيًّا يُقَالُ بِالْأَسْعَدِ، وَهُوَ مَنْسُوبٌ بِالْفَائِزِيّ إِلَى الْمَلِكِ الْفَائِزِ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ الْمَلِكِ
 الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَيُّوبَ، ثُمَّ أَسْلَمَ وَتَنَقَّلَ فِي الْخِدْمِ حَتَّى وُلِيَ الْوِزَارَةَ . وَكَانَ عِنْدَهُ
 رِيَاسَةٌ وَمَكَارِمٌ وَعَقْلٌ وَحَسَنُ تَدْبِيرٍ، وَخَدَمَ عِدَّةَ مُلُوكٍ وَكَانَ مَحْظُوظًا عِنْدَهُمْ، وَهُوَ
 الَّذِي هَجَاهُ الصَّاحِبُ جَمَالُ الدِّينِ يَحْيَى بْنُ مَطْرُوحٍ، وَقِيلَ بِهِاءُ الدِّينِ زُهَيْرٌ بِقَوْلِهِ :

لَمَنْ اللَّهُ صَاعِدًا * وَأَبَاهُ فَصَاعِدًا
 وَبَنِيهِ فَنَازِلًا * وَاحِدًا ثُمَّ وَاحِدًا

(١) تكملة عن غاية النهاية وما تقدم في ترجمة أبيه في حوادث سنة ٥٥٩٠ هـ (٢) في الأصلين :
 « خيرة » . والتصويب عن غاية النهاية . (٣) في الأصلين : « الرعياني » . والتصحيح عن
 غاية النهاية وما تقدم . (٤) في الأصلين : « صاحب القصيدة » . والتصويب عن غاية النهاية .

وفيها تُوِّفَى أبو الحسن المغربي المورقي^(١) الشيخ نور الدين ، كان من أقارب المورقي الملك المشهور ببلاد الغرب ، مات بِدَمَشْق ودُفِنَ بِقَاسِيُون ، وكان فاضلاً أدبياً شاعراً . ومن شعره من أبيات :

القَضْبُ راقِصَةٌ والطيرُ صادحةٌ * والسترُ مُرتَفِعٌ والماءُ منحدِرُ
وقد تجلّت من اللذات أوجُها * لكنّها بظلال الدّوح تسترُ
فكلُّ وادٍ به موسى يُفجّرهُ * وكلُّ رَوْضٍ على حافاته الخضرُ

قلت : وهذا يُشبه قول من قال في مَلِيح حَلِيق :

مرّت المَوْسَى على عارضه * فكأنت الماءَ بالآس عُمر
جمع البحرين أضْحَى خَدَّهُ * إذ تلاقى فيه موسى والخضرُ

- الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها تُوِّفَى المحدث أبو محمد عبد الرحمن بن أبي الفهم ^(٢) اليلداني في شهر ربيع الأول ، وله سبعٌ وثمانون سنة . والإمام شرف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل السلمي المُرسي في نصف شهر ربيع الأول ، وله ست وثمانون سنة . والإمام نجم الدين أبو محمد عبد الله بن أبي الوفاء البادراني الشافعي في ذى القعدة ببغداد .

- § أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وخمس وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا .



السنة الثانية من ولاية الملك المنصور على ابن الملك الميز آييك على مصر ، وهي سنة ست وخمسين وستمائة .

- (١) كذا في الأصلين وذيل مرآة الزمان . وفي الذيل على الروشتين : « الميروق » . وفي عيون التواريخ : « الميروق » . ولعل هذه النسبة الأخيرة هي الصواب ، نسبة إلى جزيرة ميروقة إحدى جزر البليار التابعة الآن لأسبانيا . (٢) يلدان : قرية من قرى دمشق (عن معجم البلدان لياقوت) .

فيها استولى الطاغية هولاء على بغداد ، وقتل الخليفة المستعصم بالله ومعظم أهل بغداد ؛ وقد تقدم ذلك

وفيها كان الوباء العظيم يدمشق وغيرها .

وفيها توفى الأديب البارع شرف الدين أبو الطيب أحمد بن محمد بن أبي الوفاء الربيعي الموصلي المعروف بابن الحلاوي الشاعر المشهور ، كان من أحسن الناس صورةً وألطيفهم أخلاقاً مع الفضيلة التامة ، ورحل البلاد ومدح الخلفاء والملوك وخدم الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤا صاحب الموصل وليس زياً الجند . وشعره في نهاية الرقة والجزالة ، وهو صاحب القصيدة التي أولها :

حكاه من الغُضن الرطيبَ وريقه * وما انخر إلا وجتاه وريقه
هلالٌ ولكن أفق قلبي محله * غزالٌ ولكن سَفْعُ عيني عقيقه
وأَسْمَرَ يَحْكِي الأَسْمَرَ اللَذَن قَدَّه * غداً راشقاً قلبَ المحبِّ رَشِيقه
على خَدَّه جَمْرٌ من الحُسْنِ مُضْرَمٌ * يُسَبُّ ولكن في فؤادي حريقه
أَقْزَلُهُ من كُلِّ حُسْنٍ جَلِيلُهُ * وواقفه من كُلِّ معنى دَقِيقُهُ
بَدِيعُ التَّنَتْنِ راح قلبي أَسِيرُهُ * على أن دَمْعِي في العِرامِ طَلِيقُهُ
على سَالِفِيهِ لِلْعِدَارِ جَرِيرَةٌ * وفي شَفَتِيهِ لِلسُّلَافِ عَتِيقُهُ
يَهْدِدُ مِنْهُ الطَّرْفُ مَنْ لَيْسَ خَصْمُهُ * وَيُسْكِرُ مِنْهُ الرِّيقُ مَنْ لَا يَدُوقُهُ
على مثله يَسْتَحْسِنُ الصَّبَّ هَتَكُهُ * وفي حُبِّهِ يَجِفُّ الصَّدِيقُ صَدِيقُهُ
من التَّرَكُّ لَا يُصْبِيهِ وَجَدٌ إِلَى الْحَمَى * وَلَا ذِكْرُ بَانَاتِ الْفَوْرِ تَشْوِقُهُ
وَلَا حَلٌّ فِي حَتَّى تَلُوحَ قَبَابُهُ * وَلَا سَارُ فِي رَكْبٍ يُسَاقُ وَسُوقُهُ

(١) في الأصلين : « الزجالة » وهو تحريف . وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان .

- ولا بات صبًّا بالفريق وأهله * ولكن إلى خاقان يَمزَى فريقه
له مَبْسَمٌ يُنْسَى المَدَامَ بريقه * وَيُحْجِلُ نُوَارَ الْأَقَاحِي بريقه
تداوَيْتُ مِنْ حَرِّ الْغَرَامِ بِبَرْدِهِ * فَأَضْرَمَ مِنْ ذَاكَ الْحَرِيقِ رَحِيقَهُ
إِذَا خَفَقَ السَّبْرُقُ الْيَمَانِي مَوْهِنًا * تَذَكَّرْتَهُ فَأَعْتَادَ قَلْبِي خُفُوقَهُ
حَكَى وَجْهُهُ بَدَرَ السَّمَاءِ فَلَوْ بَدَا * مَعَ الْبَدْرِ قَالَ النَّاسُ هَذَا شَقِيقُهُ
رَأَى خَيَالًا حِينَ وَافَى خِيَالَهُ * فَاطْرَقَ مِنْ قَرِطِ الْحَيَاءِ طَرُوقَهُ
فَاشْبَهَتْ مِنْهُ الْخَضِرُ سَقْمًا فَقَدْ غَدَا * يُحْمَلْنِي كَأَنَّهُ خَضِرٌ مَا لَا أُطِيقُهُ
فَمَا بَالُ قَلْبِي كُلِّ حَبِّ يَهْجُهُ * وَحَتَامَ طَرَفِ كُلِّ حُسْنٍ يَرُوقُهُ
فَهَذَا لِيَوْمِ الْبَيْنِ لَمْ تَطْفَأْ نَارُهُ * وَهَذَا لِبُعْدِ الدَّارِ مَا جَفَّ مُوقُهُ
وَلِلَّهِ قَلْبِي مَا أَشَدَّ عَقَاقُهُ * وَإِنْ كَانَ طَرَفِي مُسْتَمِرًّا فُسُوقُهُ
فَمَا فَازَ إِلَّا مَنْ يَبِيْتُ صَبُوحَهُ * شَرَابُ ثَنَائِيَا وَمِنْهَا غَبُوقُهُ

- وفيهما تُوفَّى الأمير بَكْتُوتُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ سَيْفُ الدِّينِ الْعَزِيزِي أَسْتَاذُ الْمَلِكِ النَّاصِرِ
صَلَحِ الدِّينِ يَوْسُفَ صَاحِبِ الشَّامِ، كَانَ مِنْ أَكْبَرِ الْأُمَرَاءِ فِي الدَّوْلَةِ النَّاصِرِيَّةِ،
وَكَانَ حَسَنَ السَّيْرِ مَلِيحَ الشَّكْلِ مُتَجَمِّلًا، كَانَ مُوَكَّبَهُ يُضَاهِي مُوَاكِبَ الْمُلُوكِ .
وفيهما تُوفَّى الْمَلِكُ النَّاصِرُ أَبُو الْمُظَفَّرِ وَقِيلَ أَبُو الْمُفَاحِرِ دَاوُدُ صَاحِبُ الْكَرْكِ ابْنُ
الْمَلِكِ الْمُعْظَمِ عَيْسَى صَاحِبِ الشَّامِ ابْنُ الْمَلِكِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ صَاحِبِ مِصْرَ ابْنُ الْأَمِيرِ
نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبَ . مَوْلِدُهُ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسِتْمِائَةٍ، وَوَقَعَ لَهُ أُمُورٌ
وَحَوَادِثُ وَمَحَنٌ تَكَرَّرَ ذِكْرُهَا فِي عِدَّةٍ تَرَاوَجَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ . وَكَانَ تَغَلَّبَ عَلَى الشَّامِ
بَعْدَ مَوْتِ عَمِّهِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ مُحَمَّدٍ، وَقَدِمَ مِصْرَ بَعْدَ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ وَتَوَجَّهَ إِلَى الشَّرْقِ،
وَوَقَعَ لَهُ أُمُورٌ يَطُولُ شَرْحُهَا إِلَى أَنْ مَاتَ فِي جُمَادَى الْأُولَى . وَكَانَ مَلِكًا شَجَاعًا

(١) الفريق : اسم وضع بهامة (عن معجم البلدان لياقوت) .

مِقْدَامًا فَاضِلًا أَدْبِيَا شَاعِرًا، وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ شِعْرِهِ غَدَّةُ أُبَيَاتٍ يَسْتَعْتَفُ بِهَا الْمَلِكُ
الصَّالِحَ نَجْمَ الدِّينِ أَيُّوبَ فِي تَرْجُمَةِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ الْمَذْكُورِ . وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضًا :
لَيْنَ عَايَنْتُ عَيْنَايَ أَعْلَامَ جِلْقِي * وَبَانَ مِنَ الْقَصْرِ الْمَشِيدِ قِبَابُهُ
تَيَقَّنْتُ أَنَّ الْبَيْنَ قَدْ بَانَ وَالنَّوَى * نَأَى تَحْطُّهَا وَالْعِيشُ عَادَ شِبَابُهُ^(١)

وَفِيهَا تُؤَفِّي الْعَلَامَةُ الْمُفْتَنُّ أَبُو الْفَضْلِ وَقِيلَ أَبُو الْعَلَاءِ بِهَاءِ الدِّينِ زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ
ابْنِ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى بْنِ الْحَسَنِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الْمَنْصُورِ بْنِ عَاصِمِ الْأَزْدِيِّ الْمَكِّيِّ الْقُوصِيِّ
الْمَنْشَأُ الْمِصْرِيَّ الدَّارَ، الْكَاتِبُ الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ الْمَعْرُوفُ بِالْبَهَاءِ زُهَيْرُ صَاحِبِ الدِّيَوَانِ
الْمَشْهُورِ . مَوْلِدُهُ بِوَادِي تَحْلَةٍ بِقَرَبِ مَكَّةَ فِي خَامِسِ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ إِحْدَى وَثَمَانِينَ
وَحَمِاسَةَ، وَرُبِّيَ بِصَعِيدِ مِصْرَ بِقُوصٍ، وَقَرَأَ الْأَدَبَ وَسَمِعَ الْحَدِيثَ وَبَرَعَ فِي النَّظْمِ
وَالنَّثْرِ وَالتَّرْسُلِ، وَلَهُ الشُّعْرُ الرَّائِقُ الْفَائِقُ، وَكَانَ رَئِيسًا فَاضِلًا حَسَنَ الْأَخْلَاقِ، اتَّصَلَ
بِخِدْمَةِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبَ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ، وَدَامَ فِي خِدْمَتِهِ
إِلَى أَنْ تُوُفِيَ . وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ ذِكْرِهِ فِي تَرْجُمَةِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ نَبْذَةً جَيِّدَةً . وَكَانَتْ وَفَاةُ
الْبَهَاءِ زُهَيْرٍ هَذَا فِي يَوْمِ الْأَحَدِ قَبْلَ الْمَغْرَبِ رَابِعِ ذِي الْقَعْدَةِ وَقِيلَ خَامِسِهِ . وَمِنْ
شِعْرِهِ — رَحِمَهُ اللَّهُ — :

وَلَمَّا جَفَانِي مَنْ أَحَبَّ وَخَانَنِي * حَفِظْتُ لَهُ الْوَدَّ الْبَذَى كَانَ ضِيْعًا
وَلَوْ شِئْتُ قَابَلْتُ الصَّدُودَ بِمَنْلِهِ * وَلَكِنِّي أَبْقَيْتُ لِلصَّلَاحِ مَوْضِعًا
وَقَدْ كَانَ مَا قَدْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ * أَكِيدًا وَلَكِنِّي رَعَيْتُ وَمَا رَعَى
سَعَى بَيْنَنَا الْوَاشِي فَفَسَّرَقَ بَيْنَنَا * لَكَ الذَّنْبُ يَا مَنْ خَانَنِي لَا لِمَنْ سَعَى

(١) كَذَا فِي فَوَاتِ الْوَفَايَاتِ لِأَبْنِ شَاكِرٍ . وَفِي الْأَحْلِينَ : * نَوَى شَخْصَهُ وَالْعَيْنُ عَانَ شِبَابَهُ *

وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٢) رَاجِعُ الْحَاشِيَةِ رَقْمُ ١ ص ٢٩٢ مِنْ الْجُزْءِ الْخَامِسِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ .

(٣) بَحْنًا عَلَى هَذِهِ الْأُبَيَاتِ فِي دِيَوَانِهِ الْمَطْبُوعِ فِي أَوْرُبَا وَمِصْرَ، وَفِي الْمَهْلِ الصَّافِي فَلَمْ نَشْرَعْ عَلَيْهَا

ومن شعره أيضا قصيدته التي أولها :

رُويَدَكَ قَدْ أَفْنَيْتَ يَا بَيْنَ أَدْمُعِي * وَحَسْبُكَ قَدْ أَحْرَقْتَ يَا شَوْقُ أَضْلُعِي
إِلَى كَمْ أَقَاسِي لَوْعَةٍ بَعْدَ لَوْعَةٍ * وَحَتَّى مَتَى يَا بَيْنُ أَنْتَ مَعِي مَعِي
وَقَالُوا عَلِمْنَا مَا جَرَى مِنْكَ بَعْدَنَا * فَلَا تَظْلَمُونِي مَا جَرَى غَيْرَ أَدْمُعِي

- وفيها تُوفِّي الإمام الحافظ الحجّة أبو محمد زكيّ الدين عبد العظيم بن عبد القويّ^(١) ابن عبد الله بن سلامة بن سعد بن سعيد المُنْذِرِيّ الدَّمَشْقِيّ الأصل المصريّ المولِد والدار والوفاة . ولد سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ، وسمع الكثير ورحل وكتب وصنف ونرجح وأمل وحذث بالكثير ، وتخرج به جماعة ، وهو أحد الحفاظ المشهورين .

- وفيها تُوفِّي الخليفة أمير المؤمنين المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله ابن الخليفة المستنصر بالله منصور ابن الخليفة الظاهر بأمر الله محمد ابن الخليفة الناصر لدين الله أبي العباس أحمد ابن الخليفة المستضيء بالله أبي محمد الحسن ابن الخليفة المستنجد بالله أبي المظفر يوسف ابن الخليفة المقتدى بالله أبي عبد الله محمد ابن الخليفة المستظهر بالله أبي العباس أحمد ابن الخليفة المقتدى بالله أبي القاسم عبد الله ابن الأمير محمد الدَّخِيرَة ، وهو غير خليفة ، ابن الخليفة القائم بأمر الله عبد الله ابن الخليفة القادر بالله أبي العباس أحمد ابن الأمير إسحاق ، وإسحاق غير خليفة ، ابن الخليفة المقنن بالله أبي الفضل جعفر ابن الخليفة المعتضد بالله أبي العباس أحمد ابن الأمير طَلْحَة المَوْق ، وطلحة غير خليفة أيضا ، ابن الخليفة المتوكل على الله أبي الفضل جعفر ابن الخليفة المعتصم بالله محمد ابن الخليفة الرشيد بالله هارون ابن الخليفة

(١) في الأصلين : «ابن عبد السلام» . والتصويب عن تذكرة الحفاظ للذهبي والمتل الصافي وفوات الوفيات وشذرات الذهب .

المهدى بالله محمد آبن الخليفة أبي جعفر عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب الهاشمي البغدادي ، آخر خلفاء بني العباس ببغداد ، وبموته انقرضت الخلافة من بغداد . ولى الخلافة بعد وفاة والده المستنصر بالله في العشرين من جمادى الأولى سنة أربعين وستمائة ، ومات قتيلًا بيد هولاء طاغية التتار في هذه السنة . وقد تقدم كيفية قتله في ترجمة الملك المنصور على هذا ، وكانت مدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأيامًا . وتقدير عمره سبع وأربعون سنة . وكان قليل المعرفة بتدبير الملك نازل المهمة مهملاً للأمور المهمة محباً لجمع الأموال يُقدم على فعل ما يُستقبح ، أهمل أمر هولاء حتى كان في ذلك هلاكه . وشغرت الخلافة بعده سنين ، وبقيت الدنيا بلا خليفة حتى أقام الملك الظاهر بيبرس البندقداري بعض بني العباس في الخلافة . على ما يأتي ذكر ذلك في ترجمة الظاهر بيبرس البندقداري إن شاء الله تعالى .

وفيهما تُوقى الأمير الأديب الشاعر سيف الدين أبو الحسن علي بن عمر بن قزل المعروف بالمشيد الشاعر المشهور . مولده بمصر في شوال سنة اثنتين وستمائة ، وتولى شد الدواوين بمصر مدة سنين ، وكان من أكابر الأمراء الفضلاء وهو قريب الأمير جمال الدين بن يغمور ، وله ديوان شعر مشهور بأيدي الناس ، وتوقى بدمشق في يوم عاشوراء . ورثاه بعض الفضلاء ، فقال :

(١) شد الدواوين : موضوعها أن يكون صاحبها رفيقا للوزير متعدنا في استخلاص الأموال ، وما في معنى ذلك ، وعادتها إمرة عشرة (عن صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٢) . (٢) وقد تولى أيضا شد الدواوين بدمشق كما في المنهل الصافي وفوات الوفيات . (٣) في زمة الأنام : « وهو آبن عم الأمير جمال الدين » . وفي المنهل الصافي وفوات الوفيات : « وهو نسب الأمير جمال الدين بن يغمور » . (٤) هو تاج الدين بن حواري . وهذان البيتان من قصيدة مطلعها :

أأخى أى دجنة أو أزمه * كانت بغير السيف عنا تتجلى

(راجع فوات الوفيات ج ٢ ص ٨٠ وذيل مرآة الزمان) .

عاشور يومٌ قد تعاظم ذنبُهُ * إذ حلّ فيه كلّ خطبٍ مُشكِـل
لم يَكْفِهِ قتلُ الحسين وما جرى * حتّى تعدّى بالمصابِ عِلَى عَلِيٍّ
ومن شعره — رحمه الله — بيتٌ مفرد كل كلمة منه قلبٌ نفسها وهو :
ليْلُ أضاء هلالُهُ * أنى يضيء بكوكب

ومن شعره أيضا، قوله :

وشادِنٍ أوردنى جُـهُ * لبيبَ حرّ الشوقِ والفرقة
أصبحتُ حرّانا إلى ريقِهِ * فليت لي من قلبه الرقة

وله أيضا مضمنا مقتبسا :

وافى إلى وكأُسِ الراج في يدهِ * نِخْلَتُ من لطفه أن النسيم سَرى
لا تدرك الراحَ معنى من شمائلِهِ * والشمس لا ينبغي أن تُدرك القَمَرَا

وله في خُودِ عمياء :

علِقَتْهَا نَجَلَاءُ مِثْلَ المِها * نِخْفَانٍ فيها الزمنُ الغادرُ
أذهبَ عَيْنِهَا فإِنْسَانُهَا * في ظلمةٍ لا يهتدى حائرُ
تَجَرَّحَ قلبي وهى مكفوفةٌ * وهكذا قد يفعل البائرُ
وزجسَ اللحظَ غدا ذابلاً * واحسرتا لو أنه ناظرُ

وله في لاعبِ شطرنج :

لِبتُ بالشَّطرنجِ مع شادِنٍ * رشاقةِ الأغصانِ من قَدِهِ
أَحُلُّ عقدَ البند من خصرِهِ * وألثمَ الشاماتِ من خَدِهِ

(١) في الأصلين : « من خصره » . والتصويب عن المثل الصافي وفوات الوفيات .

وفيهما توفى الشيخ الإمام الأديب الرباني جمال الدين أبو زكريا يحيى بن يوسف ابن يحيى بن منصور بن المعمر بن عبد السلام الصرصري^(١) الضرير الشاعر المشهور . كان من العلماء الفضلاء الزهاد العبّاد، وكان له اليد الطولى في النظم ، وشعره في غاية الجودة، ومدح النبي صلى الله عليه وسلم بقصائد لا تدخل تحت الحصر كثرة؛ قيل : إن مدائحه في النبي صلى الله عليه وسلم تقارب عشرين مجلداً . ومن شعره من المدائح النبوية قوله :

زار وهنّا ونحن بالزّوراء * في مقام خلا من الرّقباء
من حبيب القلوب طيف خيال * بغلائبوره دجى الظلماء
يا لها زورة على غير وعيد * بثّ منها في ليلة سزاء
نعمت عيشتي وطابت حياتي * في دجأها يا طلعة الفراء
ومنها :

يا هلال السرور يا قمر الأذ * يس ونجم الهدى وشمس البهاء
يا ربيع القلوب يا قرة العي * ين وباب الإحسان والنعاء
ومنها :

سيدّ حبّه نهار وتشرية * فُ وعزّ باقٍ لأهل الصّفاء
أحمد المصطفى السراج المنير الـ * خير خاتم الأنبياء^(٢)

ومن شعره في عدد الخلفاء بنى العباس إلى المستعصم آخر خلفاء بنى العباس ببغداد، قال

(١) الصرصري : نسبة إلى صرصر، قرية على فرحين من بغداد . (عن لب اللباب) .

(٢) كذا في الأصلين . والشرط الأخير ناقص كلمة ، كأن يكون أصله : « المنير الناصر الخير » أو نحوه .

لَكَرْبِ بَنِي الْبَّاسِ سَفَاحِهِمْ جَلَا * وَجَرَ لِمَنْصُورٍ وَمَهْدَى الْوَلَا
وَهَادٍ وَهَارُونَ الرَّشِيدَ تَلَاهَا * أَمِينُ وَمَأْمُونٌ وَمَعْتَصِمُ الْمَلَا
وَوَاتِقُهُمْ مِنْ بَعْدِهِ مَتَوَكَّلْ * وَمَتَصِرُ وَالْمُسْتَعِينُ بَنُو الْعُلَا
وَطَابَ بِمَعْتَرَجَتِي مَهْتِدٍ كَمَا * بِمَعْتَصِدِ عَيْشٍ لِمَعْتَدِ حَلَا

قلت : لعله ما قال إلا :

..... * بِمَعْتَدِ عَيْشٍ لِمَعْتَصِدِ حَلَا

لأن المعتمد عم المعتضد وتولى المعتضد الخلافة بعده . انتهى .

وَمَكْتَفِيًا فَاعْدُدْ وَمَقْتَدِرًا وَقَدْ * تَلَا قَاهِرًا رَاضٍ لِمُتَنِّي تَلَا
وَمُسْتَكْفِيًا ثُمَّ الْمَطْبِيعَ وَطَائِعًا * وَقَادِرَهُمُ وَالْقَائِمَ اعْدُدْ مُحَصِّلَا
وَبِالْمُقْتَدَى مُسْتَظْهَرٌ سَادَ مِثْلَا * بِمُسْتَرْشِدٍ وَالرَّاشِدَ الْمُقْتَنِي عِلَا
بِمُسْتَنْجِدٍ وَالْمُسْتَضَى وَنَاصِرٍ * وَظَاهِرٍ وَالْمُسْتَنْصِرَ أَجَلَ مَقْفِلَا
وَمُسْتَعَصِمٌ لَا زَالَ بِالنَّصْرِ قَاهِرًا * لِأَعْدَائِهِ مَا حَتَّتِ الْعَيْسُ فِي الْقِلَا

قال الذهبي : « حكي لنا شيخنا ابن الدَّبَّاهي^(١) - وكان خال أمه (يعني
الضَّرَصِرِيّ) - قال : بلغنا أنه دخل عليه التَّارُ وكان ضريباً ، فطعنَ بِمُكَازِهِ بَطْنَ
واحد فقتله ، ثم قُتِلَ شهيداً بيد التَّارِ » . انتهى .

قلت : كل ذلك في واقعة هولاكو المقدم ذكرها .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها تُوُفِّيَ الأمير سيف الدين
المُسْتَدِ الشاعِر صاحب الديوان ، وأسمه على بن عمر بن قزل في المحرم . والشيخ يحيى
ابن يوسف بن يحيى الضَّرَصِرِيّ الزاهد صاحب « الديوان » ، أُسْتُشْهِدَ ببغداد

٢٠ (١) الدَّبَّاهي : نسبة إلى دبابي ، قرية من نواحي بغداد . وهو محمد بن أحمد بن أبي نصر الدَّبَّاهي
البغدادى شمس الدين أبو عبد الله الحنبلي الزاهد . توفى سنة ٥٧١١هـ (عن الدرر الكامنة وشذرات الذهب) .

- في صَفَر في أم لا يُحْصَوْنَ : منهم المستعصم بالله أبو أحمد عبدالله بن المستنصر، وله سبع وأربعون سنة، وكانت خلافته ست عشرة سنة . ومنهم أستاذاره محي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي . ومدّرس المستنصرية الإمام أبو المناقب محمود بن أحمد بن محمود الزنجاني^(١) الشافعي، وله ثلاث وثمانون سنة . والمحتمل شمس الدين علي بن المظفر بن القاسم النُشَبي^(٢) في شهر ربيع الأول . وأبو عمرو عثمان ابن علي القرشي بن خطيب القرافة في شهر ربيع الآخر، وله أربع وثمانون سنة . وأبو العز عبد العزيز بن محمد بن أحمد بن محمد بن صديق المؤدب الحراني بدمشق . والملك الناصر أبو المظفر داود بن الملك المعظم بن العادل في جمادى الأولى ، وله ثلاث وخمسون سنة . والمحتمل نجيب الدين نصر الله [بن المظفر بن عتيل بن حمزة أبو الفتح] بن أبي العز الشيباني بن شقيشة في جمادى الآخرة، وقد جاوز السبعين . وأبو الفضل عبد العزيز بن عبد الوهاب بن بنان الكفروطاي^(٣) في شوال ، وله تسع وسبعون سنة . والأديب شرف الدين الحسين بن إبراهيم الإريلي اللقوي^(٤) في ذي القعدة ، وله ثمان وثمانون سنة . والحافظ زكي الدين عبد العظيم ابن عبد القوي المنذري في ذي القعدة، وله ست وسبعون سنة . والبهاء زهير بن محمد ابن علي المهلب الكاتب الشاعر . والعارف أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار^(٥)

(١) الزنجاني : نسبة الى زنجان ، مدينة على حد أذربيجان (عن لب الباب) .

(٢) في الأصلين : « المتشبي » . والتصويب عن الذيل على الروضين وشذرات الذهب والقاموس وشرحه . والنشبي كسلى : نسبة الى نشبة على غير قياس أبي قبيلة من قيس . (٣) التكلة عن عيون التواريخ . (٤) في شذرات الذهب : « ابن بيان » . (٥) في الأصلين : « شرف الدين الحسن » . والتصويب عن شذرات الذهب والذيل على الروضين والمهل الصافي وعيون التواريخ . (٦) في السلوك : « علي بن عبد الله بن عبد الحق » . والشاذلي : نسبة إلى شاذلة وهي قرية بأفريقية (عن شذرات الذهب وعقد الجمان) .

الشاذلي الضرير^(١) [بصحراء^(٢)] عذاب في ذى القعدة . وأبو العباس القرطبي أحمد بن عمر بن إبراهيم العذل بالإسكندرية، وله ثمان وسبعون سنة . وخطيب مردا^(٣) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن أحمد الحنيلي في ذى الحجة . والحافظ صدر الدين أبو علي الحسن بن محمد بن محمد بن محمد البكري بالقاهرة في ذى الحجة، وله اثنتان وثمانون سنة . والشيخ أبو عبد الله الفاسي محمد بن حسن شيخ الإقراء بحلب في شهر ربيع الآخر .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وتسع عشرة إصبعا .
مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وخمس أصابع .



السنة الثالثة من ولاية الملك المنصور على ابن الملك المعز أيك على مصر،
وهي سنة سبع وخمسين وستمائة .

(١) زيادة عن شذرات الذهب وعقد الجمان والسلوك . (٢) عذاب : يستخلص مما ورد في كتب رحلي ابن جبير وابن بطوطة والخطط المقرزية أن عذاب كانت فرضة على بحر القلزم الذي يعرف الآن بالبحر الأحمر في صحراء لا عمارة فيها، ولكنها كانت من أشهر المراسم في البحار، تأتي إليها سفن اليمن والحشة والهند، وكانت في الزمن الماضي طريق الحج المصري يسير إليها الحاج عن طريق قوص ثم يركبون البحر منها إلى جدة .

وقد أقام حجاج مصر والمغرب أكثر من مائتي سنة يتوجهون إلى الحجاز عن طريق صحراء عذاب ثم بطل استعمال هذا الطريق في سنة ٥٧٦٦ . وورد في الخطط التوفيقية (ج ١٤ ص ٥٦) عند الكلام على عذاب أنها كانت في محل مدينة يرينيس القديمة (بريقه) الواقعة على البحر الأحمر تجاه مدينة أسوان .

وأقول : إن عذاب قد اندثرت من القرن العاشر الهجري ، وتلاشى طريقها وتحول عنها طريق الحاج والقوافل التي كانت تسير بين عذاب وقوص إلى طريق السويس فالمقبة فالساحل الشرقي للبحر الأحمر إلى جده . ولم تكن عذاب محل مدينة يرينيس كما ذكر مبارك باشا فإن هذه تقع على البحر الأحمر عند رأس بناس على خط عرض ٢٣ درجة و ٥٥ دقيقة ، يقابلها من الغرب على النيل أسوان . وأما عذاب فكانت واقعة على البحر الأحمر جنوبي رأس أبو فاطمة على خط عرض ٢٢ درجة و ٢٠ دقيقة ، يقابلها من الغرب على النيل قرية أبو سنبل التي بمركز الدرد والواقعة شمال بلدة وادي حطفا على بعد ٦٦ كيلومترا منها . (٣) مردا : قرية قرب نابلس ، لا يتلفظ بها إلا بالقصر (عن معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٤٩٣) .

فيما خلع الملك المنصور على المذكور بمملوك ابنيه الملك المظفر قطز المعزى .
وقد تقدم ذلك .

وفيها دخل هولاء ديار بكر قاصدا حلب . يأتي ذكر ذلك كله في ترجمة
الملك المظفر قطز إن شاء الله تعالى .

وفيها توفي الملك الرحيم^(١) أبو الفضائل بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله الأتابكي
صاحب الموصل ، كان من أجل الملوك . وطالت أيامه بالموصل لأنه أقام بتدبير
أستاذه نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن زنجي بن آق سُقُر
التركي ، فلما توفى نور الدين قام بتدبير ولده الملك القاهرة عز الدين مسعود ، فلما توفى
الملك القاهرة سنة أربع عشرة وستمائة أقام صبيين من ولده هما أبنا بنت مظفر الدين^(٢)
صاحب إربل [ثم إنه أخنى على أولاد أستاذه فقتلهم غيلة^(٣)] واحدا بعد واحد ،
ثم بعد ذلك استبدت بمملكة الموصل وأعمالها سبعا وأربعين سنة . وكان كثير التجميل
بالرسل والوافدين عليه ، وكان له هممة عالية ومعرفة تامة ، وكان شديد البحث عن
أخبار رعاياه ما يخفى عنه من أحوالهم إلا ما قل ، وكان يفرم على القضاة والجواسيس
في كل سنة مالا عظيما ، وكان إذا عديم من بلاده ما قيمته مائة درهم هان عليه أن
يبدل عشرة آلاف دينار ليلبغ غرضه في عوده ، ولا يذهب مأل رعيته .

قلت : لله در هذا الملك ! ما أحوج الناس إلى ملك مثل هذا يملك الدنيا بأسرها .
وكانت وفاته بالموصل وهو في عشر التسعين سنة .

(١) يلاحظ أن هذا الملك هو الذي قد جمع له الشيخ عز الدين بن الأثير كتابه الكامل في التاريخ
فأجازه عليه وأحسن إليه . راجع عقدا الجمان في حوادث سنة ٦٥٦ هـ .

(٢) هو مظفر الدين كوكبودي بن زين الدين علي بكك بن بككين صاحب إربل . تقدمت وفاته
سنة ٦٦٣ هـ . (٣) التكلة عن عقد الجمان .

وفيهما توفى الأديب الفاضل أبو عبد الله بهاء الدين محمد بن محمد بن محمد بن الحسن القرشي - الدمشقي - العدل المعروف بابن الدجاجة ، كان فاضلاً شاعراً مطبوعاً . ومن شعره قوله :

كَمْ تَكْتُمُ الْوَجْدَ يَا مُعْنَى * مَا وَمَا يَخْفَى الْلَهْبُ

سَلَّ عَرَبَ الْوَادِيَيْنِ عَمَّنْ * بَانُوا فَمَا بَيْنَنَا غَرِيبُ

- الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال وفيها توفى أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد الأنصاري - الإشبيلي - بن السراج مسند القرب بيجاية ^(١) في صفر ، وله سبع وتسعون سنة ، وكانت الرحلة إليه من الأقطار . وصدر الدين أسعد بن عثمان ^(٢) [بن أسعد] بن المنجي ، ودُفِنَ بمدرسته الصَّدْرِيَّة في شهر رمضان ، والمقريئ ^(٣) شمس الدين أبو الفتح محمد [بن علي] ^(٤) بن موسى الأنصاري - بدمشق في المحرم .
والملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل في شعبان .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وست وعشرون إصبعا .
مبلغ الزيادة ثمان عشرة ذراعا وإصبع واحدة .

- (١) بجاية (بالكسر وتحفيف الجيم) : مدينة على ساحل البحرين إفريقية والمغرب (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) التكلة عن المنهل الصافي . (٣) هي مدرسة للحنابلة بدمشق .
(٤) التكلة عن الذيل على الروضتين وغاية النهاية في طبقات القراء .

ذكر سلطنة الملك المظفر قُطْزٍ على مصر

السلطان الملك المظفر سيف الدين قُطْزُ بن عبد الله المُعزَّى الثالث من ملوك
الترك بالديار المصرية . وقُطْزُ (بضم القاف والطاء المهملة وسكون الزاي) ، وهو
لفظ مُعزَّى . تسلطن بعد خلع آبن أستاذة الملك المنصور على آبن الملك المُعزَّى أَيْتَك
في يوم السبت سابع عشر ذى القعدة سنة سبع وخمسين وسبعمائة ، وذلك بعد أن
عظمت الأراجيف بتحريك التَّار نحو البلاد الشامية وقطعهم الفُرات وهجمهم
بالغارات على البلاد الحليَّة ، وكان وصل إليه بسبب ذلك صاحبُ كِمال الذين
عمر بن العَديم رسولاً من الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب والشام
يطلب منه النَّجدة على قتال التَّار ، فأنزله قُطْزُ بالكَبْش^(٢) وجمع القضاة والفقهاء
والأعيان لمشاورتهم فيما يعتمد عليه في أمر التَّار وأن يُؤخذ من الناس ما يُستعان
به على جهادهم ، فحضروا في دار السلطنة بقلعة الجبل ، وحضر الشيخ عَمْرُ الدين
آبن عبد السلام والقاضي بدر الدين السَّنْجَارِيُّ قاضي الديار المصرية وغيرهما من
العلماء ، وجلس الملك المنصور على دَسْت السلطنة ، وأفاضوا في الحديث ،
فكان الاعتماد على ما يقوله آبن عبد السلام ، وخلاصة ما قال : إنه إذا طرق العدو
بلاد الإسلام وجب على العالم قتالهم ، وجاز لكم أن تأخذوا من الرعية ما تستعينون به

(١) هو عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جراحة صاحب العلامة كمال الدين أبو القاسم العقيلي الحلبي
المعروف بابن العديم . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٦٠ هـ . (٢) الكبش : اسم يطلق على الجزء
الشمالي الغربي من جبل يشكر حيث المنطقة الواقعة غربي جامع ابن طولون ، بدليل أن المقرئ لمّا تكلم
في الجزء الأول من خطه (ج ١ ص ٣٤٤) على ساحل النيل بمدينة مصر (مصر القديمة) ووصل إلى ذكر
الحراوات قال : وبأخر الحراوات القصوى الكبش وجبل يشكر . ثم لمّا تكلم في الجزء الثاني من خطه (ج ٢
ص ١٣٣) على مناظر الكبش قال : إن هذه المناظر كانت على جبل يشكر بجوار الجامع الطولوني ، وإن
الملك الصالح نجم الدين أوبو لمّا أنشأ هذه المناظر سماها الكبش (لوقوعها فوق هذا الجبل) ولا تزال
هذه المنطقة تعرف إلى اليوم باسم تلة الكبش بشوارع مراسينا بقسم السيدة زينب .

- (١) على جهادكم، بشرط ألا يبقى في بيت المال شيء، وتبيعوا مالكم من الحوائص المذهبة والآلات النفيسة، ويقتصر كل الجند على مراكبه وسلاحه ويتساووا هم والعامة. وأما أخذ الأموال من العامة مع بقايا في أيدي الجند من الأموال والآلات الفانخة فلا، وأنقض المجلس على ذلك، ولم يتكلم السلطان بكلمة في المجلس لعدم معرفته بالأمور ولصغر سنه؛ فلهج الناس بنخل المنصور وسلطنة قُطز حتى يقوم بهذا الأمر المهم، وأتفق ذلك بعد أيام، وقبض قُطز هذا على الملك المنصور على، وأحتج لكمال الدين بن العديم وغيره بأنه صبي لا يُحسن تدبير الملك، وفي مثل هذا الوقت الصعب لا بد أن يقوم بأمر الملك رجل شهم يُطيعه الناس وينتصب للجهاد. وكان الأميران: علم الدين سنجر [الغني المعظمي^(٢)] وسيف الدين بهادر حين جرى هذا الأمر غائبين في الصيد، فاغتم قُطز لغيبتهما الفرصة، فلما حضرا قبض عليهما وأعتقلهما، وتسطن. وركب بشعار الملك، وجلس على كرسي السلطنة وتم أمره. ولما وقع ذلك تقدم قُطز إلى برهان الدين الخضر أن يتوجه في جواب رسالة الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام محبة صاحب كمال الدين ابن العديم، ويعد الملك الناصر بالنجدة وإنفاذ العساكر إليه؛ فتوجهها ووصلا إلى دمشق وأديا الرسالة؛ ولم يزل البرهان بدمشق إلى أن رحل الملك الناصر من دمشق إلى جهة الديار المصرية جافلاً من التار.

(١) كان من عادة السلطان أنه إذا ركب للعب الكرة بالميدان فرق حوائص من ذهب على بعض الأمراء المقدمين (راجع صبح الأعشى في الكلام على الخلع والتشريف (ج ٤ ص ٥٢ - ٥٥).

(٢) زيادة عن السلوك (ص ٤١٨) وتاريخ أبي الفدا. وعقد الجمان.

(٣) في الأصلين: «المصري». وتصحيحه عن تاريخ الواصلين وهو برهان الدين السنجاري أبو محمد الخضر بن الحسن بن علي قاضي القضاة. سيذكر المؤلف في حوادث سنة ٦٨٦ هـ.

وكان الناصر لما تحقق بحركة التتار رحل إلى برزة شمالي دمشق، ونزل بها بعساكره واجتمع إليه أمم عظيمة من العرب والعجم والتركمان والأتراك والمطوعة؛ فلم يُعجب الناصر حاله لما رأى من تخاذل عسكره، وعلم أنه إذا لاقى التتار لم يثبت عسكره لهم لكثرتهم ولقوتهم، فإن هولاكو في خلق لا يُحصيهم إلا الله تعالى من المنفل والكُرج والعجم وغيرهم، ولم يكن من حين قدومهم على بلاد المسلمين من سنة ست عشرة وستمئة إلى هذه السنة يلقاهم عسكر إلا ألقوه سوى وقائع كانت بينهم وبين جلال الدين بن خوارزم شاه، انتصف جلال الدين في بعضها، ثم كبسوه على باب آمد وبددوا جمعه، وأعقب ذلك موت جلال الدين بالقرب من ميفارقين.

وأما أمر هلاكه فإنه في جمادى الأولى من هذه السنة نزل حران وأستولى عليها وملك بلاد الجزيرة، ثم سير ولده أشموط بن هولاكو إلى الشام وأمره بقطع الفرات وأخذ البلاد الشامية، وسيّره في جمع كثيف من التتار فوصل أشموط إلى نهر الجوز وتلّ بأشهر، ووصل الخبر إلى حلب من البيرة بذلك. وكان نائب السلطان صلاح الدين يوسف بحلب أبنته الملك المعظم توران شاه، بفعل الناس بين يدي

(١) هو جلال الدين محمد بن خوارزم شاه تكش بن أرسلان شاه بن آتسز. تقدّمت وفاته سنة ٦٢٨ هـ. (٢) في الأصلين وحيون التواريخ وتاريخ المراسلين: «أشموط». وفي تاريخ ابن الوردي وأبي الفدا: «شموط». بدون ألف والسين المهمل. وورد في عقد الجان «أشموط وأسموط» بالسين والسين. وفي هامش السلوك المطبوع بدار الكتب ص ١٩٤ الذي وضع حواشيه الدكتور محمد مصطفى زيادة: «يشموط» بالياء التحتية والسين. (٣) في الأصلين: «بحر الجان» وهو تحريف. وما أثبتناه عن معجم البلدان (ج ٢ ص ١٥١) وتاريخ الواصلين. ونهر الجوز: ناحية ذات قرى وبساتين ومياه بين حلب والبيرة التي على الفرات، وهي من عمل البيرة.

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٠١ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.

(٥) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة.

التّار إلى جهة دِمَشْق وعُظْم الخُطْب ، وأجمع الناس من كلِّ فجٍّ عند الملك الناصر بدمشق ، وأحترز الملك المعظّم تُورَان شاه ابن الملك الناصر بحلب غاية الاحتراز . وكذلك جميع نواب البلاد الحلبية ؛ وصارت حلب في غاية الحصانة بأسوارها المحكّمة البناء وكثرة الآلات . فلما كان العشر الأخير من ذى الحجة [سنة سبع وخمسين وسبعمائة] قصد التّار حلب ونزلوا على قرية لها سَلْمِيَّة ^(١) وامتدوا إلى حِلَّان والحارّى ، وسيروا جماعة من عسكرهم أشرفوا على المدينة . فخرج عسكر حلب ومعهم خلقٌ عظيم من العوام والسُّوقَة ، وأشرفوا على التّار وهم نازلون على هذه الأماكن ، وقد ركبوا جميعهم لانتظار المسلمين ، فلما تحقق المسلمون كثرتهم كَرُّوا راجعين إلى المدينة ؛ فرسم الملك المعظّم بعد ذلك ألا يخرج أحد من المدينة .

- ١٠ . ولما كان غدُّ هذا اليوم رحلت التّار من منازلهم طالبين مدينة حلب ، وأجمع عسكر المسلمين بالنواشير ومِيدَان الحصا وأخذوا في المشورة فيما يعتمدونه ، فإشار عليهم الملك المعظّم أنهم لا يخرجون أصلاً لكثرة التّار ولقوتهم وضعف المسلمين على لقائهم ، فلم يوافقهم جماعة من العسكر وأبوا إلا الخروج إلى ظاهر البلد لئلا يطمع العدو فيهم ؛ فخرج العسكر إلى ظاهر حلب وخرج معهم العوام والسُّوقَة واجتمعوا الجميع بجبل بَانْقُوسَا ^(٢) ووصل جمعُ التّار إلى أسفل الجبل فقتل إليهم جماعة من العسكر ليقاتلوهم ؛ فلما رآهم التّار آندفعوا بين أيديهم مكراً منهم وخديعة ،

(١) زيادة عن عيون التواريخ وتاريخ الواصلين . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١١٩

من الجزء الثاني من هذه الطبعة . (٣) حِلَّان : من قرى حلب ، تخرج منها عين قزارة كثيرة الماء . تسبح إلى حلب ويدخل إليها في قناة ، وتتفرق إلى الجامع وإلى جميع مدينة حلب (عن معجم البلدان لياقوت) . (٤) هكذا في الأصلين . وفي تاريخ الواصلين : « والحارّى » وقد أطلنا البحث في المصادر التي تحت يدينا فلم نعرف وجه الصواب فيها . (٥) كذا في الأصلين . وبعبارة كتاب تاريخ الواصلين : « واجتمع عسكر المسلمين بالنواشير وأخذوا في إجابة الرأى فيما يعتمدونه » . (٦) جبل بَانْقُوسَا : جبل في ظاهر حلب (عن شرح القاموس) .

فَقَبِعَهُمْ عَسْكَرُ حَلَبَ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ؛ ثُمَّ كَرَّ النَّتَّارُ عَلَيْهِمْ فَقَوْلُوا مَنَهْزِمِينَ إِلَى جِهَةِ الْبَلَدِ وَالتَّارَ فِي أَثَرِهِمْ . فَلَمَّا حَازُوا جَبَلَ بَاقُوسًا وَعَلَيْهِ بَقِيَّةُ عَسْكَرِ الْمُسْلِمِينَ وَالْعَوَامَّ أَنْدَفَعُوا كُلُّهُمْ نَحْوَ الْبَلَدِ وَالتَّارَ فِي أَعْقَابِهِمْ ، فَقَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ جَمْعًا كَثِيرًا مِنَ الْجُنْدِ وَالْعَوَامِّ . وَنَحْنُ اسْتَشْهِدُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْأَمِيرَ عَلَّمَ الدِّينَ زُرَّيْقَ الْغَزِيرِيَّ — رَحِمَهُ اللَّهُ — وَكَانَ مِنْ أَعْيَانِ الْأَمْرَاءِ . وَنَازَلَ النَّتَّارُ الْمَدِينَةَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى آخِرِهِ ، ثُمَّ رَحَلُوا طَالِبِينَ أَغْزَازَ قَتَسَامُوهَا بِالْأَمَانِ .

ثُمَّ عَادُوا إِلَى حَلَبَ فِي ثَانِي صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ ثَمَانٍ وَنَحْسِينَ وَسِتَّمِائَةَ وَحَاصَرُوهَا حَتَّى اسْتَوَلَوْا عَلَيْهَا فِي تَاسِعِ صَفَرٍ بِالْأَمَانِ ، فَلَمَّا مَلَكَوْهَا غَدَرُوا بِأَهْلِ حَلَبَ وَقَتَلُوا وَنَهَبُوا وَسَبَّوْا وَفَعَلُوا تِلْكَ الْأَفْعَالِ الْقَبِيحَةَ عَلَى عَادَةِ فَعْلِهِمْ . وَبَلَغَ الْمَلِكُ النَّاصِرَ يَوْسُفَ أَخَذَ حَلَبَ فِي مَتَصِفِ صَفَرٍ ، فَخَرَجَ النَّاصِرُ مِنَ الشَّامِ بِأَمْرَانِهِ نَحْوَ الْقِبْلَةِ . وَكَانَ رُسُلُ النَّتَّارِ بِقَرْيَةِ حَرَسَاتٍ^(١) فَأَدْخَلُوا دِمَشْقَ لَيْلَةَ الْاِثْنَيْنِ سَابِعِ عَشْرِ صَفَرٍ . وَقُرِئَ بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ فَرْمَانٌ (أَعْنَى مَرْسُومًا) جَاءَ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ النَّتَّارِ بِتَضَمُّنِ الْأَمَانِ لِأَهْلِ دِمَشْقَ وَمَا حَوْلَهَا ، وَشَرَعَ الْأَكْبَرُ فِي تَدْيِيرِ أَمْرِهِمْ . ثُمَّ وَصَلَتِ النَّتَّارُ إِلَى دِمَشْقَ فِي سَابِعِ عَشْرِ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ ، فَلَقِيَهُمْ أَعْيَانُ الْبَلَدِ أَحْسَنَ مُلْتَقًى وَقُرِئَ مَا مَعَهُمْ مِنَ الْفَرْمَانِ الْمُتَضَمِّنِ الْأَمَانِ ، وَوَصَلَتِ عَسَاكِرُهُمْ مِنْ جِهَةِ الْغُوطَةِ مَارِينَ مِنْ وَرَاءِ الضُّبَيْعِ إِلَى جِهَةِ الْكُسُوفَةِ^(٢) وَأَهْلَكَوْا فِي مَمَرِهِمْ جَمَاعَةً كَانُوا قَدْ تَجَمَّعُوا وَتَحَزَّبُوا^(٣) . وَفِي السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْهُ جَاءَ مَنَشُورٌ مِنْ هَوْلَا كُوَ لِلْقَاضِي كِبَالِ الدِّينِ عُمَرِ بْنِ بَنْدَارٍ^(٤)

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٣٠ من الجزء الثاني من هذه الطبعة . (٢) الكسوة : قرية هي أول منزل تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر (عن نعيم البلدان لياقوت) .

(٣) في الأصلين : «وتحزبوا» . وما أثبتناه عن عيون التواريخ .

(٤) في الأصلين : «عمر بن الصديم» . والتصويب عن عيون التواريخ والذيل على الروضتين وعقد الجمان . وسبذكر المؤلف وفاة فبين قتل وفاتهم عن الذهبي سنة ٦٧٢ هـ .

التفاسى بتفويض قضاء القضاة إليه بمدائن الشام إلى الموصل وميافارقين وغير ذلك، وكان القاضي قبله صدر الدين أحمد بن سني الدولة . وتوجه الملك الناصر نحو الديار المصرية ونزل العريش ثم قطياً بعد أن تفزق عسكره عنه وتوجه معظم عسكره إلى مصر قبله مع الأتقال . فلما وصل الناصر إلى قطياً عاد منها إلى جهة الشام لشيء بلغه عن الملك المظفر صاحب مصر، ونزل بوادي موسى ثم نزل بركة زيزاء^(١)، فكبسه التار بها وهو في خواصه وقليل من مماليكه، فاستأمن الناصر من التار وتوجه إليهم، فلما وصل إليهم احتفظوا به وبقي معهم في نل وهوان إلى أن قتل على ما يأتي ذكره في محله إن شاء الله تعالى .

وأما التار فإنه بلغت غارتهم إلى غزة وبلد الخليل — عليه السلام — فقتلوا الرجال وسبوا النساء والصبيان وأستاقوا من الأسرى والأبقار والأغنام والمواشي شيئاً كثيراً . كل ذلك والسلطان الملك المظفر قطز سلطان مصر يتهماً للقاء التار .

- (١) هو صدر الدين أحمد بن شمس الدين أبي البركات يحيى بن هبة الله بن سني الدولة . سيذكر المؤلف فيمن قتل وفاتهم عن الذهبي سنة ٦٥٨ هـ . (٢) قطياً، يستفاد مما ورد في معجم البلدان لياقوت وفي الانتصار لأبن دقاق، وفي كتاب الحقيقة والمجاز للناقلي أن قطياً — وتكتب أيضاً قطية — هي قرية من نواحي الجفاري الطريق بين مصر والشام في وسط الرمل قرب القرما، وبها جامع ومارستان (مستشفى) وبها والى طلبغاثة متيم لأخذ العشر من التجار، وبها قاض وناظر وشهود ومباشرون، ولا يمكن أحد من الجواز من مصر إلى الشام وبالعكس إلا بجواز مرور فهي مزب الدرب، لا يمكن الدخول إلى مصر إلا منها، وكان بها مكان أخذ المكس من القادمين إلى مصر . وأقول : قد اندثرت هذه القرية، ولم يبق إلا أطلالها في الطريق بين القنطرة والعريش في الجنوب الشرق من محطة الزمانة (الرومانى قديماً) وعلى بعد عشرة كيلو مترات منها . (٣) وادي موسى، منسوب إلى موسى بن عمران عليه السلام، وهو واد في قبل بيت المقدس بينه وبين أرض الحجاز (راجع معجم البلدان لياقوت) .
- (٤) في الأصلين : « بركة برى » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ وتاريخ أبي القسدا . وراجع الحاشية رقم ١ ص ٥٣ من هذا الجزء .

(٥) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٠٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

- فلما آجستت العساكر الإسلامية بالديار المصرية ألقى الله تعالى في قلب الملك المظفر قُطْرُ الخروج لقتالهم بعد أن كانت القلوب قد أيست من النصرة على التتار ، وأجمعوا على حفظ مصر لا غير لكثرة عددهم وأسبيلاتهم على معظم بلاد المسلمين ، وأنهم ما قصدوا إقليماً إلا فتحوه ولا عسكراً إلا هزموه ، ولم يبق خارج عن حكمهم في الجانب الشرقي إلا الديار المصرية والحجاز واليمن ، وهرب جماعة من المغاربة الذين كانوا بمصر إلى القرب ، وهرب جماعة من الناس إلى اليمن والحجاز ، والباقيون بقوا في وجل عظيم وخوف شديد يتوقعون دخول العدو وأخذ البلاد ؛ وصمم الملك المظفر - رحمه الله - على لقاء التتار ، وخرج من مصر في الجحافل الشامية والمصرية في شهر رمضان ، وصحبته الملك المنصور صاحب حماة ؛ وكان الأتابك فارس الدين أقطاي المستعرب ، الأمور كلها مفوضة إليه ؛ وسير الملك المظفر قُطْرُ إلى صاحب حماة ، وهو بالصالحية ، يقول : له لا تحتفل في مد سباط ، بل كل واحد من أصحابك يُفطر على قطعة لحم في صَوْلَقِهِ ^(٢) . وسافر الملك المظفر بالعساكر من الصالحية ووصل غزّة والقلوب وجلة .
- وأما كُتُبُناوين مقدم التتار على عسكر هولاء كومتا بلغه خروج الملك المظفر قُطْرُ كان بالبقياع ؛ فاستدعى الملك الأشرف [موسى ابن المنصور صاحب حمص] وقاضى القضاة محيي الدين واستشارهم في ذلك ، فمنهم من أشار بعدم المتق

(١) في الأصلين : « المحافل » . (٢) الصولق : بخلة من جلد يضعها الشخص في حزامه من الجهة اليمنى . والجمع صولق . (راجع المخطط التوفيقية ج ١٠ ص ٣٥) . (٣) ضبطه صاحب عقد الجمان بالعبارة فقال : (بضم النون وكسر الواو وسكون الياء آخر الحروف) . ومعناه : أمير عشرة آلاف ، وكل أسم من أسماء ملوكهم في آخره نونين معناه : رأس عشرة آلاف . وضبطه صاحب صبح الأعشى (ج ٦ ص ٣٣) بالعبارة أيضا (بضم النون وفتح الواو وسكون الياء) . وضبط في السلوك كضبط صبح الأعشى ، وقال : إن معناه مقدم ألف . (٤) الزيادة عن السلوك . (٥) هو قاضى القضاة محيى الدين محمد بن يحيى المعروف بابن الزكي . كما في عيون التواريخ في حوادث سنة ٦٥٨ هـ .

- والاندفاع بين يدي الملك المظفر إلى حيث يميته مدد من هولاء كوليقي على ملتي
العسكر المصري، ومنهم من أشار بغير ذلك وتفزقت الآراء، فأقتضى رأى كتبناوين
الملتقى، وتوجه من قوره لما أراد الله تعالى من إعزاز الإسلام وأهله، وإذلال
الشرك وحزبه، بعد أن جمع كتبناوين من في الشام من التتار وغيرهم، وقصد
محاربة المسلمين، وصحبته الملك السعيد [حسن] ابن الملك العزيز عثمان. ثم رحل
الملك المظفر قطر بعساكره من غزوة ونزل النور بعين جالوت، وبه جموع
التتار في يوم الجمعة خامس عشرين شهر رمضان، ووقع المصافى بينهم في اليوم
المذكور، وتقاتلا قتالا شديدا لم يرمثله حتى قتل من الطائفتين جماعة كثيرة وأنكسرت
ميسرة المسلمين كسرة شيعه، فحمل الملك المظفر - رحمه الله - بنفسه في طائفة
من عساكره وأردف الميسرة حتى تحايوا وتراجعوا، وأقتحم الملك المظفر القتال وباشر
ذلك بنفسه وأبلى في ذلك اليوم بلاء حسنا، وعظم الحرب وثبت كل من الفريقين
مع كثرة التتار. والمظفر مع ذلك يسجع أصحابه ويحسن إليهم الموت، وهو يكرهم
كرة بعد كرة حتى نصر الله الإسلام وأعزّه، وأنكسرت التتار وولوا الأدبار على أقبح
وجه بعد أن قتل معظم أعيانهم وأصيب مقدم العساكر التتارية كتبناوين، فإنه أيضا
لما عظم الخطب باشر القتال بنفسه فأخزاه الله تعالى وقتل شر قتلة. وكان الذي
حمل عليه وقتله الأمير جمال الدين آقوش الشميمي - رحمه الله تعالى - وولوا
التتار الأدبار لا يلون على شيء، وأعتصم منهم طائفة بالثل المجاور لمكان الوقعة،
فأحدث بهم العساكر وصاروهم على القتال حتى أفتوهم قتلا، ونجا من نجا. وتبعهم
الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري في جماعة من الشجعان إلى أطراف البلاد؛

(١) زيادة عن السلوك للفريري (ص ٤٣١) . (٢) عين جالوت : بلدة لطيفة بين نيساب
ونابلس من أعمال فلسطين (عن معجم البلدان لياقوت) .

وَأَسْتَوَى أَهْلُ الْبِلَادِ وَالضِّيَاعِ مِنَ التَّارِ آثَارَهُمْ ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَسَلَمْ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ جَدًّا .

وفي حال الفراغ من المصافى حضر الملك السعيد [حسن] أبْنُ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ
عُثْمَانَ أَبْنَ الْمَلِكِ الْعَادِلِ بْنِ يَدَى السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ قُطُزٍ ، وَكَانَ التَّارُ لَمَّا مَلَكَوْا
قَلْعَةَ الْبَيْرَةِ وَجَدُوهُ فِيهَا مُعْتَقَلًا فَأَطْلَقُوهُ وَأَعْطَوْهُ بَابِيَّاسَ وَقَلْعَةَ الصَّبِيْبَةِ فَأَنْضَمَ عَلَى
التَّارِ وَبَقِيَ مِنْهُمْ ، وَقَاتَلَ يَوْمَ الْمَصَافِ الْمُسْلِمِينَ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَلَمَّا أَيْدَى اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ
بَنَصْرِهِ وَحَضَرَ الْمُلُوكُ عِنْدَ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ فَحَضَرَ الْمَلِكُ السَّعِيدُ هَذَا مِنْ جَمَلَتِهِمْ عَلَى
رَغَمِ أَنْفِهِ ، فَلَمْ يَقْبَلِ الْمُظْفَرُ عُذْرَهُ ، وَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ فَضُرِبَتْ فِي الْحَالِ . ثُمَّ كَتَبَ
الْمَلِكُ الْمُظْفَرُ كِتَابًا إِلَى أَهْلِ دِمَشْقَ يُحْجِرُهُمْ فِيهِ بِالْفَتْحِ وَكَسْرِ الْعَدْوِ الْمُخْذُولِ وَيَعُدُّهُمْ
بِوَصُولِهِ إِلَيْهِمْ وَتَشْرِعَ الْعَدْلِ فِيهِمْ ، فَسُرَّ عَوَامُ دِمَشْقَ وَأَهْلُهَا بِذَلِكَ سُرورًا زَائِلًا ،
وَقَتَلُوا نَحْرَ الدِّينِ مُحَمَّدَ بْنَ يَوْسُفَ بْنِ مُحَمَّدِ الْكَنْجِيِّ فِي جَامِعِ دِمَشْقَ ، وَكَانَ الْمَذْكُورُ
مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، لَكِنَّهُ كَانَ فِيهِ شَرٌّ ، وَكَانَ رَافِضِيًّا خَبِيثًا وَأَنْضَمَ عَلَى التَّارِ . وَقَتَلُوا
أَيْضًا بِدِمَشْقَ مِنْ أَعْوَانِ التَّارِ أَبْنَ الْمَسَاكِينِي ^(٤) ، وَأَبْنَ الثَّقِيلِ وَغَيْرَهُمَا . وَكَانَ
التَّصَارِيُّ بِدِمَشْقَ قَدْ شَمَخُوا وَتَجَزَّءُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَأَسْتَطَالُوا بِتَرْدُدِ التَّارِ إِلَى كَنَائِسِهِمْ .
وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى هَوْلَاكَو وَجَاعُوا مِنْ عَفْدِهِ بِقَرْمَانَ يَتَضَمَّنُ الْوَصِيَّةَ بِهِمْ وَالْإِعْتِنَاءَ
بِأَمْرِهِمْ ، وَدَخَلُوا بِالْقَرْمَانَ مِنْ بَابِ تُوْمَا وَصُلْبَانُهُمْ مَرْتَفَعَةٌ ، وَهُمْ يَنَادُونَ بِأَرْتِفَاعِ
دِينِهِمْ وَأَنْضَاعِ دِينِ الْمُسْلِمِينَ ، وَيُرْشُونَ النِّخْرَ عَلَى النَّاسِ فِي أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ ، فَخَصَلَ

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٥٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٢) في الأصلين :
« وَقَاتَلَ يَوْمَ الْمَصَافِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ » . والسياق يأباه . (٣) الكنجي : نسبة إلى كنجية .
راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٦٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٤) في عيون التواريخ :
« الشمس بن المساكيني » . (٥) في الذيل على الروضتين : « ابن البغيل » بالعين المعجمة .
(٦) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٥٣ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

- (١) عند المسلمين من ذلك هم عظيم . فلما هرب ثواب التتار حين بلغتهم الكثرة أصبح الناس وتوجهوا إلى دور النصارى يهبونها ويأخذون ما استطاعوا منها، وأحربوا كنيسة البعاقبة وأحرقوا كنيسة مريم حتى بقيت كوماً، وقتلوا منهم جماعة وأختفى الباقون . وكانت النصارى في تلك الأيام ألزموا المسلمين بالقيام في دكاكينهم للصليب، ومن لم يتم أخرقوا به وأهانوه، وشقوا السوق على هذا الوجه إلى عند القنطرة آخر سوق كنيسة مريم؛ فقام بعضهم على الدكان الوسطى من الصف الغربي بين القناطر وخطب وفضل دين النصارى ووضع من دين الإسلام، وكان ذلك في ثاني عشرين شهر رمضان . ثم من الغد طلع المسلمون مع قضائهم وشهودهم إلى قلعة دمشق وبها التتار فأهانوهم التتار، ورفعوا قسيس النصارى عليهم، ثم أخرجوهم بالضرب؛ فصار ذلك كله في قلوب المسلمين . انتهى .
- ١٠ . ثم إن أهل دمشق هموا أيضاً بنهب اليهود فذهبوا منهم يسيراً، ثم كفوا عنهم . ثم وصل الملك المظفر قطز إلى دمشق مؤيداً منصوراً فأنجبرت بذلك قلوب الرعايا وتضاعف شكرهم لله تعالى . وألتقاه أهل دمشق بعد أن عفا آثار النصارى وخربوا كنائسهم جزاء لما كانوا سلقوه من ضرب النواقيس على رؤوس المسلمين، ودخولهم بالجرم إلى الجامع . وفي هذا المعنى يقول بعض شعراء دمشق :
- ١٥

- (١) في الأصلين : « على المسلمين » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ . (٢) البعاقبة واليعقوبية : هم أتباع « دسقورس » بطريق الاسكندرية ، كان اسمه يعقوب قبل توليته (راجع الكافي لشاروبم بك ج ١ ص ٣٥٤ — ٣٥٥) . (٣) كنيسة مريم، كانت كنيسة عظيمة في جانب دمشق الذي فتحه خالد بن الوليد بالسيف فبقيت بيد المسلمين . وكان ملاصق الجامع كنيسة ، من الجانب الذي فتحه أبو عبيدة بالأمان فبقيت بيد النصارى . فلهاولى الوليد بن عبد الملك الخلافة قرب الكنيسة الملاصقة للجامع وأضافها إليه ولم يعرض النصارى عنها . فلما ولي عمر بن عبد العزيز عوضهم عنها بكنيسة مريم فعمروها عمارة عظيمة ، وبقيت كذلك حتى خربها المسلمون في هذه السنة (عن تاريخ ابن الوردي وتاريخ أبي الفدا إسماعيل) . (٤) كذا في الأصلين : ولعلها أحد قوابه .
- ٢٠

هَلَكَ الْكُفْرُ فِي الشَّامِ جَمِيعًا * وَأَسْتَجَدَّ الْإِسْلَامُ بَعْدَ دُخُوزِهِ
بِالْمَلِكِ الْمَظْفَرِ الْمَلِكِ الْأَرْ * وَبَعِثَ سَيْفَ الْإِسْلَامِ عِنْدَ نَهْزِهِ
مَلِكٌ [جَاءَنَا] ^(١) بَعَزِيمٌ وَحَزِيمٌ * فَأَعْتَرَزْنَا بِسُمْرِهِ وَبِيضِهِ
أَوْجَبَ اللَّهُ شُكْرَ ذَلِكَ عَلَيْنَا * دَائِمًا مِثْلَ وَاجِبَاتِ فُرُوزِهِ

وفي نُصْرَةِ الْمَلِكِ الْمَظْفَرِ هَذَا يَقُولُ الشَّيْخُ شَهَابُ الدِّينِ أَبُو شَامَةَ :

غَلَبَ التَّارُ عَلَى الْبِلَادِ بِغَاهِم * مِنْ مَصْرَ تَرْكِيٍّ يَحِيدُ بِنَفْسِهِ
بِالشَّامِ أَهْلَكَهُمْ وَبَدَّدَ تَمَلُّهُم * وَلِكُلِّ شَيْءٍ آفَةٌ مِنْ جَنْبِهِ

ثُمَّ قَدِمَ الْحَبْرُ عَلَى السُّلْطَانِ بِدِمَشْقَ فِي شَوَّالٍ بَانَ الْمُنْهَزِمِينَ مِنْ رِجَالِ التَّارِ وَنَسَاهُم
لِحَقِّهِمُ الطُّلُبُ مِنَ الْأَمِيرِ رُكْنِ الدِّينِ بَيْبَرَسِ الْبُنْدُوقْدَارِيِّ ، فَإِنَّ بَيْبَرَسَ كَانَ تَقَدَّمَ قَبْلَ
السُّلْطَانِ إِلَى دِمَشْقَ يَتَّبِعُ آثَارَ التَّارِ إِلَى قُرْبِ حَلَبَ ، فَلَمَّا قُرِبَ مِنْهُمْ بَيْبَرَسُ سَبَّحُوا
مَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ أَسَارَى الْمُسْلِمِينَ ، وَرَمَوْا أَوْلَادَهُمْ فَتَخَطَّفَهُمُ النَّاسُ ، وَقَاسَوْا
مِنْ الْبَلَاءِ مَا يَسْتَحْقُونَهُ .

وَكَانَ الْمَلِكُ الْمَظْفَرُ قُطِرَ قَدْ وَعَدَ الْأَمِيرَ بَيْبَرَسَ بِحَلَبَ وَأَعْمَالِهَا ، فَلَمَّا آتَتْهُ عَلَى
التَّارِ أَنْتَقَى عَزَمُهُ عَنْ إِعْطَائِهِ حَلَبَ ، وَوَلَّاهَا لِعَلَاءِ الدِّينِ [عَلَى-أَبْنِ بَدْرِ الدِّينِ لَوْثُ] ^(٢)
صَاحِبِ الْمَوْصِلِ ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ الْوَحْشَةِ بَيْنَ بَيْبَرَسَ وَبَيْنَ الْمَلِكِ الْمَظْفَرِ قُطِرَ .
عَلَى مَا يَأْتِي ذِكْرُهُ .

وَلَمَّا قَدِمَ الْمَلِكُ الْمَظْفَرُ إِلَى دِمَشْقَ أَحْسَنَ إِلَى النَّاسِ وَأَجْرَاهُمْ عَلَى عَوَائِدِهِمْ
وَقَوَاعِدِهِمْ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ يَوْسُفَ . وَسِيرَ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ
صَاحِبُ خِصْمٍ يَطْلُبُ مِنْهُ أَمَانًا عَلَى نَفْسِهِ وَبِلَادِهِ ، وَكَانَ الْأَشْرَفُ أَيْضًا مِمَّنْ أَنْصَافَ

(١) التكملة عن عقد الجمان وتاريخ أبي الفدا إسماعيل وتاريخ ابن الوردي .

(٢) التكملة عن عيون التواريخ والمهمل الصافي وتاريخ أبي الفدا إسماعيل وتاريخ ابن الوردي .

إلى التتار فآمنه وأعطاه بلادَه وأقره عليها؛ فحضر الأشرَف إلى خدمة الملك المظفر ثم عاد إلى بلده . ثم توجه الملك المظفر صاحب حماة إلى حماة على ما كان عليه، وكان حضر مع الملك المظفر قُطز من مصر .

قلت : والملك المظفر قُطز هو أول من ملك البلاد الشامية وأستتاب بهامن ملوك الترك .

- ثم إن الملك المظفر قُطز رتب أمور الشام وأستتاب بدمشق الأمير علم الدين سنجر الحلبي الكبير . ثم خرج المظفر من دمشق عائداً إلى مصر إلى أن وصل إلى القصير^(١)، وبقي بينه وبين الصالحية مرحلة واحدة^(٢)، ورحلت العساكر إلى جهة الصالحية وضرب الدهليز السلطاني بها وبقي المظفر مع بعض خواصه وأمرائه ؛ وكان جماعة قد آتفقا مع الأمير بيبرس البندقداري^(٣) على قتل الملك المظفر : منهم ١٠ الأمير سيف الدين أنص من مماليك [نجم الدين] الرومي الصالحى ، وعلم الدين صغلي^(٤)، و[سيف الدين بلبان] الماروني وغيرهم ؛ كل ذلك ليكنى كان في نفس بيبرس ، لأجل نيابة حلب . وآتفق عند القصير بعد توجه العساكر إلى الصالحية أن ثارت أرب فساق الملك المظفر قُطز عليها، وساق هؤلاء المتفقون على قتله معه، فلما أبعثوا ولم يبق معه غيرهم ، تقدم إليه الأمير بيبرس البندقداري وشفع عنده ١٥ .

(١) القصير، وردت بهذا الاسم أيضاً في كتاب السلوك للقرنيزى ، والمخطوط القرينزية (ج ٢ ص ٣٠١) وبالمبحث تبين لى أن هذه المنزلة هى القرية التى تعرف اليوم باسم الجعافرة إحدى قرى مركز فاقوس بمديرية الشرقية . (٢) فى عيون التواريخ والسلوك للقرينزي : « أنص » بالسین بدل الصاد . (٣) زيادة عن تاريخ ابن الوردى وتاريخ أبى الفدا إسماعيل . (٤) فى تاريخ أبى الفدا إسماعيل : « صغى أغلى » وفى تاريخ ابن الوردى : « طغان أوغل » . (٥) زيادة عن عيون التواريخ والسلوك .

(١) شفاعاً في إنسان فأجابه، فأهوى بيبرس ليقبل يده فقبض عليها؛ وحمل أنص عليه، وقد أشغل بيبرس يده، وضربه بالسيف، ثم حمل الباكون عليه ورموه عن فرسه، ورشقوه بالنشاب فقتلوه؛ ثم حملوا على العسكر وهم شاهرون سيوفهم حتى وصلوا إلى الدهليز السلطاني بالصالحية؛ فتلوا ودخلوا والأتابك^(٢) على باب الدهليز فأخبروه بما فعلوا؛ فقال: من قتل منكم؟ فقال بيبرس: أنا، فقال: يا خوند، اجلس على مرتبة السلطان! يأتي بقية ذلك في أول ترجمة الملك الظاهر بيبرس البندقداري المذكور. إن شاء الله تعالى.

ولما وقع ذلك وبلغ الأمير علم الدين سنجر الحلبي الكبير نائب دمشق عز عليه قتل الملك المظفر، ثم دعا الناس لنفسه وأستحلفهم وتلقب بالملك المجاهد. على ما يأتي ذكره أيضاً. أما الملك المظفر فقطر فاته دفين موضع قتله — رحمه الله تعالى — وكثر أسف الناس وحننهم عليه. قال الحافظ أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي في تاريخه — رحمه الله تعالى — بعد ما سماه ونعته قال:

وكان المظفر أكبر ممالك الملك المعز أيك التركماني، وكان بطلاً شجاعاً مقداماً حازماً حسن التدبير، يرجع إلى دين وإسلام وخير، وله اليد البيضاء في جهاد التتار، فمؤس الله شبابه بالحنّة ورضى عنه. وحكى الشيخ شمس الدين الجزري في تاريخه

(١) رواية السلوك وأبن إياس وعيون التواريخ: «فأخذ بيبرس يد السلطان ليقبها، وكانت إشارة بينه وبين الأمراء فبادره الأمير بكنوت بالسيف». ورواية عقد الجمان وتاريخ أبي الفدا إسماعيل وتاريخ ابن الوردي أن الذي تقدم إليه أنص وشفع عند قطز في إنسان فأجابه إلى ذلك فأهوى ليقبل يده وقبض عليها فحمل عليه بيبرس البندقداري وضربه بالسيف.

(٢) هو فارس الدين أقطاي المستعرب. وراجع الحاشية رقم ٢ ص ٤٣ من هذا الجزء.

(٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٣٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة.

- عن أبيه، قال : كان قُطْرُ في رِقِّ ابن الزعيم ^(١) بِدَمَشْق في القَصَّاعين ^(٢) ، فضر به أستاذَه فبكى ولم يأكل شيئاً يومَه ، ثم ركب أستاذَه لخدمه وأمر الفراش أن يترضاه ويُطعمه ، قال : فحدثني الحاجّ على - الفراش قال : بختته وقلت : ما هذا البكاء من لُطْشَة ؟ فقال : إنّما بكأني من لعنة أبي وجَدَي وهم خيرٌ منه ، فقلت : مَنْ ^(٣) أبوك ؟ واحد كافر ! فقال : والله ما أنا إلا مسلم ابن مسلم ، أنا محمود بن ممدود .
- آبن أخت خوارزم شاه من أولاد الملوك ، فسكّته وترضّيته . وتنقلت به الأحوال إلى أن تملك مصر ، ولما تملك أحسن إلى الحاجّ على - الفراش المذكور ، وأعطاه خمسمائة دينار وعَمِلَ له راتباً . قال الذهبي - أيضاً : ولما تسلطن لم يتلّع ريقه ولا تنهى بالسلطنة حتى آمنت لأت الشامات المباركة بالتّار ، ثم ساق الذهبي - أمره مع التّار بنحو ما حكيناه .

١٠

- وقال الشيخ قُطْب الدين : حكي عن الملك المظفر قُطْر أنه قُتِلَ جَوَادُه يوم القتال مع التّار ، ولم يصادف المظفر أحدٌ من الأوشاقية ^(٤) فبقى راجلاً ، فراه بعض الأمراء الشُّجْعَان فترجل له وقدم له حصانه ، فأمتنع المظفر من ركوبه وقال : ما كنتُ لأمنع المسلمين الانتفاع بك في هذا الوقت ! ثم تلاحت الأوشاقية إليه .
- وقال آبن الجَزْري - في تاريخه : حدثني أبي قال حدثني أبو بكر بن الدُرَيْم الإسعديّ - ^(٥) والركي إبراهيم أستاذ الفارس أقطاي قالوا : كنّا عند سيف الدين قُطْر لما تسلطن أستاذَه الملك المِيزَاتِيك التركانيّ ، فأمرنا قُطْر بالقيود ، ثم أمر المنعجم فضرب الزمل ،

١٥

(١) عبارة عقد الجمان : « وحكى ابن أبي الفوارس قال : كان هذا قطر مملوكاً لابن العديم أو قال لابن الزعيم رجل من دمشق » . (٢) القصاصين : درب بدمشق حذاء سوق الفسقار وأسمه اليوم سوق مدحت باشا (عن تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٢١٥) . (٣) في عقد الجمان : « محمود بن مودود » . (٤) في الأصلين : « الأوشاقية » والأوشاقية كما في السلوك ص ٤٣٣ . ويقال : (أوجاقية كما في صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٤) وهو لقب الذي يتولى ركوب الخيل للتسيير والرياضة .

٢٠

ثم قال له قُطْرُ : اضرب لمن يَمْلِكُ بعد أستاذي الملك المعزأيك، ومن يكسر التتار،
فضرب وبقى زماناً يحسب ، فقال : يطلع معي خمس حروف بلا تقط . فقال له
قُطْرُ : لم لا تقول محمود بن ممدود ، فقال : ياخوند لا ينفع غير هذا الأسم ، فقال :
أنا هو ، أنا محمود بن ممدود ، وأنا أكسر التتار وأخذ بثأر خالي خوارزم شاه ، فتمجبتنا
من كلامه ، وقلنا : إن شاء الله يكون هذا ياخوند ، فقال : آكتموا ذلك ، وأعضي
المنجم ثلثمائة درهم .

قلت : ونقل الشيخ قطب الدين البونيني في تاريخه الذي ذيله على مرآة الزمان ،
فقال في أمر المنجم غير هذه الصورة . وسند كرها في سياق كلام قطب الدين
المذكور . قال (أعني قطب الدين) : كان المظفر أخص ممالك الملك المعز
وأقربهم إليه وأوثقهم عنده . وهو الذي قتل الأمير فارس الدين أقطاي الجمدار .
قال : وكان الملك المظفر بطلاً شجاعاً مقداماً حازماً حسن التدبير لم يكن يوصف
بكرم ولا شج بل كان متوسطاً في ذلك ، وذكر حكايته لما أن قُتل جواده يوم الوقعة
بغير ما حكيناه ، لكنه زاد بأن قال : فلام المظفر بعض خواصه على عدم ركوبه ،
وقال : ياخوند — لو صادفك ، والعياذ بالله تعالى — بعض المفل وأنت راجل
كنت رحت وراح الإسلام ! فقال : أما أنا فكنت رحت إلى الجنة — إن شاء
الله تعالى — وأما الإسلام فما كان الله ليضيعه ؛ فقد مات الملك الصالح نجم الدين
أيوب ، وقُتل بعده ابنه الملك المعظم توران شاه ، وقُتل الأمير نغر الدين ابن الشيخ
مقدم العساكر يوم ذاك ، ونصر الله الإسلام بعد اليأس من نصره ! (يعني عن نوبة
أخذ الفرنج ديباط) . ثم قال قطب الدين ، بعد ما ساق توجهه إلى دِمَشق
وإصلاح أمرها إلى أن قال : وقُتل الملك المظفر قُطر مظلوماً بالقرب من القُصير .
وهي المنزلة التي بقرب الصالحية ، وبقى مُلقً بالعرّاء فدفنه بعض من كان في خدمته

١٥

٢٠

- بالْقَصِير ، وكان قبره يُقصد للزيارة دائماً . قال : وأجترتُ به في شهر رمضان سنة تسع وخمسين وستمائة ، وترحمتُ عليه وزُرْتُهُ . وكان كثيرَ الترحُّم عليه والدعاء على مَنْ قتلَه . فلَمَّا بلغ بَيْتِس ذلك أمرَ بَنِيْشَه ونقله إلى غير ذلك المكان وعُفِّي أثرُه ، ولم يُعَفَّ خبرُه — رحمه الله تعالى وجزاه عن الإسلام خيراً — قال : ولم يُخْلَف ولداً ذكراً ، وكان قتلُه يوم السبت سادس عشر ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة .
- قلت : فعلى هذا تكون مدة سلطنة الملك المظفر قُطْز سنةً إلّا يوماً واحداً ، فإنه تسلطن في يوم السبت سابع عشر ذى القعدة من سنة سبع وخمسين وستمائة ، وقُتِل فيما نقله الشيخ قطب الدين في يوم السبت سادس عشر ذى القعدة من سنة ثمان وخمسين وستمائة . انتهى . قال : حَكَى لى المولى علاء الدين بن غانم في عُرة شوال سنة إحدى وتسعين وستمائة ببعلبك ، قال : حدثنى المولى تاج الدين أحمد ابن الأثير — تفعمده الله برحمته — ما معناه : أن الملك الناصر صلاح الدين يوسف — رحمه الله — لما كان على برزة في أواخر سنة سبع وخمسين وصله قُصَادٌ من الديار المصرية بكتب يُخبرونه فيها أن قُطْز تسلطن وملك الديار المصرية وقبض على ابن أستاذَه ، قال المولى تاج الدين — رحمه الله — : فطلبني السلطان الملك الناصر قرأت عليه الكتب ، وقال لى : خذ هذه الكتب ورح إلى الأمير ناصر الدين القيمرى ، والأمير جمال الدين بن يغمور أوقف كلا منهما عليها ، قال : فأخذتها

- (١) في السلوك للقرى (ص ٤٣٥) : « وحمل قطز بعد ذلك إلى القاهرة فدفن بالقرب من زاوية الشيخ تقي الدين قبل أن تممر ، ثم قله الحاج قطز الظاهرى إلى القراة ودفن قريبا من زاوية ابن عبود . »
- (٢) هو أحمد بن سعيد بن محمد صاحب تاج الدين بن الأثير الحلبى الموقع . وأولاد ابن الأثير هؤلاء غير بنى الأثير الموصلين . باشر الإنشاء بدمشق ثم بمصر للظاهر بيبرس . توفي سنة ٦٧١ هـ .
- (٣) هو الأمير ناصر الدين أبو المعالى حسين بن عزيز بن أب القوارس القيمرى . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٦٥ هـ . (٤) هو موسى بن يغمور بن جلدك البازوقى ، كان من جملة الأمراء ونواب عن السلطان بمصر ودمشق . وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٦٣ هـ .

وخرجت فلما بُدِئَتْ عن الدهليز لقيني حسام الدين البركة خاني وسلم على^(١)، وقال :
 جاءكم يرِيدُ أو قُصَادُ من الديار المصرية ؟ فوزيتُ وقلت : ما عندى علمُ بشيء
 من هذا ، قال : قُطِرَ تسلطن وتملك الديار المصرية ويكسر التتار ؛ قال تاج الدين :
 فبقيت متعجبا من حديثه ، وقلت له : إيش هذا القول ، ومن أين لك هذا ؟
 قال : والله هذا قُطِرَ خُشْدَاشِي ، كنت أنا وإياه عند الهيجاوي من أمراء مصر^(٢)
 ونحن صبيان ، وكان عليه قُلٌّ كثير ، فكنت أُسَرِّحُ رأسه على أتني كلما أخذت
 منه قِيلةً أخذت منه قلسا أو صفعته ، ثم قلت في غضون ذلك : والله ما أشتهي
 إلا أن الله يرزقني إمرة خمسين فارسا ، فقال لي : طيب قلبك ، أنا أعطيك إمرة
 خمسين فارسا ، فصفعته وقلت : أنت تعطيني إمرة خمسين ! قال : نعم فصفعته ،
 فقال لي : وألك علة ! إيش يلزم لك إلا إمرة خمسين فارسا ؟ أنا والله أعطيك ،
 قلت : ويلك ! كيف تُعطيني ؟ قال : أنا أملك الديار المصرية ، وأكسر التتار^(٣)
 وأعطيك الذي طلبت ، قلت : ويلك أنت مجنون ! أنت بقمك تملك الديار
 المصرية ؟ قال : نعم ، رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وقال لي : أنت تملك
 الديار المصرية وتكسر التتار ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم حق لا شك فيه ،
 قال : فسكتُ وكنت أعرف منه الصدق في حديثه وعدم الكذب . قال تاج الدين :
 فلما قال لي هذا ، قلت له : قد وردت الأخبار بأنه تسلطن ، قال لي : والله
 وهو يكسر التتار . قال تاج الدين : فرأيت حسام الدين البركة خاني — الحاكي
 ذلك — بالديار المصرية بعد كسر التتار فسلم على^(٤) ، وقال : يامولاي تاج الدين ،

(١) في الأصلين : « حسام الدين البركة خاني » . وفي شذرات الذهب : « البردخاني » .

(٢) والتصويب عن عقد الجمان وعيون التواريخ والسلوك . (٣) هوركن الدين الهيجاوي ، كان

من الأمراء زمن الملك الكامل . راجع حوادث سنة ٦٣٦ هـ .

(٤) في الأصلين هنا وما ساقى بعد قليل : « والى » . وما أئبناه عن شذرات الذهب .

تَدُّكُرُ مَا قُلْتُ لَكَ فِي الْوَقْتِ الْفُلَانِي؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : وَاللَّهِ حَالِيَا عَادَ الْمَلِكُ
النَّاصِرُ مِنْ قَطِيَا دَخَلْتُ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ أُعْطَانِي إِمْرَةً نَحْسِينَ فَارْسًا كَمَا قَالَ ، لَا زَائِدَ
عَلَى ذَلِكَ . قَالَ : وَحَكَى لِي عِزُّ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْهَيْجَاءِ مَا مَعْنَاهُ : أَنَّ سَيْفَ الدِّينِ
بُلْفَاقَ حَدَثَهُ أَنَّ الْأَمِيرَ بِدْرَ الدِّينِ بَكْتُوتَ الْأَنْتَابِيَّ ، حَكَى لِي قَالَ : كُنْتُ أَنَا وَالْمَلِكُ
الْمُظْفَرُ قُطْرُ وَالْمَلِكُ الظَّاهِرُ يَبْرِسُ — رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى — فِي حَالِ الصَّبَا كَثِيرًا
مَا نَكُونُ مَجْتَمِعِينَ فِي رُكُوبِنَا وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَاتَّفَقَ أَنَّ رَأَيْنَا مُتَجَمًّا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ
بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ الْمُظْفَرُ قُطْرُ : أَبْصِرْ نَجْمِي ، فَضَرَبَ بِالزُّمْلِ وَحَسَبَ
وَقَالَ : أَنْتَ تَمْلِكُ هَذِهِ الْبِلَادَ وَتَكْثِرُ التَّارَ ، فَشَرَعْنَا نَهْزَأُ بِهِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ الْمَلِكُ
الظَّاهِرُ يَبْرِسُ : أَبْصِرْ نَجْمِي ، فَقَالَ : وَأَنْتَ أَيْضًا تَمْلِكُ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ وَغَيْرَهَا ،
فَتَرِيدَ اسْتِهْزَاؤًا بِهِ ، ثُمَّ قَالَ لِي ، لَا بَدَّ أَنْ تَبْصُرَ نَجْمَكَ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَبْصِرْ لِي نَجْمِي ،
فَحَسَبَ وَقَالَ : أَنْتَ تَخْلُصُ لَكَ إِمْرَةً مِائَةَ فَارَسٍ ، يُعْطِيكَ هَذَا ، وَأَشَارَ إِلَى الْمَلِكِ
الظَّاهِرِ ، فَاتَّفَقَ أَنْ وَقَعَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ ، وَلَمْ يُحْرَمَ مِنْهُ شَيْءٌ . وَهَذَا مِنْ عَجِيبِ
الْإِتِّفَاقِ . انْتَهَتْ تَرْجُمَةُ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ قُطْرُ . وَيَأْتِي ذِكْرُ حَوَادِثِهِ عَلَى عَادَةِ هَذَا
الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

١٥



السَّنَةُ الَّتِي حَكَمَ فِيهَا الْمَلِكُ الْمُظْفَرُ قُطْرُ عَلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَهِيَ سَنَةُ
ثَمَانٍ وَنَحْسِينَ وَسِتَّمِائَةً عَلَى أَنَّهُ حَكَمَ مِنْ سَنَةِ سَبْعِ شَهْرَيْنِ وَقَتْلٍ قَبْلَ انْقِضَاءِ السَّنَةِ
أَيْضًا بِشَهْرَيْنِ .
فِيهَا كَانَتْ كَاسْنَةُ التَّارَ مَعَ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ قُطْرُ وَغَيْرِهِ ، حَسَبَ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرَهُ مِنْ
أَنَّهُمْ مَلَكَوا حَلَبَ وَالشَّامَ ثُمَّ رَحَلُوا عَنْهَا .

٢٠

(١) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْهَيْجَاءِ بْنِ مُحَمَّدِ الْأَمِيرِ الْفَاضِلِ عَزَّ الدِّينَ الْهَذْبَانِي الْإِرْبِلِي الشَّيْخِي الرَّافِضِي وَالِي
دِمَشْقَ . تَوَفَّى سَنَةَ ٥٧٠٠ هـ (عَنِ الْمُهَلِّ الصَّافِي) .

وفيهما غلت الأسعار بالبلاد الشامية .

وفيهما تُوُفِّيَ الملك السعيد نجم الدين إيلغازى ابن الملك المنصور ناصر الدين
أبى المظفر أرتُق بن أرسلان بن نجم الدين إيلغازى ابن آلى بن تيمرتاش بن إيلغازى
ابن أرتُق ، السلطان أبو الفتح صاحب مَازدين . كان ملكا جليلا كبير القدر شجاعا
جَوَادًا حازما مُمَدِّحا . مات فى ذى الحجة ، وملك مازدين بعده أبنه الملك المظفر
رحمه الله .

وفيهما تُوُفِّيَ الملك المعظم نحر الدين أبو المفاخر تُوْران شاه ابن السلطان صلاح الدين
يوسف بن أيوب ، كان قد كَثُرَتْ سِنُهُ وصار كبير البيت الأيوبي ، وكانت نفسه
لا تُحَدِّثُهُ بالوثوب على الأمر ، فلذلك عاش عيشا رَغَدًا وطال عمره . وكان الملك
الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام يُعَظِّمُهُ ويحترمه ويتَّقَى به . وهو غير الملك
المعظم تُوْران شاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب . وقد تقدَّم قتلُ هذاك فى كائنة
دُمياط ، وعُدَّ أيضا من ملوك مصر . وتوران شاه هذا هو ابن عم الملك الكامل
محمد جدُّ تُوْران شاه هذاك . وهو أيضا غير تُوْران شاه ابن الملك الكامل محمد
المعروف بأقسيس^(٢) . انتهى . ومولد تُوْران شاه هذا بالقاهرة فى سنة سبع وسبعين
ونعمائة ومات فى شهر ربيع الأول من هذه السنة بحلب .

وفيهما قُتِلَ الأمير كَتَبْغَانُوين مقدم عساكر التتار الذى قُتِلَ فى الوقعة التى كانت
بينه وبين المظفر قُطُز بعين جالوت المقدم ذكرها . كان كَتَبْغَانُوين عظيماً عند

(١) فى المنهل الصافى والبلوك : « الملك السعيد إيلغازى ابن المنصور أرتُق بن إيلغازى ... الخ »
بإسقاط كلمة « ابن أرسلان » . (٢) قد تقدَّم فى الجزء السادس فى غير موضع أن ابن الملك
الكامل المسمى بأقسيس هو الملك المسعود صلاح الدين أبو المظفر يوسف ابن الملك الكامل صاحب اليمن ،
ولم يسم بتوران شاه كما ذكره المؤلف هنا .

التَّارَ يعتمدون على رأيه وشجاعته وتدييره، وكان بطلاً شجاعاً مقداماً خبيراً بالحروب وأفتاح الحصون والأسبلاء على الممالك، وهو الذي فتح معظم بلاد العجم والعراق . وكان هولاء كوكب التَّار يثق به ولا يخالفه فيما يُشير إليه ويتبرك برأيه . يُحكى عنه عجائب في حروبه ، وكانت مقتله في يوم الجمعة خامس عشرين شهر رمضان في المصاف على عين جالوت .

قلت : إلى سقر وبئس المصير، ولقد استراح الإسلام منه ، فإنه شرَّ عصابة على الإسلام وأهله . والله الحمد على هلاكه .

وفيهما تُوفِّي الملك المظفر أبو المعالي ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر غازي بن أبي بكر محمد العادل بن أيوب صاحب ميّافارقين وتلك البلاد . ملكها في سنة خمس وأربعين وستمائة عقيب وفاة والده، [و] دام في الملك سنين إلى أن جفَلَ من التَّار بعد أن كان يُداريهم سنين ، وقَدِم على الملك الناصر صلاح الدين يوسف بدمشق واستنجده على التَّار فوعده الناصر بالنجدة ، وآخر الأمر أنه رجع إلى بلاده ، وحصره التَّار بها نحو ستين حتى استشهد بأيديهم — رحمه الله تعالى وعفا عنه — .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها تُوفِّي واستشهد بحلب خلائق لا يُحصىون؛ منهم ، إبراهيم بن خليل الأديمي . والرئيس أبو طالب عبد الرحمن ابن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن العجمي ، تحت عذاب التَّار . ويدمشق عبد الله ابن بركات بن إبراهيم [المعروف بابن] الخشوعي في صفر . واليهاد عبد الحميد بن عبد الهادي المقدسي في شهر ربيع الأول عن خمس وثمانين سنة . والملك المعظم

(١) في الأصلين : « ابن أبي بكر بن محمد العادل » . والتصويب عن السلوك وشذرات الذهب والمنهل الصافي . (٢) في الأصلين : « ملكها في سنة اثنتين وأربعين وستمائة » وهو خطأ ، والتصويب عن شذرات الذهب والمنهل الصافي وما يفهم من السلوك . (٣) الزيادة عن ميون التواريخ وشذرات الذهب .

تُورَان شاه ابن السلطان صلاح الدين في شهر ربيع الأول، وله إحدى وثمانون سنة.
والشمس محمد بن عبد المهدى أخو العماد بقريه ساوية^(١) [من عمل نابلس]
شهيدا . وقاضى القضاة صدر الدين أحمد ابن شمس الدين أبي البركات يحيى بن
هبة الله بن منى الدولة بيبعلبك^(٢) ، وقد قارب السبعين في جمادى الآخرة . وأبو الكرم
لاحق بن عبد المنعم الأرتاحي^(٣) بالقاهرة ، وله خمس وثمانون سنة . والحافظ المفيد
محب الدين عبد الله بن أحمد المقدسي . والفقيه الكبير أبو عبد الله محمد بن أبي الحسين
[أحمد] بن عبد الله اليونيني^(٤) في رمضان ، وله سبع وثمانون سنة في المحرم . والحافظ^(٥)
البليغ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضايعي البليسي^(٦) الكاتب المعروف
بالآبار بتونس مقتولا . والملك الكامل الشهيد ناصر الدين محمد ابن المظفر شهاب
الدين غازي بن العادل . والملك المظفر الشهيد سيف الدين قطز في ذى القعدة ،
فتكوا به في الرمل . وصاحب الصبيبة الملك السعيد حسن بن العزيز عثمان بن
العادل ، قُتِلَ صَبْرًا يوم عَيْن جالوت بأمر الملك المظفر . وفي آخرها صاحب مَرْدِين
الملك السعيد نجم الدين إيلغازي بن أرتق . والملك كَتَبْغَانُويْن رأس التتار يوم عَيْن

- (١) في الأصلين : « بقريه شارية » . وما أثبتناه عن شذرات الذهب وشرح القصيدة اللامية
في التاريخ والمنهل الصافي . (٢) في الأصلين : « ابن شمس الدين بن أبي البركات » وتصحيحه
عن شذرات الذهب وطبقات الشافعية والمنهل الصافي والسلوك . (٣) في الأصلين : « وقد
قارب الستين » . والتصويب عن عقد الجمان والسلوك وعيون التواريخ وشذرات الذهب والمنهل الصافي .
(٤) في الأصلين : « الأرياحي » . والتصحيح عن شذرات الذهب وشرح القصيدة اللامية
في التاريخ وما تقدم ذكره لؤلف في حوادث سنة ٦٠١ هـ . (٥) زيادة عن شذرات الذهب
وتذكرة الحفاظ والسلوك . (٦) اليونيني : نسبة إلى يونين من قرى بعلبك .
(٧) في شذرات الذهب وعقد الجمان وتذكرة الحفاظ : « في تاسع عشر رمضان » .
(٨) في الأصلين : « النسي » . والتصحيح عن تذكرة الحفاظ وشذرات الذهب .

جالوت ، قتله آقوش الشَّمْسِيَّةُ ^(١) . وحُسام الدين محمد بن أبي علي - المَدَبَانِي - نائب السلطنة بمصر . والأمير مُجِير الدين إبراهيم [بن أبي بكر ^(٢)] بن أبي زكري بن بُلُس شهيداً بعد أن قَتَلَ جماعة .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وست عشرة إصبعا .

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وإحدى عشرة إصبعا .

(١) هو آقوش بن عبد الله الشمسي الأمير جمال الدين أصله من مالِك الأمير شمس الدين سنقر الأشقر . توفي سنة ٦٧٨ هـ (عن المنهل الصافي) . (٢) تقدّم في الجزء السادس من هذه الطبعة في غير موضع باسم « حسام الدين بن أبي علي » . وفي كتاب أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء تأليف محمد راغب بن محمود بن هاشم الطباخ الحلبي : « أبو علي بن محمد الأمير أبي علي بن باسك الأمير الكبير حسام الدين الفزياني المعروف بابن أبي علي » . (٣) الكلمة عن عيون التواريخ والمنهل الصافي .

ذكر سلطنة الملك الظاهر بيبرس البندقدارى^(١) على مصر
السلطان الملك القاهر ثم الظاهر ركن الدين أبو الفتوح بيبرس بن عبد الله
البندقدارى الصالحى النجى الأيوبي التركى، سلطان الديار المصرية والبلاد
الشامية والأقطار الحجازية، وهو الرابع من ملوك الترك. مولده فى حدود العشرين
وسمائه بصحراء القبحاق^(٢) تخميناً والقبحاق قبيلة عظيمة فى الترك، وهو (بكسر القاف^(٤))
وسكون الباء ثمانية الحروف وفتح الجيم ثم ألف وقاف ساكنة)، وبيبرس (بكسر الباء
الموحدة ثمانية الحروف وسكون الياء المثناة من تحتها ثم فتح الباء الموحدة وسكون
الراء والسين المهملين) ومعناه باللغة التركية: أمير فهد. انتهى.

قلت: أخذ بيبرس المذكور من بلاده وأُبيع بدمشق للعهاد الصائغ. ثم اشتراه
الأمير علاء الدين أيديكين الصالحى البندقدارى^(٣) وبه سُمى البندقدارى.

قلت: والعجيب أن علاء الدين أيديكين البندقدارى المذكور عاش حتى صار
من جملة أمراء الظاهر بيبرس هذا. على ما سياتى ذكره مفصلاً — إن شاء الله
تعالى — حكى شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز الأنصارى^(٥) الحموى قال:

(١) البندقدارى: نسبة إلى البندقدار، وهو لفظ فارسي مركب معناه حامل جراحة أى كيس البندق
خلف الأمير أو السلطان، وقد سُمى بيبرس هذا باسم البندقدارى لأنه كان فى أول أمره ملوكاً لا مير أيديكين
البندقدار، ثم انتقل إلى الملك الصالح نجم أيوب وصار من مماليكه البحرية (عن صبح الأعشى ج ٥
ص ٤٥٨ وعن الحاشية رقم ٢ ص ٣٥٠ من كتاب السلوك). (٢) فى العقد الثمين والمهل الصافى
والذيل على مرآة الزمان: «أبو الفتح». (٣) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٥٥ من
الجزء السادس من هذه الطبعة. (٤) ضبطه صاحب صبح الأعشى (ج ٤ ص ٤٥٦) بالعبارة
قَالَ: (بفتح القاف... الخ). (٥) هو شيخ الشيوخ صاحب شرف الدين عبد العزيز
ابن محمد بن عبد المحسن بن منصور الأنصارى الأوسى الدمشقى الشافى. سيذكر المؤلف فى حوادث
سنة ٨٦٦٢ هـ.

كان الأمير علاء الدين البندقدارى الصالحى لما قبض عليه وأُحْضِرَ إلى حَمَاةٍ (١) وأُعْتَقِلَ بِجَامِعِ قَلْعَتِهَا أَتَفَقَ حَضُورَ رُكْنِ الدِّينِ بَيْرَسَ مع تاجر، وكان الملك المنصور (٢) (بمعنى صاحب حماة) إذ ذاك صبيًا وكان إذا أراد شراء رقيق تُبَيِّرُهُ الصاحبة والدته، فأُحْضِرَ بَيْرَسَ هذا مع آخر فرأتهما من وراء الستر فأمرت بشراء خُشْدَاشِهِ ، وقالت : هذا الأسمر لا يكون بينك وبينه معاملة فإن في عينه شرًّا لا تخاف فردتهما جميعا ؛ فطلب البندقدارى الغلامين يعني بَيْرَسَ ورفيقه فأشتراهما وهو مُعْتَقَلٌ ، ثم أُفْرِجَ عنه فصار إلى مصر؛ وآل أمر ركن الدين إلى ما آل .

وقال الذهبي : اشتراه الأمير علاء الدين البندقدارى الصالحى فطلع بطلا شجاعا نجيبًا لا ينبغي [أن] يكون إلا عند ملكٍ ، فأخذه الملك الصالح منه . وقيل : بقي بَيْرَسُ المذكور في ملك البندقدارى حتى صادره أستاذه الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وأخذ بَيْرَسَ هذا فيما أخذه منه في المصادرة في شهر شوال سنة أربع وأربعين وستمائة . قلت : وهذا القول هو المشهور .

ولما اشتراه الملك الصالح أعتقه وجعله من جملة مماليكه ، وقدمه على طائفة الجندارية لما رأى من فطنته وذكائه؛ وحضر مع أستاذه الملك الصالح واقعة دِمَياط . وقال الشيخ عز الدين عمر بن علي بن إبراهيم بن شتاد : أخبرني الأمير بدر الدين بَيْرَسُ الشَّمْسِيُّ (٣) أن مولد الملك الظاهر بأرض القُبْجَاق سنة خمس وعشرين وستمائة

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٧ من هذا الجزء . (٢) في الأصلين : « يعني عن

صاحب حماة » . (٣) هو بَيْرَسُ بن عبد الله الشمسى الصالحى الأمير بدر الدين ، كان من

أعيان الأمراء بالديار المصرية ، وكان أحد من رشح للسلطة لما قتل الملك الأشرف خليل بن قلاوون .

توفي سنة ٦٩٨ هـ . وبَيْرَسُ : اسم مركب من لفظة تركية ولفظة أعجمية ، وصوابه : « باى سرى »

فباى باللغة التركية بالتضخيم هو السعيد . وسرى باللغة الأعجمية الرأس ، فعناه رأس سعيد (عن المنهل

الصافى في ترجمة بَيْرَسُ) .

تقريباً . وسبب أنتقاله من وطنه إلى البلاد أن التار لما أزمعوا على قصد بلادهم سنة تسع وثلاثين وستمائة ، وبلغهم ذلك ، كاتبوا أنس خان ملك أولاق^(١) أن يعبروا ببحر صوداق^(٢) إليه ليحيرهم من التار ، فأجابهم إلى ذلك وأزلهم وادياً بين جبلين ، وكان عبورهم إليه في سنة أربعين وستمائة ، فلما أطعمت بهم المقام غدر بهم وشن الغارة عليهم ، فقتل منهم وسبي . قال بيسرى : وكنت أنا والملك الظاهر فيمن أسير ، قال : وكان عمره إذ ذاك أربع عشرة سنة تقديراً ، فبيع فيمن يبيع وحمل إلى سيواس^(٣) ثم أفرقنا واجتمعنا في حلب في خان ابن فليج ثم أفرقنا ، فاتفق أن نحمل إلى القاهرة فبيع على الأمير علاء الدين أيديكين البندقدارى وبق في يده إلى أن أنتقل عنه بالقبض عليه في حملة ما أسترجه الملك الصالح نجم الدين أيوب منه ، وذلك في شوال سنة أربع وأربعين وستمائة .

قلت : وهذا القول مطابق لقولنا الذى ذكرناه . قال : ثم قدمه الملك الصالح على طائفة الجندارية . انتهى .

وقال غيره : ولما مات الملك الصالح نجم الدين أيوب وملك بعده ابنه الملك المعظم توران شاه وقيل^(٥) وأجمعوا على الأمير عز الدين أيبك الترمكاني وولوه الأتابكية ،

(١) أولاق (ويقال لم البرغال) : جنس معروف [من التركان] (عن صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٦٤) .
 (٢) صوداق ، بالصاد (وقد أوردها المؤلف بالسين المهملة) : في ذيل جبل على شط بحر القرم وأرضها محجر ، وهي بلدة مسورة وهي فرخة التجار (راجع تقويم البلدان وصبح الأعشى ج ٤ ص ٤٦٠) .
 (٣) سيواس (بكر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحت) : إقليم الروم ، وهي بلدة كبيرة مشهورة فيها وبين قيسارية ستون ميلاً (من تقويم البلدان) . (٤) ذكر المؤلف فيما تقدم أنه بيع بدمشق ، وروى المؤلف رواية أخرى حكاه عن شيخ الشيخ شرف الدين عبد العزيز المتقدم أنه بيع بحماة ، وروى هنا عن الأمير بيسرى أنه بيع بالقاهرة فتقول المؤلف : « وهذا القول مطابق لقولنا الذى ذكرناه » يخالف الروایتين السابقتين له . (٥) كان أول من ضرب الملك المعظم توران شاه بالسيف في فارسكور بيرس البندقدارى (راجع حوادث قتل في سنة ٦٤٨ هـ من الجزء السادس من هذه الطبعة والسلوك ص ٣٥٨ — ٣٦١) .

- ثم أَسْتَقْلَ بِالْمُلْكِ وَقَتَلَ الْأَمِيرَ فَارِسَ الدِّينَ أَقْطَاىَ الْجَدَّارَ، رَكِبَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ
بَيْرُسَ هَذَا وَبِالْبَحْرِيَّةِ وَقَصَدُوا قَلْعَةَ الْجَبَلِ ؛ فَلَمَّا لَمْ يَنَالُوا مَقْصُودَهُمْ خَرَجُوا مِنْ
الْقَاهِرَةِ بِمَاجِرِينَ بِالْعِدَاوَةِ لِلْمَلِكِ الْمُعْزَى أَيْكَ التُّرْكُمَانِي وَمُهَاجِرِينَ إِلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ
صَلَاحِ الدِّينِ يَوْسُفَ [أَبْنِ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ مُحَمَّدِ بْنِ الظَّاهِرِ غَازِيِ بْنِ السُّلْطَانِ
صَلَاحِ الدِّينِ يَوْسُفَ بْنِ أَيُّوبَ] صَاحِبِ الشَّامِ . وَهُمْ : الْمَلِكُ الظَّاهِرُ بَيْرُسُ هَذَا ،
وَسَيْفُ الدِّينِ بَلْبَانَ الرَّشِيدِي ، وَعِزُّ الدِّينِ أَزْدَمُ السِّنِّي ، وَشَمْسُ الدِّينِ سُنْقُرُ
الرُّومِي ، وَشَمْسُ الدِّينِ سُنْقُرُ الْأَشْقَرِ ، وَبَدْرُ الدِّينِ بَيْسَرَى الشَّعْبِي ، وَسَيْفُ الدِّينِ
فَلَاوُونَ الْأَلْفِي ، وَسَيْفُ الدِّينِ بَلْبَانَ الْمُسْتَعْرِبِ وَغَيْرُهُمْ ؛ فَلَمَّا شَارَفُوا دِمَشْقَ سِيرَ
إِلَيْهِمُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ طَيْبَ قُلُوبِهِمْ ، فَبَعَثُوا نَحْرَ الدِّينِ إِيَّازَ الْمُقَرِّيَّ يَسْتَحْلِفُهُ لَهُمْ
خَلْفَ النَّاصِرِ لَهُمْ وَدَخَلُوا دِمَشْقَ فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ
وَنَحْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، فَأَكْرَمَهُمُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ صَاحِبُ الدِّينِ وَأَطْلَقَ لِلْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَيْرُسَ
ثَلَاثِينَ أَلْفَ دَرَاهِمَ ، وَثَلَاثَةَ قُطْرِيَّالٍ وَثَلَاثَةَ قَطْرِ حِمَالٍ وَمَلْبُوسًا ، وَفَرَقَ فِي بَقِيَّةِ
الْجُمَاعَةِ الْأَمْوَالَ وَالْخَلَعَ عَلَى قَدَرِ مَرَاتِبِهِمْ . وَكَتَبَ الْمَلِكُ الْمُعْزَى أَيْكَ إِلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ
يُحَدِّثُهُ مِنْهُمْ وَيُفَرِّغُهُ بِهِمْ ، فَلَمْ يُصْنَعْ إِلَيْهِ النَّاصِرُ ، وَدَامَ عَلَى إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ . وَكَانَ
عَيْنَ النَّاصِرِ لِيَبْرُسَ إِقْطَاعًا بِحَلَبَ ، فَطَلَبَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ بَيْرُسَ مِنَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ
أَنْ يُعَوِّضَهُ عَمَّا كَانَ لَهُ بِحَلَبَ مِنَ الْإِقْطَاعِ بِجَبِينِينَ وَزَرْعِينَ فَأَجَابَهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ إِلَى

(١) التَّكْلَةُ عَنْ عَقْدِ الْجَمَانِ وَشَذَرَاتِ الذَّهَبِ . (٢) هُوَ إِيَّازُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصَّالِحِي النُّجُمِي الْأَمِيرُ

نَحْرُ الدِّينِ الْمَعْرُوفُ بِالْمُقَرِّيِّ ، أَحَدُ أَكْبَرِ الْأَمْرَاءِ بِالْأَنْدَالِ وَالْمِصْرَةِ . تَوَفَّى سَنَةَ ٦٨٧ هـ (عَنْ الْمُتَلِّ السَّاقِي) .

(٣) جَبِينِينَ : بَلَدٌ قَدِيمَةٌ مُسَمَّاةٌ ، وَهِيَ مَرْكَبَةٌ عَلَى كَتِفِ وَادٍ لَطِيفٍ بِهَنْدِ مَاءٍ يَجْرِي ، وَهِيَ فِي الشَّامِ

عَنْ قَافُونَ عَلَى نَحْوِ مَرَجَةٍ فِي رَأْسِ مَرَجٍ بَنِي عَامِرٍ ، وَبِهَا مَقَامُ دُحْيَةِ الْكَلْبِيِّ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(عَنْ صَبِيحِ الْأَعْمَشِيِّ ج ٤ ص ١٥٤) . (٤) كَذَا فِي الْأَمْلِيْنَ وَالسُّلُوكِ (ص ٨١)

وَالذَّيْلُ عَلَى مَرَاةِ الزَّمَانِ ، وَلَمْ تَقَفْ عَلَى مَوْقِعِهَا غَيْرَ أَنْتَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ فَلَسْطَيْنِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِاسْتِرَاجَاحِ

ص ٤٤١ أَنَّهَا تَقَعُ مَا بَيْنَ قَدَاةِ الْقَوْلَةِ النَّاصِرَةِ . هُمَا مَدَنَانِ ذَاتَا مَدَنَانِ .

ذلك ؛ فتوجه بيبرس إليها وعاد ، فاستشعر بيبرس من الملك الناصر بالغدر فتوجه
 بمن معه ومن تبعه من خُشداشيته إلى الكرك ، واجتمعوا بصاحب الكرك الملك
 المغيث عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل محمد ، فجهز الملك المغيثُ عسكره مع بيبرس
 المذكور ، وعدة من كان جهزه معه ستمائة فارس ، وخرج من عسكر مصر جماعة
 للالتقاء ؛ فأراد بيبرس كبسهم فوجدهم على أهبة ، ثم واقع المصريين فأنكسر ولم ينج
 منهم إلا القليل ، فالذى نجا من الأعيان : بيبرس وبيليك الخازندار ، وأسير بلبان
 الرشيدى . وقد تقدم ذكر ذلك كله فى ترجمة المعز مجلداً ، ولكن نذكر هنا مفصلاً .
 وعاد بيبرس هذا إلى الكرك وأقام بها ، فتواترت عليه كتبُ المصريين يحرضونه على
 قصد الديار المصرية ، وجاءه جماعة كثيرة من عسكر الملك الناصر . فأخذ بيبرس
 يُطمع الملك المغيث صاحب الكرك فى ملك مصر ، ولا زال به حتى ركب معه بعسكره
 ونزل غزوة ، وندب الملك المعز أيبك عسكراً لقتالهم ، وقدم على العسكر المصرى
 مملوكه الأمير قطز والأمير أقطاي المسمرب ، وساروا وهرب من عسكر مصر إلى
 بيبرس والمغيث الأمير عز الدين أيبك الرومى ، والأمير بلبان الكافورى والأمير
 عنقر شاه الغيزرى ، والأمير أيبك الخواشى ، والأمير بدر الدين برخان ، والأمير
 بغدى ، وأيبك الحموى ، وجمال الدين هارون القيصرى والجميع أمراء ، واجتمعوا الجميع
 مع بيبرس والملك المغيث بقوة ، فقويت شوكتهما بهؤلاء ، وساروا الجميع إلى الصالحية ،

(١) فى الأصلين : « الملك المغيث على بن العادل » وهو خطأ وتصحيحه عن شذرات الذهب وماسياق

لؤلؤف ذكره فى حوادث سنة ٦٦٢ هـ . (٢) كذا فى الأصلين والسلوك (ص ٤٣٦) ؛

وابن إياس (ج ١ ص ٩٩) وذيل مرآة الزمان . وفى المنهل الصافى وكتر مير (ج ١ ص ١١٧) ذ

« بليك » بالباء الموحدة قبل الكاف . (٣) فى الأصلين والذيل على مرآة الزمان « الكافرى »

وما أبتناه عن السلوك (ص ٤١١) وعقد الجمان . (٤) فى الذيل على مرآة الزمان ؛

« الجواشى » بالميم . وفى عقد الجمان فى حوادث سنة ٦٥٦ هـ . « الهواش » .

(٥) فى الذيل على مرآة الزمان : « وبدر الدين بن خان بغدى » .

وَلَقُوا عَسْكَرَ مِصْرَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ رَابِعَ عَشَرَ شَهْرَ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ ،
 فَاسْتَظْهَرَ عَسْكَرَ بَيْرُسَ وَالْمُغِيثَ أَوَّلًا ، ثُمَّ حَادَتْ الْكَثْرَةُ عَلَيْهِمْ لَثِبَاتٍ قُطِرَ الْمُعِزِّي ،
 وَهَرَبَ الْمَلِكُ الْمُغِيثَ وَخَلَفَهُ بَيْرُسُ ، وَأَمَرَ مِنْ عَسْكَرِ بَيْرُسَ عِزَّ الدِّينِ أَيْتَكَ
 الرُّومِي ، وَرَكْنَ الدِّينِ مَنكُورَسَ الصَّرِيفِي^(١) ، وَبَلْبَانَ الْكَافُورِي وَعِزَّ الدِّينِ أَيْتَكَ
 الْحَمِيَوِي ، وَبَدَرَ الدِّينَ بُلْغَانَ الْأَشْرَفِي ، وَجَمَالَ الدِّينَ هَارُونَ الْقَيْمُورِي ، وَسُنْقُرُ شَاهِ
 الْعَزِيزِي ، وَبِهَاءَ الدِّينِ أَبْدُغْدِي الْإِسْكَندَرَانِي ، وَبَدَرَ الدِّينَ بَرْخَانَ ، وَبُقْدِي ،
 وَيَلِيكَ الْخَازَنْدَارَ الظَّاهِرِي فَضْرِبَتْ [أَعْنَاقُ^(٢)] الْجَمِيعِ صَبْرًا ، مَا خَلَا الْخَازَنْدَارَ
 [فَإِنَّ جَمَالَ الدِّينِ^(٣)] الْجُوكَنْدَارِي شَفَعَ فِيهِ ، وَخَيَّرُوهُ بَيْنَ الْمَقَامِ وَالذَّهَابِ فَأَخْتَارَ
 الذَّهَابَ إِلَى أَسَازَدِهِ ، فَأُطْلِقَ وَتَوَجَّهَ إِلَى أَسَازَدِهِ ، وَلَمَّا أَنْ وَصَلَ الْمَلِكُ الْمُغِيثَ إِلَى
 الْكَرْكِ حَصَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَكْنِ الدِّينِ بَيْرُسَ هَذَا وَحِشَّةٌ ، وَأَرَادَ الْمُغِيثُ الْقَبْضَ عَلَيْهِ
 بَعْدَ أُمُورٍ صَدُرَتْ ، فَأَحْسَسَ بَيْرُسَ بِذَلِكَ وَهَرَبَ وَعَادَ إِلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ
 يَوْسُفَ صَاحِبِ الشَّامِ ، بَعْدَ أَنْ أَسْتَحْلَفَهُ عَلَى أَنْ يُعْطِيَهُ خُبْرَ مِائَةِ فَارَسٍ مِنْ جَمَلَتِهَا
 قَصَبَةَ نَابُلُسَ ، وَجَيْتَيْنِ وَزَرْعَيْنِ فَأَجَابَ إِلَى نَابُلُسَ لَا خَيْرَ . وَكَانَ قُدُومُهُ عَلَى
 النَّاصِرِ فِي شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَمَعَهُ الْجُمَاعَةُ الَّذِينَ

- ١٥ (١) هو منكورس بن عداقة الفارقاني الأمير ركن الدين . كان من جملة الأمراء بالديار المصرية .
 توفي سنة ٦٨٨ هـ (عن التل الصافي) . (٢) في الذيل على مرآة الزمان : « ملاه الدين » .
 (٣) هو أحد الخازندارية ، وموضوعها التحدث في خزائن الأموال السلطانية من نقد وقماش
 وغير ذلك (راجع صبح الأعشى ج ٤ ص ٢١) . (٤) زيادة بمقتضى السياق .
 (٥) زيادة عن التل الصافي والذيل على مرآة الزمان . (٦) الجوكنداري : نسبة إلى
 الجوكندار ، وهو لقب للذي يحمل الجوكان مع السلطان في لعب الكرة ، ويجمع على جوكان دارية ، وهو
 مركب من لفظتين فارسيتين : إحداها جوكان وهو المحجن الذي تضرب به الكرة ، ويسمى عنه
 بالصوبجان أيضا . والثانية « دار » ومعناه « ممسك » كما تقدم فيكون المعنى ممسك بالجوكان (عن
 صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٨) . (٧) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٩٧ من هذا الجزء .
 (٨) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٩٧ من هذا الجزء .

حلف لهم الملك الناصر أيضا وهم : بَيْسَرَى الشَّمْسِيَّ وَأَيْتَمَش السَّعْدِيَّ وَطَيْبَرَسَ^(١)
الْوَزِيرِيَّ وَأَقْوَشَ الرُّومِيَّ الدَّوَادَارَ^(٢) ، وَكُشْتَنْدِيَّ الشَّمْسِيَّ^(٣) وَلاَجِينَ الدَّرَفِيلَ^(٤) ،
وَأَيْدَغْمَشَ الْحَلَبِيِّ^(٥) وَكُشْتَنْدِيَّ الشَّرْقِيِّ^(٦) وَأَيْبَكَ السَّيْخِيَّ وَبَيْبَرَسَ خَاصَ تَرْكِ الصَّغِيرِ^(٧) ،
وَبَلْبَانَ الْمِهْرَانِيَّ^(٨) ، وَسَنْجَرَ الْبَاشْقَرْدِيَّ وَسَنْجَرَ الْهَامِيَّ ، وَأَرْسَلَانَ النَّاصِرِيَّ وَبُكْنَى^(٩)
الْخَوَارَزْمِيَّ ، وَسَيْفَ الدِّينِ طُمَانَ [الشَّقِيرِيَّ^(١٠)] ، وَأَيْبَكَ الْعَلَائِيَّ ، وَلاَجِينَ الشَّقِيرِيَّ ،
وَبَلْبَانَ الْأَقْسَيْسِيَّ ، وَعَلَمَ الدِّينِ سُلْطَانَ الْإِلْدِكْرِيَّ ، فَأَكْرَمَهُمُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ ، وَوَقَّى لَهُمْ
بِمُحَلِّفٍ ، وَدَامُوا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى قَبِضَ الْأَمِيرُ قُتُزٌ عَلَى ابْنِ أَسَازِهِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ عَلَى^(١١) ،
وَتَسَلَطَنَ وَتَلَقَّبَ بِالْمَلِكِ الْمَطْفَرِ قُتُزٌ ، شَرَعَ بَيْبَرَسَ يُحْرِضُ الْمَلِكَ النَّاصِرَ عَلَى التَّوَجُّهِ
إِلَى الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ لِيَمْلِكَهَا ، فَلَمْ يُجِبْهُ ، فَكَلَّمَهُ بَيْبَرَسَ فِي أَنْ يُقَدِّمَهُ عَلَى أَرْبَعَةِ
آلَافِ فَارِسٍ ، أَوْ يُقَدِّمَ عَلَيْهِمْ غَيْرَهُ ، وَيَتَوَجَّهَ بِهَا إِلَى قَطَطِ الْفَرَاتِ يَمْنَعُ النَّتَارَ مِنْ
الْعُبُورِ إِلَى الشَّامِ ، فَلَمْ يُجِبْهُ ابْنُ عَمِّهِ الْمَلِكُ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ لِبَاطِنِ كَانَ لَهُ مَعَ النَّتَارِ ،
قَاتَلَهُ اللَّهُ ! فَاسْتَمَرَّ بَيْبَرَسَ عِنْدَ النَّاصِرِ إِلَى سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ فَارْفَقَهُ بَيْنَ مَعَهُ

(١) فِي الْأَصْلِينَ : « إِيَّاسُ السَّعْدِي » . وَمَا أَتَيْنَاهُ مِنَ الْمَثَلِ الصَّافِي . وَفِي السُّلُوكِ : « أَيْتَمَشُ
السَّعْدِي » . وَفِي ذَيْلِ مِرْآةِ الزَّمَانِ : « أَتَامَشُ السَّعْدِي » . (٢) هُوَ طَيْبَرَسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
الْوَزِيرِيَّ الْأَمِيرَ الْكَبِيرَ الْحَاجَّ عَلَاءَ الدِّينِ مَهْرَ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَيْبَرَسَ . سَيِّدُ كَرِهِ الْخُلَفَاءِ فِي حَوَادِثِ سَنَةِ ٥٦٨٦ .
(٣) عِبَارَةُ السُّلُوكِ (ص ٤١٥) : « وَبَلْبَانُ الرُّومِيَّ وَأَقْوَشُ الدَّوَادَارِ الرُّومِيَّ » .
(٤) هُوَ كُشْتَنْدِيَّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الشَّمْسِيِّ الْأَمِيرَ عَلَاءَ الدِّينِ . تَوَفَّى سَنَةَ ٥٦٩٠ . (عَنِ الْمَثَلِ الصَّافِي) .
(٥) فِي السُّلُوكِ لِلْقُرَيْزِيِّ : « أَيْدَغْمَشُ الشَّيْخِي » . وَفِي الْمَثَلِ الصَّافِي . « أَيْدَغْمَشُ الْجَلِيلِي » .
(٦) فِي الذَّيْلِ عَلَى مِرْآةِ الزَّمَانِ : « الْمَشْرِقُ » . وَفِي السُّلُوكِ : « كُشْتَنْدِيَّ الْمَشْرِقِ » .
(٧) فِي السُّلُوكِ : « وَأَيْبَكُ الشَّيْخِي » . (٨) الْبَاشْقَرْدِيَّ ، وَيُقَالُ فِيهِ : « الْبَاشْقَرْدِيَّ »
وَيُقَالُ : « الْبَاشْقَرْدِيَّ » : نَسَبُهُ إِلَى بَاشْقَرْدَ ، بِلَادٍ بَيْنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَبَغْدَادَ . وَفِي الْأَصْلِينَ : « الْإِسْعَرْدِي » .
وَالنَّصَبِيحُ عَنِ الْمَثَلِ الصَّافِي . (٩) زِيَادَةُ عَنِ السُّلُوكِ . (١٠) فِي الْأَصْلِينَ : « فَلَمْ يَمَكَّهُ »
خَالَهُ الْمَلِكُ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ . وَتَصْحِيحُهُ عَمَّا سَيِّدُ كَرِهِ الْخُلَفَاءِ فِي وَفَيَاتِ سَنَةِ ٥٦٥٩ . وَهُوَ الْمَلِكُ
الصَّاحِخُ نُورُ الدِّينِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْمَلِكِ الْمُجَاهِدِ أَسَدُ الدِّينِ شَيْرُكُوهُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحَدِ الدِّينِ شَيْرُكُوهِ الْكَبِيرِ
صَاحِبِ حَمَصَ .

- وقصد الشهرزورية^(١) وتزوج منهم؛ ثم أرسل إلى الملك المظفر قُطز من استحلفه له ،
 خلف قُطز . ودخل بيبرس إلى القاهرة في يوم السبت الثاني والعشرين من شهر
 ربيع الأول سنة ثمان وخمسين ، فركب الملك المظفر قُطز للقائه وأنزله في دار
 الوزارة وأقطعته قصبة قلوب^(٢) ، فلم تطل مدته بالقاهرة وتبها الملك المظفر قُطز
 لقتال التتار ، وسير بيبرس هذا في عسكر أمامه كالجاليش ليتجسس أخبار التتار ؛
 فكان أول ما وقعت عينه عليهم ناوشهم بالقتال ، فلما آنقضت الواقعة بين
 جالوت يتهم بيبرس هذا ، يقتل من وجده منهم ، إلى خمس ؛ ثم عاد فوافي
 الملك المظفر قُطز بدمشق ، وكان وعده بناية حلب ، فأعطاها قُطز لصاحب
 الموصل ، فحقد عليه بيبرس في الباطن ، وأتفق على قتله مع جماعة لما عاد الملك
 المظفر إلى نحو الديار المصرية . والذين اتفقوا معه : بلبان الرشيدي ، وبهادر
 المعزى ، وبكتوت الجوكندار المعزى ، وبيدغان الركني ، وبلبان الماروني ،
 وأنص الأصباني ، واتفقوا الجميع مع بيبرس على قتل الملك المظفر قُطز ؛ وساروا
 معه نحو الديار المصرية إلى أن وصل الملك المظفر قُطز إلى القصير^(٣) ، وبقي بينه وبين
 الصالحية مرحلة ، ورحل العسكر طالباً الصالحية ، وضرب دهليز السلطان بها ،
 واتفق عند القصير أن ثارت أرب فساق المظفر قُطز ، وساق هؤلاء المتفقون على

(١) الشهرزورية : نسبة إلى شهرزور ، وهي إحدى جهات كردستان ، حيث توجد مدينة بهذا
 الاسم . وكان تلك الجهة جماعة الأكراد الكوسية ؛ وقد ظلوا بها حتى استولى هولاكو على بغداد ،
 وقتلت جيوشه شمالاً نحو شهرزور وغيرها ، ففر الشهرزورية من وجه التتار إلى الشام ومصر (انظر
 هامش السلوك ص ١١١ و دائرة المعارف الإسلامية مادة شهرزور) . (وانظر صبح الأعشى (ص ٣٧٣
 جزء ٤) . وراجع الحاشية رقم ٢ ص ٨١ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .
 (٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٠٩ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .
 (٣) الجاليش : الراية العظيمة في رأسها خصلة من الشعر . وكان المماليك يطلقونها على الطليعة من
 الجيش كما هنا (صبح الأعشى ج ٤ ص ٨ ، وترجمة السلوك لكرميرج ١ ص ٢٢٥ — ٢٢٦ هامش) .
 (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٨٣ من هذا الجزء .

قتله معه، فلما أبتعدوا ولم يبق مع المظفر غيرهم، تقدم إليه ركن الدين بيبرس وشفع عنده في إنسان فأجابه المظفر، فأهوى بيبرس ليقبل يده فقبض عليها، وحمل أنص عليه وقد أشغل بيبرس يده وضربه أنص بالسيف، وحمل الباكون عليه ورموه عن فرسه ورشقوه بالنشاب إلى أن مات، ثم حملوا على العسكر وهم شاهرون سيوفهم حتى وصلوا إلى الدهليز السلطاني، فنزّلوا ودخلوه والأتابك على باب الدهليز فأحبروه بما فعلوا، فقال فارس الدين الأتابك: من قتله منكم؟ فقال بيبرس: أنا، فقال: يا خوّند، أجلس في مرتبة السلطنة بفلس، وأستدعي العساكر للحلف، وكان القاضي برهان الدين قد وصل إلى العسكر متلقيا لللك المظفر قُطر، فاستدعى وحلف العسكر لللك الظاهر بيبرس، وتم أمره في السلطنة وأطاعته العساكر؛ ثم ركب وساق في جماعة من أصحابه حتى وصل إلى قلعة الجبل فدخلها من غير مُمانع، واستقر مُلكه. وكانت البلد قد زينت لللك المظفر فاستمرت الزينة، وكان الذي ركب معه من الصالحية إلى القلعة وهم خواصه من خُشداشيته، وهم: فارس الدين الأتابك، وبيبرس، وقلاوون الأثني، وبيليك الخازندار، وبلبان الرشيدى؛ ثم في يوم الأحد سابع عشر ذى القعدة وهو صبيحة قتل المظفر قُطر؛ وهو أول يوم من سلطنة الظاهر بيبرس جلس بالإيوان من قلعة الجبل.

قلت: ولم يذكر أحد من المؤرخين لُسنه خُلة السلطنة الخليفة، ولعله أكتفى بالمبايعة والحلف. انتهى.

ولما جلس الظاهر بالإيوان رسم أن يكتب إلى الأقطار بسلطته؛ فأول من بدأ به الملك الأشرف صاحب حصص، ثم الملك المنصور صاحب حمّة؛ ثم الأمير

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٨٤ من هذا الجزء. (٢) يلاحظ أنه لم يكن في هذا الوقت خليفة حيث إن الخلافة العباسية انقرضت من بغداد سنة ٦٥٦ هـ كما هو معلوم. وقد أعادها الملك الظاهر بيبرس بمصر سنة ٦٥٩ هـ.

- (٢) مظفر الدين صاحب صهيون ثم إلى الإسماعيلية ، ثم إلى [الملك السعيد المظفر علاء الدين على بن لؤلؤ] صاحب الموصل الذى صار نائب السلطنة بحلب ، ثم إلى (٣) مَنْ فى بلاد الشام يُعرفهم بما جرى ثم أفرج عمن بالحُبوس من أصحاب الجرائم ؛ واقرّ الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير على الوزارة ، وتقسّم بالإفراج عن الأجناد المحبوسين والإنعام عليهم ، وزيادة مَنْ رأى استحقاقه من الأمراء وخلع عليهم ، وسير الأمير جمال الدين آقوش محمدى بتواقيع للامير سنجر الحلبي نائب دِمَشق ، فتوجّه إليه فوجده قد تسلطن بدمشق ودعا لنفسه ، وحلف الأمراء ، وتلقب بالملك المجاهد ؛ فعظم ذلك على الملك الظاهر بيبرس وأخذ فى إصلاح أمره معه والإحسان إلى خُشداشيته البحرية الصالحية ؛ وأمر أعيانهم . ثم إنه أخرج ١٠ الملك المنصور نور الدين علياً ابن الملك المعز أيبك التركمانى وأمه وأخاه ناصر الدين قاقان من مصر إلى بلاد الأشكرى (٥) ، وكانوا معتقلين بقلعة الجبل .

وكان بيبرس لما تسلطن لقّب نفسه الملك القاهر ، فقال الوزير زين الدين يعقوب بن الزبير ، وكان فاضلاً فى الأدب والترسل وعلم التاريخ ، فأشار بتغيير هذا اللقب ، وقال : ما لقّب به أحد فأفلح : لقّب به القاهر بن المعتضد ، فلم تطل مدته (٦)

- (١) هو الأمير مظفر الدين عثمان بن منكوس بن نحماس تكين . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٥٩ هـ . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
(٣) فى الأصلين : « عماد الدين » . والتكلمة والتصحيح عن السلوك للقرىزى وعقد الجمان فى حوادث سنة ٦٥٩ هـ . والذيل على مرآة الزمان . (٤) هو يعقوب بن عبد الرفيع بن زيد بن مالك الصاحب زين الدين الأسدى الزبيرى من ولد عبد الله بن الزبير . وزرّ الملك المظفر قطز ثم للظاهر بيبرس البندقدارى فى أوائل دولته حتى عزل بآبى حنا . وكانت وفاته سنة ٦٦٨ هـ (عن المنهل الصاق) .
(٥) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٥٥ من هذا الجزء .
(٦) راجع حوادث سنة ٦٣٩ هـ من الجزء الثالث من هذه الطبعة ص ٣٠٣

وخلع من الخلافة وسُيْل ، ولُقِّبَ به القاهر^(١) ابن صاحب الموصِل فُسْم ، فابطل
يبرئس اللقب الأول ، وتلقب بالملك الظاهر .

وأما أمرُ دِمَشق في العَشر الأخير من ذى القعدة أمر الأمير طم الدين سَنَجَر
الحلبي الذي تسلطن بِدِمَشق بتجديد عمارة [قلعة]^(٢) دِمَشق ، وزُفَّت بالمغانى والطبول
والبُوقات ، وفَرِحَت أهل دِمَشق بذلك ، وحضر كبراء الدولة وخلع على الصُناع
والتقباء ، وعَمِل الناس في البناء حتى النساء ؛ وكان يوم الشروع في تجديدِها يوما
مشهودًا ، ثم في اليوم الأول من العَشر الأول من ذى الحجة دعا الأمير طم الدين
سَنَجَر الحلبي الناس بِدِمَشق إلى الحلف له بالسلطنة فأجابوه ، وحضر الجنُدُ
والأكابر وحلفوه ولُقِّبَ بالملك المجاهد ، وخُطِب له على المنابر ، وضُربت السُّكَّة
بأسمه ؛ وكتب الملك المنصور صاحب حَمَاة لِيَحْلِفَ له فأمتنع ، وقال : أنا مع من
يملك الديار المصرية كائنا من كان .

ولما صحَّ عند التَّار قُتل الملك المظفر قُطُز — رحمه الله تعالى — وكان النائب
ابن صاحب الموصِل أساء السيرة في الجند والريّة ، فأجتمع رأى الأمراء والجند
بِحَلَب على قبضه وإخراجه من حَلَب ، وتحالفوا على ذلك ، وعيّنوا للقيام بالأمر
الأمير حسام الدين الجوكنداريّ الميزيزي^(٣) ، فبينما هم على ذلك وردت عليهم
بطاقة نائب البيرة يُخبر أن التَّار قاربوا البيرة لمحاصرتها ، وأستصرخ بهم لِيُنْجِدُوهُ
بمسكر ، وكان التَّار قد هدموا أبراج البيرة وأسوارها ، وهى مكشوفة من جميع

(١) هو الملك القاهر عز الدين مسعود بن أرسلان بن مسعود بن مودود بن زنكي أبو الفتح صاحب
الموصل . توفيت وفاته سنة ٦١٥ في الجزء السادس من هذه الطبعة ص ٢٢٥ .

(٢) التكلّة عن عيون التواريخ والسلوك للقريزي في حوادث سنة ٦٥٨ هـ .

(٣) في الأصلين : « وحمل » . وتصحيحه عن عيون التواريخ والسلوك للقريزي .

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

- جهاتها ، فخرذ الملك السعيد ابن صاحب الموصِل الذى هو نائب حلب عسكره إليها ، وقدم عليهم الأمير سابق الدين أمير مجلس الناصرى ، فحضر الأمراء عنده ، وقالوا له : هذا العسكر الذى جردته لا يمكنه رد العدو ، ونخاف أن يحصل النُشوب بيننا وبين العدو ، وعسكرنا قليل فيصل العدو إلى حلب ، ويكون ذلك سبباً لخروجنا منها فلم يقبل منهم ، فخرجوا من عنده وهم غضبانون ، وسار العسكر المذكور إلى البيرة في قلة . فلما وصلوا إلى عُثْق البيرة صادفوا التتار مجموعهم ، فأقتلوا قتالا شديداً وقصد سابق الدين البيرة ، فَنِعِم التتارُ وقتلوا من أصحابه جماعة كثيرة ، وما سَلِم منهم إلا القليل ؛ وورد هذا الخبر لحلب فحَفَلَ أهل حلب إلى جهة القبلة ولم يبق بها إلا القليل ، ونِدِم الملك السعيد نائب حلب على مخالفة الأمراء ، وقوى بذلك غضبهم عليه وقاطعوه ، ووقعت بطاقة نائب البيرة ، فيها : أُنْتُ التتار ^(١) ^(٢) توجَّهوا إلى ناحية مَنبِج ، فخرج نائب حلب وضرب دِهْلِيْزَه بباب إله شرق حلب ، وبعد يومين وصل الأمير عز الدين أزدَمَر الدَّوَادَر العَزِيْزِي ، وكان قُطْرُ قد جعله نائباً باللاذقية وجبله ، فقصد خُسَدَاشِيْته بحلب ؛ فلما قُرب رَكِبَت العَزِيْزِيَّة والناصرية والتقوا به ، فأخبرهم بأن الملك المظفر قُطْرُ قُتِل ، وأن ركن الدين يسبرس ملك الديار المصرية ، وأن سَنَجَرَ الحُلِيّ خطب لنفسه بدمشق ، ونحن أيضاً نعمل بعمل أولئك ، ونقيم واحداً من الجماعة ونقيض على هذا (يعنى على

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٩٧ من الجزء الثالث من هذه الطبعة . (٢) كذا في الأصلين هنا . وفي المثل الصافي وما سيذكره المؤلف بعد قليل : « عند باب لا » . وفي عقد الجمان : « قد برز إلى باب اللالا المسروق بباب الله » . وفي تاريخ أبي القسدا : « باب إلى » . وفي تاريخ من الوردى : « قد برز إلى بابلى » . (٣) اللاذقية : مدينة في ساحل بحر الشام تعد في أعمال حمص ، وهي غربي جبله بينها ستة فراعص (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١١ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

نائب حلب) وقتصر على حلب وبلادها مملكة أستاذنا وآبن أستاذنا فأجابوه إلى ذلك وتقرّر بينهم : أنه حال دخولهم إلى المحيم يَمُضِي إليه الأمراء : حسام الدين الجُوكنداري، وبَكْتَمُر الساقِي وأَزْدَمُر الدَوَادَار، وكان الملك السعيد نائب حلب نازلاً بباب لا في بيت القاضى، وهو فوق سطحه والعساكر حوله، فعند ما طلعوا إليه وحضروا عنده على السطح شرعت أعوانهم في نهب وطاقه^(١) فسمع الضجة فاعتقد أن التّار قد كَبَسَت العسكر، ثم شاهد نهب العزّيزية والناصرية لوطاقه، ووثب الأمراء الذين عنده ليقبضوا عليه، فطلب منهم الأمان على نفسه فأمنوه وشرطوا عليه أن يُسَلِّم إليهم جميع ما حصله من الأموال، ثم نزلوا به إلى الدار وقصدوا الخزانة، فوجدوا فيها طائلاً فهتدوه، وقالوا له : أين الأموال التي حصلتُها ؟ وطلبوا قتله، فقام إلى ساحة بُسْتَانٍ في الدار المذكورة وحفر وأخرج الأموال، وهي تزيد على أربعين ألف دينار^(٢)، فقُرِئت على الأمراء على قدر منازلهم، ثم رَسَمُوا عليه جماعة من الجند وسيروه إلى قلعة حبسوه بها . ثم بعد أيام قلائل دَهَم العدو حلب، فاندفع الأمير حسام الدين الجُوكنداري المقدم على عسكر حلب بمن معه إلى جهة دِمَشق، ودخلت التّار حلب وأخرجوا من كان فيها إلى ظاهر حلب، ووضعوا السيف فيهم، فُقْتِل بعضهم وفر بعضهم، ونزل العسكر الحلبى بظاهر حمّاة، فقام الملك المنصور بضيافتهم، ثم تقدّم التّار إلى حمّاة، فلما قاربوا منها رَحَلَ صاحبها الملك المنصور ومعه الجُوكنداري بعساكر حلب إلى حمص، ونزل التّار على حمّاة فامتنعت عليهم، فاندفعوا من حمّاة طالبين العسكر، وجعل

(١) الوطاق : الخيبة، لفظة تركية . (٢) في تاريخ أبي الفدا (ج ٣ ص ٢١٨) :

« نحسين ألف دينار مصرية » . (٣) في هامش السلوك ص ٤٣٩ : « ثم حلوه إلى قلعة الشغروبكاس وأعتقلوه بها وأقاموا مكانه الأمير حسام الدين لاجين العزّيزى » .

الناس بين أيديهم ، وخاف أهل دِمَشْق خوفاً شديداً ، وأقاموا الجميع على حِمَص حتى قَدِم إليهم التَّار في أوائل المحرم من سنة تسع وخمسين وستمائة ، وكانوا في سنة (١) آلاف فارس ، نفرج إليهم الملك المنصور صاحب حمّة والأشرف صاحب حِمَص والحوكنداريّ العزيزيّ بعساكر حلب ، وحمّلوا عليهم حملة رجل واحد فهزموهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وهرب الأمير بيّدرًا مقدم التَّار في نفريّ سير ، وكانت الوقعة عند قبر خالد بن الوليد — رضى الله عنه — ثم عاد التَّار إلى حلب وفعلوا بأهلها تلك الأفعال القبيحة على عادتهم .

وأما الملك الظاهر بيّرس صاحب الترجمة فإنه كاتب أمراء دِمَشْق يستميلهم إليه ويحُضُّهم على مباينة الأمير علم الدين سنجر الحلبيّ والقبض عليه ، فأجابوه إلى ذلك وخرجوا من دِمَشْق مُباذنين لسنجر ، وفيهم : الأمير علاء الدين أيّديكين البندقداريّ (أعنى أستاذ الملك الظاهر بيّرس المذكور) الذي قدّمنا من ذكره أن الملك الصالح نجم الدين أيّوب اشتراه منه . انتهى . والأمير بهاء الدين بغديّ فتحهم الحلبيّ بمن بقي معه من أصحابه ، فخاربوه فهزموه وألحّوه إلى قلعة دِمَشْق فأغلقها دونهم ؛ وذلك في يوم السبت حادى عشر صفر من السنة . ثم خرج الأمير علم الدين سنجر الحلبيّ تلك الليلة من القلعة وقصد بعلبك ، فدخل قلعتها ومعه قريب عشرين نفرًا من مماليكه ؛ فدخل الأمير علاء الدين أيّديكين البندقداريّ دِمَشْق ، وأستولى عليها وحكم فيها نيابةً عن الملك الظاهر بيّرس ؛ ثم جهّز عسكرا

(١) وكانت عدة المسلمين ١٤٠٠ فارس كما في السلوك للقرنزي (ص ٤٤٢) والنهج السديد .

(٢) في السلوك (ص ٤٤٢) : « وواقعوا التتار يوم الجمعة خاس المحرم على الرستن فأنفروهم قلا

وأسرا » . والرستن : بلدة في نصف الطريق بين حلب وحماة . (عن معجم البلدان لياقوت) .

إلى بعلبك لحصار الحلبيّ. وطهيم الأمير بدر الدين محمد بن رجال وكان من الشجعان،^(١)
 وأمير آخر، لحال وصولها إلى بعلبك دخلا المدينة ونزلا بالمدرسة الثورية، وكان
 الحلبيّ لما وصلها جعل عنده طائفة كبيرة من أهل محله مقدمهم على بن عبور،^(٢)
 فسير إليهم الأمير بدر الدين بن رجال وأفسدهم، فتدلّوا من القلعة ليلاً ونزلوا إليه،
 فعند ذلك ترددت المراسلات بين الحلبيّ وعلاء الدين البندقداريّ حتى استقرّ الحال
 على نزول الحلبيّ وتوجهه إلى الملك الظاهر بيبرس بمصر، فخرج الحلبيّ من قلعة
 بعلبك راجياً [حصانه] ^(٣) وفي وسطه عدته وفي قرابه قوسان وهو كالأسد، بغاء
 حتى بعد عن القلعة، قدّم له بغلة فتحوّل إليها وقطع العدة وربّكها، وسار حتى وصل
 إلى دمشق وسار منها إلى مصر، فأدخل على الملك ليلاً بقلعة الجبل، فقام إليه
 وأعتقه وأدنى مجلسه منه وعاتبه عتاباً لطيفاً، ثم خلّع عليه ورسم له بنجيل وبغال
 وجمال وقماش وغير ذلك.

ثم ألفت الملك الظاهر إلى إصلاح مملكته فخلّع على صاحب بهاء الدين^(٥)
 على بن حنا وزير شجرة الدر بالوزارة، وذلك في شهر ربيع الأول من سنة
 تسع وخمسين، وهي أول ولايته للوزر. ثم حضر عند الظاهر شخص وأنهى إليه
 أن الأمير عز الدين الصقليّ يريد الوثوب على السلطان، وأنفق معه الأمير علم الدين
 سنجر القتيبيّ وبهادر [المعزيّ] ^(٦) والشجاع بكتوت فقبض الملك الظاهر عليهم.
^(٧)

(١) هو بدر الدين محمد بن رجال التركاني كما في عيون التواريخ والسلوك. وفي التهج السديد :
 « ابن رجال » بالجم. (٢) كذا في الأصلين. وقد بحثنا عن هذا الاسم في المراجع التي تحت
 أيدينا فلم ننته إليه. (٣) زيادة عن عيون التواريخ. (٤) قراب السيف : شبه جراب
 من آدم يضع الراكب فيه سيفه بجفّة وسوطه وعصاه وأداته. وفي الأصلين : « وفي قربانه ».
 (٥) في الأصلين : « فأخلع ». (٦) سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٧٧ هـ فيمن
 قتل وقاتهم عن الذهبي. (٧) في السلوك والتهج السديد في حوادث سنة ٦٥٩ هـ. « الصيقل ».
 (٨) الزيادة عن السلوك.

ثم تَسَلَّمَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ الْكَرَّكَ مِنْ تَوَابِ الْمَلِكِ الْمَغِيثِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ . ثُمَّ قَبِضَ عَلَى الْأَمِيرِ بَهَاءِ الدِّينِ بُغْدِي الْأَشْرَفِي بِدِمَشْقَ وَحَمَّلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَحَبَسَ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ إِلَى أَنْ مَاتَ .

- ثم جهَّزَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ عَسْكَرًا لَخُرُوجِ التَّارِ مِنْ حَلَبٍ فَسَارُوا إِلَيْهَا وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْهَا عَلَى أَقْبَحِ وَجْهِ ، كُلِّ ذَلِكَ وَالدُّنْيَا بِلا خَلِيفَةٍ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَسِتَّمِائَةٍ .
- فِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ وَصُولُ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ الْخَلِيفَةِ إِلَى مِصْرَ وَبَايَعَهُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ بَيْتَرَسَ ، وَهُوَ أَبُو الْقَاسِمِ أَحْمَدَ ، كَانَ مَحْبُوسًا بِبَغْدَادَ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي حَبْسِ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَعْمِمْ ، فَلَمَّا مَلَكَتِ التَّارَ بِبَغْدَادَ أَطْلَقُوهُمْ ، فَخَرَجَ الْمُسْتَنْصِرُ هَذَا إِلَى عَرَبِ الْعِرَاقِ ، وَآخِطَلَطَ بِهِمْ إِلَى أَنْ سَمِعَ بِسُلْطَنَةِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَيْتَرَسَ ، وَفَدَّ عَلَيْهِ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي مُهَارِشَ ، وَهُمْ عَشْرَةُ أَمْرَاءَ مُقَدِّمِهِمْ أَبْنِ قَسَا وَشَرَفَ الدِّينَ ابْنَ مُهَنَّا ، وَكَانَ وَصُولُ الْمُسْتَنْصِرِ إِلَى الْقَاهِرَةِ فِي ثَامِنِ شَهْرِ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتَّمِائَةٍ ، فَارْتَكَبَ السُّلْطَانُ لِلْقَائِدِ وَمَعَهُ الْوَزِيرُ بَهَاءُ الدِّينِ بْنِ حِنَّا وَقَاضِي الْقَضَاةِ تَاجُ الدِّينِ بْنِ بَنْتِ الْأَعَزِّ وَالشُّهُودُ وَالرُّؤَسَاءُ وَالْقُرَّاءُ وَالْمُؤَدِّثُونَ وَالْيَهُودُ بِالتُّورَةِ وَالنَّصَارَى بِالْإِنْجِيلِ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ ، فَدَخَلَ مِنْ بَابِ النَّصْرِ وَشَقَّ الْقَاهِرَةَ ، وَكَانَ لِدُخُولِهِ يَوْمَ مَشْهُودٍ .

١٥

فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ثَالِثَ عَشَرَ الشَّهْرِ جَلَسَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ وَالْخَلِيفَةُ بِالْإِيوَانِ وَأَعْيَانُ الدَّوْلَةِ بِاجْمَعِهِمْ وَقُرِئَ نَسَبُ الْخَلِيفَةِ ، وَشُهِدَ عِنْدَ الْقَاضِي

(١) فِي الْأَصْلَيْنِ : « نَاصِرُ الدِّينِ » . وَمَا أُثْبِتْنَا عَنْ الْمُهَلِّ الصَّافِي وَمَا سَيَّكَرُهُ الْمُؤَلِّفُ فِي حَوَادِثِ سَنَةِ ٦٨٣ هـ . وَهُوَ عِيسَى بْنُ مُهَنَّا بْنِ مَانِعِ بْنِ حَدِيثَةَ بْنِ غَضَبَةَ . فَضْلُ بْنُ رَبِيعَةَ أَبُو مُهَنَّا أَمِيرُ آلِ فَضْلِ . وَفِي ابْنِ أَبِي هَاشِمٍ أَنَّهُ حَضَرَ إِلَى مِصْرَ مَعَ صَاحِبَةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ابْنِ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَرْشِدِ الْمَلَقَّبِ بِالْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ .

٢٠

- بصحته فأجبل عليه بذلك وحكم به وبُوع بالخلافة^(١)، ورَكِب من يومه وشَقَّ القاهرةَ في وجوه الدولة وأعيانها، وكان أول مَنْ بايعه قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز عند ما ثَبَتَ نسبُه عنده، ثم السلطان، ثم الشيخ عز الدين بن عبد السلام، ثم الأمراء والوزراء على مراتبهم. والمستنصر هذا هو الثامن والثلاثون من خلفاء بني العباس -- رضى الله عنهم -- وهو المستنصر بالله أبو القاسم أحمد الأستمر ابن الظاهر بأمر الله محمد ابن الناصر لدين الله أحمد ابن المستضيء الحسن ابن الخليفة المستنجد بالله يوسف ابن الخليفة المقتنى لأمر الله محمد ابن الخليفة المستظهر بالله أحمد ابن الخليفة المقتدى بأمر الله عبد الله ابن الأمير محمد الذخيرة ابن الخليفة القائم بأمر الله عبد الله ابن الخليفة القادر بالله أحمد ابن الأمير إسحاق ابن الخليفة المقتدر بالله جعفر ابن الخليفة المعتضد بالله أحمد ابن الأمير طَلْحَة الموفق ابن الخليفة المتوكل على الله جعفر ابن الخليفة المعتصم بالله محمد ابن الخليفة الرشيد هارون ابن الخليفة المهدي محمد ابن الخليفة أبى جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس الهاشمى العباسى البغدادى. وقد تقدم أن الناس كانوا بغير خليفة منذ قتل التتار ابن أخيه الخليفة المستعصم بالله فى أوائل سنة ست وخمسين وثمانئة إلى يومنا هذا، فكانت مدة شُغور الخلافة ثلاث سنين ونصفاً والناس بلا خليفة. وكان المستنصر هذا جسيماً وسيماً شديد الشُمرَة عالى الهمة

(١) يستفاد من السلوك أن الظاهر هو الذى كان يبحث عن مثل هذا الخليفة لأن مصر كانت محاطة بالأعداء من كل جانب، وكان يخشى أن يتجهم له تاجم فى الداخل من بنى أبوب يسمو إلى السلطة فيجد على دعوة أنصارا على أسر وجه فرأى أن يسارع لأخذ ذرية بنى العباس بالخلافة بعد أن فرضها المنول فى بغداد لأن مصلحته أن يظهر أمام العالم الإسلامى بأنه حامى الخلافة. وقد تم له ذلك كله على أن الخليفة فى مصر لم يكن له أمر ولا نهى ولا نفوذ بل يردد إلى أبواب الأمراء وأعيان الكُتاب والقضاة تهنيتهم بالأعياد والشهور (السلوك ٤٤٨ ودائرة المعارف الإسلامية ص ٥٨٨ ترجمة الظاهر بقلم سوبرنهام).

شديد القوة وعنده شجاعة وإقدام ، وهو أخو الخليفة المستنصر ولقب بلقبه ، وهذا لم تجر به العادة من أن خليفة يُلقب بلقب خليفة تقدمه من أهل بيته .

- وفي يوم الجمعة سابع عشر الشهر خرج الخليفة المستنصر بالله وعليه ثياب سود إلى الجامع بالقلمة وخطب خطبة بليغة ذكر فيها شرف بني العباس ، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم . ثم في مستهل شعبان من سنة تسع وخمسين المذكورة تقدم الخليفة بتفصيل خلعة سوداء وبعمل طوق ذهب وقيد ذهب وبكتابة تقليد بالسلطنة للامام الظاهر بيبرس ونصب خيمة ظاهر القاهرة . فلما كان يوم الاثنين رابعه ركب الخليفة والسلطان والوزير والقضاة والأمراء ووجوه الدولة إلى الخيمة ظاهر القاهرة بقبة النصر ، فألبس الخليفة السلطان الملك الظاهر بيبرس خلعة السلطنة بيده وطوقه وقيده ، وصعد نحر الدين إبراهيم بن لقمان رئيس الكتاب منبراً نصب له فقرأ التقليد وهو من إنشائه وبخطه . ثم ركب السلطان بالخلعة والطوق والقيد ودخل من باب النصر وقد زينت القاهرة له ، وحمل الصاحب بهاء الدين التقليد على رأسه راكبا والأمراء يمشون بين يديه ، فكان يوماً يقصر اللسان عن وصفه . ونسخة التقليد :

- ١٥ « الحمد لله الذي أضفى على الإسلام ملابس الشرف ، وأظهر بهجة دهره ، وكانت خافية ، بما استحكم عليها من الصدف ، وشيد ما وهى من علائه حتى أنسى ذكر من

- (١) في السلوك ص ٤٥٢ : « وأفيضت عليه الخلع الخليفة وخرج بها وهى : عمامة سوداء مذهبة من ركشة . ودراعة بنفسجية اللون ، وطوق ذهب ، وقيد من ذهب عمل فيرجيه ، وعدة سيوف تقلد منها واحداً ، وحملت البقية خلفه ، ولواءان منشوران على رأسه . وسهمان كبيران وترس ، فقدم له فرس أشهب في عنقه مشدة سوداء وعليه كنوش أسود « البردة » . وكل ذلك راجع إلى رغبة السلطان في إحياء شعار العباسيين وهو السواد . » (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤١ من هذا الجزء .

- (٣) في الأصلين : « أضفى » بالصاد وهو تصحيف . وعبارة السلوك وعقد الجمان « اصطفى الإسلام بملابس الشرف » .

سَلَفَ ، وَقَبِضَ لِنَصْرِهِ مَلُوكًا أَتَّفَقَ عَلَيْهِمْ ^(١) مِنْ آخَتَفَ ، أَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمَتِهِ الَّتِي رَزَقَتْ ^(٢) الْأَعْيُنُ مِنْهَا فِي الرُّوضِ الْأَنْفُ ، وَالطَّافِةِ الَّتِي وَقَفَ الشُّكْرُ عَلَيْهَا فَلَيْسَ لَهَا عَنْهَا مُنْصَرَفٌ ؛ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُوجِبُ مِنَ الْخَوَافِ أَمْنًا ، وَتُسَهِّلُ مِنَ الْأُمُورِ مَا كَانَ حَزَنًا ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الَّذِي جَبَرَ مِنَ الدِّينِ وَهْنًا ، وَرَسُولُهُ الَّذِي أَظْهَرَ مِنَ الْمَكَارِمِ فُتُونًا لَا قِتَا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ الَّذِينَ أَصْبَحَتْ مَنَاقِبُهُمْ بَاقِيَةً لَا تَفْنَى ، وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي الدِّينِ فَاسْتَحَقُّوا الزِّيَادَةَ بِالْحُسْنَى . وَبَعْدَ : فَإِنَّ أَوَّلَى الْأَوْلِيَاءِ بِتَقْدِيمِ ذِكْرِهِ ، وَأَحَقُّهُمْ أَنْ يُصْبِحَ الْقَلَمُ رَاكِمًا وَمَسَاجِدًا فِي تَسْطِيرِ مَنَاقِبِهِ وَبِرِّهِ ، مَنْ سَعَى فَاحْضَى سَعِيدًا الْجَدَّ مُتَقَدِّمًا ، وَدَعَا إِلَى طَاعَتِهِ فَأَجَابَ مَنْ كَانَ مُنْجِدًا وَمُتَمِّمًا ، وَمَا بَدَتْ يَدُ فِي الْمَكْرُمَاتِ إِلَّا كَانَ لَهَا زَنْدًا وَمِعْصَمًا ، وَلَا اسْتِبَاحَ بِسَيْفِهِ حِمَى وَغَى إِلَّا أَضْرَمَ مِنْهُ نَارًا وَأَجْرَاهُ دَمًا . وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْمَنَاقِبُ الشَّرِيفَةُ مَخْصُصَةً بِالْمَقَامِ الْعَالِيِّ الْمَوْلَوِيِّ السُّلْطَانِيِّ الْمَلِكِيِّ الظَّاهِرِيِّ الرَّكْنِيِّ — شَرَفَهُ اللَّهُ وَأَعْلَاهُ — ذَكَرَهَا الدِّيَوَانُ الْعَزِيزُ النَّبَوِيُّ الْإِمَامِيُّ الْمُسْتَنْصَرِيُّ — أَعَزَّهُ اللَّهُ سُلْطَانَهُ — تَنْوِيهَا بِشَرِيفِ قَدْرِهِ ، وَأَعْتَرَفًا بِصُنْعِهِ الَّذِي تَفَقَّدُ الْعِبَارَةُ الْمُسْتَهْجَةُ وَلَا تَقُومُ بِشُكْرِهِ ؛ وَكَيْفَ لَا وَقَدْ أَقَامَ الدَّوْلَةَ الْعَبَّاسِيَّةَ بَعْدَ أَنْ أَقْعَدَتْهَا زَمَانَةُ الزَّمَانِ ، وَأَذْهَبَتْ مَا كَانَ لَهَا مِنْ مُحَاسِنٍ وَإِحْسَانٍ ؛ وَعَتَبَ دَهْرُهَا الْمُسِيءَ لَهَا فَأَعْتَبَ ، وَأَرْضَى عَنْهَا زَمَنَهَا وَقَدْ كَانَ صَالٍ عَلَيْهَا صَوْلَةٌ مُغْضَبٌ ؛ فَأَعَادَهُ لَهَا سَلَامًا بَعْدَ أَنْ كَانَ

- (١) فِي السُّلُوكِ وَعَقْدِ الْجَمَانِ : « أَتَّفَقَ عَلَى طَاعَتِهِمْ مِنْ آخَتَفَ » . (٢) فِي الْأَصْلَيْنِ :
 « وَقَعَتْ » . وَتَصْحِيحُهُ عَنِ السُّلُوكِ وَعَقْدِ الْجَمَانِ . (٣) فِي الْأَصْلَيْنِ : « وَالطَّلُوعُ الَّتِي ... الْخ » .
 وَمَا أُثْبِتَ عَنْ السُّلُوكِ وَعَقْدِ الْجَمَانِ . (٤) فِي السُّلُوكِ : « فَاحْضَى بِسَعِيهِ الْحَمِيدَ مُتَقَدِّمًا » .
 (٥) هَذِهِ رَوَايَةُ السُّلُوكِ وَعَقْدِ الْجَمَانِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « أَعَزَّهُ اللَّهُ سُلْطَانَهُ تَشْرِيفَ قَدْرِهِ » .
 (٦) فِي الْأَصْلَيْنِ : « ذَاهِبَ » . وَمَا أُثْبِتَ عَنْ السُّلُوكِ .
 (٧) فِي الْأَصْلَيْنِ : « وَأَرْضَى مِنْهَا » . وَمَا أُثْبِتَ عَنْ السُّلُوكِ وَعَقْدِ الْجَمَانِ .

[عليها] ^(١١) حرباً ، وصرف إليها آهتامة فرجع كل متضايق من أمورها واسعاً رَحْباً ؛
وَمَنَحَ أمير المؤمنين عند القدوم عليه حُناً وَعَطْفاً ، وأظهر من الولاء رغبةً في [ثواب] ^(١١)
الله ما لا يُخْفَى ؛ وأبدى من الاهتمام بأمر البيعة أمراً لو رامه غيره لامتنع عليه ،
ولو تَمَسَّكَ بِجَمَلِهِ مَتَمَسَّكٌ لا تَقْطَعُ به قبل الوصول إليه ؛ ولكن الله أَدْنَرَ هذه الحسنة
لِيُثْقِلَ بها [في] ^(١١) الميزان ثوابه ، وَيُخَفِّفَ بها يوم القيامة حسابَه ، والسعيد من خَفَّفَ
حسابه ! فهذه منقبة أبي الله إلا أن يُحْلِدَها في صحيفة صُنِّعَ ، ومَكْرُمَةٌ قُضِّتْ لهذا
البيت الشريف بجمعه ، بعد أن حصل الإياس من جمعه . وأمير المؤمنين يشكر لك
هذه الصنائع ، ويعترف أنه لولا آهتامك لَأَتَسَعَ الخُرْقُ على الرَاقِعِ ؛ وقد قَلَّدَكَ الديار
المصرية والبلاد الشامية ، والديار بكرية ، والحجازية واليمينية والفُراتية ؛ وما يتجدد
من الفتوحات غوراً وتَجْدداً ؛ وقَوَّضَ أَمْرَ جندها ورعاياها إليك حين أصبحت ^(٣)
بالمكارم قرداً » . ثم أخذ في آخر التقليد يذكر فضل الجهاد والرفق بالريّة وطول
في الكلام إلى الغاية . وهذا الذي ذكرناه من نسخة التقليد هو المراد .

ثم إن الملك الظاهر وثى الأمير علم الدين سَنَجَرَ الحَلَبِيَّ نيابة حلب لما بلغه أن
البرنلى تَغَلَّبَ على حلب ، وسير معه عسكرياً فصار إليها الأمير علم الدين سَنَجَرَ الحَلَبِيَّ ،
ودخل إليها وملكتها وخرج منها البرنلى وتوجه إلى الرقة ؛ ثم حَشَّدَ وجمع العساكر
وأخذ البيعة ، ثم عاد إلى حلب وأخرج منها الحَلَبِيَّ بعد أمور ووقائع جرت بينهم .
فلما بلغ الملك الظاهر ذلك عَزَمَ على التوجه إلى البلاد الشامية ، وبرز من القاهرة

(١) الزيادة عن السلوك وعقد الجمان . (٢) في الأصلين : « تَضَمَّنَتْ » . وما أُنْبِتَاهُ عن السلوك وعقد الجمان . (٣) في الأصلين : « حَتَّى أَصْبَحَتْ » . وما أُنْبِتَاهُ عن السلوك وعقد الجمان .

(٤) راجع بقية هذا التقليد في المصدرين السابقين في حوادث سنة ٦٥٩ هـ .
(٥) وذلك بعد أن رضى الظاهر عنه . وكان قد استولى على دمشق وتسمى بالملك المجاهد ثم قبض عليه وحمل إلى القاهرة كما سبق في هذه الترجمة . (٦) هو الأمير آقوش بن عبد الله العزيزي شمس الدين المعروف بالبرنلى والبرنلو ، كما في المنهل الصافي . وفي أبي الفدا والسلوك : « البرلى » .

ومعه الخليفة المستنصر وأولادُ صاحب الموصل ، وكان خروجهم الجميع من القاهرة
 في تاسع عشر شهر رمضان بعد أن رتبَّ السلطان الأمير عز الدين أيدمر الحلبي^(١)
 نائب السلطنة بقلعة الجبل ؛ والصاحب بهاء الدين بن حنا مدبر الأمور ، وخرج مع
 السلطان العساكر المصرية وأقام بركة الحب^(٢) إلى عيد الفطر ؛ ثم سافر في ثالث شوال
 بعد ما عزل قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز عن القضاء
 بئرمان الدين خضر السنجاري ، وسار السلطان حتى دخل دمشق في يوم الاثنين
 سابع ذي القعدة ، وقدم عليه الملك الأشرف صاحب حمص فخلع عليه وأعطاه
 ثمانين ألف دينار وخمسين ثياباً ، وزاده على ما بيده من البلاد تل باشر ؛ ثم قدم
 عليه الملك المنصور صاحب حماة فخلع عليه وأعطاه ثمانين ألف درهم وخمسين ثياباً ،
 وكتب له توقيعاً ببلاده التي بيده ؛ ثم جهز السلطان الخليفة وأولاد صاحب الموصل
 صحبته بتجمل زائد وبرك^(٣) يضاهي برك السلطان من الأطلاب والخيول والجمال
 وأرباب الوظائف من الكبير إلى الصغير ؛ قيل : إن الذي غريمه السلطان الملك
 الظاهر على تجهيز الخليفة وأولاد صاحب الموصل فوق الألف ألف دينار عينا .
 ثم جهز السلطان الأمير علاء الدين أيدكين البندقداري لنيابة السلطنة بحلب ،
 وأيدكين هذا هو أستاذ الملك الظاهر بيبرس صاحب الترجمة المقدم ذكره ،
 فسبحان من يعز ويذل ! وبعث السلطان مع البندقداري عسكرا لمحاربة البرنلي وصحبته
 أيضا الأمير بلبان الرشيدى فخرجا من دمشق في منتصف ذي القعدة ؛ فلما وصلا
 حماة خرج البرنلي وقصده حران فتبعه الرشيدى بالعساكر ، ودخل علاء الدين البندقداري

(١) سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٦٧ هـ .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٠١ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٤) البرك : هو قتل المسافر ومناعه (كترير ص ٢٥٣ أول) .

إلى حلب، ثم عاد الرّشيدى إلى أنطاكية ثم رحل عنها بعد ما حاصرها مدة لما بلغه عود الملك الظاهر إلى مصر .

- وأما الخليفة فإنه لما توجه نحو العراق ومعه أولاد صاحب الموصل، وهم :
- (١) الملك الصالح وولده علاء الدين (٢) والملك المجاهد سيف الدين صاحب الجزيرة، والملك (٣) المظفر علاء الدين صاحب سنجار، والملك الكامل ناصر الدين محمد، فلما وصلوا
- صحبة الخليفة إلى الرّحبة واقفا عليها الأمير يزيد بن على بن حديثه أمير آل فضل وأخاه الأخرس في أربعائة فارس من العرب . وفارق الخليفة أولاد صاحب الموصل من الرّحبة، وكان الخليفة طلب منهم المسير معه فأبوا، وقالوا : مامعنا مرسوم بذلك، وأرسلوا معه من مماليك والدهم نحو ستين نفرا فأنضافوا إليه، ولحقهم الأمير عز الدين أيديكين من حمّة ومعه ثلاثون فارسا . ورحل الخليفة بمن معه من الرّحبة
- ١٠ بعد ما أقام بها ثلاثة أيام، ونزل مشهد على - رضى الله عنه - ثم رحل إلى قائم عتقه، ثم إلى عانة فوافوا الإمام الحاكم بأمر الله العباسى على عانة من ناحية الشرق ومعه نحو سبعمائة فارس من الأتراك . وكان البرنلى قد جهزه من حلب، فبعث الخليفة المستنصر بالله إليهم وأستألمهم، فلما جاوزوا الفرات فارقوا الحاكم فبعث إليه المستنصر بالله يطلبه إليه ويؤمّنه على نفسه ويُرغب إليه في اجتماع الكلمة،
- ١٥

(١) هو الملك الصالح إسماعيل ركن الدين ابن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٦٠ هـ . (٢) كذا في الأصلين وشذرات الذهب . وفي المنهل الصافي والسلوك والحوادث الجامعة : « علاء الملك » . (٣) هو الملك المجاهد سيف الدين إسماعيل ابن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ (عن المنهل الصافي) . (٤) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٠٣ . من هذا الجزء . (٥) في الأصلين هنا : « بن حذيفة » . والتصحيح عن الحاشية رقم ١ ص ١٠٩ . من هذا الجزء . (٦) في كتاب السلوك : « عز الدين بركة » . (٧) كذا في الأصلين . وفي تقويم البلدان لأبى الفدا إسماعيل : « قائم عتقا » . وهى بلدة بجانب الفرات تدخل في واد إلى عانة . (٨) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٠٥ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

فاجاب ورحل إليه ، فوقى إليه المستنصر وأنزله معه في الدهليز . وكان الحسا كم
لما نزل على عانة آمنتع أهلها منه ، وقالوا : قد بايع الملك الظاهر خليفة وهو واصل
فما نسلمها إلا إليه ؛ فلما وصل المستنصر بالله إليها نزل إليه نائبها وكريم الدين ناظرها
وسلمهاها إليه وحملها له إقامة ، فأقطعها الخليفة للأمير ناصر الدين أغلش أنى الأمير^(١)
علم الدين سنجر الحلبي . ثم رحل الخليفة عنها إلى الحديثة ففتحها أهلها له ، فجعلها
خاصا له ، ثم رحل عنها ونزل على شط قرية الناووسة ؛ ثم رحل عنها قاصدا^(٢)
هيت ، ولما اتصل بجيء الخليفة المستنصر بالله بقرابنا مقدم عسكر التتار بالعراق ،
وبهادر على الخوارزمي شحنة بغداد وخرج قرابنا بخمسة آلاف فارس من التتار على
الشط العراق وقصد الأنبار ، فدخلها إغارة ؛ وقتل جميع من فيها ، ثم رده الأمير
بهادر على الخوارزمي بمن بقي ببغداد من عساكر التتار ، وكان قد بعث ولده إلى هيت
متشوقا لما يرد من أخبار المستنصر ، وقرر معه أنه إذا اتصل به خبره بعث
بالمراكب إلى الشط الآخر وأحرقها ؛ فلما وصل الخليفة هيت أغلق أهلها الباب
دونه ، فزل عليها وحاصرها حتى فتحها ، ودخلها في التاسع والعشرين من ذى الحجة ،
ونهب من فيها من اليهود والنصارى ؛ ثم رحل عنها ونزل الدور وبعث طليعة من^(٣)
عسكره مقدما الأمير أسد الدين محمود ابن الملك المفضل موسى ، فبات بجناه الأنبار^(٤)
تلك الليلة ، وهي ليلة الأحد ثالث المحرم من سنة ستين ومستمائة ؛ فلما رأى قرابنا

(١) في النهج السديد : « غلش » . (٢) في الأصلين : « الماوسة » . والتصحيح عن

معجم البلدان لياقوت . والناووسة : قرية من قرى هيت لها ذكر في الفروج مع الأوس .

(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧ من الجزء الثالث من هذه الطبعة .

(٤) في الحوادث الجامعة لابن القوطي : « على بهادر » .

(٥) الدور : سبعة مواضع بأرض العراق من نواحي بغداد . (راجع معجم البلدان لياقوت) .

(٦) الأنبار : مدينة على الفرات في غرب بغداد ، بينهما عشرة فراسخ . (عن معجم البلدان لياقوت) .

الطليعة أمر من معه من العساكر بالعبور إليها في الخائض والمراكب ليلاً ، فلما أسفر الصبح أفرد قرابغا من معه من عسكر بغداد ناحية .

- وأما الخليفة فإنه رتب آتني عشر طلباً ، وجعل الترتبان والعربان ميمنة وميسرة وباقي العساكر طلباً ؛ ثم حمل بنفسه مبادراً وحمل من كان معه في القلب فأنكسر بهادر ، ووقع معظم عسكره في الثرات ؛ ثم خرج كمين من التتار ، فلما رآه الترتبان والعرب هربوا ، وأحاط الكمين بعسكر الخليفة فصدق المسلمون الحملة ، فأفرج لهم التتار ، فجا الحاكم وشرف الدين بن مهنا وناصر الدين بن صيرم وبوزنا وسيف الدين بلبان الشمسي وأسد الدين محمود وجماعة من الجند نحو الخمسين نفراً ، وقُتل الشريف نجم الدين [جعفر] ^(١) أستاذار الخليفة ، وفتح الدين بن الشهاب أحمد ، وفارس الدين [أحمد] ^(٢) بن أزدمر اليعموري ، ولم يوقع للخليفة المستنصر على خبر ، فقيل إنه : قُتل في الوقعة وعُفي أثره ، وقيل : إنه نجا مجروحاً في طائفة من العرب مات عندهم ، وقيل : سلم وأضرته البلاد .

- وأما السلطان الملك الظاهر بيبرس فإنه لما عاد إلى مصر عاد بعده بلبان الرشيدى في أثره وغاد البرنلى إلى حلب ودخلها وملكها ، بفرّد إليه الملك الظاهر عسكراً ثانياً ، عليهم الأمير شمس الدين سُتقر الرومى ، وأمره بالمسير إلى حلب ؛ ثم إلى الموصل وكتب إلى الأمير علاء الدين طيبرس نائب السلطنة يدمشق وإلى الأمير علاء الدين أيديكين البندقدارى يأمرهما أن يكونا معه بعسكرهما حيث توجه يتوجه الجميع ، فسار الجميع إلى جهة حلب ، ففرج البرنلى من حلب وتسلم ثواب أيديكين

(١) في الأصلين : « ناصر الدين » وراجع الحاشية رقم ١ ص ١٠٩ من هذا الجزء .

(٢) في عيون التواريخ وعقد الجمان : « بوزيا » . (٣) الزيادة عن السلوك .

(٤) في التيج السديد : « وفتح الدين اليعموري » .

الْبُنْدُقْدَارِيَّ حَلَب . ثم جاء مرسوم السلطان بتوجه البُنْدُقْدَارِيَّ إلى حلب ، ويعود طَبِيرَس إلى دِمَشق ويعود سُقْرُ الرُّومِيَّ إلى مصر ، فعاد الرومِيَّ إلى القاهرة . فلما اجتمع بالسلطان أوغر خاطره على طَبِيرَس ، فكان ذلك سبباً للقبض على طَبِيرَس المذكور وحبسه بالقاهرة مدة سنين .

ثم وصل إلى الديار المصرية في السابع والعشرين من شهر ربيع الآخر الإمام^(١) الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد ابن الأمير أبي علي الحسن ابن الأمير أبي بكر بن الحسن بن علي القبي^(٢) ابن الخليفة المسترشد بالله أبي منصور الفضل ابن الخليفة المستظهر بالله أحمد العباسي .

قلت : ومن المستظهر يُعرف نسبه من ترجمة المستنصر وغيره من أقاربه إلى العباس . ووصل صحبته شمس الدين صالح بن محمد بن أبي الرشيد الأسدي الحاكِمِيَّ المعروف بآبن البناء وأخوه محمد ونجم الدين محمد ، واحتفل الملك الظاهر ببيرس ببقائه وأنزله بالبرج الكبير داخل قلعة الجبل ، ورتب له ما يحتاج إليه ، ووصل معه ولده . وبايعه بالخلافة في يوم الخميس تاسع المحرم من سنة إحدى وستين بقلعة الجبل . وكانت المسلمون بلا خليفة منذ استشهد الخليفة المستنصر بالله في أوائل

(١) في تاريخ الدول والملوك لابن الفرات : « من شهر ربيع الأول » . (٢) اختلف في نسبه ، والمشهور عند نسابه مصر أنه أحمد بن الحسن بن أبي بكر ابن الأمير أبي علي القبي ابن الأمير حسن ابن الراشد ابن المسترشد ابن المستظهر . وعند الشرفاء العباسيين أنه أحمد بن أبي بكر علي بن أبي بكر أحمد ابن الإمام المسترشد الفضل ابن المستظهر (راجع تاريخ ابن الوردي وتاريخ أبي القدا) .

(٣) ضبط بالعبارة في الدرر الكامنة (بضم القاف وتشديد الموحدة) .

(٤) البرج الكبير داخل القلعة : من المعاني تبيين لي أنه لا يوجد الآن برج كبير قائم بذاته وسط مباني القلعة ، ومن المرجح أن هذا البرج قد زال بسبب التغيرات التي أدخلها الملك الناصر محمد بن قلاوون على أبنية القلعة إلا أنه لا يزال إلى الآن عدة أبراج في السور الخارجي المحيط بقلعة الجبل ، نذكر منها برج الزاوية و برج الصحراء و برج الحداد و برج الرملة و برج الإمام و برج المبلط و برج المقطم و برج الطبلية .

السنة الحالية ^(١) ، وجلس السلطان بالإيوان ليبيته وحضر القضاة والأعيان وارباب الدولة ، وقرئ نسبه على قاضى القضاة وشهد عنده جماعةً بذلك ، فأنبته ومد يده وبايعه بالخلافة ، ثم بايعه السلطان ثم الوزير ثم الأعيان على طبقاتهم ، وخطب له على المنابر ، وكتب السلطان إلى الأقطار بذلك وأن يخطبوا باسمه ، وأنزل إلى منابر الكبش فسكن بها إلى أن مات في ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى سنة ٥٠٠ إحدى وسبعائة ودُفن بجوار السيدة نفيسة ، وهو أول خليفة مات بالقاهرة من بنى العباس حسب ما يأتى ذكره — إن شاء الله تعالى — في محله بأوسع من هذا .

وأما الملك الظاهر فإنه تجهز للسفر إلى البلاد الشامية ، وخرج من الديار المصرية في يوم السبت سابع شهر ربيع الآخر من سنة إحدى وستين وستمائة . وفي هذه السفرة قبض على الملك المغيث صاحب الكرك الذى كان معه تلك الأيام على قتال المصريين وغيرهم ، ولما قبض عليه الظاهر بعث به إلى قلعة الجبل صحبة الأمير آق سنقر الفارقاني ^(٢) ، فوصل به إلى القاهرة في يوم الأحد خامس عشر

(١) الذى تقدم أن المستنصر قتل في ثالث المحرم سنة ٦٦٠ هـ . وأن الإمام الحاكم بويع في تاسع المحرم سنة ٦٦١ هـ . وراجع أيضا عيون التواريخ وتاريخ الدول والملوك .

(٢) مناظر الكبش : ذكر المقرئ في (ص ١٣٣ ج ٢) من خطه أن هذه المناظر أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب في أعوام بضع وأربعين وستمائة على جبل يشكر بجوار الجامع الطولونى . وهى عبارة عن قصور كانت تشرف من أعلى جبل يشكر على بركة فارون وبركة القيل وعلى البساتين التى فى رالحليج الغربى من المقس إلى المخلج ، والتى فى بره الشرق من باب زويلة إلى صلبة جامع ابن طولون ، كما كانت تشرف على النيل وجزيرة الروضة وقلعة الروضة ، فكانت من أجل منزهات مصر ، وقد تأنق الملك الصالح فى بنائها وصماها الكبش فحرفت بذلك إلى اليوم . وما زالت بعد الملك الصالح من المنازل الملكية إلى أن هدمها الملك الأشرف شعبان بن حسين فى سنة ٧٦٨ هـ . فحكر الناس الكبش وبنوا فيه مساكن .

وأقول : مكانها اليوم المنطقة التى تعرف بقلعة الكبش فى الجهة الغربية من جامع ابن طولون التى تشرف من بحريها على شارع مراسينا ومن غربيها على خط البغالة بقسم السيدة زينب بالقاهرة .

(٣) هو آق سنقر بن عبد الله النجمى الفارقانى الأمير شمس الدين . سيذكر المؤلف فى حوادث

بِحَمْدَى الآخرة، فكان ذلك آخر العهد به . ثم عاد الملك الظاهر إلى الديار المصرية في يوم السبت سادس عشر شهر رجب . ولما دخل إلى القاهرة قبض على الأمير بلبان الرشيدى وأبيك الدمياطى وأقوش البرنلى .

ثم في هذه السنة شرع الملك الظاهر في عمارة المدرسة الظاهرية بين القصرين ، وتمت في أوائل سنة اثنتين وستين وستمائة . ورتب في تدريس الإيوان القبلى القاضي تقي الدين محمد بن الحسين بن رزين الشافعى ، وفي تدريس الإيوان الذى يواجهه ^(٢) القاضي مجد الدين عبد الرحمن بن العديم ، والحافظ شرف الدين الدمياطى لتدريس الحديث في الإيوان الشرقى ، والشيخ كمال الدين المحلى في الإيوان [الذى] يقابله ^(٣) ^(٤) ^(٥)

(١) المدرسة الظاهرية : ذكر المقرئى (في ص ٣٧٨ ج ٢) من خطه أن هذه المدرسة بالقاهرة بنحط بين القصرين . كان موضعها من القصر الكبير باب الذهب أحد أبواب القصر وقاعة الخيم وقاعة السدرة . وضع أساسها الملك الظاهر بيبرس في سنة ٥٦٠ هـ . وتم بناؤها في سنة ٥٦٢ هـ . وكان لها أربع إيوانات وجعل بها خزانة كتب تشتمل على أمهات الكتب في سائر العلوم وبنى بجانبها مكتبا لتعليم أيتام المسلمين القرآن إلى أن قال المقرئى إلا أنها قد تقادم عهدها فرث ولها بقية صالحة .

واقول : إن هذه المدرسة واقعة بجانب قبة الملك الصالح نجم الدين أيوب من الجهة البحرية بشارع المعز لدين الله (بين القصرين سابقه) وقد اندثرت واعتدى الناس على أرضها وأدخلوها في أملاكهم كما دخل جزء منها في شارع بيت القاضي ولم يبق منها اليوم إلا الإيوان الشرقى وهو معطل ويعرف الآن باسم جامع طاهر داخل عطفة جامع طاهر بشارع بيت القاضي ، وبقى من هذه المدرسة أيضا الكتف الأيمن لبابها الأسمى وطيه اسم منشأ وتاريخ إنشائها . وكان لهذه المدرسة باب جميل من النحاس ليس له مثل في صنعه وحسن إيقانه وجمال زخرفته منقوش عليه اسم الملك الظاهر بيبرس وسنة ٥٦١ هـ التى صنع فيها .

وما يؤسف له أن هذا الباب مركب الآن على باب دار المفوضية الفرنسية بشارع الجزيرة تجاه حديقة الحيوانات . (٢) كذا في الأصلين وعيون التواريخ وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبي .

وفي خطط المقرئى في الكلام على المدرسة الظاهرية والسلوك أيضا وطبقات الشافعية : « محمد بن الحسن » . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٥٦٨ هـ . فيمن نقل وقاتهم عن الذهبي . (٣) هو عبد الرحمن ابن عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة بن أحمد بن يحيى بن زهير بن أبي جراد الصاحب أبو المجد

مجد الدين . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٧٧ هـ . (٤) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٦ من هذا الجزء . (٥) في الأصلين : « كمال الدين القرى » . والتصويب عن عيون التواريخ

وشذرات الذهب وغاية النهاية . وهو أحمد بن علي بن إبراهيم الشيخ أبو العباس المعروف بالكمال المحلى الضرير . توفي سنة ٦٧٢ هـ .

- لإقراء القرآن بالروايات والطرق ؛ ثم رتب جماعة يقرءون السبع بهذا الإيوان أيضا بعد صلاة الصبح ، ووقف بها خزانة كتب ، وبني إلى جانبها مكتبا لتعلم الأيتام وأجرى عليهم الخبز في كل يوم ، وكسوة الفضلين وسقاية تُعين على الطهارة ؛ وجلس للتدريس بهذه المدرسة يوم الأحد ثالث عشر صفر من سنة اثنين وستين ، وحضر صاحب بهاء الدين بن حنا ، والأمير جمال الدين بن يغمور ؛ والأمير جمال الدين أيدغدي العزيزي وغيرهم من الأعيان .

- وفي سنة إحدى وستين أيضا تسلم الأمير بيلىك الملائى حمص بعد وفاة صاحبها الملك الأشرف الأيوبي . ثم أمر الملك الظاهر أيضا بإنشاء خان في القدس الشريف للسبيل ، وفوض بناءه ونظيره إلى الأمير جمال الدين محمد بن نهار ؛ ولما تم الخان المذكور أوقف عليه قيراطا ونصفا بالمطر ، وثلاث ورع قرية المشيرفة من بلد بصرى ، ونصف قرية لبنى ، يُصرف ربع ذلك في خبز وفلوس وإصلاح نعال من يريد عليه من المسافرين المشاة . وبني له طاحونا وفرنا ، وأستمر ذلك كله .

- ثم ولي الملك الظاهر في سنة ثلاث وستين وستمائة في كل مذهب قاضيا مستقلا بذاته ، فصارت قضاة القضاة أربعة ، وسبب ذلك كثرة توقف قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز في تنفيذ الأحكام ، وكثرة الشكاوى منه بسبب ذلك . فلما كان يوم الاثنين ثاني عشر ذى الحجة شكى القاضى المذكور الأمير جمال الدين أيدغدي العزيزي في المجلس ، وكان يكره القاضى تاج الدين

(١) في الأصلين : «سادس عشر» . وما أثبتنا عن التوفيقات الإلهامية . (٢) في الأصلين : «محمد بن بهادر» . وما أثبتناه عن السلوك وعبود التواريخ . (٣) في عبود التواريخ : «قيراطا ونصفا من الطرة» . (٤) بصرى : هي قصبة كورة حوران مشهورة عند العرب قديما وحدنا . (من معجم البلدان لياقوت) . (٥) في عبود التواريخ : «قرية لفتا» . (٦) راجع السلوك في حوادث سنة ٦٦٣ هـ حيث ذكرت فيه هذه الأسباب بتفصيل واف . (٧) في الأصلين : «شكا على القاضى... الخ» وفي السلوك : «كانت الشكاوى من بنات الملك الناصر» .

المذكور؛ فقال أَيْدُغْدِي بِحَضْرَةِ السُّلْطَانِ : يَا تَاجَ الدِّينِ ، تَرَكَ مَذْهَبَ الشَّافِعِيِّ لَكَ ، وَتَوَلَّى مَعَكَ مِنْ كُلِّ مَذْهَبٍ قَاضِيًا ، فَمَالَ الْمَلِكُ الظَّاهِرَ إِلَى كَلَامِهِ ، وَكَانَ لَا يَدُغْدِي مِنْهُ مَحَلٌّ عَظِيمٌ ؛ فَوَلَّى السُّلْطَانُ الشَّيْخَ صَدْرَ الدِّينِ سُلَيْمَانَ الْحَنْفِيَّ قَاضِيًا قَضَاةَ الْحَنْفِيَّةِ بِالْأَمِيرِ الْمَصْرِيِّ ، وَكَانَ لِلْقَضَاةِ الْحَنْفِيَّةِ أَزِيدٌ مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً مِنْ أَوَّلِ الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ قَدْ بَطَلَ حُكْمُهُمْ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ اسْتِقْلَالًا عِنْدَ مَا أَبْطَلَ الْفَاطِمِيُّونَ الْقَضَاةَ مِنْ سَائِرِ الْمَذَاهِبِ ، وَأَقَامُوا قَضَاةَ الشَّيْعَةِ بِمِصْرَ . اِتَّهَمَ . وَوَلَّى الْقَاضِي شُرَفَ الدِّينِ عُمَرَ السُّبُكِّيَ الْمَالِكِيَّ قَاضِيًا قَضَاةَ الْمَالِكِيَّةِ . وَوَلَّى الشَّيْخَ شَمْسَ الدِّينِ مُحَمَّدَ بْنَ الشَّيْخِ الْعِمَادِ الْحَنْبَلِيَّ قَاضِيًا قَضَاةَ الْحَنْبَلِيَّةِ ، وَفُوضَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَسْتَنْبِطَ بِالْأَعْمَالِ وَغَيْرِهَا ؛ وَأَبْقَى عَلَى تَاجِ الدِّينِ النَّظَرَ فِي مَالِ الْيَتَامَى ، وَكَتَبَ لَهُمُ التَّقَالِيدَ وَخَلَعَ عَلَيْهِمْ ؛ ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ بِبِلَادِ الشَّامِ كُلِّهَا . ١٠

قلت : وقد جمعتُ أسماءَ من ولى القضاء من المذاهب الأربعة من يوم رتبَ الملك الظاهر يبرس القضاء (أعني من سنة ثلاث وستين وستمائة) إلى يومنا هذا على الترتيب على سبيل الاختصار لتكثر الفائدة في هذا الكتاب ، وإن كان يأتى ذكر غالبهم في الوقایات في حوادث الملوك على عادة هذا الكتاب ، فذكرهم هنا جملة أرشق وأهون على من أراد ذلك ، والله المستعان . فنقول : ١٥

(١) هو قاضى القضاء صدر الدين سليمان بن أبى العزین وهيب الأذرى ثم الدمشقى أبو الفضل شیخ الحنفية ، ولى القضاء بالديار المصرية والشامية والبلاد الإسلامية . سيذكره المؤلف فيمن نقل وفاتهم عن الذهبي سنة ٦٧٧ هـ . وفي الأصلين هنا وما سياتى ذكره المؤلف في الكلام على القضاء الحنفية : «ضياء الدين» . وهو خطأ وتصحيحه عن حسن المحاضرة والجواهر المضية في طبقات الحنفية وشذرات الذهب والمهل الصافي . (٢) هو شرف الدين عمر بن عبد الله بن صالح بن عيسى بن عبد الملك ابن موسى السبكي المالكي قاضى القضاء بديار مصر . كانت وفاته سنة ٦٦٩ هـ . كما في رفع الأصر عن قضاة مصر لابن حجر العسقلاني (نسخة في مجلد مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٠٥ تاريخ) وتاريخ الإسلام . (٣) هو شمس الدين أبو بكر وأبو عبد الله محمد ابن العماد إبراهيم بن عبد الواحد ابن شرف الدين علي بن سرور المقدسي تزيل مصر قاضى قضاة الحنابلة . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٧٦ هـ فيمن نقل وفاتهم عن الذهبي . ٢٥

[ذكر قضاة الشافعية]

- (١) كان قاضي قضاة الشافعية يوم ذاك القاضي تاج الدين عبد الوهاب ، وهي ولايته الثانية ؛ وتوفي سنة خمس وستين وستمائة . ثم القاضي تقي الدين محمد بن رزين العامري سنة خمس وستين وستمائة ، ومولده في شعبان سنة ثلاث وستمائة ، وتوفي ثالث رجب سنة ثمانين وستمائة . ثم القاضي صدر الدين عمر بن عبد الوهاب بن بنت الأعز سنة ثمان وسبعين وستمائة . ثم أعيد القاضي تقي الدين محمد بن رزين سنة تسع وسبعين وستمائة . ثم القاضي وجيه الدين عبد الوهاب البهنسي سنة ثمانين وستمائة . ثم القاضي تقي الدين عبد الرحمن ابن القاضي تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز سنة خمس وثمانين وستمائة . ثم القاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الحموي الكائن سنة تسعين وستمائة . ثم أعيد القاضي تقي الدين عبد الرحمن بن بنت الأعز في صفر سنة ثلاث وتسعين وستمائة . ثم ولي القاضي تقي الدين محمد بن علي بن دقيق العيد سنة خمس وتسعين وستمائة ، ومولده في شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة ، وتوفي سنة اثنتين وسبعمائة . ثم أعيد القاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة الحموي في سنة أربع وسبعمائة . ثم ولي القاضي جمال الدين

- (١) هو القاضي تاج الدين أبو محمد عبد الوهاب بن خلف بن بدر المعروف بأبن بنت الأعز .
 (٢) هو تقي الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن رزين بن موسى العامري الحموي وراجع الحاشية رقم ٢ ص ١٢٠ من هذا الجزء . (٣) في الأصلين : « الفارسي » . وما أتيته عن طبقات الشافعية وشذرات الذهب وما سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٨٠ هـ فيمن نقل وفاتهم عن الذهبي .
 (٤) كانت وفاته سنة ٦٨٠ هـ كما في طبقات الشافعية وشذرات الذهب . (٥) هو عبد الوهاب ابن الحسين المصري بن عبد الوهاب البهنسي كانت وفاته سنة ٦٨٥ هـ أو سنة ٦٨٦ هـ .
 (٦) سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٩٥ هـ . (٧) سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٧٣٣ هـ .
 (٨) راجع ترجمته بتفصيل واف في المنهل الصافي وطبقات الشافعية . (٩) سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٧٣٤ هـ . والزرعي : نسبة الى زرع من حوران . وكانت تسمى قبل ذلك « زري » كما في الجزء الثالث من باقوت (٩٢١) .

- سليمان بن عمر الزُرَيْعِيّ سنة عشر وسبعائة . ثم أُعيد القاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم
 ابن جماعة سنة إحدى عشرة وسبعائة . ثم ولي القاضي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن
 القزويني سنة سبع وعشرين وسبعائة ، وتوفي سنة تسع وثلاثين وسبعائة . ثم ولي
 القاضي عز الدين عبد العزيز ابن القاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة الحموي
 سنة ثمان وثلاثين وسبعائة . ثم ولي القاضي بهاء الدين عبد الله [بن عبد الرحمن]
 ابن عقيل سنة تسع وخمسين وسبعائة . ثم أُعيد القاضي عز الدين عبد العزيز بن
 جماعة سنة تسع وخمسين وسبعائة . ثم ولي القاضي بهاء الدين محمد أبو البقاء بن
 عبد البر السبكي في سنة ست وستين وسبعائة . ثم ولي القاضي بُرهان الدين إبراهيم
 بن عبد الرحيم [بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله] بن جماعة سنة ثلاث وسبعين
 وسبعائة . ثم ولي القاضي بدر الدين محمد بن بهاء الدين محمد بن عبد البر السبكي
 في صفر سنة تسع وسبعين وسبعائة . ثم أُعيد القاضي بُرهان الدين إبراهيم بن جماعة
 سنة إحدى وثمانين وسبعائة . ثم أُعيد القاضي بدر الدين محمد بن أبي البقاء السبكي
 في صفر سنة أربع وثمانين وسبعائة . ثم ولي القاضي ناصر الدين محمد [بن عبد الدائم
 ابن محمد بن سلامة] ابن بنت الملق في شعبان سنة تسع وثمانين وسبعائة ، وامتنح
 وعُزل . ثم ولي القاضي صدر الدين محمد بن إبراهيم السلمي المناوي في ذي القعدة
 سنة إحدى وتسعين وسبعائة . ثم أُعيد القاضي بدر الدين محمد بن أبي البقاء

- (١) سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٥٧٦٧ هـ . (٢) التكلة عن المنهل الصافي والدرر الكامة
 في أعيان المائة الثامنة ، وما سياتي ذكره المؤلف في حوادث سنة ٥٧٦٩ هـ . (٣) سيذكر المؤلف
 وفاته في حوادث سنة ٥٧٧٧ هـ . (٤) التكلة عن الدرر الكامة وتوفي سنة ٥٧٩٠ هـ كما في الدرر
 الكامة وشذرات الذهب . (٥) توفي سنة ٨٠٣ هـ كما في شذرات الذهب والمنهل الصافي .
 (٦) التكلة عن المنهل الصافي وشذرات الذهب توفي سنة ٥٧٩٧ هـ . (٧) سيذكره المؤلف
 في حوادث سنة ٨٠٣ هـ . والمناوي نسبة الى منية القائد (ميت القائد الآن) وهو القائد فضل بن صالح
 أحد قواد الوزير يعقوب بن كلس ، وهذه القرية هي اليوم إحدى قرى مركز العياط بمديرية الجيزة .

- السُّبُكِي سنة إحدى وتسعين وسبعائة . ثم ولي القاضي عماد الدين أحمد الكرّكي^(١)
 في رجب [سنة اثنتين وتسعين^(٢) ، ثم عُزل في ذى الحجة] سنة أربع وتسعين
 وسبعائة . ثم أُعيد القاضي صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوي في شعبان سنة
 خمس وتسعين وسبعائة . ثم أُعيد القاضي بدر الدين محمد بن أبي البقاء السُّبُكِي^(٣)
 في شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وسبعائة . ثم أُعيد القاضي صدر الدين محمد
 ابن إبراهيم المناوي في شعبان سنة سبع وتسعين وسبعائة . ثم ولي القاضي تقي الدين^(٤)
 الزُّبَيْرِي في جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وسبعائة . ثم أُعيد القاضي صدر الدين^(٥)
 المناوي في شهر رجب سنة إحدى وثمانمائة . ثم ولي القاضي ناصر الدين الصالحى
 في سَلَخ شعبان سنة ثلاث وثمانمائة . ثم ولي القاضي جلال الدين عبدالرحمن بن عمر
 ابن رسلان بن نصير البُلُقَيْنِي في جمادى الأولى سنة أربع وثمانمائة في حياة والده .
 ١٠ ثم أُعيد القاضي ناصر الدين الصالحى في شوال سنة خمس وثمانمائة ، ومات في المحرم
 سنة ست وثمانمائة . ثم ولي القاضي شمس الدين محمد الإخْطَائِي في شهر الله المحرم^(٦)
 سنة ست وثمانمائة . ثم أُعيد القاضي جلال الدين عبد الرحمن البُلُقَيْنِي في شهر
 ربيع الأول سنة ست وثمانمائة ، ومولده سنة إحدى وستين وسبعائة ؛ وهكذا حكى لى

- ١٥ (١) هو أحمد بن عيسى بن موسى بن جميل الأزرق العامري الكرّكي عماد الدين . سيذكره
 المؤلف في وفیات سنة ٨٠١ هـ . (٢) تكلّة عن حسن المحاضرة للسيوطي .
 (٣) في الأصلين : « أربع وتسعين » . والتصحيح عن حسن المحاضرة . (٤) هو تقي الدين
 عبد الرحمن بن تاج الرئاسة محمد بن عبد الناصر المحلى الديميرى الزبيرى . سيذكره المؤلف في وفیات
 سنة ٨١٣ هـ . (٥) هو ناصر الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن الصالحى . (٦) البلقينى : نسبة
 الى بلقية ، قرية واقعة في الجنوب الغربى لمدينة المحلة الكبرى بمديرية الغربية بمصر . (٧) كذا
 في الأصلين هنا وحسن المحاضرة . وسيذكره المؤلف في وفیات سنة ٨٠٥ هـ . (٨) هو قاضى
 القضاة شمس الدين محمد بن محمد بن عثمان الدمشقى المعروف بابن الإخْطَائِي . سيذكره المؤلف في وفیات
 سنة ٨١٦ هـ . (٩) في المنهل الصافى : « مولده بالقاهرة في جمادى الأولى سنة اثنتين وستين
 وسبعائة هكذا سمعته من لفظه غير مرة » . وفي شذرات الذهب : « في جمادى الأولى سنة ٧٦٣ هـ » .

من لفظه ، — رحمه الله — وتوفي بالقاهرة في شوال سنة أربع وعشرين وثمانمائة .
ثم أعيد القاضي شمس الدين محمد الإخنائي في شهر شعبان سنة ست وثمانمائة .
ثم أعيد القاضي جلال الدين عبد الرحمن البلقيني في ذي الحجة من سنة ست وثمانمائة .
ثم أعيد القاضي شمس الدين الإخنائي في ثاني عشرين جمادى الأولى سنة سبع
وثمانمائة . ثم أعيد القاضي جلال الدين البلقيني في ثالث عشر ذي القعدة سنة سبع
وثمانمائة . ثم أعيد القاضي شمس الدين محمد الإخنائي في حادى عشر صفر سنة
ثمان وثمانمائة . ثم أعيد القاضي جلال الدين البلقيني في خامس شهر ربيع الأول
سنة ثمان وثمانمائة ، وهى ولايته الخامسة ، ولم يزل فى هذه المرة قاضياً إلى أن توجه
صحبة الملك الناصر فرج إلى الشام سنة أربع عشرة وثمانمائة . ثم عزل بالقاضى
شهاب الدين أحمد الباعوني^(١) بدمشق في المحرم سنة خمس عشرة وثمانمائة . ثم أعيد
القاضى جلال الدين البلقيني المذكور في أول صفر من سنة خمس عشرة وثمانمائة ،
فاستمر في القضاء إلى آخر جمادى الأولى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة . ثم عزل
بالقاضى شمس الدين محمد المروى^(٢) في سلفج جمادى الأولى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة .
ثم أعيد القاضي جلال الدين البلقيني في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين
وثمانمائة ، واستمر إلى أن مات في شوال كما تقدم ذكره .

قلت : وقاضى القضاة جلال الدين المذكور هو صهرى وزوج كريمى ، ومات
عنها . رحمهما الله تعالى وعفا عنهما .

(١) الباعوني : نسبة الى الباعوة (فتح الباء الموحدة وألف بعدها ثم عين مقسومة ووار ساكنة
ونون مفتوحة وفى آخرها هاـ) وهى على شوط فرس من مجلون . وكان مكانها ذير به راهب اسمه باعوة
فسميت المدينة به (عن صبح الأعشى ج ٤ ص ١٠٦) . وهو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن ناصر
ابن خليفة بن فرج بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن الناصرى الباعوني . وفى تقويم البلدان لأبى القسدا
إسماعيل وهامش الأصل فى وفيات سنة ٨١٦ هـ وهى السنة التى توفى فيها الباعوني هذا : «الباعوة» بالاء
المثلثة وهو تصحيف . (٢) هو قاضى القضاة شمس الدين محمد بن عطاء الله بن محمد بن محمود بن
أحمد بن فضل الله بن محمد الرازى المروى . سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٢٩ .

- ثم ولى القاضي وَلِيّ الدين أحمد ابن الحافظ عبد الرحيم بن الحسين العراقي في شوال سنة أربع وعشرين وثمانمائة . ثم ولى القاضي علم الدين صالح بن عمر البلقيني^(٢) في يوم السبت سادس ذى الحجة سنة خمس وعشرين وثمانمائة . ثم ولى القاضي شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر في سابع عشرين المحرم سنة سبع وعشرين وثمانمائة . ثم أعيد القاضي شمس الدين الهروي في سابع ذى القعدة سنة سبع وعشرين وثمانمائة . ثم أعيد القاضي شهاب الدين أحمد بن حجر في ثاني رجب سنة ثمان وعشرين وثمانمائة . ثم أعيد القاضي علم الدين صالح البلقيني في خامس عشرين صفر سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة . ثم أعيد القاضي شهاب الدين أحمد بن حجر في رابع عشرين جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وثمانمائة . ثم أعيد القاضي علم الدين صالح البلقيني في خامس شوال سنة أربعين وثمانمائة . ثم أعيد القاضي شهاب الدين أحمد بن حجر في يوم الثلاثاء سادس شوال سنة إحدى وأربعين وثمانمائة . ثم ولى القاضي شمس الدين محمد القاياتي في يوم الخميس رابع عشر المحرم سنة تسع وأربعين وثمانمائة ، ومات في ثامن عشرين المحرم سنة خمسين وثمانمائة — رحمه الله تعالى — ثم أعيد القاضي شهاب الدين أحمد بن حجر في خامس صفر سنة خمسين وثمانمائة . ثم أعيد القاضي علم الدين صالح البلقيني في يوم السبت مستهل سنة إحدى وخمسين

(١) هو قاضى القضاة ولى الدين أبو زرعة أحمد ابن الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحيم العراقي . سيذكره المؤلف في وفيات سنة ٨٢٦ هـ . (٢) هو قاضى القضاة علم الدين صالح ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان أخو القاضي جلال الدين البلقيني . سيذكره المؤلف في وفيات سنة ٨٦٨ هـ . (٣) هو قاضى القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن محمد بن علي بن أحمد بن حجر المصرى المقلاني . سيذكره المؤلف في وفيات سنة ٨٥٢ هـ . (٤) هو قاضى القضاة شمس الدين محمد بن علي بن محمد بن يعقوب القاياتى الشافى .

وثمانمائة . ثم ولى القاضي وَلَّى الدين محمد السَّفْطَى^(١) في يوم الخميس خامس عشر شهر ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وثمانمائة . ثم أُعيد القاضي شهاب الدين أحمد بن حَجَر في ثامن شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة ، ثم عَزَلَ نفسه ومات معزولا - رحمه الله تعالى - . ثم أُعيد القاضي علم الدين صالح البُلْقِينِي^(٢) في سادس عشر جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة . ثم ولى القاضي شرف الدين يحيى المُنَاوِي^(٣) في يوم الاثنين ثالث عشر رجب سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة . ثم أُعيد القاضي علم الدين صالح البُلْقِينِي^(٤) في يوم السبت ثامن عشرين صفر سنة سبع وخمسين وثمانمائة .



ذكر القضاة الحنفية

فالذى ولى أولاً قاضى القضاة صدر الدين سليمان . ثم من بعده قاضى القضاة معز الدين الثُّمَان بن الحسن [بن يوسف] إلى أن تُوُفِيَ في سابع عشر شعبان سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة . ثم وَلَّى قاضى القضاة شمس الدين أحمد السَّرُوحِي^(٥) فأستمر إلى أن تسلطن الملك المنصور لاجين عزله . ثم ولى قاضى القضاة حُسام الدين الرازى فأستمر إلى أن قُتِلَ لاجين ، نُقِلَ إلى قضاء دِمَشْق سنة

(١) هو قاضى القضاة ولى الدين محمد بن أحمد بن يوسف أبو عبد الله السفطى . نسبة إلى سبط الحناء، وهى التى تعرف اليوم بصفط الحنة إحدى قرى مركز الزقازيق بمديرية الشرقية . سيذكره المؤلف في وفيات سنة ٨٥٤ هـ . (٢) هو قاضى القضاة شرف الدين أبو زكريا يحيى بن سعد الدين محمد ابن محمد المناوى . سيذكره المؤلف في وفيات سنة ٨٧١ هـ . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٢٢ من هذا الجزء . (٤) الزيادة عن المنهل الصافى والجواهر المضية في طبقات الحنفية . (٥) فى الأصلين هنا : « محمد » . وتصحيحه عن المنهل الصافى والجواهر المضية وما سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧١٠ هـ . وهو أحمد بن إبراهيم ابن عبد الفنى السروجى . (٦) هو قاضى القضاة حسام الدين الحسن بن أحمد بن الحسن بن أنوشروان أبو الفضائل . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٩٩ هـ

- ثمان وتسعين . ثم أُعيد شمس الدين السُّروحي^(١)، ثم عُزل أول شهر ربيع الآخر سنة عشر وسبعمائة . ثم ولى بعده قاضى القضاة شمس الدين محمد الحريرى إلى أن مات يوم السبت رابع جمادى الآخرة — رحمه الله — سنة ثمان وعشرين وسبعمائة . ثم ولى بعده قاضى القضاة بُرهان الدين إبراهيم بن عبد الحق إلى أن عُزل يوم الأحد ثامن عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة . ثم ولى بعده قاضى القضاة حُسام الدين القُورى إلى أن كانت واقعة الأمير قُوصون نهبوا الرسل والعامّة بيته وطلبوه ليقتلوه فهُرب . ثم ولى بعده قاضى القضاة زَيْن الدين عمر البُسْطامى في سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة إلى أن عُزل في سنة ثمان وأربعين وسبعمائة . ثم تولّاها من بعده قاضى القضاة علاء الدين التُّركمانى في جمادى منها إلى أن توفى طائر المحرم سنة خمسين . فولى بعده ولده قاضى القضاة جمال الدين عبد الله ابن التُّركمانى إلى أن مات في شعبان سنة تسع وستين وسبعمائة . فولى بعده قاضى القضاة سراج الدين عمر الهِنْدى إلى أن مات في شهر رجب سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة ، ثم ولى بعده قاضى القضاة صدر الدين بن جمال الدين التُّركمانى إلى أن

- (١) هو قاضى القضاة شمس الدين محمد بن عثمان بن أبي الحسن بن عبد الوهاب الأنصارى الحنفى المعروف بأبن الحريرى . (٢) هو قاضى القضاة إبراهيم بن على بن أحمد بن على بن يوسف بن إبراهيم أبو إسماعيل الحنفى المعروف بأبن عبد الحق . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٧٤٤ هـ . (٣) هو الحسن بن محمد بن محمد بن على حسام الدين البغدادى القورى قاضى القضاة بمصر . ترجم له صاحب الدرر الكامنة والجواهر المضية ولم يذكر سنة وفاته . (٤) هو قاضى القضاة زَيْن الدين أبو حفص عمر بن عبد الرحمن بن أبي بكر البسْطامى . توفى سنة ٧٧١ هـ . (عن المهمل الصافى) . والبسْطامى نسبة إلى بسطام ، قرية من قرى قومس على جادة الطريق إلى نيسابور بعدد دافغان بمرحلتين (عن معجم البلدان لياقوت) . (٥) هو قاضى القضاة على بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى علاء الدين التُّركمانى . (٦) هو قاضى القضاة عمر بن إسماعيل بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن أحمد بن محمود سراج الدين أبو حفص الغزنوى الهندى (عن المهمل الصافى) . (٧) هو قاضى القضاة صدر الدين أبو عبد الله محمد بن جمال الدين عبد الله بن علاء الدين على بن عثمان .

مات في ذى القعدة سنة ست وسبعين . فوليا بعده قاضى القضاة نجم الدين بن الكشك ، طُلب من دِمَشْق في المحرم سنة سبع وسبعين وسبعائة ، ثم عُزل عنها . وتولى من بعده قاضى القضاة صدر الدين على بن أبى العز الأذرى ، ثم أعتفى عنها . فتولاها قاضى القضاة شرف الدين أبو العباس أحمد [بن على] بن منصور في سنة سبع وسبعين ، فأستمر إلى سادس عشرين شهر رجب عُزل . ثم تولاها بعده قاضى القضاة جلال الدين جار الله ، فأستمر قاضياً إلى أن مات في يوم الاثنين رابع عشر شهر رجب سنة أثنين وثمانين وسبعائة . فتولى بعده قاضى القضاة صدر الدين محمد بن على بن منصور في شهر رمضان سنة أثنين وثمانين وسبعائة ، فأستمر إلى أن مات في شهر ربيع الأول سنة ست وثمانين وسبعائة . فتولاها بعده قاضى القضاة شمس الدين محمد بن أحمد بن أبى بكر الطرابلى ، فأستمر إلى بعد فتنة الآتابك يلبغا الناصرى ومنطاش مع الظاهر برقوق سنة أثنين وتسعين وسبعائة عُزل عنها . ثم تولاها قاضى القضاة مجد الدين إسماعيل بن إبراهيم [بن محمد بن على بن موسى] الیکاني ، أقام فيها قليلاً ثم عُزل . ثم تولاها من بعده قاضى القضاة جمال الدين محمود [بن محمد بن على بن عبد الله] القيصرى العجمى مضافاً لنظر

- (١) هو قاضى القضاة نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن محمد بن عبد العزيز بن صالح بن أبى العز وهيب المعروف بابن أبى العز وابن الكشك الحنفى الدمشقى . توفى سنة ٧٩٩ هـ . (عن المثل الصافى والدرر الكامنة) . (٢) هو قاضى القضاة صدر الدين أبو الحسن حل بن على بن محمد بن محمد بن وهب ابن عطاء . توفى سنة ٧٩٢ هـ (عن المثل الصافى والدرر الكامنة) (٣) التكة عن المثل الصافى وما سيذكره المؤلف في وفيات سنة ٧٨٢ هـ . (٤) هو قاضى القضاة جلال الدين محمد بن محمد ابن محمود أبو عبد الله المعروف بجار الله . توفى سنة ٧٩٩ هـ . كما في المثل الصافى وشفرات الذهب وما سيذكره المؤلف بعد قليل . (٦) هو يلبغا بن عبد الله الناصرى الآتابكى اليلغارى الأمير سيف الدين قتله الظاهر برقوق سنة ٧٩٣ هـ . (عن المثل الصافى) . (٧) هو الأمير سيف الدين تبرغا بن عبد الله الأفضل المدعو منطاش . توفى سنة ٧٩٥ هـ . (عن المثل الصافى) . (٨) الزيادة عن شفرات الذهب وما سيذكره المؤلف في وفيات سنة ٨٠٢ هـ . (٩) الزيادة عن المثل الصافى .

•

١٠

١٥

٢٠

٢٥

- الجيش ، فأستمر إلى أن مات في ليلة الأحد سابع شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وسبعائة . ثم تولّاها من بعده قاضى القضاة شمس الدين الطرابُلُيْسيّ ثانياً في الشهر والسنة ، فأستمر إلى أن مات في آخر السنة المذكورة . وتولّى بعده قاضى القضاة جمال الدين يوسف بن موسى المَلْطِيّ الحَلَبِيّ في يوم الخميس العشرين من شهر ربيع الآخر [سنة ثمانمائة ^(١)] ، طُلب من حلب وأستمر إلى أن مات في ليلة الاثنين تاسع عشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانمائة . وتولّاها من بعده قاضى القضاة أمين الدين عبد الوهاب ابن القاضى شمس الدين الطرابُلُيْسيّ في يوم الخميس ثاني عشر جمادى الآخرة من السنة ، فأستمر إلى سادس عشر شهر رجب سنة خمس وثمانمائة ، عُزل . فتولّاها من بعده قاضى القضاة كمال الدين عمر بن العديم الحلبى ، وأستمر إلى أن مات في ليلة السبت ثاني عشر جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وثمانمائة ، ومولده بحلب سنة إحدى وسبعين وسبعائة . فتولّاها من بعده أبْنه القاضى ناصر الدين محمد في يوم الاثنين رابع عشر الشهر المذكور مضافاً لمشيخة الشيخوخية ، وأستمر إلى أن صُرف . وأعيد القاضى أمين الدين الطرابُلُيْسيّ ثانياً في رابع عشرين

- (١) الزيادة عن المنهل الصافي وحسن المحاضرة . (٢) سيذكره المؤلف في وفيات سنة ٨١٩هـ .
 (٣) هو قاضى القضاة كمال الدين أبو حفص عمر بن إبراهيم بن محمد بن عمر بن عبد العزيز بن أبي جراحة المعروف بابن العديم (عن المنهل الصافي وما سيذكره المؤلف في وفيات سنة ٨١١هـ وشذرات الذهب) .
 (٤) كذا في الأصلين هنا وما سيذكره المؤلف في وفاته سنة ٨١١هـ . وفي حسن المحاضرة وشذرات الذهب والمنهل الصافي أن مولده في سنة ٧٦٠هـ أو في سنة ٧٦١هـ . (٥) سيذكره المؤلف في وفيات سنة ٨١٩هـ . (٦) الشيخوخية : هو الذى ذكرها المقرئى باسم خاتمه شيخو حيث قال (في ص ٤٢١ ج ٢) من خطه : إن هذه الخاتمة في خط الصليبة خارج القاهرة تجاه جامع شيخو أنشأها الأمير سيف الدين شيخو العمري في سنة ٧٥٦هـ . كان موضعها من جملة قطائع أحد بن طولون ، وكانت مساحة أرضها زيادة على فدان فاخط فيها الخاتمة وحامين وعدة حوانيت يعلوها بيوت لسكنى العامة ، وربب بها دروساً لفتحها المذاهب الأربعة ودرساً للحدّث ودرساً لإفراء القرآن بالروايات ، واشترط على الطلبة حضور الدرس وحضور وظيفة التصوّف ، وكان الطلبة يتعلمون ويأكلون ويبيتون في الخاتمة بنير أجبر ، ووقف عليها الأوقاف الوفيرة ، فظم قدرها ؛ ونخرج بها أكثر من أهل العلم . =

شهر رجب من سنة إحدى عشرة وثمانمائة ، فاستقر القاضي أمين الدين إلى سابع المحرم من سنة آتت عشرة وثمانمائة صُرف . وأعيد قاضي القضاة ناصر الدين ابن العديم ثانياً ؛ وأستقر القاضي أمين الدين الطرابلي في مشيخة الشيوخية عوضاً عن ناصر الدين بن العديم المذكور .

قلت : وناصر الدين المذكور هو صهرى زوج كريمي . انتهى .

وأستمر ناصر الدين بن العديم إلى أن عُزل ، فتولاها قاضي القضاة صدر الدين علي [بن محمد بن محمد المعروف بآ] بن الأديب الدمشقي في سنة خمس عشرة وثمانمائة ،^(١) وأستمر إلى أن مات في يوم السبت ثامن شهر رمضان من سنة ست عشرة وثمانمائة . ثم أُعيد ناصر الدين بن العديم ثالثاً ، فاستمر إلى أن مات في ليلة السبت تاسع شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وثمانمائة ، وشغرت الوظيفة إلى أن طلب الملك المؤيد شيخ شمس الدين محمد الديري من القدس ، وقدم القاهرة في ثالث عشر جمادى الأولى من سنة تسع عشرة المذكورة ، ونزل بقاعة الحنفية بالمدرسة الصالحية^(٢) إلى أن استقر في القضاة يوم الاثنين سابع عشره ، وأستمر إلى أن عُزل برغبة منه .

== وأقول : إن خاتمه كلمة فارسية معناها البيت ثم أطلقت على المكان الذي يتخذ فيه الصوفية للعبادة ثم على الملجأ أو مطعم الفقراء . وكانت هذه الخاتمة فوق ذلك مهبطاً علياً دينياً ، ولا يزال موجوداً إلى اليوم إلا أنها مخصصة للصلاة فقط باسم جامع شيخون القلي تجاه جامع البحرى وهما واقعان بشارع شيخون بقسم الخليفة بالقاهرة . ومنى الدور العلوى الذى كان مخصصاً لسكنى الطلبة لا يزال موجوداً أيضاً داخل الجامع المذكور إلا أنه غير مستعمل .

(١) التكملة عن المنهل الصافي وما سيذكره المؤلف في وفيات سنة ٨١٦ هـ . (٢) هو قاضى القضاة شمس الدين محمد بن عبد الله بن سعد بن أبي بكر بن مفلح بن أبي بكر بن سعد العيسى المقدسى الديري . سيذكره المؤلف في وفيات سنة ٨٢٧ هـ . والديري : نسبة إلى دير ، وهى قرية من قرى نابلس بالبلاد الشامية (عن المنهل الصافي) . (٣) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٨٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

- وتولّاها من بعده قاضى القضاة زَيْنُ الدِّين عبد الرحمن التَّفْهَنِيّ^(١) فى يوم الجمعة سادس
ذى القعدة سنة اثنىَين وعشرين وثمانائة ، واستمرّ الى أن عُزِل . ثم تولّاها من بعده
قاضى القضاة بدر الدين محمود العَيْنِيّ^(٢) فى يوم الخميس سابع عشرين شهر ربيع الآخر سنة
تسع وعشرين وثمانائة ، واستقرّ التَّفْهَنِيّ المذكور فى مشيخة خانقاه شيخون ، بعد موت
شيخ الإسلام سراج الدين عمر قارئ « الهداية » ، واستمرّ العَيْنِيّ الى أن عُزِل .
ثم أُعيد التَّفْهَنِيّ فى يوم الخميس سادس عشرين صفر سنة ثلاث وثلاثين وثمانائة ،
فدام الى أن صُرف لطول مرضه . ثم أُعيد قاضى القضاة العَيْنِيّ ثانياً فى سابع عشرين
بجُمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وثمانائة ، فاستمرّ العَيْنِيّ الى أن صُرف فى دولة
الملك العزيز يوسف ابن الملك الأشرف برسبائى بقاضى القضاة سعد الدين سعد ابن
القاضى شمس الدين محمد بن الديريّ^(٤) فى أول سنة اثنىَين وأربعين وثمانائة ...
١٠

قلت : وهؤلاء القضاة الذين استجدهم الملك الظاهر بيبرس البندقدارى .
حسب ما ذكرناه فى أول الترجمة . وذلك بعد أنقضاء الدولة الأيوبية . وأما قبل
خراب الديار المصرية فى الدولة العبيدية فكانت قضاة الحنفية هم حكام مصر بل
حكام المشرق والمغرب الى حدود نيف وأربعمائة ، لما حمل المعز بن باديس الناس

- (١) هو قاضى القضاة زين الدين عبد الرحمن بن على بن عبد الرحمن بن على بن هاشم التفهني .
١٥ سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٣٥ هـ . (٢) هو قاضى القضاة بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى
ابن أحمد بن حسين بن يوسف بن محمود العيني والعيناني : نسبة الى عين تاب ، وهى قلعة حصينة ورساق
بين حلب وأنطاكية . سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٥٥ هـ . (٣) هو شيخ الإسلام سراج الدين
أبو حفص عمر بن على بن فارس شيخ شيخوخ خانقاه شيخون المعروف بقارئ الهداية . سيذكره المؤلف
فى وفيات سنة ٨٢٩ هـ . (٤) هو السلطان الملك العزيز أبو الحسن جمال الدين يوسف ابن
السلطان الملك الأشرف برسبائى الدقاق الظاهري . سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٦٨ هـ .
٢٠ (٥) سيذكره المؤلف فى وفيات سنة ٨٦٧ هـ . (٦) بعد هذه الكلمة يياض بالأصلين .
جع بقية القضاة الحنفية بعد هذا التاريخ فى حسن المحاضرة للسيوطى .

ببلاد المغرب على أتباع مذهب الإمام مالك - رضى الله عنه - ثم ملكت العبيدية مصر فحوا آثار السنة وولوا قضاء الشيعة وبطل الأربعة مذاهب من مصر إلى أن زالت دولتهم وتولى السلطان صلاح يوسف بن أيوب - رحمه الله - فولى قاضياً شافعيًا فقط كونه كان شافعيًا ، وأذهب الرافضة ، وأستمر ذلك نحو تسعين سنة حتى ولى الملك الظاهر بيبرس فجند المذاهب الثلاثة كما سقناه . انتهى .



ذكر القضاة المالكية

فالذى كان أولهم ولاية في دولة الظاهر بيبرس هو القاضي شرف الدين عمر السبكي المالكي - تغمده الله برحمته وجميع المسلمين ...



ذكر قضاة الحنابلة

فالذى ولّاه الملك الظاهر بيبرس هو قاضي القضاة شمس الدين أبو بكر محمد الجماعيلي الحنبلي - إلى أن أمتحن وصُرف في ثاني شعبان سنة سبعين وستمائة ، ولم يَل بعد عزله بالقاهرة أحد من الحنابلة حتى توفى شمس الدين المذكور في يوم الخميس في العشر الأول من المحرم سنة ست وسبعين . ثم ولى بعده قاضي القضاة عز الدين

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٢٢ من هذا الجزء . (٢) لم يذكر المؤلف من قضاة المالكية غير شرف الدين السبكي المذكور ، ويوجد بالأصلين بعده بياض . ومن أراد استيفاء الكلام على بقية قضاة المالكية فليراجع حسن المحاضرة للسيوطي فإنه ذكرها بتفصيل واف .

(٣) هو قاضي القضاة شمس الدين أبو بكر أبو عبد الله محمد ابن العباد إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور بن رافع المقدسي الصالحى الدمشقي (لحن المنبل الصافي وشذرات الذهب)

- عمر بن عبد الله [بن عمر] بن عوض في النصف من جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين،
فاستمر حتى مات سنة ست وتسعين وستمائة . ثم تولى بعده قاضى القضاة شرف الدين
أبو محمد عبد الغنى الحراني^(١) إلى أن مات في رابع عشرين شهر ربيع الأول سنة
تسع وسبعائة . ثم تولى بعده قاضى القضاة سعد الدين مسعود بن أحمد الحارثي^(٢)
في ثالث شهر ربيع الآخر من السنة، وعزل بعد سنتين ونصف بقاضى القضاة
تقي الدين ابن قاضى القضاة عز الدين عمر في حادى عشر شهر ربيع الأول سنة
أثنتى عشرة وسبعائة، بعد ما شغل منصب القضاء ثلاثة أشهر، فلم تطل أيامه وعزل
بقاضى القضاة موفق الدين عبد الله بن محمد بن عبد الملك المقدسى في نصف
جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين وسبعائة ، فدام في المنصب إلى أن مات في المحرم
سنة تسع وستين وسبعائة . ثم تولى عوّضه قاضى القضاة ناصر الدين نصر الله بن
أحمد بن محمد العسقلاني حتى مات في ليلة الحادى والعشرين من شهر شعبان سنة
خمس وتسعين وسبعائة . ثم تولى بعده أبنة قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن
نصر الله حتى مات في ثامن شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثمانمائة . ثم تولى عوّضه
أخوه قاضى القضاة موفق الدين أحمد بن نصر الله، فدام حتى صُرف بقاضى القضاة
نور الدين علي [بن خليل بن علي بن أحمد بن عبد الله] الحكرى . فلم تطل مدة الحكرى^(٣)

- (١) التكملة عن المنهل الصافي وشذرات الذهب . (٢) هو قاضى القضاة شرف الدين أبو محمد
عبد الغنى بن يحيى بن محمد بن بكر بن عبد الله بن نصر بن أبي بكر بن محمد الحراني (عن المنهل الصافي) .
(٣) في الأصلين هنا : « الحراني » . والتصحيح عما سأتى ذكره للؤف في حوادث سنة ٧١١ هـ
وشذرات الذهب وحسن المحاضرة وطبقات الحفاظ للذهبي . وهو قاضى القضاة سعد الدين أبو محمد
وأبو عبد الرحمن مسعود بن أحمد بن مسعود بن زيد المحدث الحافظ العراقى المصرى . (٤) هو قاضى
القضاة تقي الدين أحمد بن عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض توفى سنة ٧٧٦ هـ (عن الدرر الكامنة) .
(٥) كذا في الأصلين . ويلاحظ أنه مكث في القضاء ستا وعشرين سنة . (٦) الزيادة عن
المنهل الصافي وشذرات الذهب . وسيذكره المؤلف في وفيات سنة ٨٠٦ هـ . والحكرى : نسبة الى الحكر
خارج القاهرة (عن المنهل الصافي) .

- وَصُرِفَ . ثم أُعيد مُوفق الدين فاستمر إلى أن مات في سنة ثلاث وثمانمائة . ثم تولى بعده قاضي القضاة مجد الدين سالم [بن أحمد^(١)] في ثالث عشرين شهر رمضان من سنة ثلاث فاستمر في القضاء إلى أن صُرف بقاضي القضاة علاء الدين علي^(٢) [بن محمود ابن أبي بكر] بن مُغلي في حدود سنة ست عشرة وثمانمائة ، فاستمر علاء الدين بن مغلي في القضاء إلى أن تولى بالقاهرة في العشرين من صفر سنة ثمان وعشرين وثمانمائة .
- ثم تولى بعده قاضي القضاة مُحِب الدين أحمد بن نصر الله [بن أحمد بن محمد بن عمر^(٣) البغدادي من التاريخ المذكور إلى أن صرّفه الملك الأشرف بقاضي القضاة عز الدين عبد العزيز^(٤) [بن علي بن العزيز بن عبد العزيز] البغدادي في ثالث عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين ، فدام القاضي عز الدين إلى أن صُرف في يوم الثلاثاء ثاني عشر صفر سنة ثلاثين وثمانمائة . ثم أُعيد قاضي القضاة مُحِب الدين ، وأستمر إلى أن مات في يوم الأربعاء خامس عشر جمادى الأولى سنة أربع وأربعين وثمانمائة .
- ثم تولى بعده قاضي القضاة بدر الدين محمد [بن محمد^(٥)] بن عبد المنعم البغدادي إلى أن مات في ليلة الخميس سابع^(٦) جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثمانمائة .
- ثم تولى بعده قاضي القضاة عز الدين أحمد في يوم السبت تاسع جمادى الأولى المذكور .

- (١) الزيادة عن المثل الصافي . وسيذكره المؤلف في وفیات سنة ٨٢٦ هـ .
- (٢) التكلة عن المثل الصافي وشذرات الذهب وما سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٨٢٨ هـ .
- (٣) الزيادة عن المثل الصافي ، وما سيذكره المؤلف في وفیات سنة ٨٤٤ هـ . (٤) الزيادة عن المثل الصافي ، وسيذكره المؤلف في وفیات سنة ٨٤٦ هـ . (٥) التكلة عن شذرات الذهب ، وما سيذكره المؤلف في وفیات سنة ٨٥٧ هـ . (٦) هو قاضي القضاة عز الدين أبو البركات أحمد بن إبراهيم بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن أبي الفتح بن هاشم بن نصر الله بن أحمد الكافي السقلائي . توفي سنة ٨٧٦ هـ (عن شذرات الذهب) .

قلت : وقد خرجنا عن المقصود في ترجمة الملك الظاهر بيبرس بالإطالة فيما ذكرناه، غير أن ذلك كله هو أيضا مما يُضاف إلى ترجمته ، ولا بأس بالإطالة مع تحصيل الفائدة ، ولنعُد إلى ذكر السلطان الملك الظاهر بيبرس .

- ثم أمر الملك الظاهر بأن يعمل بدمشق أيضا كذلك في سنة أربع وستين فوق ذلك، وولّى بها قضاة أربعة . ولما وقّع ولايته القضاء من كلّ مذهب بدمشق (١) اتفق أنه كان لقَبُ ثلاثة قضاة منهم شمس الدين ، وهم : قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن محمد بن محمد بن خلّكان الشافعي . وقاضى القضاة شمس الدين عبد الله بن محمد بن عطا الأذري الحنفي . وقاضى القضاة شمس الدين عبد الرحمن ابن الشيخ أبي عمر الحنبلي (٢) ؛ فقال بعض الشعراء رحمه الله في هذا المعنى :

- ١٠ أهل الشام استرابوا * من كثرة الحُكّام
إذ هم جميعاً شمسٌ * وحالمٌ في ظلام

وقال غيره :

بدمشق آيةٌ قد * ظهرت للناس علما
كلما ولى شمسٌ * قاضيا زادت ظلاما

- ١٥ (١) هو قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن خلّكان المؤرخ المشهور . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٨١ هـ . (٢) سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٧٣ هـ . (٣) هو قاضى قضاة دمشق شمس الدين أبو الفرج وأبو محمد عبد الرحمن بن أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٨٢ هـ . (٤) في الأصلين : « أبو عمرو » . والتصحيح عن شذرات الذهب وتاريخ الدول والملوك لابن الفرات والسلوك وعيون التواريخ وما تقدم ذكره في حوادث سنة ٦٠٧ هـ . (٥) ذكر المؤلف هنا قاضى الشافعية والحنفية والحنابلة وترك قاضى المالكية قصدا لكونه لم يلقب بشمس الدين وهو رابعهم ، وهو عبد السلام بن علي بن عمر بن سيد الناس أبو محمد الزواوي المالكي . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٨١ هـ . (عن المنهل الصافي والسلوك وعيون التواريخ) . (٦) رواية هذا البيت في المنهل الصافي وعيون التواريخ :
- كلما ازدادوا شموسا * زادت الدنيا ظلاما

- ٢٥ وما أثبتناه عن المنهل الصافي وعيون التواريخ .

فتوحاته رحمه الله

ثم سافر الملك الظاهر من مصر إلى البلاد الشامية في هذه السنة (أعنى سنة أربع وستين) فخرج منها في يوم السبت مستهل شعبان ، وجعل نائبه بديار مصر ولده الملك السعيد ، وجعل الجيش في خدمته والوزير بهاء الدين بن حنّاء وسار الملك الظاهر حتى نزل عين جالوت وبعث عسكرياً مقدّمه الأمير جمال الدين أيدغديّ العززيّ ، ثم عسكرياً آخر مقدّمه الأمير سيف الدين قلاوون الألفي للإغارة على بلاد الساحل ، فأغاروا على عكا وصور وطرابلس وحصن الأكراد وسبّوا وغنموا مالا يَحصى ؛ ثم نزل الملك الظاهر بنفسه على صفد في ثامن شهر رمضان ، ونصب عليها المجانيق ، ودام الإهتمام بعمل الآلات الحربية إلى مستهل شوال شرع في الزحف والحصار وأخذ الثُقب من جميع الجهات إلى أن ملكها بكراً يوم الثلاثاء خامس عشر شوال ؛ واستمر الزحف والقتال ونصب السلام على القلعة وتسلمت عليها الثُقب ، والسلطان يباشر ذلك بنفسه ، حتى طلب أهل القلعة الأمان على أنفسهم وطلبوا اليمن على ذلك ، فأجلس السلطان الملك الظاهر الأمير كرمون ^(١) [أغا] التتاريّ في دسّت السلطنة ، وحضرت رُسُلهم فاستحلفوه لحلف ^(٢) [لهم كرمون التتاريّ] وهم يظنونهم الملك الظاهر ، فإنه كان يُشبه الملك الظاهر . وكان في قلب الملك الظاهر منهم حرّازة ، ثم شرط عليهم ألا يأخذوا معهم من أموالهم شيئاً . فلما كان يوم الجمعة ثامن عشر شوال طلعت السناجق على قلعة صفد ، ووقف الملك الظاهر بنفسه على بابها وأخرج من كان فيها من الخيالة والرجالة والفلاحين ؛ ودخل الأمير بدر الدين بيليك الخازن دُمار وتسلمها ، وأطلع على أنهم أخذوا شيئاً كثيراً من التحف

(١) الزيادة من السلوك (ص ٥٤٨) ونهاية الأرب (ج ٢٨ ص ٣٩) .

(٢) زيادة عن عيون التواريخ والسلوك .

- له قيمة، فأمر الملك الظاهر بضرب رقابهم فُضِرَت على تلِّ هناك، وكُتِبَت البشائر بهذا النصر إلى مصر والأقطار، وزُيِّنَت الديار المصرية لذلك. ثم أمر الملك الظاهر بعمارة قلعة صَفَد وتحصينها ونقل الذخائر إليها والأسلحة، وأزال دولة الكفر، منها، والله الحمد، وأقطع بلدًا لمن رتبته لحفظها من الأجناد، وجعل مقدمهم الأمير علاء الدين الكبكي، وجعل في نيابة السلطنة بالمدينة الأمير عز الدين العَلَّاني، وولاية القلعة للأمير مجد الدين الطوري.

- ثم رحل الملك الظاهر إلى دِمَشْق في تاسع عشر شوال. ولما كان الملك الظاهر نازلاً بصَفَد وصل إليه رسول صاحب صِهْيُون بهدية جليلة ورسالة مضمونها الاعتذار من تأخيرهِ عن الحضور، فقَبِلَ الملك الظاهر الهدية والعذر. ثم وصلت رُسُلُ صاحب سِيس أيضاً بهدية فلم يَقْبَلْها ولا سَمِعَ رسالتهم. ثم وصلت البريدية (٤) من متوَلَّى قُوص ببلاد الصَّعيد بنحبر أنه آسََتولى على جزيرة سواكن وأن صاحبها هَرَب، وأرسل يطلب من الملك الظاهر الدخول في الطاعة وإبقاء سواكن عليه، فرسم

(١) في الأصلين : «البكى» . وما أثبتناه عن التهج السديد وعيون التواريخ .

- (٢) في السلوك : « وفي سابع عشره رحل السلطان ... الخ » . (٣) سيس : عاصمة أرمينيا الصغرى (كليكلي) وكانت مدينة كبيرة ذات أسوار، على جبل مستطيل ولها بساتين ونهر صغير، وهي الآن بلدة في جنوب آسيا الصغرى (أبو الفدا ص ٢٥٧ وفلسطين الإسلامية لاستراخ ص ٥٣٨ وقاموس الجغرافيا) . (٤) البريدية : نسبة إلى البريد . وقد أهتم بأمر البريد الملك الظاهر بيبرس لما ملك مصر والشام وحلب إلى الفرات، وأراد تجهيز دولة إلى دمشق فعين لها نائباً ووزيراً وقاضياً وكتائباً للإنشاء، وكان صاحب شرف الدين أبو محمد عبد الوهاب كاتب الإنشاء، فلما مثل لديه ليودعه أوصاه بوصايا كثيرة أكدها مواصلة بالأخبار وما ينجده من أخبار التار والفرنج، وقال له : إن قدرت ألا تبتغي كل ليلة إلا على خبر ولا تصبغني إلا على خبر فافعل، ففرض له بما كان عليه البريد في الزمان الأول وأيام الخلفاء وعرضه عليه لحسن موقعه منه وأمر به . (راجع التعريف لابن فضل الله العمري ص ١٨٧) . (٥) سواكن : ميناء على البحر الأحمر، بينها وبين عطبرة التي على وادي النيل اتصال بالسكة الحديدية، وبينها وبين بربروكسلا طرق تجارية عظيمة، ولكن وجود بور سودان بالقرب منها قد أثر عليها . وبها تجارة واسعة .

له الملك الظاهر بذلك . ثم رحل الملك الظاهر من دمشق يوم السبت ثالث ذى القعدة وأمر العساكر بالتقدم إلى بلاد سييس للإغارة عليها ، وقدم عليهم الملك المنصور صاحب حماة وتدير الأمور راجعاً إلى الأمير آق سنقر الفارقاني ، فساروا حتى وصلوا إلى الدربند الذي يدخلون منه إليها ، وكان صاحبها قد بنى عليها أبرجةً فيها المقاتلة ؛ فلما رأوا العسكر تركوها ومضوا فأخذها المسلمون وهدموها ، ودخلوا بلاد سييس فنهبوا وأسرُوا وقتلُوا ؛ وكان فيمن أسر ابن صاحب سييس وابن أخته وجماعة من أكابرهم ، ودخلوا المدينة يوم السبت ثاني عشر ذى القعدة وأخذوا منها ما لا يُحصى كثرة ، وعادوا نحو دمشق . فلما قاربوها خرج الملك الظاهر لتلقيهم في ثاني ذى الحجة ، وأجتاز بقارة في سادسه ، فأمر بنهبها وقتل من فيها من الفرنج ، فأنهم كانوا يُخيفون السبيل ويستأسرون المسلمين ، فأراح الله منهم وجعلت كنيستها جامعاً ، ورتب بقارة خطيباً وقاضياً ، ونقل إليها الرعية من المسلمين ؛ ثم ألتقى العساكر وخلص عليهم وعاد معهم ، فدخل دمشق ، والغنائم والأسرى بين يديه ، في يوم الاثنين خامس عشر شهر ذى الحجة فأقام بها مدة . ثم خرج منها طالباً الكرك في مستهل المحرم سنة خمس وستين وستمائة ، وأمر الملك الظاهر بعد خروجه من دمشق بعمارة جسر

١٥ (١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٧ من هذا الجزء . (٢) في الأصلين : « وصلوا إلى الدرب » . وما أثبتناه عن حيون التواريخ . وراجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٥٥ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٣) قارة : قرية كبيرة بين دمشق وحمص على نحو منتصف الطريق وهي منزلة للقوافل ، وغالب أهلها نصارى (عن تقويم البلدان لأبي الفدا إسماعيل) . (٤) في الأصلين : « يخافون السبيل » . والسياق يقتضى ما أثبتناه . (٥) في النسخ السديد : « في خامس عشرين ذى الحجة » . (٦) هذا الحسرياق إلى يومنا هذا ، وقد تم بناؤه في سنة ٦٧١ هـ وكتب على العقد الأوسط فيه اسم المهندس الذي بناه بأمر بيبرس ولا تزال هذه الكتابة بخطها الثلث المين واضحة تقرأ في أربعة أسطر بحرها أسدان شعار الملك الظاهر ، ونصها كما يلي :
” بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على سيدنا محمد وجميعه أجمعين “ .

بِالْقَوْرِ عَلَى [نَهْر] الشَّرِيعَةِ ؛ وَكَانَ الْمَتَوَلَّى لِعِمَارَتِهِ جَمَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ نَهَارٍ وَبَدْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ رَحَالٍ وَهُمَا مِنْ أَعْيَانِ الْأُمَرَاءِ ؛ وَلَمَّا تَكَامَلَ عِمَارَتُهُ أَضْطَرَبَ بَعْضُ أَرْكَانِهِ ، فَتَقَلَّقَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ لَذَلِكَ وَأَعَادَ النَّاسَ لِإِصْلَاحِهِ فَتَعَدَّرَ ذَلِكَ لَزِيَادَةِ الْمَاءِ ، فَاتَّفَقَ وَقُوفَ الْمَاءِ عَنْ جَرَّيَانِهِ حَتَّى أُمِكنَ إِصْلَاحُهُ ؛ فَلَمَّا تَمَّ إِصْلَاحُهُ عَادَ الْمَاءُ إِلَى حَالِهِ ؛ قِيلَ إِنَّهُ كَانَ وَقَعَ فِي النَّهْرِ قِطْعَةٌ كَبِيرَةٌ مِمَّا يُجَاوِرُهُ مِنَ الْأَمَاكِنِ الْعَالِيَةِ فَسَدَتْهُ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ . وَهَذَا مِنْ عَجِيبِ الْإِتِّفَاقِ .

ثُمَّ عَادَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ إِلَى دِيَارِ مِصْرَ وَعِنْدَ عَوْدِهِ إِلَيْهَا وَصَلَ إِلَيْهِ رِسْلُ صَاحِبِ الْيَمَنِ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ [شَمْسِ الدِّينِ] يَوْسُفَ بْنِ عَمْرِو وَمَعَهُمْ قِيلٌ وَحِمَارٌ وَحُشٌّ أَبْيَضٌ وَأَسْوَدٌ وَخِيُولٌ وَصِنِينٌ وَنُحُفٌ ، وَطَلَبَ مَعَاضِدَةَ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ لَهُ وَشَرَطَ لَهُ أَنْ يُخْطَبَ لَهُ بِبِلَادِهِ . ثُمَّ خَرَجَ السُّلْطَانُ فِي يَوْمِ السَّبْتِ فِي ثَانِي جُمَادَى الْآخِرَةِ إِلَى بَرَكَةِ الْحَبِّ (٥) عَازِمًا عَلَى قَصْدِ الشَّامِ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ ، وَجَعَلَ نَائِبَ السُّلْطَانَةِ عَلَى مِصْرَ الْأَمِيرَ بَيْلِيكَ

== "أمر بعبارة هذا الجسر المبارك مولانا السلطان الأعظم الملك الظاهر ركن الدين بيبرس بن عبد الله" "في أيام ولده مولانا السلطان الملك السعيد ناصر الدين بركة خان أعز الله أنصارهما وغفر لهما وذلك" "بولاية البعد الفقير إلى رحمة الله علاء الدين على السواقي غفر الله له ولوالديه في شهر رمضان سنة إحدى وسبعين وستمائة" .

راجع المجلة الأسبوعية في الصورة والمقال الذي كتبه كيلر مونت جانوس سنة ١٨٨٨ م ص ٣٠٥ . وقد رسم السلطان بيئاته في سنة ٦٦٤ هـ على النهر الذي يشق غور الشام ويسمونه بالشرية وهو بقرب دامية فجا بينها وبين فراوى . (١) زيادة عن عيون التواريخ .

(٢) في الأصلين هنا : « بهادر » . وراجع الحاشية رقم ٢ ص ١٢١ من هذا الجزء .

(٣) الذي يفهم من عبارة المؤلف أن رسل صاحب اليمن وصلوا سنة ٦٦٥ هـ . ويفهم من عبارة عيون التواريخ أنه دخل القاهرة في شهر ربيع الأول سنة ٦٦٥ هـ ، وأن وصول رسل صاحب اليمن الملك المظفر كان في سنة ٦٦٦ هـ . (٤) هو الملك المظفر شمس الدين أبو المحاسن يوسف ابن السلطان الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول . سيذكر المؤلف في حوادث سنة ٦٩٤ هـ .

(٥) في الأصلين : « إلى بركة الحبش » وهو خطأ ، وتصحيحه عن عيون التواريخ . وراجع الحاشية

رقم ١ ص ١٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

الخازندار ، ورحل في سابع الشهر ، فوردت عليه رسل صاحب يافا في الطريق فأعتقلهم ، وأمر العسكر بلبس آلة الحرب ليلا وسار فأصبح يافا ، وأحاط بهامن كل جانب ، فهرب من كان فيها من الفرنج إلى قلعتها ، فلما كان السلطان المدينة وطلب أهل القلعة الأمان ، فامتنهم وعوضهم عما نهب لهم أربعين ألف درهم ، فركبوا في المراكب إلى عكا ، وكان أخذ قلعة يافا في الثاني والعشرين من الشهر المذكور .
 وأمر بهدمها ؛ فلما فرغ السلطان من هدمها رحل عنها يوم الأربعاء ثاني عشر شهر رجب طالبا للشفيف ، فقتل عليه يوم الثلاثاء وحاصرها حتى تسلمها يوم الأحد تاسع عشرين رجب ؛ وكان الملك الظاهر أيضا ملك الباشورة بالسيف في السادس والعشرين منه ؛ ثم رحل الملك الظاهر عنها بعد أن رتب بها عسكرا في عاشر شعبان ، وبعث أكثر أتقائه إلى دمشق وسار إلى طرابلس فشق عليها الغارة وأخرب قراها وقطع أشجارها وغور أنهارها . ثم رحل إلى حصن الأكراد ونزل بالمرج الذي تحته ، فحضر إليه رسول من فيه بإقامة وضيافة ، فردّها عليه وطلب منهم دية رجل من أجناده ، كانوا قتلوه ، مائة ألف دينار فارضؤوه . فرحل إلى حصن ثم إلى حماة ثم

- (١) كذا في الأصلين والنهج السديد . وفي السلوك : « يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رجب » . وكلتا الروايتين غير صحيحة لأنه يتعين أن أول رجب يوم الأحد حيث إن يوم التاسع والعشرين منه يوم الأحد ، كما يفهم من كلام المؤلف ومن النهج السديد في أول جمادى الآخرة . (٢) الشقيف : شقيف أرنون من أعمال دمشق بينها وبين الساحل بالقرب من بانياس ، وأرنون هذا اسم أعجمي نسبت إليه ، وهي قلعة حصينة على نهر ليطه . وقد استعمل الظاهر في الاستيلاء عليها حيلة غريبة ذكرها صاحب نهاية الأرب (ج ٢٨ ص ٩٢ — ٩٣) وابن أبي الفضايل في النهج السديد ص ١٦٤ . وراجع هامش السلوك ص ٦٥٥ . وقلسطين الإسلامية لاستراتيج (ص ٥٣٤ — ٥٣٥) . (٣) في الأصلين : « المسورة » .
 والتصحيح : هامش السلوك ص ٥٦٥ والنهج السديد . وراجع الحاشية رقم ٢ ص ١٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٤) عبارة الأصلين : « ثم رحل ونزل على حصن الأكراد تحت البرج الذي للحصن » . وما أثبتناه من عيون التواريخ . وحصن الأكراد : من أعمال حصن وهو قلعة حصينة مقابل حصن من غربها على الجبل المتصل بجبل لبنان ولها ربض ، وكانت مقر ولاية النبطية قبل فتح طرابلس وهي على مرحلة من حصن وكذلك عن طرابلس وهي بين حصن وطرابلس . (تقويم البلدان ص ٢٥٨) .

- (١) إلى أَفَامِيَّة ثم سار ونزل منزلةً أخرى؛ ثم رَحَلَ لَيْلاً وأمر العسكر بِلُبْسِ آلة الحرب، ونزل أَنْطَاكِيةَ في غُرَّة شهر رمضان، فخرج إليه جماعة من أهلها يطلبون الأمان وشرطوا شروطاً لم يُجِبْ إليها، وزَحَفَ عليها فلُكِمَها يوم السبت رابع الشهر؛ ورَتَّبَ على أبوابها جماعة من الأمراء لئلا يخرج أحدٌ من الحرافشة بشيء من النهب، ومن يوجد معه شيء يُؤخذ منه، فجمع من ذلك ما أمكن جمعه وفزقه على الأمراء والأجناد بحسب مراتبهم. وحُصِرَ مَنْ قُتِلَ بِأَنْطَاكِيةَ فكانوا فوق الأربعين ألفاً، وأُطْلِقَ جماعة من المسلمين كانوا فيها أسرى من الحليين، وكتب البشائر بذلك إلى مصر وإلى سائر الأقطار. وأنطَاكِيةُ: مدينة عظيمة مشهورة، مسافة سورها اثنا عشر ميلاً، وعدد أبراجها مائة وستة وثلاثون بُرجاً، وعدَدُ شُرُفاتها أربع وعشرون ألفاً. ولم يفتحها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب — رحمه الله — فيما فتح. (٢)

قلت : كم ترك الأول للآخر !

ولما مَلَكَ الملك الظاهر أَنْطَاكِيةَ وصل إليه قُصَّاد من أهل القَصِيرِ يطلبون تسليمها إليه، فسِرَّ السلطان الأمير شمس الدين آق سنقر الفارَقَانِي بالعساكر إليها فوصلها

- (١) أفامية : مدينة حصينة في ساحل الشام وكورة من كور حمص . ويسمى بعضهم « فامية » بغير همز (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) كان بجيوند صاحب طرابلس وأنطاكية قد كثرت تدعيه على بلاد الإسلام . وأخذ البلاد المجاورة له بعد زوال الأيام الناصرية (صلاح الدين يوسف) وكان من أكبر أعوان التتار، فلما وصل السلطان القاهرة إلى الشقيف طالباً أنطاكية وعمر بجيوند الطرقات . ولم يمنع ذلك السلطان من الإغارة على أنطاكية ، فأغار عليها في مستهل رمضان ثم ملكها يوم السبت رابع الشهر كما في الأصلين . وكتب إلى بجيوند بخبر هذا الفتح وهو طرابلس كتاباً كله تقريع وتهكم . راجع نص الكتاب في نهاية الأرب ص ٩٤ — ٩٥ من الجزء ٢٨ . وفي الصفحات ٩٦ — ٩٨ فذلك تاريخية ٢٠ عن أنطاكية فراجع هناك، وانظر السلوك ص ٥٦٧ — ٥٦٨ (٣) يريد به حصن القصر وهو قلعة حصينة من فلاح حلب (ياقوت ج ٥ ص ٢٧) . وبعبارة عيون التواريخ والنهج السديد : « وصل إليه قُصَّاد من بفراس يطلبون تسليمها إليه فسِرَّ الأمير شمس الدين الفارَقَانِي بالعساكر فوصل إليها وتسلمها . وصالح القصر على مناصفته ومناصفة الفلاح المجاورة له » .

ووجد أكثر أهلها قد برح منها، فقتلها في ثالث عشر شهر رمضان؛ وكان قد تسلم دركوش^(١) بواسطة نحر الدين الجناحي في تاسع شهر رمضان وعاد إلى دمشق، فدخلها في سابع عشرين شهر رمضان، وعيّد السلطان بقلعة دمشق. ثم عاد إلى القاهرة فدخلها آخر نهار الأربعاء حادى عشر ذى الحجة. وبعد وصوله بمدة جلس في الإيوان بقلعة الجبل يوم الخميس تاسع صفر^(٢)، وأحضر القضاة والشهود والأعيان وأمر بتخليف الأمراء ومقدمى الحلقة لولده الملك السعيد بركة خان^(٣) [بولاية عهده وخليفته من بعده] فخلّفوا. ثم ركب الملك السعيد يوم الاثنين العشرين من الشهر بأبهة السلطنة في القلعة ومضى والده أمامه، وكُتِبَ تقليد^(٤) [له] وقُرئ على الناس بحضور الملك الظاهر وسائر أرباب الدولة.

ثم في يوم السبت ثانى عشر جمادى الآخرة خرج الملك الظاهر من القاهرة متوجّهاً إلى الشام ومعه الأمراء بأمرهم جرائد، وأستتاب بالديار المصرية في خدمة ولده الأمير بدر الدين بيلىك الخازندار. ومن هذا التاريخ علّم الملك السعيد على التواقيع وغيرها: ولما صار الملك الظاهر بدمشق وصلت إليه كتب التتار ورسُلهم، والرسول: يُحبّ الدين دولة خان، وسيف الدين سعيد ترجمان وآخرون، ومعهم جماعة من أصحاب سييس، فأنزله السلطان بالقلعة وأحضرهم من الغد وأدوا الرسالة

(١) دركوش: حصن قرب أنطاكية من أعمال المواسم (عن معجم البلدان لياقوت). (٢) في عيون التواريخ: «في يوم الخميس سادس صفر» من سنة ٦٦٧ هـ. (٣) زيادة عن عيون التواريخ. (٤) أورد التويرى في نهاية الأرب في الجزء الثامن والعشرين نص هذا التقليد، وذكر أنه من إنشاء وخط المولى نحر الدين بن لقمان. وأوله: «الحمد لله الذى أبزل العطاء والمواهب ... الخ». راجع هذا التقليد في لورحق ٦٨، ٦٩ من الجزء المذكور. (٥) في الأصلين: «في يوم السبت ثالث جمادى الآخرة». وتصحيحه عن السلوك وما يفهم من التوفيقات الإلهامية لمختار باشا. (٦) في الأصلين: «ولما سار» بالسين.

(١) مضمونها : أن الملك أُبْنَا بن هولاكولما خرج من الشرق ملك جميع البلاد ومن خالفه قُتِل وأنت (يعني للك الظاهر) لو صَعِدْتَ إلى السماء أو هَبَطْتَ إلى الأرض ما تَخَلَّصْنَا ، فالمصلحة أن تجعل بيننا صلحًا ، وأنت مملوكٌ أُبَيْعَت في سيواس فكيف تتشاقق ملوك الأرض وأولاد ملوكها ! فأجابه في وقته بأنه في طلب جميع ما آسَوا عليه من العراق والجزيرة والروم والشام وسفرهم إليه بسرعة . ثم في آخر شهر رجب خرج الملك الظاهر من دِمَشْق ونزل خَرِبَةَ اللصوص فأقام بها أيامًا ؛ ثم ركب ليلة الاثنين ثامن عشر شعبان ولم يشعر به أحد وتوجه إلى القاهرة على البريد بعد أن عَزَفَ الفَارِقَانِي أَنَّهُ يَغِيبُ أَيَّامًا معلومة ، وقَرَّرَ معه أَنَّهُ يُحْضِرُ الأَطِبَاءَ كُلَّ يوم ويستوصف منهم ما يُعَالَجُ به متوَعِّكٌ يشكو تَغْيِيرَ مَزَاجِهِ ، ليُؤمَّ الناس أن الملك الظاهر هو المتوَعِّك ؛ فكان يُدْخَلُ ما يصفونه إلى الخَيمَةِ ليُؤمَّ العسكر صَحَّةَ ذَلِكَ ، وسار الملك الظاهر حتى وصل قلعة الجبل ليلة الخميس حادى عشرين شعبان ، فأقام بالقاهرة أربعة أيام ؛ ثم توجه ليلة الاثنين خامس عشرين الشهر على البريد ، فوصل إلى العسكر يوم تاسع عشرين الشهر . وكان غرضه بهذا السَّفَرُ كَشَفَ أحوال ولده الملك السعيد وغير ذلك . ثم في يوم الأحد سادس عشر شهر رمضان

(١) رواية السلوك (ص ٥٧٤) وعيون السوارنج هكذا : « إن الملك أبنا لما خرج من الشرق تملك جميع العالم وما خالفه أحد ، ومن خالفه هلك وقتل ، فأتت لو صعدت إلى السماء أو هبطت إلى الأرض ما تحصلت منا ، فالمصلحة أن تجعل بيننا صلحًا » . وكان في المشافهة : « أنت مملوك وأبعت في سيواس ، فكيف تتشاقق الملوك ملوك الأرض ؟ » (٢) أبنا (أو أبناغا) هو ابن هولاكولما بعد أبيه في شهر ربيع الأول سنة ٦٦٣ هـ . وكانت لهولاكولما عدة أبناغا المذكور سنة عشر ولدا ذكورا (السلوك ص ٥٤١) . (٣) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٣٠٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٤) في الأصلين : « ما يوصفوا به » . (٥) في الأصلين والسلوك : « يوم الأحد سادس عشرين شهر رمضان » وتصحيحه عن التوقيعات الإلهامية وما سياتي بعد قليل للزلف .

تسلم ثواب الملك الظاهر قلعة بِلَاطُنُس^(١) وقلعة كراييل^(٢) من عز الدين أحمد بن مظفر الدين عثمان بن منكورس صاحب صِهْيُون^(٣)، وعوضه غيرهما قرية تعرف بالخميلة من أعمال شيزر^(٤). ثم في يوم الخميس العشرين من شهر رمضان توجه الملك الظاهر إلى صفد فأقام بها يومين ثم شن الغارة على بلد صور، وأخذ منها شيئاً كثيراً. ثم عاد الملك الظاهر إلى دمشق وعيد بها^(٥). ثم خرج منها في خامس عشرين شوال يريد الكرك فوصله في أوائل ذي القعدة. ثم توجه في سادسه إلى الحجاز، وصحبته يسيليك الخازن ودار القاضى صدر الدين سليمان الحنفى ونفر الدين إبراهيم بن لقمان وتاج الدين ابن الأثير ونحو ثمانية مملوك وجماعة من أعيان الحلقة، فوصل المدينة الشريفة في العشر الأخير من الشهر فأقام بها ثلاثة أيام، وكان بجهاز قد طرق المدينة وملكها، فلما قدم الظاهر مررب؛ فقال الملك الظاهر: لو كان بجهاز يستحق القتل ما قتلته! لأنه في حرم النبي صلى الله عليه وسلم؛ ثم تصدق في المدينة بصدقات كثيرة، وخرج منها متوجهاً إلى مكة فوصلها في ثامن ذي الحجة، فخرج إليه أبو نعيم وعمه إدريس صاحباً مكة، وبذل له الطاعة فخلع عليهما وساراً بين يديه إلى عرفات، فوقف بها يوم الجمعة ثم عاد إلى منى، ثم إلى مكة وطاف بها طواف الإفاضة، وصعد الكعبة

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٤٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة. (٢) بمحتنا عن هذه القلعة في المصادر التي تحت أيدينا فلم نهند إليها. (٣) في الأصلين: «مظفر الدين حماد». والصحيح من عيون التواريخ وتاريخ أبي القدا. (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة. (٥) أطلنا البحث عن هذا المكان في المصادر التي تحت أيدينا فلم نوفق للثبوت عليه. (٦) شيزر: (فتح الشين المعجمة وسكون الياء): مدينة من جند حصص غربي حلب، وهي ذات أشجار في بساتين وفواكه كثيرة، ولها ذكر في شعر امرئ القيس (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٢٣ وتقوم البلدان ص ٢٦٣). (٧) جارة عيون التواريخ: «وعيد الملك الظاهر بالجالية ثم رحل إلى القوار وأقام به إلى خامس عشرين شوال ثم توجه إلى الكرك». (٨) هو جهازي شيعه بن هاشم بن قاسم بن مهنا بن حسين بن مهنا بن الحسين الأصغر. توفي سنة ٨٧٠ هـ. وقد ضبطت كتبنا بجهاز وشيعه بالعبارة في المثل الصافي.

- وغسلها بماء الورد وطيبها بيسده، وأقام يوم الاثنين ثم ركب وتوجه إلى المدينة الشريفة، فزار بها قبر النبي صلى الله عليه وسلم ثانيا . ثم توجه إلى الكرك فوصله في يوم الخميس تاسع عشرين ذى الحجة فصلّى به الجمعة . ثم توجه إلى دمشق فوصل يوم الأحد ثانی المحرم سنة ثمان وستين وستمائة في السحر، فخرج الأمير جمال الدين آقوش فصادفه في سوق الخيل واجتمع به . ثم سار إلى حلب فوصلها في سادس المحرم ؛ ثم خرج منها في عاشره وسار إلى حماة ثم إلى دمشق ثم إلى مصر، وصحبته الأمير عز الدين الأقرم فدخلها يوم الأربعاء رابع صفر، وآتفق ذلك اليوم دخول ركب الحاج، وكانت العادة يوم ذاك بدخول الحاج إلى القاهرة بعد عاشر صفر، فأقام الملك الظاهر بالقاهرة أياما، وخرج منها في صفر المذكور إلى الإسكندرية ومعه ولده الملك السعيد وسائر الأمراء فنصيد أياما وعاد إلى نحو القاهرة في يوم الثلاثاء ثامن شهر ربيع الأول ، وخلع في هذه السفرة على الأمراء وفزق فيهم الخيل والحواسن الذهب والسيوف المحلاة والذهب والدرهم والقماش وغير ذلك، فلم يُقيم بالقاهرة إلا مدة يسيرة ، وخرج منها متوجّها إلى الشام في يوم الاثنين حادى عشرين شهر ربيع الأول في طائفة يسيرة من أمرائه وخواصه، فوصل إلى دمشق في يوم الثلاثاء سابع شهر ربيع الآخر، ولقي أصحابه في الطريق مشقة شديدة من البرد . ثم خرج عقيب ذلك إلى الساحل وأسّر ملك عكا ؛ وقتل وأسّر وسبي . ثم

(١) في الأصلين : « وعاد إلى حاة » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ .

(٢) في التوفيقات الإلهامية أن أول صفر من هذه السنة كان يوم الاثنين .

(٣) في الأصلين : « الثلاثاء سابع عشر شهر ربيع الآخر » . والصحيح عن السلوك وما يفهم من سياق

كلام المؤلف فيما تقدّم . (٤) عبارة عيون التواريخ : « وخيم على الزينية وبلغه أن ابن

أخت زيتون خرج من عكا، فساك الملك الظاهر بعد ما عرف عسكر دمشق فصادف ابن أخت زيتون قد خرج فالتقاه وكرهه وأسأسره وجماعه من أصحابه » .

قصد الغارة على المرقب فوجد من الأمطار والثلوج مانعته، فرجع إلى حصص فأقام
بها نحو عشرين يوما . ثم خرج إلى جهة حصن الأكراد ونزل تحتها، وأقام يركب
كل يوم ويعود من غير قتال إلى الثامن والعشرين من شهر رجب، فبلغه أن
مراكب الفرنج دخلت ميناء الإسكندرية وأخذت مراكبين للمسلمين، فرحل من فوره
إلى نحو الديار المصرية فوصلها ثاني عشر شعبان، فحين دخوله إلى مصر امر بعمارة
القناطر التي على بحر أبي المنجا^(٤)، وهي من المباني العجيبة في الحسن والإتقان؛ وبينما
هو في ذلك ورد عليه البريد من الشام أن الفرنج قاصدون الساحل، والمقدم عليهم

(١) المرقب: بلد وقلة حصينة حسة البناء تشرف على ساحل بحر الشام وبتياس اسم لبلدتها وبينهما
قريب من فرسخ (عن معجم البلدان لياقوت وتقويم البلدان) . (٢) راجع الحاشية رقم ٤
ص ١٤٢ من هذا الجزء . (٣) في الأصلين: «وأخذت المسلمون منهم مراكيب» . والتصحيح
عن ميزان التواريخ وعقد الجمان . (٤) بحر أبي المنجا: يستفاد مما ورد في الجزء الخامس من كتاب
الانتصار لابن دقاق ص ٤٦ عند الكلام عن سواقي بحر أبي المنجا، وما ورد في الجزء الثاني ص ١٥١
من الخطط القرينية عند الكلام على قناطر أبي المنجا: أن هذا البحر أنشأه أمير الجيوش الأفضل
شاهنشاه وقت وزارته للخليفة الأمر بأحكام الله منصور بن أحمد الفاطمي في سنة ٥٠٦ هـ، تحت
إشراف أبي المنجا يسعيا اليهودي الذي كان مشرفا على أعمال الري في ذاك الوقت، ولذلك حرف البحر
باسم أبي المنجا .

وأقول بعد الاطلاع على ما ورد في كتابي وقف الملك الأشرف برسبای والملك الأشرف قايتباي وعلى
ما ورد بخصوص عمارة قنطرة بحر أبي المنجا عند شين القناطر (ص ١٦٨ ج ١) من كتاب تاريخ مصر
لابن ياس تبيين لي من هذا ومن البحث أن بحر أبي المنجا هو الذي يعرف اليوم بترعة الشرفاوية من فها
القديم إلى شين القناطر ثم يسير باسم بحر أبي الأخضر إلى نهايته بترعة الروادي . وفي سنة ١٢٤٨ هـ .
أنشئ فم جديد لترعة الشرفاوية بدل الفم القديم الذي أصبح خاصا بتغذية الترعة التي تصرف اليوم بترعة
أبي المنجا لأنها فرع منه وتسير من فم القديم بالقرب من باسوس بمركز قلوب إلى ناحية سنديون .

وأما القناطر التي أنشأها الملك الظاهر بيبرس على هذا البحر في سنة ٥٦٥ هـ فلا تزال موجودة إلى اليوم وقد
شاهدتها واقعة غربي سكن ناحية ميتة بمركز قلوب، وبسبب تغير مجرى بحر أبي المنجا عند هذه القناطر وتركها
بغير استعمال طمت عيونها حتى أصبحت قائمة على أرض زراعية، ولا تزال هذه القناطر العظيمة بمثابة إحارة
حفظ الآثار العربية حافظا لشكلها ومزينة بعدة من صور السباع التي هي ذلك (شعار) منشأها، رحمه الله .

- (١) شارل أخو ريدا فرُّس ، وربما كان محطهم عكا؛ فتقدم الملك الظاهر إلى العسكر بالتوجه إلى الشام . ثم ورد الخبر أيضا بأن أثنى عشر مرتكبا للفرنج عبروا على الإسكندرية ودخلوا ميناءها وأخذوا مرتكبا للتجار وأسأصلوا ما فيه وأحرقوه ، ولم يتحسر والى الإسكندرية أن يخرج الشوانى من الصناعة لغنية رئيسها في مهم استدعاه الملك الظاهر بسببه . ولما بلغ الملك الظاهر ذلك بعث أمر بقتل الكلاب في الإسكندرية .
- وَأَلَا يَفْتَحْ أَحَدُ حَانُوتًا بَعْدَ الْمَغْرِبِ وَلَا يُوقِدْ نَارًا فِي الْبَلَدِ لَيْلًا ، ثُمَّ تَجْهَزْ بِسُرْعَةٍ وَخُرجْ نَحْوَ دِمْيَاطِ يَوْمَ الْخَمِيسِ خَامِسَ ذِي الْقَعْدَةِ فِي الْبَحْرِ . وَفِي ذِي الْحِجَّةِ أَمَرَ السُّلْطَانُ بِعَمَلِ جِسْرَيْنِ : أَحَدُهُمَا مِنْ مِصْرَ إِلَى الْجَزِيرَةِ (أَعْنَى الرُّوضَةِ) ، وَالْآخَرُ مِنَ الْجَزِيرَةِ إِلَى الْجَحْزَةِ عَلَى مَرَاكِبٍ لِتَجُوزَ الْعَسَاكِرَ عَلَيْهِمَا . ثُمَّ عَادَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ مِنْ دِمْيَاطِ بِسُرْعَةٍ وَلَمْ يَلَقَ حَرْبًا ؛ وَخُرجَ مِنْ مِصْرَ إِلَى عَسْقَلَانَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ عَاشِرِ صَفَرِ سَنَةِ تِسْعٍ وَسِتِينَ وَسَمِئَاتٍ فِي جَمَاعَةٍ يَسِيرَةٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْأَجْنَادِ ، فَوَصَلَ إِلَى عَسْقَلَانَ وَهَدَمَ مِنْ سُورِهَا مَا كَانَ أَهْمِلَ هَدْمُهُ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ ، وَوُجِدَ فِيهَا هُدْمٌ كُذِرَ أَنْ يَمْلُؤَ مِنْ ذَهَبًا مِقْدَارَ أَلْفِي دِينَارٍ فَفَزَقَهَا عَلَى مَنْ صَحِبَهُ ، وَوَرَدَ عَلَيْهِ الْخَبَرُ وَهُوَ بِعَسْقَلَانَ أَنَّ عَسْكَرَ أَبِي أَحْمَدَ بَرَكَةَ خَانَ الْمُغْلِي كَسَرَ عَسْكَرَ أَبِقَابَ بْنِ هَوْلَاكُو ، فَسَرَّ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ بِذَلِكَ سُرُورًا زَائِدًا . وَعَادَ إِلَى مِصْرَ يَوْمَ السَّبْتِ ثَامِنِ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ . وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ آتَتْهُي الْجِسْرُ وَالْقَنَاطِرُ الَّذِي عَمِلَ عَلَى بَحْرِ أَبِي الْمُنْتَجَا ، وَوَقَفَ عَلَيْهِ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ وَفَقًّا يَعْمُرُ مِنْهُ مَا دَثَّرَ مِنْهُ عَلَى طُولِ السَّنِينَ . وَفِي هَذِهِ
- (١) فِي الْأَصْلَيْنِ : « شُرُون » . وَمَا أُتْبِنَاهُ عَنْ هَامِشِ السُّلُوكِ (ص ٥٠٢) . وَهُوَ شَارِلُ مَلِكِ صَقْلِيَّةِ أَخُو لُؤَيْسِ النَّاسِ ، وَهُوَ الَّذِي تَوَلَّى قِيَادَةَ الْجَيْشِ فِي الْحَمْلَةِ الصَّلْبِيَّةِ الثَّامِنَةِ بَعْدَ وَفَاةِ أَخِيهِ لُؤَيْسِ النَّاسِ (رِيدَا فَرَنْسَ) مَلِكِ فَرَنْسَا ، غَيْرَ أَنَّ الْقَائِدَ الْجَدِيدَ أَنْصَرَفَ عَنْ غَرَضِ الْحَمْلَةِ إِلَى مَا تَطَلَّبَتْهُ مَصَالِحُ مَمْلَكَةِ الصَّقْلِيَّةِ . (٢) هُوَ الَّذِي أَسْرَفَ فِي وَقْعَةِ دِمْيَاطِ وَجَمْعِنِ بَدَارِ بْنِ لُقْمَانَ ، وَرَاجِعِ الْحَاشِيَةِ رَقْمِ ١٠ ص ٣٦٦ مِنَ الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ .
- (٣) رَاجِعِ الْحَاشِيَةَ رَقْمِ ٣ ص ٣٢٠ مِنَ الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ .

السنة أيضا بجى الملك الظاهر جامع المنشية^(١)، وأقيمت فيه الخطبة يوم الجمعة^(٢) ثامن عشرين شهر ربيع الآخر من سنة تسع وستين وستمائة المذكورة . ثم فى السنة المذكورة أيضا خرج الملك الظاهر من الديار المصرية متوجها إلى نحو حصن الأكراد فى ثانى عشر جمادى الآخرة، ودخل دمشق يوم الخميس ثامن شهر رجب، وكان معه فى هذه السفرة ولده الملك السعيد والصاحب بهاء الدين بن حنا، وأستخلف بمصر الأمير شمس الدين آقسنقر الفارقانى^(٣)، وفى الوزارة الصاحب تاج الدين ابن حنا . ثم خرج الملك الظاهر من دمشق فى يوم السبت عاشره وتوجه بطائفة من العسكر إلى جهة^(٤)، وولده وبيلىك الخازندار بطائفة أخرى إلى جهة^(٥)، وتواعدوا الاجتماع فى يوم واحد بمكان معين^(٦) ليسنوا الغارة على جبلة^(٧) والأذقية^(٨) والمرقب^(٩) وعرة^(١٠) ومرقة^(١١) والقليعات^(١٢) وصافينا^(١٣) والمجدل^(١٤) وأنظرطوس^(١٥)، فلما اجتمعوا [على] أن يشنوا الغارة فتحوا صافينا والمجدل، ثم ساروا ونزلوا حصن الأكراد يوم الثلاثاء^(١٦) تاسع عشر شهر رجب من سنة تسع وستين وستمائة، وأخذوا فى نصب المجانيق وعمل

(١) جامع المنشية، ذكر ابن دقاق فى ص ١١٩ من الجزء الرابع من كتاب الانتصار أن هذا الجامع أنشأه الملك الظاهر بيبرس فى سنة ٦٧١ هـ بمنشأة المهرانى . وأقول: إن هذا الجامع كان واقعا فى الأرض الواقعة على شارع قصر العين تجاه معهد ومستشفى الكلب من الجهة الشرقية بقرب فم الخليج، وقد اندثر وليس له أثر اليوم . (٢) فى التوفيقات الإلهامية أن أول ربيع الآخر من هذه السنة كان يوم الاثنين . (٣) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٣٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٤) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٠٥ من هذا الجزء . (٥) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤٨ من هذا الجزء . (٦) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٧) مرقة : قلعة فى سواحل حص (عن معجم البلدان لياقوت) . (٨) القليعات وصافينا والمجدل : قلاع من حصن الأكراد (راجع خريطة كتاب الصليبيون فى المشرق لاستيف طبع كمبرج سنة ١٩٠٧ م) . (٩) فى الأصلين : « وصافينا » بالناء المثناة . وما أتبعناه عن عيون التواريخ والنهج السديد وتاريخ الدول والملوك لابن الفرات . (١٠) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١٣ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (١١) فى عقد الجبلان : « ونزلوا على حصن الأكراد فى تاسع شهر شعبان من هذه السنة » .

- (١) ولهذا الحصن ثلاثة أسوار ، فاشتد عليه الزحف والقتال وفتحت الباشورة الأولى يوم الخميس حادى عشرين الشهر ، وفتحت الثانية يوم السبت سابع شعبان ، وفتحت الثالثة الملاصقة للقلعة في يوم الأحد خامس عشره ، وكان المحاصر لها الملك السعيد ابن الملك الظاهر ومعه يليك الخازن دار وبيسى ، ودخلت العساكر البلد بالسيف وأسرُوا مَنْ فِيهِ مِنَ الْجَبَلِيَّةِ وَالْفَلَاحِينَ ثُمَّ أَطْلَقُوهُمْ . فَلَمَّا رَأَى أَهْلُ الْقَلْعَةِ ذَلِكَ أَذْنَعُوا بِالتَّسْلِيمِ وَطَلَبُوا الْأَمَانَ ، فَأَقْنَمَهُمُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ وَتَسَلَّمَ الْقَلْعَةُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ثَالِثَ عَشْرِينَ شَعْبَانَ ، وَكُتِبَتْ الْبَشَائِرُ بِهَذَا الْفَتْحِ إِلَى الْأَقْطَارِ ، وَأُطْلِقَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْفَرَنْجِ فَوَجَّهُوا إِلَى طَرَابُلُسَ . ثُمَّ رَحَلَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ بَعْدَ أَنْ رَتَّبَ الْأَمِيرُ عَزَّ الدِّينَ أَبِيكَ الْأَقْرَمَ لِمَارَتِهِ ، وَأَقِيمَتْ فِيهِ الْجُمُعَةُ ، وَرَتَّبَ نَائِبًا وَقَاضِيًا . وَلَمَّا وَقَعَ ذَلِكَ بَعَثَ صَاحِبُ أَنْطَرُطُوسَ إِلَى الْمَلِكِ الظَّاهِرِ يَطْلُبُ الْمَهَادَنَةَ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِمِفْتَاحِ أَنْطَرُطُوسَ فَصَالَحَهُ عَلَى نِصْفِ مَا يَتَحَصَّلُ مِنْ غِلَالِ بَلَدِهِ ، وَجَعَلَ عِنْدَهُمْ نَائِبًا مِنْ قَبْلِهِ . ثُمَّ صَالَحَ صَاحِبَ الْمَرْقَبِ عَلَى الْمُنَاصَفَةِ أَيْضًا ، وَذَلِكَ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ مُسْتَهْلَ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ تِسْعٍ وَسِتِينَ ، وَقُرِّرَتِ الْمُهْدَنَةُ عَشْرَتَيْنِ وَعَشْرَةَ أَشْهُرَ وَعَشْرَةَ أَيَّامَ .
- ١٥ ثم سار الملك الظاهر في يوم الأحد رابع عشر شهر رمضان فأشرف على حصن ابن عكَّار ، وعاد إلى المَرَجِ فَأَقَامَ بِهِ إِلَى أَنْ سَارَ وَنَزَلَ عَلَى الْحَصَنِ الْمَذْكُورِ ثَانِيًا (٢) فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ثَانِي عَشْرِينَ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَنَصَّبَ الْمَجَانِيْقَ عَلَيْهِ فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ ،

(١) في الأصلين : « وعمل الباسير » وما أثبتناه من عيون التواريخ والنهج السديد .

(٢) في الأصلين : « يوم الاثنين خامس عشرين شعبان » والتصويب عما تقدم وما سيأتي ذكره للؤلؤف .

(٣) في الأصلين : « على حصن من عكا » . وصوابه عن عيون التواريخ ونهاية الأرب والسلوك والنهج السديد . وهو حصن منى على جبل يسمى بنفس الاسم وموقعه شمالى طرابلس . ويسمى أيضا حصن عكار . انظر هامش السلوك (ص ٥٩٢) . (٤) المراد به مريج صافيتا كما في عيون التواريخ .

وفي يوم الأحد ثامن عشرينه رمى المنجنيق الذي قُبالة الباب الشرق رَمِيًّا كثيرا
نَحَسَفَ خَسَفًا كبيرا إلى جانب البَدَنَةِ ، ودام ذلك إلى اللَّيْلِ فطلبوا الأمان على
أنفسهم من القتل وأن يَمَكِّنَهُمْ من التوجه إلى طرابُلُس فأجابهم ، فخرجوا يوم
الثلاثاء سَلَخَ الشهر؛ وَكُتِبَتِ البشائر بالفتح والنصر إلى سائر الأقطار . ثم في يوم
السبت رابع شوال خِيَمَ السلطان الملك الظاهر بعساكر^(٣) [هـ] على طرابُلُس فسير صاحبها
إليه يستعطفه فبعث إليه الملك الظاهر [فارس الدين] الأتابك^(٤) [و] سيف الدين
[بُلْبَان]^(٣) الرومي على أن يكون له من أعمال طرابُلُس نصف بالسوية ، وأن يكون له دار
وكالة فيها ، وأن يُعْطَى جَبَلَةٌ وَاللَّادِيَّةُ بخراجهما من يوم خروجهما عن الملك الناصر
إلى يوم تاريخه ، وأن يُعْطَى نفقات العساكر من يوم خروجه ؛ فلما علم الرسالة عَزَمَ
على القتال وَحَصَّنَ طرابُلُس ، فنصب الملك الظاهر المجانيق ؛ ثم تَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ
ثانيا وتقرر الصلح أن تكون عِرْقَةٌ وَجَبَلَةٌ وأعمالها للبرنس صاحب طرابلس ، وأن
يكون ساحل أَنْطَرطُوس^(٦) والمَرْقَبَ وبَانِيَّاس وبلاد هذه النواحي بينه وبين الدَّوَايَةِ^(٧) ،
والتي كانت خاصا لهم ، وهي بارين وَخِمَص القديمة تعود خاصا للملك الظاهر ، وَشَرَطَ^(٨)
أن تكون عِرْقَةٌ وأعمالها ، وهي ست وخمسون قرية ، صدقة من الملك الظاهر عليه ،
فتوقف صاحب طرابُلُس وَأَنْفَ ؛ فلما بلغ الملك الظاهر أَمْتَناعه صَمَّ على ما شَرَطَ
عليه حتى أجابه ، وعُقِدَ الصلح بينهما مدة عشر سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام .

(١) في الأصلين : « وفي يوم الأحد خامس عشرينه » وهو خطأ وتصحيحه عن النهج السيد
وما تقدم وما سيأتي ذكره للؤلؤ . (٢) يريد الأبرنس صاحب طرابلس كما في النهج السيد
وما سيأتي بعد قليل ذكره للؤلؤ . (٣) زيادة عن النهج السيد . (٤) التكلة عن عيون
التواريخ والسلوك ونهاية الأرب والنهج السيد . (٥) في الأصلين هكذا : « أن تكون عِرْقَةٌ
ومسل وأعمالها » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ . (٦) في الأصلين : « وأن يكون صاحب
أنطراطوس... الخ » . وتصحيحه عن عيون التواريخ والنهج السيد . (٧) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٣ من
الجزء السادس من هذه الطبعة . (٨) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٥ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

- وفي يوم السبت حادى عشر شوال رَحَلَ الملك الظاهر عن مَرَج صافيتا، وأذِنَ إلى صاحب حَمَاة وصاحب خِمَص بِالْعَوْدِ إلى بلادهم ، وسار الظاهر حتى دخل دِمَشْقَ يوم الأربعاء خامس عشر شوال، وعَزَلَ القاضي شَمْسُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ خَلْكَانٍ عن قضاء دِمَشْقَ، وكانت مَدَّة ولايته عشر سنين، وولَّى عِوَضَهُ القاضي عِزَّةُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ عَبْدِ الْخَالِقِ الْمَعْرُوفِ بِأَبْنِ الصَّائِفِ . ثم في يوم الجمعة رَابعَ عشرين شوال خرج الملك الظاهر من دِمَشْقَ قاصداً الْقُرَيْنَ^(١)، فَنَزَلَ عليه يوم الاثنين سابع عشرين الشهر، ونَصَّبَ عليه المجانيقَ، ولم يكن به نساء ولا أطفال بل مُقَاتِلَةٌ، فقاتلوا قتالاً شديداً، وأخذت النُّقُوبُ لِلْحِصْنِ من كُلِّ جانب، فطلب مَنْ فِيهِ الْأَمَانُ، فَأَمَّنُوا يوم الاثنين ثالث عشر ذى القعدة، وتَسَلَّمَ السُّلْطَانُ الْحِصْنَ بما فيه من السلاح ثم هدمه، وكان بناؤه من الحجر الصُّلْدِ وبين كُلِّ حجرين عُودُ حديد ١٠ ملزوم بالرصاص، فأقاموا في هدمه اثني عشر يوماً وفي حِصَارِهِ خمسة عشر يوماً .
- وفي يوم الاثنين سادس عشرين الشهر نزل الملك الظاهر على كردانة قرية قريبة من عَمَّا، وَلَيْسَ الْعَسْكَرُ وسار إلى عَمَّا وأشرف عليها، ثم عاد إلى منزله . ثم رَحَلَ منها يوم الثلاثاء قاصداً مصر، فدخلها يوم الخميس ثالث عشر ذى الحجة، وكان جملة ما صَرَفَهُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ فِي هَذِهِ السَّفَرَةِ من حين خروجه من مصر إلى حين عَوْدِهِ إِلَيْهَا مَا يُنْفَى عَلَى مِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ وَثَمَانِينَ أَلْفَ دِينَارٍ عَيْنًا . وفي اليوم الثاني من وصوله إلى قلعة الجبل قَبَضَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَمْراءِ مِنْهُمْ : الْأَمِيرُ عَلَمُ الدِّينِ سَنْجَرُ

(١) سِذْكَرَةُ الْمُؤَلَّفِ سَنَةِ ٦٨٣ هـ . (٢) فِي الْأَصْلِ : «يَوْمَ الْجُمُعَةِ خَامِسَ عَشْرِينَ شَوَّالَ» وَهُوَ خَطَأٌ كَمَا يَفْهَمُ بِمَا تَقْدَمُ . (٣) الْقُرَيْنُ : حِصْنٌ مِنْ حِصُونِ الْأَرْمَنِ ، وَكَانَ لَهَا قُوَّةٌ يُقَالُ لَهُمُ الْإِسْبَارُ ، وَهُوَ مَنْ أَمْنَعَ الْحِصْنَ عَلَى صَفَدٍ (عَنْ نَهَايَةِ الْأَرْبَعِ ج ٢٨ ص ١٠٣) . (٤) فِي الْأَصْلِ : «ثَامِنَ عَشْرِينَ» وَهُوَ خَطَأٌ . (٥) فِي عَيُونِ التَّوَارِيخِ : «سَادِسَ عَشَرَ الْقَعْدَةِ» . (٦) عِبَارَةٌ عَنِ عَيُونِ التَّوَارِيخِ : «جَمْلَةُ مَا صَرَفَهُ السُّلْطَانُ فِي هَذِهِ السَّفَرَةِ عَلَى الْعَسْكَرِ ثَمَانِيَةَ أَلْفٍ دِينَارٍ» .

الحلبي الكبير، الذي كان تسلطن بدمشق في أول سلطنة الملك الظاهر بيبرس،
والأمير جمال الدين آقوس المحمدي، والأمير جمال الدين أيدغدو الحاجبي الناصري،
والأمير شمس الدين سُنْقَرُ المساح^(١) والأمير سيف الدين بيدغان الركني^(٢) والأمير
علم الدين سَنَجَر طرطرح وغيرهم، وحبسوا الجميع بقلعة الجبل؛ وسبب ذلك أنه
بلغه أنهم تأمروا على قبضه لما كان بالشقيف، فأسرّها في نفسه إلى وقتها. وكان
بلغ الملك الظاهر وهو على حصن الأكراد أن صاحب قبرص خرج منها في مراكبه
إلى عكا، فأراد السلطان اغتنام خلوها، فجهاز سبعة عشر شينياً، فيها الرئيس ناصر الدين
عمر بن منصور رئيس مصر وشهاب الدين محمد بن إبراهيم بن عبد السلام رئيس
الإسكندرية، وشرف [الدين] علوى بن أبي المجد بن علوى القسقلاني رئيس
دمياط، وجمال الدين مكّي بن حسن مقدما على الجميع؛ فوصلوا الجزيرة ليلاً،
فهاجت عليهم ریح طردتهم عن المرسى، وألقت بعض الشوانى على بعض،
فتحطم منها أكثر من أحد عشر شينياً وأخذ من فيها من الرجال والصناع أسراء،
وكانوا زهاء ألف وثمانمائة نفس، وسلم الرئيس ناصر الدين وأبن حسون في الشوانى
السامة، وعادت إلى مراكرها؛ فعظم ذلك على الملك الظاهر بيبرس إلى الغاية.
وفي يوم الاثنين سابع عشر ذى الحجة أمر الملك الظاهر بإراقة الخمر في سائر
بلاده، وأوعد من يعصرها بالقتل، فأريق على الأجناد والعوام منها ما لا تُحصى
قيمته، وكان ضمان ذلك في ديار مصر خاصة ألف دينار في كلّ يوم، وكتب بذلك
توقيع قُورئ على منبر مصر والقاهرة. وفي العشر الأخير من ذى الحجة أهتم الملك

(١) في الأصلين : « سفر النجاج » . وما أئبناء عن السلوك (ص ٥٩٥) ويعون التواريخ

ونهاية الأرب والتهج السديد . (٢) في الأصلين : « طوغان » . وما أئبناء عن السلوك

ويعون التواريخ . (٣) زيادة عن عيون التواريخ .

الظاهر بإنشاء شَوَانٍ عَوْصًا ذهب على قُبْرُص، وأتتهى العمل من الشوانى
 في يوم الأحد رابع عشر المحرم سنة سبعين^(١)، وركب السلطان إلى الصنّاعة لإلقاء
 الشوانى في بحر النيل، وركب السلطان في شَيْبَى^(٢) منها ومعه الأمير بدر الدين بيليك
 الخازندار، فلما صار الشيبى في الماء مال بمن فيه فوق الخازندار منه إلى البحر،
 فنهض بعض رجال الشيبى ورعى بنفسه خلفه فأدركه وأخذ بشعره وخلّصه، وقد
 كاد يهلك، فخلّغ عليه الملك الظاهر وأحسن إليه.

وفي ليلة السبت السابع والعشرين منه خرج الملك الظاهر من الديار المصرية
 إلى الشام في قَفَرٍ يسير من خواصه وأمرائه ودخل حصن الكرك، وخرج منه
 وصحب معه نائبه الأمير عز الدين أيّدمر وسار إلى دِمَشْق، فوصل إليه يوم الجمعة
 ثاني عشر صفر، فعزل عنها الأمير جمال الدين آقوش النجيبى، وولّى مكانه الأمير
 عز الدين أيّدمر المعزول عن نيابة الكرك. ثم خرج منها إلى حمّاة في سادس عشره
 ثم عاد منها في السادس والعشرين.

وفيها أمر ملك التّار أبقا بن هولاكو عساكره بقصد البلاد الشامية، فخرج
 عسكره في عِنته عشرة آلاف فارس وعليهم الأمير صمغرا والبرواناه، فلما بلغهم أنّ
 الملك الظاهر بالشام أرسلوا ألفاً ونعمسائة من المغل ليتجسسوا الأخبار ويغيروا
 ١٥

(١) الصنّاعة، يستفاد مما ورد في الجزء الثاني من المخطط المقرّبة (ص ١٨٩ — ١٩٧) عند
 ذكر المواضع المعروفة بالصنّاعة أن الصنّاعة، وهى مكان صناعة السفن، كانت في زمن الملك الظاهر ببرس
 وفي زمن دولتي المماليك على النيل بساحل مصر القديمة بخط دير النحاس (وراجع الحاشية رقم ٤ ص ٩٩)
 بالجزء الرابع من هذه الطبعة. (٢) كذا في الأصلين ويعيون التواريخ. وفي عقد الجمان ونهاية الأرب
 (ج ٢٨ ص ٥٩) وتاريخ الدول والملوك: «صمغرا». (٣) البرواناه: لفظ فارسي، معناه
 ٢٠ في الأصل الحاجب، وقد أطلق في دول الروم السلاجقة بآسيا الصغرى على الوزير الأكبر. وهو سليمان
 ابن علي بن محمد بن حسن صاحب معين الدين البرواناه. توفي في أواخر سنة ٦٧٦ هـ شهيداً في واقعة
 التار مع الملك الظاهر (عن المنهل الصافي ويعيون التواريخ وشذرات الذهب).

على أطراف بلاد حلب ، وكانت مقدمهم ^(١) أمال بن بيجونين ^(٢) ووصلت غارتهم إلى عيّناب ^(٣) ثم إلى قسطنطين ^(٤) ووقعوا على تركان نازلين بين حارم وأنطاكية فاستأصلوهم ؛ فتقدم الملك الظاهر بتجفيف البلاد ليحمل التار الطمع فدخلوا فيتمكن منهم . وبعث إلى مصر بمخرج العساكر فخرجت ومقدمها الأمير بيّسى ، فوصلوا إلى السلطان في خامس الشهر وخرج بهم في السابع منه ، فسبق إلى التار خبره ، فولّوا على أعقابهم . وكان الظاهر لما مرّ بجماة استصحب معه الملك المنصور صاحب حماة ، ونزل الظاهر حلب يوم الاثنين ثاني عشر شهر ربيع الآخر من سنة سبعين وستمائة وخم بللّيدان الأخضر ، ثم جهّز الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقي في عسكر وأمره أن يمتضى إلى بلاد حلب الشمالية ولا يتعوض ببلاد صاحب عيسى ، وجهّز الأمير علاء الدين طيّرس الوزيري في عسكر وأمره بالتوجه إلى حزان . فاما الفارقي فإنه سار خلف التار إلى مرعش فلم يجد منهم أحداً ، ثم عاد إلى حلب فوجد الملك الظاهر مقيماً بها ، وقد أمر بإنشاء دار شمالي القلعة كانت تعرف بدار الأمير بكتوت ، أستاذار الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب وضاف إليها داراً أخرى ، وكلّ بمارتها الأمير عز الدين أقوش الأفرم . ولما عاد الفارقي إلى حلب رحل الملك الظاهر منها نحو الديار المصرية في ثامن عشرين شهر ربيع الآخر ، ودخل مصر في الثالث والعشرين من جمادى الأولى .

(١) في النج السديد : « أدراك بن بيجونين » . (٢) راجع معنى نونين في الحاشية رقم ٣ ص ٧٨ من هذا الجزء . (٣) عيناب : بلدة كبيرة ، بها قلعة حصينة ورساق بين حلب وأنطاكية . (٤) في الأصلين : « مسطوق » وهو تحريف ، وتصحيحه عن النج السديد . وقسطنطين : حصن كان بالروج من أعمال حلب (عن معجم البلدان لياقوت) . (٥) يريد شهر ربيع الآخر ، كما في عيون التواريخ وما يفهم من السلوك . (٦) في الأصلين : « ربيع الأول » . والذي قدّمناه عن عيون التواريخ يقتضى ذلك . (٧) مرعش : مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم ، لها سوران وخندق ، وفي وسطها حصن عليه سور (عن معجم البلدان لياقوت) .

- ولما وصل الظاهر إلى مصر قبض على الأمراء الذين كانوا مجردين على قاقوت^(١) بسبب الترنج لما أغاروا على الساحل ما عدا أقوش الشمسي ثم شُفِعَ فيهم فأطلقهم .
- وفي يوم الأربعاء ثالث جمادى الآخرة عدّى الملك الظاهر إلى بر الجزيرة فأخبر أن^(٢) بوبصير الصدر مغارة فيها مطلب ، فجمع لها خلقا فحفرُوا مَدَى بعيدًا ، فوجدوا قِطاطًا ميتة وكلاب صيد وطيورًا وغير ذلك من الحيوانات ملفوفة في عصابات ونحرق ، فإذا حُلَّت اللفائف ولاقى الهواء ما كان فيها صار هباءً متثورًا ، وأقام الناس ينقلون من ذلك مُدَّة ولم يتقدَّ ما فيها ، فأمر الملك الظاهر بتركها وعاد من الجزيرة .
- وفي يوم السبت سابع عشرين جمادى الآخرة ركب السلطان الملك الظاهر إلى^(٣) الصنعة ليرى الشوانى التى عُحِلت وهى أربعون شينياً فُسِّرَ بها . وعند عودته إلى القلعة ولدت زرافة بقلعة الجبل [وهذا أمر لم يُعْهَد] وأرضع ولدها ابن بقرة .
- ثم سافر الملك الظاهر إلى الشام فى شعبان وسار حتى وصل الساحل وخيم بين قيسارية وأرسوف ، وكان مرثزًا بها الفارقاني فرحل الفارقاني عنها إلى مصر .
- ثم إن الملك الظاهر شنَّ الغارة على عكا ، فطلب منه أهلها الصلح وترددوا فى ذلك حتى تقزرت الهدنة بينهم مدَّة عشرين وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات ، أولها ثانى عشرين شهر رمضان سنة سبعين وستمائة .

١٥

(١) قاقوت : حصن بفلسطين قرب الرملة . وقيل هو من عمل قيسارية من ساحل الشام (عن معجم البلدان لياقوت) . والمقصود هنا المعنى الثانى ، كما يفهم من عبارة المؤلف .

(٢) أبو صير الصدر ، هو من القرى القديمة ، وردت فى معجم البلدان لياقوت باسم بوبصير الصدر فى كورة الجزيرة . وفى النسخة السنية لابن الجيخان أبو صير الصدر من أعمال الجزيرة . ولا تزال هذه القرية موجودة إلى اليوم باسم « أبو صير » ضمن قرى مركز الجزيرة بمديرية الجزيرة عند حاجر الجبل الغربى غربى محطة الحوامدية على بعد خمسة كيلومترات . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٥٥ من هذا الجزء .

(٤) زيادة من عيون التواريخ .

ثم رحل الملك الظاهر إلى تحربة اللصوص، ثم سار منها إلى دمشق فدخلها في الثامن من شوال؛ وبينما هو في دمشق ترددت الرسل بينه وبين التثار وأنفصل الأمر من غير اتفاق. وفي ذى الحجة توجه الملك الظاهر من دمشق إلى حصن الأكراد لينقل حجارة المجانيق إليها^(١) ورؤية ما عُمر فيها ففعل ذلك^(٢). ثم سار إلى حصن عكا فاشرف عليها. ثم عاد إلى دمشق في خامس المحرم من سنة إحدى وسبعين وستمائة، وفي ثاني عشر المحرم المذكور أفرج^(٣) الملك الظاهر عن الأمير أيك النجيب الصغير، وأيدمر الحلي العزيزي وكانا محبوبين بالقاهرة. ثم خرج الملك الظاهر من دمشق في انحرهم أيضا عائداً إلى الديار المصرية وصحبته الأمير بدر الدين بيسرى والأمير آقوش الرومي وجريك الناصري^(٤)، فوصل إليها في يوم السبت ثالث عشرين المحرم، فأقام بالقاهرة إلى ليلة الجمعة تاسع عشرينه، خرج من مصر وتوجه إلى دمشق فدخل قلعتها ليلة الثلاثاء رابع صفر، فأقام بدمشق إلى خامس جمادى الأولى اتصل به أن فرقة من التتار قصدت الرحبة، فبرز إلى القصير فبلغه أنهم عادوا من الرحبة ونزلوا على البيرة، فسار إلى حصن وأخذ مراكب الصيادين على الجمال ليجوز عليها، ثم سار حتى وصل إلى الباب من أعمال حلب،

١٥ (١) يريد إلى قلعة حصن الأكراد، كما يفهم من عبارة السلوك (ص ٦٠٢) وعبارة تاريخ الدول والملوك لابن القرات. (٢) عبارة تاريخ الدول والملوك لابن القرات، والسلوك للقريري: «وقتل معهم بنفسه». (٣) في الأصلين: «إلى حصن عكا». وما أثبتناه عن السلوك (ص ٦٠٢) وتاريخ الدول والملوك وراجع الحاشية رقم ٣ ص ١٥١ من هذا الجزء. (٤) راجعنا هذا الخبر في المصادر التي تحت أيدينا مثل عيون التواريخ وعقد الجمان وتاريخ الدول والملوك لابن القرات والسلوك للقريري وتاريخ أبي الفدا وتاريخ ابن الوردي في حوادث سنة ٦٧١ هـ فلم نجد له ذكراً في تلك المصادر. (٥) في النهج السديد: «وسيف الدين جريك».

٢٠ (٦) القصير: يريد القصير التي هي ضيعة أول منزل لمن يريد حصن من دمشق وهي غير حصن القصير الذي تقدم ذكره.

- وبعث جماعة من الأجداد والعُربان لكشف أخبارهم، وسار إلى مَنبج فعادوا وأخبروا أن طائفة من التَّار مقدار ثلاثة آلاف فارس على شطِّ الفُرات ممَّا إلى الجزيرة، فرحلَ ^(١) عن مَنبج يوم الأحد ثامن عشر بُحَادَى الأولى ووصل شطَّ الفُرات، وتقدَّم إلى العسكر بِخَوْضِها، فخاض الأمير سيف الدين قلاوون الألفيَّ والأمير بدر الدين بَيْسَرَى في أوَّل الناس، ثم تَبِعَهما هو بنفسه وتبعته العساكر، فوقعوا على التَّار فقتلوا منهم مَقْتَلَةً عظيمةً وأسروا تقدير مائتي نفس ولم يَبِجْ منهم إِلَّا القليل، وتَبِعَهم بَيْسَرَى إلى قريب سُرُوج ^(٢) ثم عاد . وكان على الْبِيرة جماعة كثيرة من عسكر التَّار، وكانوا قد أشرفوا على أخذها، فلما بلغهم الخبر رحلوا عن الْبِيرة ودخلها السلطان في ثاني عشرين الشهر وخلع على نائبها ووزق في أهلها مائة ألف درهم، وأنعم عليهم ببعض ما تركه التَّار عندهم لما هربوا . ثم رحل الملك الظاهر عنها بمساكره وعاد إلى دِمَشق . وفي هذه النَّصرة قال العلامة شهاب الدين أبو النشاء محمود كاتب الإنشاء — رحمه الله — قصيدة طنانة؛ أولها :

- سِرْ حَيْثُ شَتَّ لك المَهِيمِ جَارُ * وَأَحْكُمْ قَطَّوعُ مرادك الأقدارُ
لم يبقَ للدين الذي أظهرته * يا ركنه عند الأعادى نَارُ
لما تراقصت الرعوس وحركت * من مطربات قِسِيك الأوتارُ
خُضَّتْ الفُرات بِسَاحِجِ أَقْصَى مَنَى * هُوجَ الصَّبَا من نعلهِ آثَارُ ^(٣)
حملتك أمواجُ الفُراتِ وَمَنْ رَأَى * بِحَرًّا سَوَاكَ يَقْلُهُ الأنهارُ
وتقطعت فِرْقًا ولم يك طودها * إذ ذاك إلا جيشُك الجَرَارُ

(١) في الأصلين : « فدخل مَنبج » وتصحيحه عن عيون التواريخ وما يفهم من عبارة التهج السديد والمؤلف . (٢) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٨٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٤) سيذكره المؤلف سنة ٥٧٢٥ هـ . (٥) في الأصلين : « من نعله الأوتار » . والتصحيح عن عيون التواريخ .

- رشت دماؤهم الصبيد فلم يطر * منهم على الجيش السعيد غبار
شكرت مساعيك المعافل والورى * والثرث والآساد والأطيار
هذى منمت وهؤلاء حميتهم * وسقيت تلك وعم ذاك الإيسار
فلأملأن الدهر فيك مدانحا * تبقى بقيت وتذهب الأعصار^(١)
- وهى أطول من ذلك . وقال الشيخ ناصر الدين حسن بن النقيب الكافى الشاعر
- رحمه الله تعالى - قصيدة وكان حاضر الوقعة منها :
ولما ترامينا الصرات بخيلنا * سكرناه منا بالقوى والقوائم^(٢)
فأوقفت التيار عن جريانه * إلى حيث عدنا بالغنى والغنائم
وقال الموفق عبد الله بن عمر الأنصارى - رحمه الله - وأجاد :
- الملك الظاهر سلطاننا * نفيديه بالأموال والأهل
إقتحم الماء ليطفى به * حرارة القلب من المغل
- ثم توجه الملك الظاهر إلى نحو الديار المصرية ، فخرج ولده الملك السعيد لتلقيه
في يوم الثلاثاء تاسع عشر جمادى الآخرة ، فأجتمع به بين القصير^(٣) والصالحية في يوم
الجمعة ثانى عشر^(٤) رينه ، فترجلا وأعتقا طويلا ، ثم ركبا وسارا جميعا إلى القلعة
وبين يديهم أسارى التار ركباً على الخيل ، ثم فى سابع شهر رجب أفرج الملك
الظاهر عن الأمير عز الدين أيبك الدمياطى من الاعتقال ، وكانت مدة اعتقاله
تسع سنين وعشرة أيام ، ثم خلع الملك الظاهر على أمراء الدولة ومقدمى الحلقة وأعطى ،
- (١) هو ناصر الدين الحسن بن شاور بن طرخان بن الحسن المعروف بالنفسى ويا بن النقيب الكافى .
سيذكر المؤلف فى حوادث سنة ٦٨٧ هـ . (٢) فى الأصلين : « سكه » . وتصحيحه عن
عيون التواريخ والمجلد الصافى وفوات الوفيات . (٣) هو موق الدين أبو محمد عبد الله بن
عمر بن نصر الله الأنصارى المعروف بالورن . سيذكر المؤلف فى حوادث سنة ٦٧٧ هـ .
(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٨٣ من هذا الجزء . (٥) فى الأصلين : « حادى عشرينه » .
والصحيح عن التوفيقات الإلهامية وما تقدم ذكره للزلف قريبا .

كل واحد منهم ما يليق به من الخيل والذهب والحوائص والقياب والسيوف ، وكان قيمة ما صرفه فيهم فوق ثلثمائة ألف دينار، وفي سادس عشرين شعبان أفرج الملك الظاهر عن الأمير علم الدين سَنَجَر الحلبي الغنيمي المِعْرِي . وفي يوم الاثنين ثاني عشر شوال استدعى الملك الظاهر الشيخ خَضْرًا إلى القلعة وأحضره بين يديه .

قلت : والشيخ خَضْر هذا هو صاحب الزاوية بالحسينية بالقرب من جامع الظاهر . انتهى . وأحضر معه جماعة من الفقراء حاققوه على أشياء كثيرة مُنكَرَة ، وكثُر^(١)

(١) زاوية الشيخ خضر، قال المقرئ في (ص ٤٣٠) من الجزء الثاني من خطه : إن هذه الزاوية خارج باب الفتوح من القاهرة بخط زقاق الكمل ، تشرف على الخليج الكبير ، عرفت بالشيخ خضر ابن أبي بكر بن موسى المهراني العدوي شيخ الملك الظاهر بيبرس ، بناها له الظاهر في سنة ٦٦٠ هـ ودفن الشيخ خضر بها في سنة ٦٧٦ هـ . وأقول : ينضج مما ذكر بالمصادر الخاصة بهذه الزاوية أنها كانت واقعة بزقاق الكمل خارج باب الفتوح وعلى الجانب الشرق من الخليج المصري تجاه أرض الطبالة ، وأنها كانت بالقرب من جامع الظاهر بخط الحسينية وأنها كانت موجودة لنفاية القرن العاشر الهجري بدليل أن الشيخ عبد الوهاب الشمراني الذي توفي سنة ٩٧٣ هـ قال : إن قبر الشيخ خضر ظاهر يزار . وبالبحت عن موقع زقاق الكمل تبين لي من المصادر الصريحة أن مكان هذا الزقاق اليوم الطريق الذي يسمى في مصلحة التنظيم سكة الظاهر ، وعلى ألسنة العامة شارع المنسي فيما بين ميدان الظاهر وشارع المنسي . وبالبحت في سكة الظاهر عن مكان زاوية الشيخ خضر تبين لي أنها اندثرت ودخلت في المساكن . ومكانها اليوم المربع القائم عليه المنزلان رقم ٢٩ و ٣١ الواقعان في نهاية شارع الإبانى من الجهة الشرقية على يسار الداخل من سكة الظاهر فيما بين هذه السكة وشارع الخليج المصري .

(٢) جامع الظاهر ، ذكر المقرئ في (ص ٢٩٩) من الجزء الثاني من خطه أن هذا الجامع أنشأه الملك الظاهر صاحب الترجمة في ميدان قراقوش خارج باب الفتوح من القاهرة في سنة ٦٦٥ هـ ويسمى جامع العافية . وأقول : إن هذا الجامع يقع بميدان الظاهر بين شارعى الظاهر والعباسية بالقاهرة وهو من أكبر جوامعها يبلغ مسطحه ١١٨٨٠ مترًا مربعًا وهو ما يقرب من ثلاثة أفدنة . وبالبحت تبين أن هذا الجامع تعطلت منه إقامة الشاغر من أول القرن العاشر الهجري بسبب سعة وتعذر الصرف طيه ، ثم تحوّل وسقطت قبة الكبيرة التي كانت فوق إيوان المهراب ، ثم سقطت مشدته ولم يبق منه الآن إلا جدرانها الخارجية المبنية بالحجر النحيت . وذكر الجبرتي أن هذا الجامع جعل في العهد العثماني مخزنًا للبهائم الحربية كالخيول والبروج وغيرها ، ثم جعل قلعة وثكنة للجند في زمن الحملة الفرنسية ، ثم جعل مخبرًا للجبرية ومعملًا للصابون في زمن محمد علي باشا الكبير ثم جعل في زمننا مذبحة لجيش الاحتلال الإنجليزي . وقد بطل المذبح فيه من سنة ١٩١٥ ولهذا يعرف إلى اليوم باسم المذبح . وفي سنة ١٩١٨ غرست مصلحة التنظيم أرض صحن الجامع وجعلته متنزهًا عامًا . وفي سنة ١٩٢٨ عمرت لجنة حفظ الآثار العربية الجزء الواقع عند المهراب وجعلته مصل .

بينه وبينهم فيها المقالة ورموه بفواحش كثيرة ونسبوه إلى قبائح عظيمة؛ فَرَسَ الملك الظاهر بآ اعتقاله، وكان للشيخ خَضر المذكور منزلة عظيمة عند الملك الظاهر بحيث إنه كان يزل عنده في الجمعة المزة والمنزتين ويُبَاسِطُه ويُبَازِحُه وَيَقْبَلُ شفاعته ويستصحبه في سائر سَفَرَاتِه، ومتى قَتَعَ مكانًا أقرض له منه أوفر نصيب، فأمنتت يد الشيخ خَضر بذلك في سائر المملكة بفعل ما يختار لا يمنعه أحدٌ من الثواب، حتى إنه دخل إلى كنيسة قُسامَة ذَبَحَ قِسْيَسَهَا بيده، وأتهب ما كان فيها تلامذته، وهجم كنيسة اليهود بدمشق ونهبها، وكان فيها مالا يُعبرُّ من الأموال، وعمرها مسجداً وعَمِلَ بها سَمَاحاً ومَذَبَها سَمَاحاً. ودخل كنيسة الإسكندرية وهي عظيمة عند النصراني فنهبا وصيرها مسجداً، وسَمَاحاً المدرسة الخضراء وأنفق في تعميرها مالا كثيراً

- (١) قسامة (كنيسة القيامة) : أشهر الكنائس المسيحية طرا ، بقيا الملكة هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين جاهل الامبراطورية الرومانية الشرقية ، ومؤسس مدينة القسطنطينية ، وهو أول إمبراطور نصر وأمر بنشر الديانة المسيحية وجعلها دين الحكومة الرسمي ، وكان الفراغ من بنائها سنة ٣٣٥ م ومن ذلك التاريخ لأن هي الكنيسة التي يجمع إليها المسيحيون من كافة أصقاع الأرض ، هدمها القرس أثناء إغارتهم على سوريا وفلسطين سنة ٦١٤ م وفي سنة ٦٢٨ م أجلى هرقل القرس وأسترجع سوريا وخشب الصليب ، ومن ثم أعاد بناءها الميديون سنة ٦٢٩ م ، ثم جاء الفتح الاسلامي سنة ٦٣٧ م . ودخل عمر القدس وزار كنيسة القيامة فلما أدركه الصلاة خرج منها وصل أمامها ولم يصل في القيامة خشية أن يدمعها المسلمون ويحولوها إلى مسجد . وقد كتب عنها جغرافيو العرب ومؤرخوهم كالقديس والمسعودي وابن الأثير وناصر خسرو والإدرسي والهروري وياقوت وكلهم قالوا : إن كنيسة القيامة وسط المدينة يحيط بها سور عظيم وفيها مقبرة يسمنونها القيامة لاعتقادهم أن المسيح قامت قيامة منها . وهي تحتوي على ٢٤ كنيسة ومصل ومدخل لجميع المسيحيين على اختلاف ألوانهم ومذاهبهم . (راجع فلسطين الاسلامية لاسترانج ص ٢٠٢ — ص ٢١٢ وبقيّة المصادر المذكورة) . (٢) عبارة عيون التواريخ : « مالا يعبر عنه من الآلات والقرش » . (٣) المدرسة الخضراء ، لما تكلم المقرئ على زاوية الشيخ خضر التي بالقاهرة في ص ٤٣٠ ج ٢ من خطه — قال : وهدم الشيخ خضر كنيسة الروم بالإسكندرية كانت من كراسي النصراني يزعمون أن بها رأس يحيى بن زكريا . وعملها مسجداً سماه الخضر . وأقول : تبين لي من البحث أن هذا المسجد هو بذاته المدرسة الخضراء التي تعرف اليوم بزاوية سيدي خضر الكائنة تحت رقم ١٠ شارع رأس التين بالإسكندرية .

من بيت المال . وبني له الملك الظاهر زواية بالحسنية ظاهر القاهرة ووقف عليها وحسب عليها أرضا تجاورها تحتكر للبناء . وبني لأجله جامع الحسينية .

- وفي يوم الاثنين سابع المحرم سنة آثنتين ومبعمين وستمئة جلس الملك الظاهر^(١) بدار العدل وحكم بين الناس ونظر في أمور الرعية ، فأنصف المظلوم وحلص الحقوق ومال على القوى ورفق بالضعيف . وفي العاشر منه هُدمت غرفة على باب قصر^(٢) من قصور الخلفاء الفاطميين بالقاهرة ، ويعرف هذا الباب بباب البحر ، وهو من بناء الخليفة الحاكم بأمر الله منصور المقدم ذكره ، فوجد في القصر الذي هُدم امرأة في صندوق منقوش عليها كتابة أسم الملك الظاهر يبرس هذا وصفته ، وبقي منها ما لم يمكن قراءته .

- وفيها قبض على ملك الكرج وهو أنه كان قد خرج من بلاده قاصدا زيارة^(٣) القدس الشريف متكررا في زى الرهبان ومعه جماعة يسيرة من خواصه ، فسلك بلاد

- (١) دار العدل : ذكر المقرئ في ص ٢٠٥ ج ٢ من خطه أن دار العدل القديمة أنشأها الملك الظاهر في سنة ٦٦١ هـ وأن موضعها كان تحت القلعة في المكان الذي يعرف بالطلبغاثة ، ولما تكلم على الطلغاثة في ص ٢١٣ من هذا الجزء قال : إنها كانت تحت القلعة فيما بين باب السلسلة وباب المدرج . وأقول : إن باب السلسلة لا يزال موجودا ، وعرف قديما بباب الإصطبل وباب الانكشارية ، وأما اليوم فيعرف بباب العزب نسبة إلى طائفة من المسكر تسمى عزبان ، وظيفتهم المحافظة على القلاع — وأن باب المدرج لا يزال موجودا غير مستعمل بجوار باب القلعة العموي الذي يعرف بالباب الجديد من الداخل . وما ذكر يتضح أن دار العدل مكأها اليوم في المنطقة الواقعة على يسار الداخل من باب العزب متجها إلى الشرق نحو الباب الجديد المشغولة بمخازن مهات وملابس الجيش المصري ، ويحدها من الغرب سكة المحجر ، ومن الشمال شارع الدقرخانة ، وهذا التحديد ينطبق أيضا على مكان الطلغاثة .

- (٢) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٣٥ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٣) قصة هذا الظلم مستفيضة في نهاية الأرب ج ٢٨ ص ٤٣ ، وفي المقرئ الخطوط ج ١ ص ٤٣٣ — ٤٣٤ ، وتاريخ الدول والملوك ، والسلوك (ص ٦٠٩) فلراجع هناك . (٤) الكرج (بالضم ثم السكون وآخره جم) : جبل من الناس نصارى كانوا يسكنون في جبال القيق وبلد السرير ، فقويت شوكتهم حتى ملكوا مدينة نفليس ، ولم ولاية تسب إليهم . (من معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٢٥١) .

الروم إلى سيس فركب البحر إلى عكا، ثم خرج منها إلى بيت المقدس فأطلع الأمير بدر الدين الخازندار على أمره وهو على يافا، فبعث إليه من قبض عليه، فلما حضر بين يديه بعثه مع الأمير ركن الدين منكورس إلى السلطان ؛ وكان السلطان قد توجه إلى دمشق فوصل إلى دمشق في رابع عشر جمادى الأولى، فأقبل عليه السلطان وسأله حتى أعترف، فحبسه في بُرج من أبراج قلعة دمشق، وأمره أن يبحث من جهته إلى بلاده من يعرفهم بأمره، فبعث تَقَرَّين. وخرج الملك الظاهر من دمشق ثالث عشرين جمادى الآخرة، وقَدِم القاهرة يوم الخميس سابع شهر رجب من سنة أثنيتين وسبعين المذكورة . ثم في يوم الخميس خامس عشرين شهر رمضان أمر السلطان العسكر أن يركب بالزينة الفاخرة ويلعب في الميدان تحت القلعة، فاستمر ذلك كل يوم إلى يوم عِيد الفِطْرِ حَتَّى السلطان الملك الظاهر ولَدَه خَيْضراً ومعه جماعة من أولاد الأمراء وغيرهم، وكان الملك السعيد أبْن الملك الظاهر في يوم الأربعاء سابع عشر شهر رمضان خرج من القاهرة وتوجه إلى دمشق ومعه شمس الدين آقسنقر الفارقي وأربعون نفرا من خواصه على خيل البريد، وعاد إلى القاهرة في يوم الخميس الرابع والعشرين من شوال .

وفي يوم الأحد سابع صفر من سنة ثلاث وسبعين وستمائة ركب الملك الظاهر الهُجْنِي وتوجه إلى الكرك ومعه يَتَمِرَى وَأَتَامِش السَّعْدِي ، وسبب توجهه أن وقع بالكرك بُرج فأحب أن يكون إصلاحه بحضوره . ثم عاد إلى مصر فدخلها في يوم الثلاثاء ثاني عشرين شهر ربيع الأول ، فأقام بها مدة يسيرة . ثم توجه إلى دمشق وأقام به إلى أن أرسل في رابع عشرين المحرم سنة أربع وسبعين وستمائة الأمير

(١) كذا في الأصلين وعقد الجمان . وفي السلوك وتاريخ الدول والملوك : « فدخل قلعة الجبل في رابع عشرين جمادى الآخرة » . (٢) في الأصلين : « ثالث عشر » . وهو خطأ . (٣) في الأصلين : « في رابع عشر المحرم » . وتصحيحه عن تاريخ الدول والملوك وعقد الجمان والسلوك .

- بدر الدين بيلىك الحازندار على البريد إلى مصر لإحضار الملك السعيد، فعاد به إلى دمشق في يوم الأربعاء سادس صفر من السنة . وفي الثالث والعشرين من جمادى الأولى فتح حصن القصير وهو بين حارم وأنطاكية ، وكان فيه قسيس عظيم عند الفرنج يقصدونه للتبرك به ، وكان الملك الظاهر قد أمر الترتكبان وبعض العرب بمحاصرته ، وبعد أخذه عاد الملك الظاهر إلى مصر فلم تطل مدته به .
- وعاد إلى دمشق ، فدخله يوم ثالث المحرم من سنة خمس وسبعين ، فأقام به مدة يسيرة أيضا ، وعاد إلى الديار المصرية في يوم الاثنين ثالث شهر ربيع الآخر ، وأمر بعمل عرس ولده الملك السعيد ، وأهتم في ذلك إلى يوم الخميس خامس جمادى الأولى أمر العسكر بالركوب إلى الميدان الأسود تحت القلعة في أحسن زى ، وأقاموا يركبون كل يوم كذلك ويتراكضون في الميدان ، والناس تزدهم للفرجة .
- عليهم خمسة أيام ، وفي اليوم السادس أفتقر الجيش فرقتين ، وتحملت كل فرقة على الأخرى وجرى من اللعب والزينة مالا يوصف ، وفي اليوم السابع خلع على سائر الأمراء والوزراء والقضاة والتكاتب والأطباء مقدار ألف وثلاثمائة خلة ، وأُرسل

- (١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٤٣ من هذا الجزء . (٢) في السلوك : « وعاد السلطان من حلب إلى مصر فدخل قلعة الجبل في رابع عشر ربيع الأول » . (٣) الميدان الأسود ، لما تكلم المقرئ في ص ١١١ من الجزء الثاني من خطه على ميدان القيق قال : إن هذا الموضع خارج القاهرة من شرقها فيما بين القبة التي يزل من قلعة الجبل إليها وبين قبة النصر التي تحت الجبل الأحمر تجاه قبة الأمير يونس الدوادار الظاهري ويقال له أيضا : الميدان الأسود ، وميدان العيد ، والميدان الأخضر ، وميدان السباق ، وهو ميدان الملك الظاهر بيسبرس البندقدارى بنى به مصطبة في المحرم من سنة ٦٦٦ هـ عند ما احتفل فيه برمي النشاب وحث الناس على أمور الحرب ولعب الرمح ورمي النشاب ونحو ذلك .
- وأقول : إن هذا الميدان مكانه اليوم الأرض المشغولة برب جبانة باب الوزير وقراة المحاورين وجبانة المالك وينتهى عند قبة الأمير يونس الدوادار التي لا تزال موجودة بالجهة البحرية من مدفن السلطان برقوق وتعرف الآن بقبة أنس والد السلطان برقوق ، لأنها أنشئت باسمه ودفن فيها قبل أن ينقل رفاة إلى جامع ولده السلطان برقوق فكانت بشارع المعز لدين الله (شارع بين القصرين سابقا) .

إلى دِمَشْقِ الخَلْعَ ففرقت كذلك ، وفي يوم الخميس مَدَّ السَّاطِ في الميدان المذكور في أربعة خِيَمٍ ، وحضر السَّاطِ مَنْ علا ومن دنا ، وَرُسِلَ التَّارُ وَرُسِلَ الفَرْنَجُ ، وعليهم الخَلْعُ أيضًا ، وجلس السلطان في صدر الخَيِّمة على تخت من آبنوس وعاج مصفَّح بالذهب مسَّمر بالفِضة غَيرَ م عليه ألف دينار ؛ ولَمَّا أَتَقَضَى السَّاطِ قَدَمُ الأُمراءِ الهدايا من الخيل والسلاح والتَّحفِ وسائر الملابس ، فلم يقبل السلطان من أحد منهم سوى ثوب واحد جَبَرًا له ؛ فَلَمَّا كَانَ وقت العَصْرِ رَكِبَ إلى القلعة وأخذ في تجهيز ما يَلِيْقُ بِالزَّوْافِ والدخول ، ولم يَمُكِّنْ أحد من نساء الأُمراءِ على الإطلاق من الدخول إلى البيوت ، ودخل الملك السعيد إلى الحَمَّامِ ثم دخل إلى بيته الذي هُمِّيَ له بأهله ، وَحُلِيتِ العُرُوسُ فدخل عليها . ولَمَّا بلغ الملك المنصور صاحب حاة ذلك قَدِيمَ القاهرة مهتًا للسلطان ومعه هدية سنّية ، فوصل القاهرة في ثامن جُمادى الآخرة ، فركب الملك السعيد لتلقّيه ونزل بالكُشْبِ ، وَأَقَامَ مَدَّةَ يسيرة ثم عاد إلى بلده .

ثم خرج الملك الظاهر بعد ذلك من القاهرة في يوم الخميس العشرين من شهر رمضان بعد أن استناب الأمير آق سنقر القارقاني الأستاذار نائبًا عنه في خدمة ولده الملك السعيد ، وترك معه من العسكر بالديار المصرية لحفظ البلاد خمسة آلاف فارس ، ورحل من المتزلة يوم السبت ثاني عشر شَوَّالٍ قاصدًا بلاد الروم فدخل دِمَشْقَ ثم خرج منها ودخل حلب يوم الأربعاء مستهل ذي القعدة ، وخرج منها

(١) المنصور محمد هذا سليل الملك المظفر تقي الدين عمر ، الذي أقطعه عمه صلاح الدين الأيوبي حاة سنة ٥٧٤ هـ ، وقد ظلت حاة بيد أبنائه هذا الفرع الأيوبي . وكان صاحبها أيام غارات التار على الشام المنصور محمد المذكور ، تخضع لمولاكرو والتتار ، ثم انقلب بعد هزيمتهم إلى مصادقة سلاطين المماليك والاعتراف بسيادتهم كما هو معروف مما سبق (السلوك هامش ص ٦١٤) .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧٢ من هذا الجزء .

يوم الخميس إلى حِلَّان^(١)، فتركها بعض الثقل، وأمر الأمير نور الدين على بن مجليّ^(٢) نائب حلب أن يتسوّح إلى الساجور ويقيم على الفُرات بمن معه من عسكر حلب ويحفظ معابر الفُرات لئلا يعبر منها أحد من التار قاصدا الشام، ووصل إلى الأمير نور الدين الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا وأقام عنده، فبلغ ثواب التار ذلك فجهرزوا إليهم جماعة من عرب خفاجة لكذبهم فحشدوا وتوجهوا نحوهم . فأتصل بالأمير على نائب حلب الخبر وكان يقظا، فركب إليهم وألنقاهم وكسرم أقيح كسرة، وأخذ منهم ألفا وماتى جمل .

وأما الملك الظاهر فإنه ركب من حِلَّان يوم الجمعة ثالث الشهر، وسار إلى عَيْتَاب^(٦)، ثم إلى دُلوك^(٧)، ثم إلى منزلة أنحرى ثم إلى كَيْنوك^(٨)، ثم إلى كُك صُو (ومعناه الماء الأزرق باللغة التركية) . ثم رحل عنه إلى أبحادَر بند فقطعه في نصف نهار؛

- (١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٧٥ من هذا الجزء . (٢) في الأصلين: « سيف الدين » . وما أئبناه عن السلوك وعبون التواريخ ونهاية الأرب للنورى (ج ٢٨ ص ١١١) . وفي النهج السيد ونهاية الأرب: « على بن مجلي » بالخاء المهملة بدل الجيم . (٣) الساجور: اسم نهر بمنج (عن معجم البلدان لياقوت) . (٤) في الأصلين: « ووصل إليه الأمير نور الدين ابن الأمير شرف الدين ... » . وتصحيحه عن نهاية الأرب والسلوك . (٥) عرب خفاجة: هم بنو خفاجة بن عمرو بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . قال صاحب صبح الأعشى: وفيهم الإمرة بالعراق إلى الآن (صبح الأعشى أول ص ٣٤٣) . (٦) دُلوك: بلدة من نواحي حلب بالعواصم، كان بها وقعة أبي فراس بن حمدان (عن معجم البلدان لياقوت) . (٧) يريد منزلة مرج الديباج كما في نهاية الأرب وعبون التواريخ، وهو واد عجيب المظهر تزه بين الجبال، بينه وبين المصيبة عشرة أميال (عن معجم البلدان لياقوت) . (٨) كينوك: في الأصلين « كينوك » . وما أئبناه عن عبون التواريخ ونهاية الأرب . وهي بلدة من بلاد الروم من أعمال آسيا الصغرى والعرب يسمونها « الحدث الحمراء » لأن سيف الدولة على بن حمدان بناها من حجارة حر، ولتنبي فيها شمر يمدح به سيف الدولة (انظر نهاية الأرب ج ٢٨ ص ١٠٥) . (٩) في عبون التواريخ وعقد الجمان وصبح الأعشى (ج ١٤ ص ١٤٣) والنهج السيد . « ومعناه النهر الأزرق » . (١٠) في الأصلين: « ثم رحل عنه إلى أن جاء إلى در بند » . وما أئبناه عن صبح الأعشى (ج ١٤ ص ١٤٤) وما سيذكره المؤلف في هذه الترجمة . وأبقا در بند: قرية على فم الطريق الجبل بين نهر كوكصو وأبلستين . راجع صبح الأعشى في الصفحة والجزء المتقدمين .

فلما خرجت عساكره وملكت المفاوز ، قَدَّمَ الأميرُ شمس الدين سُنْقَرَ الأشقر على جماعة من العسكر وأمره بالمسير بين يديه ، فوقع على كَتِيبَةِ التَّارِ وَعِدَّتُهُمْ ثلاثة آلاف فارس ، ومقَدَّمُهُمْ كَرَاى فهِزَمَهُمْ سُنْقَرُ الأشقر وأَسَرَّ مِنْهُمْ طَائِفَةً ، وذلك في يوم الخميس تاسع ذى القعدة .

ثم ورد الخبرُ على الملك الظاهر بأن عسكر الروم والتَّارِ مع البرِّ وَاَنَّهُ اجتمعوا على نهر جِيحَان ، فلما صَعِدَ العسكرُ الجبلَ أَشْرَفَ على صحراءِ ^(١) أَبْلُسْتَيْنِ فشاهد التَّارَ قد رَتَّبُوا عساكرهم أَحَدَ عَشَرَ طُلُبًا في كُلِّ طُلُبٍ ألف فارس ، وَعَزَّلُوا عسكر الروم عنهم خوفًا من باطنٍ يكون لهم مع المسامين ، وجعلوا عسكر الكُرْجِ طُلُبًا واحدًا ، فلما تَرَاى الْجَمْعَانِ حَمَلَتْ مَيْسِرَةُ التَّارِ حَمَلَةً واحدةً وصدموا سَنَجَقَ الملك الظاهر ، ودخلت طائفة منهم بينهم ، وشقُّوا المَيْسِرَةَ وساقوا إلى المَيْسِنَةِ ؛ فلما رَأَى الملك الظاهر ذلك أَرْدَفَهُمْ بنفسه ، ثم لاحت منه أَلْفَانَةٌ فرَأَى المَيْسِرَةَ قد أَتَتْ عليها مَيْمَنَةُ التَّارِ ، فأمر الملك الظاهر جماعة من أصحابه الشُّجْعَانِ بِإِرْدَافِهَا ، ثم حَمَلَ هو بنفسه — رحمه الله — فلما رَأَتْهُ العساكر حَمَلَتْ نَحْوَهُ بِرُقَّتِهَا حَمَلَةً رجل واحد ، فترجَّل التَّارُ عن خيولهم وقاتلوا قتالَ الموت فلم يُقِنِ عنهم ذلك شيئًا ، وصَبَرَ لهم الملك الظاهر وعسكره وهو يَكُرُّ في القوم كالأسد الضَّارِي ويقتحِمُ الأهوالَ بنفسه وَيُشَجِّعُ أصحابه وَيُعَلِّبُ لهم الموت في الجهاد إلى أن أنزل الله تعالى نصره عليه ، وأنكسر التَّارُ أَفْجَع كَسْرَةً وَقُتِلُوا وَأُسِرُوا وَقُتِلَ مِنْ نَجَا مِنْهُمْ ، فَأَعْتَصَمُوا بِالْجِبَالِ فَقَصَدَتْهُمُ الْعساكرُ الإسلامية وأحاطوا بهم ، فترجلوا عن خيولهم وقاتلوا فَقُتِلَ مِنْهُمْ جماعة كثيرة ، وَقُتِلَ

(١) جيحان (بالفتح ثم السكون) : نهر بالمصبغة بالنهر الشامي ومخرجه من بلاد الروم ويمر حتى يصب بمدينة تعرف بكفر يا بإزاء المصبغة . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) أبلستين : مدينة مشهورة ببلاد الروم وملكها ولد فليح أرسلان السلجوقي قريبة من أبس مدينة أصحاب الكهف (ياقوت أول ٩٣ — ٩٤) .

- تمن قائلهم من عساكر المسلمين الأمير ضياء الدين [محمود^(١)] بن الخطير، وكان من الشجعان الفرسان، والأمير شرف الدين قيران العلاني، والأمير عز الدين أخو المحمدي، وسيف الدين قفجاق الجاشنكير، والأمير [عز الدين] أبيك الشقيفي^(٢) - رحمهم الله تعالى وأسكنهم الجنة - . وأسر من كبار الروميين مهذب الدين ابن معين الدين البرواناه، وابن بنت معين الدين المذكور، والأمير نور الدين جبريل [بن جاجا]، والأمير قطب الدين محمود أخو مجد الدين الأتابك، والأمير سراج الدين إسماعيل [بن جاجا]، والأمير سيف الدين سقرجاه الزوباشي^(٣)، والأمير نصرة الدين بهمن أخو تاج الدين كيوي (يعنى الصهر) صاحب سيواس، والأمير كمال الدين إسماعيل عارض الجيش، والأمير حسام الدين كاوك، والأمير سيف الدين بن الجاويش، والأمير شهاب الدين غازي بن علي شير الترمجاني^(٤) .

- (١) التكلة عن عيون التواريخ والنهج السديد . (٢) كذا في الأصلين وعيون التواريخ ونهاية الأرب وصبح الأعشى . وفي السلوك وعقد الجمان : « سيف الدين » . (٣) في الأصلين : « أخو المحمدي » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ ونهاية الأرب وصبح الأعشى . (٤) في الأصلين : « قلق » . وما أثبتناه عن السلوك . وفي النهج السديد لابن أبي الفضائل ، وعيون التواريخ : « قليج » . (٥) زيادة عن عيون التواريخ وعقد الجمان والنهج السديد .
- (٦) في عقد الجمان : « علاه الدين بكلا ربكي بن البرواناه » . وبكلا ربكي لقب تركي (معناه أمير الأمراء) . وهو علي بن سليمان بن علي بن محمد بن حسن . توفي سنة ٧٠٩ (عن المنهل الصافي) .
- (٧) في الأصلين : « تق الدين » . والزبادة والتصحيح عن عيون التواريخ وعقد الجمان والنهج السديد .
- (٨) زيادة عن عيون التواريخ ونهاية الأرب والنهج السديد ، وهو أخو نور الدين المتقدم .
- (٩) وافقت المصادر التي تحت أيدينا الأصلين على أنه « الزوباشي » . واتفق صاحب عقد الجمان بأنه « سقرجاه السيواسي » . (١٠) سيواس : بلدة كبيرة مشهورة وبها قلعة صغيرة وهي ذات عين . والشجر بها قليل ونهرها الكبير يبعد عنها بمقدار نصف فرسخ ، ويقول المسافرون : إن مسافة الطريق بين سيواس وقيسارية ستون ميلا ، فيها أربع وعشرون خانا للسبل ، وفيها ما يحتاج إليه المسافرون المنقطعون ، لاسيما في أيام الثلوج ، وفي شرقها مدينة أوزن الروم (عن تقي الدين البهاني لأبي الفدا إسماعيل ص ٢٨٥) . (١١) كذا في الأصلين وعيون التواريخ . وفي عقد الجمان : « بكراوك » .
- وفي نهاية الأرب : « بركاوك » . وفي النهج السديد : « بوكاول » . (١٢) كذا في الأصلين وعيون التواريخ والنهج السديد . وفي نهاية الأرب وعقد الجمان : « والأمير سيف الدين جاليش » .

فوتجهم السلطان الملك الظاهر من كونهم قاتلوه في مساعدة التار الكفرة، ثم سلمهم لمن أحفظ بهم . وأسير من مقدمي التار على الألوف والمئين بركة صهر أبقا بن هولاًكو ملك التار، وسرطق، وخيزكدوس وسركده وتماديه . ولما أيسر من أمير وقيل من قتل نجما البرواناه وساق حتى دخل قيصرية يوم الأحد ثاني عشر ذي القعدة واجتمع بالسلطان غياث الدين، والصاحب نحر الدين، والأتابك محمد الدين، والأمير جلال الدين المستوفي، والأمير بدر الدين ميكائيل النائب فاخبرهم بالكفرة، وقال لهم : إن التار المنهزمين متى دخلوا قيصرية فتكوا بمن فيها حتماً على المسلمين، وأشار عليهم بالخروج منها فخرج السلطان غياث الدين بأهله وماله إلى توقات وبينها وبين قيصرية أربعة أيام . وعملت شعراء الإسلام في هذه الواقعة عدة قصائد ومدائح، من ذلك ما قاله العلامة شهاب الدين أبو النشاء محمود كاتب الدرج قصيده التي أولها :

كذا فلتكن في الله تمضي المزامم • ولأفلا تجفوا الجفون الصواري

(١) في عيون التواريخ : وعقد الجمان والنهج السديد : « زريك » . وفي إحدى روايق النهج السديد « زريك » بدل « زريك » . (٢) في الأصلين هكذا : « جبرله » . وفي عقد الجمان : « جودي » . وفي النهج السديد : « جبركبر » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ . (٣) في الأصلين : « شركوه » . وفي عقد الجمان : « بردكيه » وفي النهج السديد : « شركد » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ . (٤) في النهج السديد : « وتماديه » بالتون بدل التاء المثناة من فوق . (٥) قيسارية : مدينة كبيرة عظيمة في بلاد الروم (آسيا الصغرى) وهي كرمي ملك بن سلجوق ملوك الروم أولاد طليح بن أرسلان . قال ابن سعيد : وهي منسوبة إلى قيصر وهي مدينة جليلة وفي شرقها مدينة سيواس وبين قيسارية وأقصر أربعة مراحل (عن ياقوت ج ٤ ص ٢١٤ وأبى الفدا ص ٣٨٣) . (٦) في الأصلين : « يوم الأحد ثاني عشر ذي القعدة » . والتصويب عن السلوك والنهج السديد .

(٧) في الأصلين : « تمكناوا » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ وذيل مرآة الزمان وما يفهم من عبارة السلوك . (٨) توقات : بلدة في أرض الروم بين قونية وسيواس ذات قلعة حصينة وأبنية مكية ، بينها وبين سيواس يومان (عن معجم البلدان ياقوت) وقد ضبطه أبو الفدا إسماعيل في توقيم البلدان (بضم التاء) المثناة . (٩) في الأصلين : « عز المزامم » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ .

- عزائمُ حاذتْها الرياحُ فاصبحتُ * مخلفةً تبكى عليها النعائمُ
 سرتُ من حمى مصر إلى الرومِ فأحتوتُ * عليه [و] ^(١)سُوراهُ الطُّبَا واللهاذِمُ
 يجيشُ تظلُّ الأرضُ منه كأنها * على سعة الأرجاءِ في الضيقِ خاتمُ
 كاتبُ كالأبحرِ الخضمُ جياذها * إذا ما نهادتُ موجهُ المتسلاطمُ
 يُحيطُ بمنصور اللواءِ مظفرٍ * له النصرُ والتأييدُ عبدٌ وخادمُ
 ملكُ يلود الدين من عزمايه * بركن له الفتح المين دعائمُ
 ملكُ لأبكارِ الأقاليمِ نحوه * حينئذٍ كذا تنهوى الكرامُ الكرائمُ
 فكم وطئت طوعاً وكرها جياذه * معاقلُ قرطاهما السُّها والنعائمُ
 ملكُ به للدين في كلِّ ساعةٍ * بشائرُ للكُفَّار منها مآثمُ
 جلاحين أفضى [ناظر] الكفر للهدي * نفورا بكى الشيطانُ وهى بواسمُ
 إذا رام شيئاً لم يعفه بعدها * وشقيها عنه الإكَّامُ الطَّواسمُ
 فلو نازع النَّسْرَيْنِ أمراً لناله * وذا واقعٌ عجراً وذا بعدُ حاتمُ
 ولما رمى الرومُ المنيعَ بجياله * ومن دونه سدٌّ من الصخرِ عاصمُ
 يرومُ عُقابُ الجوقِ قطعَ عقابه * إليه فلا تقوى عليها القوايدُ

ومنها :

- وسالت عليهم أرضهم بمواكب * لها النصرُ طوعاً والزمانُ مُسالمُ
 أدارت بهم سُوراً مَنيعاً مُشرقاً * بسمِرمالِ ما له الدهرُ هادمُ

(١) التكلة عن عيون التواريخ وذيل مرآة الزمان . (٢) في الأصلين هكذا : « فرقاها » .
 وما أثناء عن عيون التواريخ وذيل مرآة الزمان . (٣) في الأصلين هكذا :

٢٠ * جلاحين أقرى الكفر للهدي *
 التكلة والنصح عن عيون التواريخ .

(٤) في الأصلين : « إليهم » . وما أثناء عن عيون التواريخ وذيل مرآة الزمان .

من التَّركِ أَمَا في المغاني فلأنهم * شمسٌ وأما في الوغى فضرأهم
غداً ظاهراً بالظاهر النصر فيهم * تبيد الليالي والعدا وهو دائم
فأهروا إلى لثم الأيسنة في الوغى * كأنهم العُشاق وهي المبايم
وصالحت البيض الصفاح رقابهم * وعانقت السمر القدود النواعم
فكم حاكم منهم على ألف دارع * غدا حاسراً والريح [في] فيه حاكم^(١)
وكم ملك منهم رأى وهو موتق * خزان ما يتحويه وهي غنائم
ومنها :

فلا زلت منصور السواء مؤيداً * على الكفر ما ناحت وأبكت حمامم
ثم جرد الملك الظاهر الأمير سُقُر الأشقر لإدراك ما فات من التُّرك^(٢) والتوجه
إلى قيصريّة ، وكتب معه كتاباً بتأمين أهلها وإخراج الأسواق والتعامل بالدرهم
الظاهريّة . ثم رحل الملك الظاهر بكرّة السبت حادى عشر ذى القعدة قاصداً
قيصريّة ، فتر في طريقه بقرية أهل الكهف ثم إلى قلعة سَمْدُو فقتل إليه وألبها^(٣)
مذعنًا للطاعة ، ثم سار إلى قلعة درندة وقلعة فالو ففعل متولّياً كذلك ، ثم نزل^(٤)
بقرية من قرى قيصريّة فبات بها ، فلما أصبح رتب عساكره وخرج أهل

(١) تكملة عن عيون التواريخ وذيل مرآة الزمان . (٢) في عيون التواريخ والتجديد
وذيل مرآة الزمان : « ما فات من المثل » . (٣) هي أبس (بالفتح ثم السكون) : اسم لمدينة
خراب قرب أبلستين من نواحي الروم يقال منها أصحاب الكهف ولقيم قيل هي مدينة دقيانوس ، وفيها
آثار عجيبة مع خرابها ، وراجع الحاشية رقم ٢ ص ١٦٨ من هذا الجزء . (٤) سمندو : في وسط
بلاد الروم ، غزاه سيف الدولة في سنة ٣٣٩ هـ وهرب منه الدمستق ، فقال المتنبي :

رضينا والدمستق غير راض * بما حكم القواضب والوشيع

فان يقسم فقد زنا سمندو * وإن يحجم فوعداً الخليلج

(عن معجم البلدان لياقوت) . (٥) درندة : مدينة في جهة الغرب من مطبوعة وبينها وبين حلب
عشرة أيام . وهي قرية من قيسارية (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٣٢) .

(٦) في نهاية الأرب : « دوالو » . وفي التهج السديد وذيل مرآة الزمان : « قلعة دالو » .

قَيْصَرِيَّةَ بِأَجْمَعِهِمْ مُسْتَبْشِرِينَ بِلِقَائِهِ ، وَكَانُوا لَزُولِهِ نَصَبُوا الْخِيَامَ بُوْطَاةً ، فَلَمَّا قَرَبَ الظَّاهِرُ مِنْهَا تَرْجُلَ وَجْوهُ النَّاسِ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ وَمَشَوْا بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى أَنْ وَصَلَهَا .

فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَابِعَ عَشَرَ الشَّهْرِ رَكِبَ السُّلْطَانُ لِلْجُمُعَةِ ، فَدَخَلَ قَيْصَرِيَّةَ وَنَزَلَ دَارَ السُّلْطَنَةِ وَجَلَسَ عَلَى التَّخْتِ وَحَضَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ الْقَضَاةُ وَالْفُقَهَاءُ وَالصُّوْفِيَّةُ وَالْقُرَّاءُ وَجَلَسُوا فِي مَرَاتِبِهِمْ عَلَى عَادَةِ مُلُوكِ السَّلْجُوقِيَّةِ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمُ السُّلْطَانُ وَمَدَّ لَهُمْ سِمَاطًا فَأَكَلُوا وَأَنْصَرَفُوا ، ثُمَّ حَضَرَ الْجُمُعَةَ بِالْجَامِعِ وَخُطِبَ لَهُ ، وَحُضِرَ بَيْنَ يَدَيْهِ الدَّرَاهِمُ الَّتِي ضَرِبَتْ لَهُ بِأَسْمِهِ . وَكُتِبَ إِلَيْهِ الْبَرْوَانَةُ يَهْنئُهُ بِالْجُلُوسِ عَلَى تَخْتِ الْمُلْكِ بِقَيْصَرِيَّةَ ، فَكُتِبَ لِلْمَلِكِ الظَّاهِرِ إِلَيْهِ بِعَوْدِهِ لِيُوَلِّيَهُ مَكَانَهُ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ أَنْ يَنْتَظِرَهُ خَمْسَةَ عَشْرِ يَوْمًا ، وَكَانَ مُرَادُ الْبَرْوَانَةِ أَنْ يَصِلَ أَبْنَا وَيَحْتَنِي عَلَى الْمَسِيرِ لِيَدْرِكَ الْمَلِكِ الظَّاهِرَ بِالْبِلَادِ ، فَأَجْتَمَعَ نَتَاوُونَ بِالْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ سَسَنْقَرِ الْأَشْقَرِ وَعَرَفَهُ مَكَرَ الْبَرْوَانَةِ فِي ذَلِكَ ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِرَحِيلِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ عَنْ قَيْصَرِيَّةَ مَعَ مَا أَنْضَافَ إِلَى ذَلِكَ مِنْ قَلَقِ الْعَسَاكِرِ ، فَارْحَلَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، وَكَانَ عَلَى الْبَرْوَانَةِ عِزُّ الدِّينِ أَبِيكَ الشَّيْخِي ، وَكَانَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ ضَرَبَهُ بِسَبَبِ سَبْقِهِ النَّاسَ فغَضِبَ وَهَرَبَ إِلَى النَّتَارِ . وَكَانَ أَوْلَادُ قُرْمَانَ قَدْ رَهَنُوا أَخَاهُمُ الصَّغِيرَ عَلَى بَكِ بَقِيصَرِيَّةَ ، فَأَخْرَجَهُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ ، وَسَأَلَ السُّلْطَانَ فِي تَوَاقِيْعِ وَسَنَاجِقٍ لَهُ وَإِخْوَتِهِ فَأَعْطَاهُ ، وَتَوَجَّهَ نَحْوَ إِخْوَتِهِ بِجَبَلٍ لَارَنْدَةَ .

(١) الوطاة : الأرض السهلة غير الجبلية . (٢) هو مقدم جيش التتار ، كما في السلوك .
(٣) في الأصلين : « البرك » وهو تصحيف . والبرك (محركة) : رئيس العسس ومن يرأب من مضى فينبهه . فارسية ، والنسبة إليها « يزك » . (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٥) لارندة : بلام وألف وراء مهلة مفتوحة ، وهي قرية من قونية على مسافة يوم بين الشرق والشمال (عن تقويم البلدان لأبي الفدا ص ٣٧٨) .

وعاد السلطان وأخذ في عَوْدِهِ أَيضًا عِدَّةَ بِلَادٍ إِلَى أَنْ وَصَلَ مَكَانَ الْمَعْرَكَةِ يَوْمَ السَّبْتِ ، فَرَأَى الْقَتْلَ ، فَسَأَلَ عَنْ مِثْلِهِمْ فَأُخْبِرَ أَنَّ الْمُغْلَ خَاصَّةً سِتَّةَ آلَافٍ وَسَبْعِمِائَةٍ وَسَبْعُونَ نَفْسًا ؛ ثُمَّ رَحَلَ حَتَّى وَصَلَ أَبْقَادَرَبَنْدُ^(١) ، بَعَثَ الْخِزَانَةَ وَالذَّهْلِيَّ وَالسَّجَاقِ صَحْبَةَ الْأَمِيرِ بَدْرِ الدِّينِ يَبْلِيكَ الْخَازِنْدَارَ لِيَعْبُرَ بِهَا الدَّرَبَنْدَ ، وَأَقَامَ السُّلْطَانُ فِي سَاقَةِ الْعَسْكَرِ بَقِيَّةَ الْيَوْمِ وَيَوْمَ الْآحَدِ ، وَرَحَلَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ فَدَخَلَ الدَّرَبَنْدَ .

ثُمَّ سَارَ إِلَى أَنْ وَصَلَ دِمَشْقَ فِي سَابِعِ الْحَزَمِ سَنَةِ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَسَمِائَةً ، وَتَزَلَّ بِأَخْوَسَقِ الْمَعْرُوفِ بِالْقَصْرِ الْأَبْلَقِ جَوَارِ الْمَيْدَانِ الْأَخْضَرِ وَتَوَاتَرَتْ عَلَيْهِ الْأَخْبَارُ بِوُصُولِ أَبْقَا مَلِكِ التَّارِ إِلَى مَكَانِ الْوَقْعَةِ ، فَجَمَعَ السُّلْطَانُ الْأَمْرَاءَ وَضَرَبَ مَشُورَةً ، فَوَقَعَ الْإِتْفَاقُ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ دِمَشْقَ بِالْعَاكِرِ وَتَلْقِيهِ حَيْثُ كَانَ ، فَأَمَرَ الْمَلِكُ الظَّاهِرَ بِضَرْبِ الدَّهْلِيَّ عَلَى الْقَصِيرِ ، وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ وَصَلَ رَجُلٌ مِنَ التُّرْكَمَانِ وَأَخْبَرَ أَنَّ أَبْقَا عَادَ إِلَى بِلَادِهِ هَارِبًا خَائِفًا ؛ ثُمَّ وَصَلَ الْأَمِيرُ سَابِقُ الدِّينِ يَسِيرَى أَمِيرَ مَجْلِسِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ ، وَهُوَ غَيْرُ يَسِيرَى الْكَبِيرِ ، وَأَخْبَرَ بِمِثْلِ مَا أَخْبَرَ التُّرْكَمَانِيَّ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ الْمَلِكُ الظَّاهِرَ بِرَدِّ الدَّهْلِيَّ إِلَى الشَّامِ . وَكَانَ عَوْدُ أَبْقَا مِنَ الْطَافِ اللَّهُ تَعَالَى بِالْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّ الْمَلِكَ الظَّاهِرَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ نَصَفَ الْحَزَمَ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ وَسَبْعِينَ أَبْتَدَأَ بِهِ مَرَضُ الْمَوْتِ .

(١) راجع الحاشية رقم ١٠ ص ١٦٧ من هذا الجزء . (٢) أمر بإنشائه السلطان الملك الظاهر بالميدان الأخضر بظاهر دمشق سنة ٦٦٥ هـ فصر على ما هو عليه الآن (زمن النوري صاحب نهاية الأرب) . وقد وقع في عمارته حادث غريب ذكره صاحب نهاية الأرب في الجزء ٢٨ ص ٤٠ ؛ فراجع . وسبق له شرح راف في ترجمة الملك السعيد .

ذكر مرض الملك الظاهر ووفاته

- لما كان يوم الخميس رابع عشر المحرم سنة ست وسبعين وثمانئة جلس الملك الظاهر بالجوسق الأبلق بميدان دمشق يشرب القيمز^(١) وبات على هذه الحالة، فلما كان يوم الجمعة خامس عشره وجد في نفسه ثوراً وتوعكاً فشكا ذلك إلى الأمير شمس الدين سنقر الألفي^(٢) السلحدار فأشار عليه بالقيء، فاستدعاه فاستعصى عليه .
- القيء، فلما كان بعد صلاة الجمعة ركب من الجوسق إلى الميدان على عادته، والألم مع ذلك يقوى عليه، وعند الغروب عاد إلى الجوسق . فلما أصبح اشتكى حرارة في بطنه فصنع له بعض خواصه دواءً، ولم يكن عن رأى طبيب فلم يتجع وتضاعف ألمه، فاحضره الأطباء فانكروا استعماله الدواء، وأجمعوا على استعمال دواء مسهل فسقوه فلم ينفع، فحزوه بدواء آخر كان سبب الإفراط في الإسهال ودفع دماً، فتضاعفت حماته وضعت قواه، فتخيل خواصه أن كیده يتقطع وأن ذلك عن سم سقيه فمؤج بالجواهر، وأخذ أمره في انحطاط، وجهده المرض وتزايد به إلى أن قنخى نحبه يوم الخميس بعد صلاة الظهر الثامن والعشرين من المحرم، فاتفق رأى الأمراء على إخفائه وحمليه إلى القلعة لئلا تشعر العامة بوفاته، ومنعوا من هو داخل من المسالك من الخروج ومن هو خارج منهم من الدخول . فلما كان آخر
- الليل حمّله من كبار الأمراء سيف الدين قلاوون الألفي وشمس الدين سنقر الأشقر، وبدر الدين بيسرى، وبدر الدين بيليك الحازندار، وعمر الدين آقوس الأفرم،

(١) القصر : نبيذ يعمل من لبن الخيل، واللفظ تترى الأصل، وقد كان السلطان بيبرس شغفا بهذا النوع من الشراب . (انظر السلوك حاشية رقم ٢ ص ٦٠٧) . (٢) سيذكر المؤلف وفاته سنة ٥٦٨٠

(٣) في الأصلين : « التاسع والعشرين » والصحيح عن التوقيعات الإلهامية وذيل مرآة الزمان والتهج والسديد وما تقدم ذكره للأول قبل ذلك بقليل .

وعز الدين أَيْتَك الحموي، وشمس الدين سُقْر الألفي الظاهري، وعلم الدين سَنَجَر الحموي أبو خُص، وجساعة من أكابر خواصه. وتولى غُسله وتحنيطه وتصويره وتكفينه مهتارهُ الشُّجَاع عَنَبَر، والفقيه كمال الدين الإسكندري المعروف بآبن المنبجي^(٢)، والأمير عز الدين الأفرم؛ ثم جُعِل في تابوت وعلق في بيت من بيوت البحرية بقلعة دِمَشق إلى أن حصل الاتفاق على موضع دفنه. ثم كتب الأمير بدر الدين بيليك الخازندار إلى ولده الملك السعيد مطالعةً بيده وسيرها إلى مصر على يد بدر الدين بَنَكُوت الحوكندي الحموي، وعلاء الدين أَيْدُغُش الحكيمي الجاشنكير، فلما وصلا وأوصلاه المطالعة خَلَع عليهما وأعطى كل واحد منهما خمسين ألف درهم، على أن ذلك إشارةٌ بَعْدُ السلطان إلى الديار المصرية. ولما كان يوم السبت ركب الأمراء إلى سوق الخيل بِدِمَشق على عادتهم ولم يُظهروا شيئاً من زِي الحزن. وكان أوصى أن يُدْفَن على الطريق السالكة قريباً من دارياً وأن يُنَى عليه هناك، فرأى ولده الملك السعيد أن يَدْفِنه داخل السور، فأبتاع دار العقيق^(٣) بمشاية وأربعين ألف درهم نفقة، وأمر أن تُغَيَّر معالمها وتُبنى مدرسة [للسانفة والحنفية]: إِتْمَى.

وأما الملك السعيد فإنه جهّز الأمير علم الدين سنجر الحموي المعروف بأبي خُص، والطواشي صفى الدين جوهر الهندي إلى دِمَشق لدفن والده الملك الظاهر، فلما وصلاها أجمعا بالأمير عز الدين أَيْدُمر نائب السلطنة بِدِمَشق، وعزفاه المرسوم

(١) المهتار: ناظر الخاصة. (٢) المنبجي: نسبة إلى منبج، وراجع الحاشية رقم ٢ ص ٩٧ من الجزء الثالث من هذه الطبعة. (٣) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٢٨٦ من الجزء الخامس من هذه الطبعة. (٤) في عيون التواريخ: «بستين ألف درهم». (٥) سيأتي لها شرح وافٍ عن صبح الأعشى في هذا الجزء. (٦) زيادة عن ذيل مرآة الزمان وعيون التواريخ.

فبادر إليه ، وحمل الملك الظاهر من القلعة إلى التربة ليلاً على أعناق الرجال ،
وُثِنَ بها ليلة الجمعة خامس شهر رجب القُرد ، وكان قد ظهر موته بِدَمَشَق في يوم
السبت رابع عشر صفر ، وُشِرَ العمل في أعزيتِه بالبلاد الشامية والديار المصرية .

قال الأمير بيبرس الدَوَادَار في تاريخه — وهو أعرف بأحواله من غيره -

- قال : وكان القَمَر قد كَسَفَ كُسُوفًا كاملاً أظلم له الجو وتناول ذلك المتأولون بموت
رجل جليل القُدْر ، ف قيل : إن الملك الظاهر لما بلغه ذلك حذر على نفسه وخاف
وقصد أن يُصرف التأويل إلى غيره لعله يَسَلَمَ من شره ، وكان بِدَمَشَق شخص من
أولاد الملوك الأيوبيّة ، وهو الملك القاهر بهاء الدين عبد الملك ابن السلطان الملك
المعظم عيسى ابن السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، فاراد انظاهر ، على
ما قيل ، أغتياله بالسم ، فأحضره في مجلس شرابه فأمر الساقى أن يَسْقِيَه قِيْزًا مزوجاً ،
فما يقال ، بسم ، فسقاه الساقى تلك الكأس فأحس به وخرج من وقته ، ثم
غَلِطَ الساقى وملاً الكأس المذكورة وفيها أثر السم ، و وقعت الكأس في يد الملك
الظاهر فشربه ، فكان من أمره ما كان . انتهى كلام بيبرس الدَوَادَار باختصار .
قلت : وهذا القول مشهور وأظنه هو الأصح في علّة موته ، والله أعلم .

- وكانت مدّة مُلْكِه تسع عشرة سنة وشهرين ونصفاً ، ومَلِك بعده ابنه الملك
السعيد ناصر الدين محمد المعروف ببركة خان ؛ وكان تسلطن في حياته من مدّة سنين
حسب ما تقدّم ذكره .

وكان الملك الظاهر رحمه الله مَلِكًا شجاعاً مقداماً غازیاً مجاهداً مُرابطاً
خليقاً بالملك خفيف الوطأة سريع الحركة يُبَاشِر الحروب بنفسه .

- (١) هو الأمير ركن الدين بيبرس بن عبد الله المنصوري الدوادار صاحب التاريخ . سيذكره المؤلف

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي في تاريخه بعد ما أثنى عليه : « وكان خليقاً بالملك لولا ما كان فيه من الظلم ، والله يرحمه ويغفر له ، فإن له أياماً يبصاً في الإسلام ومواقف مشهورة وفتوحات معدودة » . انتهى كلام الذهبي باختصار .

وقال الشيخ قطب الدين اليونيني في الذيل على مرآة الزمان في موت الملك (١) الظاهر هذا نوعاً مما قاله الأمير بيترس الداوآدار لكنه زاد أموراً تحكيها ، قال : حكى لي ابن شيخ السلامة عن الأمير أزدمر العلاني نائب السلطنة بقلمة صفد قال : كان الملك الظاهر مؤتملاً بالنجوم وما يقوله أرباب التقاويم ، كثير البحث عن ذلك ، فأخبر أنه يموت في سنة ست وسبعين ملكاً بالسم ، فحصل عنده من ذلك أثر كبير ، وكان عنده حسد شديد لمن يوصف بالشجاعة ، وآتفق أن الملك القاهر عبد الملك بن المعظم عيسى الآتي ذكره لما دخل مع الملك الظاهر إلى الروم ، وكان يوم المصاف ، فدام الملك القاهر في القتال فتأثر الظاهر منه ، ثم أنضاف إلى ذلك أن الملك الظاهر حصل منه في ذلك اليوم فتور على خلاف العادة ، وظهر عليه الخوف والندم على تورطه في بلاد الروم ، فحدثه الملك القاهر عبد الملك المذكور بما فيه نوع من الإنكار عليه والتوبيخ لأفعاله ، فآثر ذلك عنده أثراً آخر . فلما عاد الظاهر من غزوته سمع الناس يلهجون بما فعله الملك القاهر ، فزاد على ما في نفسه وحقد عليه ، فحبل في ذهنه أنه إذا سمع كان هو الذي ذكره أرباب النجوم ، فأحضره عنده ليشرب القميز معه ، وجعل الذي أعد له من السم في ورقة

(١) هذه القصة واردة في ذيل مرآة الزمان وفي تاريخ الإسلام للذهبي في ترجمة الملك القاهر

عبد الملك بن عيسى بن محمد بن أيوب المتوفى سنة ٦٧٦ هـ .

(٢) هو تاج الدين نوح بن إسحاق بن شيخ السلامة كما في ذيل مرآة الزمان وتاريخ الإسلام .

(٣) عبارة السلوك : « فأمر له السلطان ذلك » .

في جيبه من غير أن يَطْلِع على ذلك أحد، وكان للسلطان هَنَابَاتٌ^(١) ثلاثة مَحْتَصَةٌ به مع ثلاثة سُقَاة لا يَشْرَب فيها إلَّا مَنْ يُكْرِمه السلطان، فأخذ الملك الظاهر الكأس بيده وجعل فيه ما في الورقة خَفِيَّةً، وأسقاه لللك القاهر، وقام الملك الظاهر إلى الخلاء وعاد، فنَسِيَ الساقى وأسقى الملك الظاهر فيه وفيه بقايا السم . انتهى كلام قطب الدين .

وخلف الملك الظاهر من الأولاد : الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة خان . ومولده في صفر سنة ثمان وخمسين وستمائة بضواحي مصر ، وأمُّه بنت الأمير حُسام الدين بركة خان بن دولة خان الخوارزمي . والملك [نجم الدين]^(٢) خِضْرًا، أمه أم ولد . والملك بذر الدين سَلَامُش . وُولِد له من البنات سبع . وأما زَوَجاتُه فأتم الملك السعيد بنت بركة خان ، وبنت الأمير سيف الدين نوكاى التتارى ، وبنت الأمير سيف الدين كراى التتارى ، وبنت الأمير سيف نوغاي التتارى ، وشَهْرُزُورِيَّة تزوجها لما قديم غَزَّة وحالف الشَّهْرُزُورِيَّة قبل سلطته، فلما تسلطن طَلَّقها .

وأما وزرائه — لما تولى السلطنة استمَرَزَين الدين يعقوب بن عبد الرافع بن الزُّيَري، ثم صرفه وأستوزر الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حِثَا . وكان لللك الظاهر أربعة آلاف مملوك مُشْتَرِيَات أمراء وحَاصِيكِيَّة وأصحاب وظائف .

(١) هَنَابَات ، جمع هَنَاب ، وهو قدح الشراب (عن هامش السلوك ص ٦٠٧) .

(٢) زيادة عن عيون التواريخ والذيل على مرآة الزمان ونهاية الأرب للنويرى وتاريخ الدول والملك لابن الفرات . (٣) كذا في الأصلين . وفي الذيل على مرآة الزمان :

« نوکاس » . وفي نهاية الأرب : « نوکبه » . وفي السلوك : « نوکلى » .

(٤) الخاصكية : جعل ذلك علما عليهم لأنهم يدخلون على الملك في أوقات خلواته وفراغه ، وينالون من ذلك ما لا يناله أكابر المتقدمين ، ويحضرون طرف كل نهار في خدمة القصر والاسطبل ، ويركبون لركوب الملك لبلا ونهارا ولا يتخلفون في قرب ولا بعد ، ويميزون عن غيرهم في الخدمة بجلهم سيوفهم ولباسهم =

وأما سيرته وأحكامه وشرف نفسه حكي : أن الأشرف صاحب حصص كتب إليه يستأذنه في الحج ، وفي ضمن الكتاب شهادة عليه أن جميع ما يملكه أنتقل عنه إلى الملك الظاهر ، فلم يأذن له الملك الظاهر في تلك السنة غضباً منه لكونه كتب ذلك ، واتفق أن الأشرف مات بعد ذلك فنسلم الملك الظاهر حصونه التي كانت بيده ولم يتعرض للتركة ، ومكن ورثته من الموجود والأملاك ، وكان شيئاً كثيراً إلى الغاية ، ودفع الملك الظاهر إليهم الشهادة وقد تجنبوا التركة لعلمهم بالشهادة . ومنها أن شعراً^(١) بانياس وهي إقليم يشتمل على أرض كثيرة عاطلة بحكم استيلاء الفرنج على صفد ، فلما أفتح صفد أفناه بعض العلماء باستحقاق الشعراء فلم يرجع إلى الفتياء ، وتقدم أمره أن من كان له فيها ملك قديم فليسلمه .

وأما صدقاته فكان يتصدق في كل سنة بعشرة آلاف إردب قمح في الفقراء والمساكين وأرباب الزوايا ، وكان يربّي لأيتام الأجناد ما يقوم بهم على كثرتهم ، ووقف وقفاً على تكفين أموات الغرباء بالقاهرة ومصر ، ووقفاً لبشترى به خبز ويفرق في فقراء المسلمين ، وأصلح قبر خالد بن الوليد — رضى الله عنه — بمحضر ، ووقف وقفاً على من هو راتب فيه من إمام ومؤذن وغير ذلك ، ووقف على قبر أبي عبيدة بن الجراح — رضى الله عنه — وقفاً مثل ذلك ، وأجرى على أهل الحرمين والحجاز وأهل بذر وغيرهم ما كان أنقطع في أيام غيره من الملوك .

= الطرز الزركشي ، ويدخلون على الملك في خلواته بغير إذن ، ويتوجهون في المهمات الشريفة ، ويتأفقون في ركوهم وملبوهم ، وكانوا في القديم لا يزيدون على أربعة وعشرين بمسد الأمراء المقدمين ، والآن يزيدون على الأربعمائة ، ولهم الرزق الواسع والعطايا الجزيلة من الملوك (كترميرج ٢ ص ١٥٩) .
٢٠ وتخاب زبدة كشف المسالك وبيان الطرق والمسالك لفرس الدين خليل بن شاهين الطاهري (ص ١١٥ — ١١٦) . (١) شعراء : في الجنوب الشرق من بانياس (عن صبح الأعشى ج ٤ ص ١٠٤) . (٢) في ذيل امرأة الزمان : « يشتمل على قرى كثيرة » .

وأما عمائره : المدارس والجامع والأسيلة والأريطة فكثيرة ، وغالبها معروفة به ، وكان يُخرج كل سنة جملةً مستكثرة يستفك بها من حبسه القاضي من المقلين ، وكان يُرتَّب في أول شهر رمضان بمصر والقاهرة مطابخ لأنواع الأطعمة ، وتُفرَّق على الفقراء والمساكين .

- وأما حرمة ومهابته ، منها : أن يهودياً دفن بقلعة جعبر عند قصد التار لها مصاعاً وذهباً وهرب بأهله إلى الشام وأستوطن حماة ، فلما أمن كتب إلى صاحب حماة يُعرفه ويسأله أن يسير معه من يحفظه ليأخذ خبيثته ويدفع لبيت المال نصفه ، فطالع صاحب حماة الملك الظاهر بذلك ، فردّ عليه الجواب أنه يوجهه مع رجلين ليقتضى حاجته ؛ فلما توجهوا مع اليهودي ووصلوا إلى القرأت أمتنع من كان معه من العبور فعبر اليهودي وحده ، فلما وصل وأخذ في الحفر هو وأبنيه وإذا بطائفة من العرب على رأسه ، فسألوه عن حاله فأخبرهم ، فأرادوا قتله وأخذ المال ، فأخرج لهم كتاب الملك الظاهر مطلقاً إلى من عساه يقف عليه ، فلما رأوا المرسوم كفوا عنه وساعدوه حتى استخلص ماله . ثم توجهوا به إلى حماة وسلموه إلى صاحب حماة ، وأخذوا خطه بذلك .

- ومنها : أن جماعة من التجار خرجوا من بلاد العجم قاصدين مصر ، فلما مروا بسيس منعهم صاحبها من العبور ، وكتب إلى أبقا ملك التار ، فأمره أبقا بالحوطة عليهم وإرسالهم إليه ، وبلغ الملك الظاهر خبرهم ، فكتب إلى نائب حلب بأن يكتب إلى نائب سيس ، إن هو تعرض لهم بشيء يساوي درهمًا واحدًا أخذت عوضه مراراً ، فكتب إليه نائب حلب بذلك فأطلقهم ، وصانع أبقا بن هولاًكو

(١) عبارة الذيل على مرآة الزمان : « أخذتك عوضه » .

على ذلك بأموالٍ جلييلة حتى لا يُخالف مرسومَ الظاهر ، وهو تحت حُكم غيره
لانتحت حكم الظاهر .

ومنها : أن تواقيعه التي كانت بأيدي التجار المترددين إلى بلاد القَبْجَاق^(١)
[بإعفاثهم من الصادر والوارد] كان يُعمل بها حيث حلُّوا من مملكة بركة خان
ومنكوتمر وبلاد فارس وكرمان .

ومنها : أنه أعطى بعض التجار مالا ليشتري به ممالك وجوارى من الترك
فشيرته نفس التاجر في المال فدخل به قراقوم^(٢) من بلاد الترك وأستوطنها ، فوقع
الملك الظاهر على خبره ، فبعث إلى منكوتمر في أمره فأحضره إليه تحت الحوطة
إلى مصر . وله أشياء كثيرة من ذلك .

وكان الملك الظاهر يُحِبُّ أن يُطلع على أحوال أمرائه وأعيان دولته حتى لم
يَخَفْ عليه من أحوالهم شيء . وكان يُقَرِّب أرباب الكالات من كل فن وعلم . وكان
يَمِيلُ إلى التاريخ وأهله ميلاً زائداً ويقول : سماعُ التاريخ أعظمُ من التجارب .
وكانت تَرِدُ عليه الأخبار وهو بالقاهرة بحركة العدو ، فيأمر العسكر بالخروج وهم
زيادة على ثلاثين ألف فارس ، فلا يَبَيِّت منهم فارسٌ في بيته ، وإذا خرج من
القاهرة لا يُمْكِنُ من العود إليها ثانياً .

قلت : كان الملك الظاهر - رحمه الله - يَسِيرُ على قاعدة ملوك التتار
وغالب أحكام جُنْجِرْخان من أمر «اليسق والتورا» ، واليسق : هو الترتيب ، والتورا :

(١) هذه الزيادة عن الذيل على مرآة الزمان .

(٢) في الأصلين : « قراقوم » . وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان بتقويم البلدان لأبي الفداء .
وقراقوم : من أقصى بلاد الترك الشرقية ، وكانت قاعدة التتار في جهاتها بلاد المثل ، وهم خالصة التتار ،
ومنها خاناتهم .

(٣) في الأصلين : « لا يمكن من العود إليها ثانياً » . وما أثبتناه عن ذيل عن مرآة الزمان .

- المذهب باللغة التركية؛ وأصل لفظة اليَسَق: يسي يَسَا، وهي لفظة مركبة من كلمتين صدر الكلمة: يسي بالعجمي، وعجزها يَسَا بالتركي، لأن يسي بالعجمي ثلاثة، ويَسَا بالمُعْليّ - الترتيب، فكأنه قال: الترتيب الثلاثة. وسبب هذه الكلمة أن يَجْنِكُزْخَانَ مَلِكَ الْمُغُلِّ كان قَسَمَ ممالكه في أولاده الثلاثة، وجعلها ثلاثة أقسام، وأوصاهم بوصايا لم يَخْرُجُوا عنها التُّرك إلى يومنا هذا، مع كثرتهم واختلاف أديانهم، فصاروا يقولون: يسي يَسَا (يعني الترتيب الثلاثة التي رتبها يَجْنِكُزْخَانَ)، وقد أَوْضَحْنَا هذا في غير هذا الكتاب بأوسع من هذا. انتهى. فصارت التُّرك يقولون: «يسي يَسَا» فتَقَلَّ ذلك على العامة فزفوها على عادة تحاريفهم، وقالوا: سِيَّاسَة. ثم إن التُّرك أيضا حذفوا صَدْرَ الكلمة، فقالوا: يَسَا مدَّة طويلة، ثم قالوا: يَسَق، وأستمر ذلك إلى يومنا هذا. انتهى.

١٠

- قلت: والملك الظاهر هذا هو الذي ابتدأ في دولته بأرباب الوظائف من الأمراء والأجناد، وإن كان بعضها قبله فلم تكن على هذه الصيغة أبدًا؛ وأمثلة لذلك مثلا فيقاس عليه، وهو أن الدَّوَّادَارَ كان قديمًا لا يُبَاشِرُهُ إِلَّا مُتَعَمِّمٌ يَحْمِلُ الدَّوَاةَ ويحفظها. وأمير مجلس هو الذي كان يَحْرُسُ مجلس قعود السلطان وفرشه. والحاجب هو البواب الآن، لكونه يحجب الناس عن الدخول؛ وقس على هذا. بخاء الملك الظاهر جَدَّدَ جماعة كثيرة من الأمراء والجند ورتبهم في وظائف:

١٥

(١) تقدّم الكلام على هذين اللفظين في ص ٢٦٨ — ٢٦٩ من الجزء السادس من هذه الطبعة.

(٢) سيأتي للؤلّف بعد قليل شرح لما يخالف هذا الشرح ويوافق ما ذكر في صبح الأعشى.

(٣) راجع الكلام على المجبوبة في صبح الأعشى (ج ٤ ص ١٩) وسيذكر المؤلف شرحا لها

كالدَّوَادَارِ وَالْحَايَازِدَارِ وَأَمِيرِ أَخُورِ وَالسَّرَاخُورِ وَالسَّقَاةِ وَالْجَمْدَارِيَّةِ وَالْجُتَابِ وَرُؤُوسِ
النُّوبِ وَأَمِيرِ سِلَاحِ وَأَمِيرِ مَجْلِسِ وَأَمِيرِ شِكَّارِ .^(١)^(٢)^(٣)^(٤)^(٥)

فأما موضوع أمير سلاح في أيام الملك الظاهر فهو الذي كان يَتَحَدَّثُ على
السِّلَاحِ دَارِيَّةً ، وَيُنَاقِلُ السُّلْطَانَ آلَةَ الْحَرْبِ وَالسِّلَاحِ فِي يَوْمِ الْقِتَالِ وَغَيْرِهِ ، مِثْلُ
يَوْمِ الْأَضْحَى وَمَا شَبَّهَهُ . وَلَمْ يَكُنْ إِذْ ذَاكَ فِي هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ (أَعْنَى الْجُلُوسِ رَأْسَ مِيسِرَةِ
السُّلْطَانِ) ، وَإِنَّمَا هَذَا الْجُلُوسُ كَانَ إِذْ ذَاكَ مَخْتَصًّا بِأَطَابِكِ . ثُمَّ بَعْدَهُ فِي الدَّوْلَةِ
النَّاصِرِيَّةِ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ بِرَأْسِ نَوْبَةِ الْأُمَرَاءِ كَمَا سَيَأْتِي ذِكْرُهُ فِي مَحَلِّهِ . وَتَأْيِيدَ
ذَلِكَ يَأْتِي فِي أَوَّلِ تَرْجُمَةِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَرَقُوقٍ ، فَإِنَّ بَرَقُوقَ نَقْلِ أَمِيرِ سِلَاحٍ قُطْلُوْبَغَا^(٦)^(٧)

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٩٩ من هذا الجزء . (٢) في الأصلين : «السلاخور» .
والسراخور هو الذي يتحدث على علف الدواب من الخيل وغيرها . وهو مركب من لفظين فارسيين ،
أحدهما «سرا» ومعناه الكبير ، والثاني «خور» ومعناه العلف ، ويكون المعنى كبير العلف ، والمراد
كبير الجماعة الذين يتولون علف الدواب . والعامة يقولون : سراخوري بلبات ياء النسب في آخره ولا
وجه له . ويشهد الكتاب يدلون الرأ فيه لاما (كما ذكره المؤلف) فيقولون : سلاخوري : وهو خطأ
(صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٠) . (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٥ من هذا الجزء .
(٤) وظيفة رأس النوبة ، معناها الحكم على المالك السلطانية والأخذ على أيديهم ، وقد جرت
العادة أن يكونوا أربعة أمراء ، واحد منهم مقدم ألف وثلاثة طليحانة . (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٨) .
(٥) أمير شكار هو لقب على الذي يتحدث على الجوارح من الطيور وغيرها وسائر أمور الصيد .
وهو مركب من لفظين : أحدهما عربي وهو أمير ، والثاني فارسي وهو شكار (بكسر الشين المعجمة)
ومعناه : صيد فيكون المراد أمير الصيد (صبح الأعشى ج ٥ ص ١٦١) .

(٦) الأطابك هو الأتابك ، ومعناه الولد الأمير ، وأول من لقب بذلك نظام الدولة وزير ملكشاه
ابن ألب أرسلان السلجوقي حين فوض إليه ملكشاه تدبير المملكة سنة ٥٤٦٥ هـ . وقيل : أطابك معناه
أمير آب ، والمراد به أبو الأمراء وهو أكبر الأمراء المقدمين بمسد النائب الكافل ، وليس له وظيفة
ترجع إلى حكم وأمر ونهى ، وغايته رفعة المثل وعلو المقام (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٨) .

(٧) في الأصلين : «الطنبغا» . وتصحيحه عن ابن أبياس (ج ١ ص ٣٦٠) والمنهل الصافي
في ترجمة قطلوبغا الكوكائي المذكور ، وحاشي الجزء الخامس من النجوم الزاهرة ص ٣٦٨ طبع كاليغورنيا
سنة ١٩٣٣ . وهو قطلوبغا بن عبد الله الكوكائي الأمير سيف الدين نسب إلى معتقه الأمير كوكاي صاحب
التربة والمنفذة تجاه قبة النصر بالصحراء ، توفي في حدود سنة ٧٩٦ هـ (عن المنهل الصافي) .

الْكُوكَايَ إلى حِجُوبِيَّةِ المِجَنَابِ . وأمير مجلس كان موضوعها في الدولة الظاهرية
يَبْرُسُ يَتَحَدَّثُ على الإِطْبَاءِ والكَمَالِينِ والمُجَبَّرِينَ ، وكانت وظيفة جليلة أكبر قدراً
من أمير سلاح .

- وأما الدَّوَادَارِيَّةُ فكانت وظيفة سافلة . كان الذي يليها أولاً غير جندي ، وكانت
نوعاً من أنواع المباشرة ، فجعلها الملك الظاهر يَبْرُسُ على هذه الهيئة ، غير أنه كان
الذي يليها أمير عشرة . ومعنى دَوَادَارٍ باللغة العجمية : ماسك الدَّوَاةِ ، فإن لفظة
« دار » بالعجمي : ماسك ، لا ما يفهمه عوام المصريين أن داراً هي الدار التي
يُسْكَنُ فيها ، كما يقولون في حق الزَّمام : زمام الأدر ، وصوابه زمام دار . وأول
من أحدث هذه الوظيفة ملوك السَّلْجُوقِيَّةِ . والجَمْدَارُ ، الجَمَى هي البُقْجَةُ باللغة
العجمية ، ودار تقدّم الكلام عليه ، فكأنه قال : ماسك البُقْجَةِ التي للقماش . وقس
على هذا في كل لفظ يكون فيه دار من الوظائف .

- وأما رأس نوبة فهي عظمة عند التَّارِ ، وَيَسْمُونِ الذي يليها « يَسَوول »
بتفخيم السين . والملك الظاهر أول من أحدثها في مملكة مصر . والأمير آخور أيضاً
وظيفة عظيمة ، والمُغَلُّ تسمى الذي يليها « آق طشى » . وأمير آخور لفظ مركب
من فارسي وعربي ، فأمير معروف وآخور هو اسم المِذْدُودِ بالعجمي ، فكأنه يقول :
أمير المِذْدُودِ الذي يأكل فيه الفَرَسُ . وكذلك السلاخوري وغيره ؛ مما أحدثها
الملك الظاهر أيضاً .

- وأما المِجُوبِيَّةُ فوظيفةٌ جليلة في الدولة التركية ، وليس هي الوظيفة التي كان
يلبسها حجة الخلفاء ، فأولئك كانوا حُجَّةً يَحْجُبُونَ الناس عن الدخول على الخليفة ،
ليس من شأنهم الحكم بين الناس والأمر والنهي ؛ وهي مما جدده الملك

(١) هذه الحملة في الأصلين هكذا : « وكذلك السلاخوري وغيره ومن أحدثها ... الخ » .

الظاهر بيبرس ، لكنها عظمّت في دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون حتى
عادت النيابة ^(١) .

وأما ما عدا ذلك من الوظائف فأحدثها الملك الناصر محمد بن قلاوون كما
سيأتي بيانه في تراجمه الثلاث من هذا الكتاب ، بعد أن جدّد والده الملك المنصور
قلاوون وظائف أئمر كما سيأتي ذكره أيضا في ترجمته على ما شرطناه في هذا الكتاب
من أن كلّ من أحدث شيئا عزيّناه له . ومما أحدثه الملك الظاهر أيضا البريد
في سائر ممالكه ، بحيث إنه كان يصل إليه أخبار أطراف بلاده على اتّساع مملكته
في أقرب وقت .

وأما ما أفتحه من البلاد وصار إليه من أيدي المسلمين فعدّة بلاد وقلاع .
والذي أفتحه من أيدي الفرنج — خذلّم الله — : قيسارية ، وأرسوف ، وصفد ،
وطبرية ، ويافا ، والشقيف ، وأنطاكية ، وبقراس ، والقصير ، وحضن الأكراد
وعكار ، والقرين ، وصافيتا ، ومرّيقية . وناصفهم على المرقب وبانياس وبلاد
أنطوطوس وعلى سائر ما بقي في أيديهم من البلاد والحصون وغيرها . وأستعاد من
صاحب بيس دزبّسك ، ودركوش ، ورعبان ، والمرزبان وبلاداً أخرى . والذي

(١) النيابة ، ويعبر عن صاحبها بالنائب الكافل ، وكافل الممالك الإسلامية ، وهو يحكم في كل
ما يحكم فيه السلطان ويعلم في التقاليد والتواقيع والمناسير وغير ذلك مما هو من هذا النوع على كل ما يعلم
عليه السلطان . وسائر النواب لا يعلم الرجل منهم إلا على ما يتعلق بجماعة نيابته ، وهذه رتبة لا يخفى ما لها
من التمييز (صج الأشيخ ٤ ص ١٦) . (٢) في الأصلين : « حكا » . والتصويب عن
عبود التواريخ والذيل على مرآة الزمان والسلوك . وراجع الحاشية رقم ٣ ص ١٥٣ من هذا الجزء .
(٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٥٣ من هذا الجزء . (٤) في الأصلين : « ورعيان » بالياء .
أثر الحروف . والتصحيح عن السلوك وعبود التواريخ والذيل على مرآة الزمان . وهي مدينة بالثغور بين
حلب وسميساط قرب الفرات معدودة في العواصم ، وهي قلعة تحت جبل (عن معجم البلدان لياقوت) .
(٥) عرف هذا اللفظ أبو الفدا إسماعيل في تقويم البلدان في الكلام على قلعة الروم بأنه نهر .
من ناحية الجبل ويسب في الفرات تحت قلعة الروم (تقويم البلدان ص ٢٦٩) .

صار إليه من أيدي المسلمين: دِمَشْقُ وَبَعْلَبَكُ وَتَجْلُونُ وَبُصْرَى وَصَرْخَدَ وَالصَّلْتُ ،
وكانت هذه البلاد التي تغلب عليها الأمير علم الدين سَنَجَرُ الحَلَبِيِّ بعد موت
الملك المظفر قُطُزَ، لما تسلطن بِدَمَشْقَ وتلقب بالملك المجاهد . انتهى . وخص ،
وتدُمَرُ ، والرَّجْبَةُ ، ودلويَا ، وتَلْ باشِرُ ، وهذه البلاد آنتقلت إليه عن الملك الأشرف
صاحبِ يَحْصَ في سنة اثنتين وستين وستمائة . وصيَّوْنَ وَبَلَّاطُنُسُ ، وبرُزِيَّةُ ،
وهذه مُتَقِلَّةُ إليه عن الأمير سابق الدين سليمان بن سيف الدين أحمد وعمه عز الدين .
وحصون الإسماعيلية وهي : الكَهْفُ ، والقَدَمُوسُ ، والمَيْنِقَةُ ، والعُلَيْقَةُ ، والْحَوَائِي ،
والرَّصَافَةُ ، ومِصْيَافُ ، والقُلَيْبَةُ . وأما ما آنتقل إليه عن الملك المغيث ابن الملك العادل
أبى بكر ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب : الشُّوبَكُ ،
والكَرْكُ . وما آنتقل إليه عن التَّارِ : بلاد حلب الشمالية بأسرها ، وشبَّزُ ، والْبَيْرَةُ .

- (١) في الذيل على مرآة الزمان : « زلوييا » . وفي عيون التواريخ : « زوليا » . وفي المسج
السديد : « زلوتنا » وقد بحثنا في كتب المعاجم عن كل هذه الأسماء فلم نوفق إلى معرفة الصواب فيها .
(٢) في الأصلين : « اثنتين وسبعين » . وما أثبتناه من الذيل على الراضين وحيون التواريخ .
(٣) وتسمى أيضا فلاح الدعوة ، سميت بذلك لأنها كانت بيد الإسماعيلية من الشيعة المنتسبين إلى
إسماعيل بن جعفر الصادق ، وهم يسون أنفسهم أصحاب الدعوة الهادية ، وهؤلاء هم المعروفون في ديوان
الإنشاء بالقصاد ، وبين العامة بالقدارية . قال صاحب صبح الأعشى (ج ٤ ص ١٤٦ - ١٤٧)
وهي سبع فلاح ، كانت كلها مضافة إلى طرابلس ثم نقلت مصياف منها إلى دمشق وقد أروضها صاحب
صبح الأعشى وبين مواضعها فراجع . (٤) في الأصلين : « المنيقة » . وما أثبتناه من ذيل
مرآة الزمان وصبح الأعشى . (٥) في الأصلين : « الحوائى » . وما أثبتناه عن صبح الأعشى
وذييل مرآة الزمان وحيون التواريخ والنهج السديد . (٦) في الأصلين والذيل على مرآة الزمان
وحيون التواريخ : « مصيات » بالهاء المثناة . وما أثبتناه عن صبح الأعشى ونهاية الأرب للنويرى والسلوك .
(٧) كذا في الأصلين وحيون التواريخ . ولعلها : « القليعات » التي تقدم ذكرها في ص ١٥٠
من هذا الجزء .

(١١) وَقَعَ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ بِلَادَ النُّوبَةِ ، وَفِيهَا مِنَ الْبِلَادِ مِمَّا عَلَى أَسْوَانٍ جَزِيرَةُ بِلَاقٍ ؛ وَبَلَى (٢)

- (١) يطلق اسم بلاد النوبة أو اتيو بيا السفلى على الأراضى التى تمتد على شاطئ النيل من شلال أسوان إلى مدينة مروى قرب الشلال الرابع . وتنقسم بلاد النوبة إلى قسمين : وهما النوبة السفلى والنوبة العليا . فأما بلاد النوبة السفلى وهى الشمالية فتقع بين شلال أسوان وبين شلال وادى حلفا ، ويطلق عليها اسم بلاد الكنوز نسبة إلى بنى الكنز وهم عرب من قبيلة ربيعة ، وهذه المنطقة تشمل اليوم ثلاث قرى من مركز أسوان وهى الشلال ودابود ودهميت ، ثم تشمل جميع قرى مركز الدر ، ثم عشر قرى من مركز وادى حلفا التابع للسودان المصرى . وأما بلاد النوبة العليا وهى الجنوبية فتقع بين شلال وادى حلفا وبين الشلال الرابع ، وهذه المنطقة تشمل اليوم مديرتى وادى حلفا ودقنقة التابعتين للسودان المصرى . وأما بلاد اتيو بيا العليا فتمتد من الشلال الرابع إلى أقاصى بلاد الحبشة وهى تشمل باقى مديريات السودان المصرى وبلاد الحبشة . وكلمة اتيو بيا : معناها الوجه الأسود أو المحرق ، وهو الاسم الذى أطلقه اليونان على جميع بلاد السود الشديدي الحرارة .
- (٢) جزيرة بلاق : يستفاد مما ذكره الإدريسي عن مدينة بلاق فى ص (٤٦ ج ١) من كتاب نزهة المشتاق ؛ ومما ذكره ياقوت فى معجم البلدان أن بلاق هذه مدينة واقعة فى أول بلاد النوبة على الشاطئ الشرقى للنيل جنوبى أسوان ، ومنصلة بها بطريق البر ، ولكن لما تكلم المهرزبى على بلاق فى (ص ١٩٩ ج ١) من خطبته قال : بلاق أجل حصن للسليين وهى جزيرة تقرب من الجنادل (يقصد شلال أسوان) محيط بها الماء وفيها بلد كبير يسكنه خلق كثير من الناس ، وبها جامع بمنبر ونخيل عظيم وإليها تنهى سفن النوبة وسفن المسلمين وبينها وبين أسوان أربعة أميال .
- وذكر جغرافيو الإفرنج أن جزيرة بلاق واقعة فى النيل تجاه محطة الشلال جنوبى أسوان بمسافة عشرة كيلومترات ، واسمها المصرى بيلاك والرومى فيلى (بكسر الفاء وإمالة اللام) والقبطى بيلاخ والعربى بلاق وهو المصرى محرفا . ولما زرت هذه الجهة بحثت هذا الموضوع فى مكانه فبينت لى وجود ناحيتين : إحداهما كانت تسمى بلاق والثانية جزيرة بلاق نسبة إلى بلدة بلاق الواقعة تجاهها . أما ناحية بلاق فهى بلدة تقع على الشاطئ الشرقى للنيل وإليها تنهى السكة الحديدية المصرية التى تربطها بأسوان كما تنهى إليها أيضا السفن الذاهبة إلى بلاد النوبة والعائدة منها . وبلاق هذه مكانها اليوم تجمع محطة الشلال الواقعة فى نهاية السكة الحديدية ، ونجح ابتكول ونجح الباب القبلى ، وهذه النجوع من توابع ناحية الشلال التابعة لمركز أسوان بمديرتى أسوان . وأما جزيرة بلاق فهى عبارة عن جزيرة صغيرة مساحتها تسعة أقدنة تقريبا مشغولة بمبانى بعض الهياكل والمعابد المصرية القديمة ، وليس فيها من القضا ما يسمح بوجود بلد كبير حتى ولا قرية صغيرة ، ولا تصلح أن تكون حصنا للسليين كما ذكر المهرزبى . وهذه الجزيرة تسمى اليوم جزيرة قصر أنس الوجود أو جزيرة القصر أو جزيرة البرابا أو جزيرة المبد وهى أشهر الجزر التابعة لناحية الشلال ولا يزال يوجد بجزيرة بلاق هذه بقايا معابد مصرية قديمة من عهد الملك نعتان الثانى ، وأعتبر آثارها المبد الكبير الذى أنشأه الملك بسمبوس الثانى فيلادلف . وعلى بعد ١٧ قصبة =

(١) هذه البلاد بلاد العلى وجزيرة ميكائيل ؛ وفيها بلاد وجزائر الجنادل وهي

من جزيرة بلاق إلى الغرب توجد جزيرة أخرى أكبر منها تسمى بيجة وأسمها المصري «سنت» و يوجد أيضا غرب جزيرة بيجة جزيرة أخرى أكبر من بيجة بكثير تعرف بجزيرة الهيسة ، وهي أكبر الجزر التابعة لباحة الشلال ، وكان بها مساكن وجامع ونخيل قبل إنشاء خزان أسوان سنة ١٩٠٢ . ويحتل كثيرا أنت جزيرة الهيسة هي التي يقصدها المقيري لتأسياعها ووقوعها في صدر مجرى النيل على رأس هذه الجزر من جهة بلاد النوبة . وبسبب بناء قناطر خزان أسوان الذي يقال له «السد» ووقوع هذه الجزر أمام قناطر الجزر (أي من جهة المياه الواردة) فالياه الهزونة أصبحت بسبب ارتفاع منسوبها تغمر أرض هذه الجزر وما فيها من المساكن والنخيل والآثار في المدة من شهر ديسمبر إلى يوليو سنويا . وأما وقت فيضان النيل فتفتح القناطر كلها من شهر أغسطس إلى نوفمبر سنويا . وفي هذه المدة يكون النيل في منسوبه العادى فتكشف الأرض وتظهر الآثار وبذلك يمكن مشاهدتها .

(١) بلاد العلى أو بلاد علوة : يستفاد مما ذكره المقيري في ص (١٩٩ ج ١) من خطه عند الكلام على ذكر شعب النيل من بلاد علوة وما ورد في كتاب تاريخ السودان لمؤلفه نعم شقير بك أن بلاد علوة وهي المعروفة ببلاد النوبة العليا أو بمملكة المنج كانت تطلق على منطقة الأراضي التي تمتد اليوم على شاطئ النيل من أول الشلال الرابع وهو شلال كسنجر إلى أرض جزيرة سنار الواقعة بين النيل الأبيض والنيل الأزرق ، وكانت قاعدة بلاد علوة مدينة «سوبه» الواقعة على النيل الأزرق جنوبي الخرطوم بمسافة ٢٤ كيلومترا .

(٢) جزيرة ميكائيل : لما تكلم المقيري في ص (١٩٩ ج ١) من خطه على البق (وهو أسم الجزيرة التي كانت للوك مصر على بلاد النوبة) ذكر جملة حوادث منها أن الملك الظاهر بيبرس أرسل في أول شعبان سنة ٦٧٤ هـ تجريدة تحت قيادة الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقاني والأمير عز الدين أيبك الأفرم لرد اعتداء تلك النوبة ، ولما وصل الجند إلى أرض النوبة اقتتل الفريقان قتالا عنيفا انهزم فيه عسكر النوبة وأغار الأفرم على قلعة الدروا وغل الفارقاني في أرض النوبة برا وبحرا يقتل وبأمر حتى نزل بجزيرة ميكائيل برأس الجنادل .

وأقول : بالبحث تبين لي أن الجنادل المقصودة بالذكر هنا هي شلال وادى حلفا وأن جزيرة ميكائيل هي التي تعرف اليوم باسم جزيرة «جانا الساب» ويقال «جانساب» وهذه الجزيرة واقعة في النيل على رأس شلال وادى حلفا تجاه خرطومى باشا .

(٣) الجنادل : مفردا جندل ويقال لها الشلالات مفردا شلال وهو عبارة عن مجتمع محضورية وجزر محضورية صغيرة تتعرض مجرى النيل فتعذر من فوقها المياه بقوة عظيمة ويسمع لها دوى هائل . ولا تمر منها المراكب إلا بالحيلة ودلالة الخبيرين بأوضاعها وطرقها من الصيادين . والشلالات التي في النيل تقع في المنطقة التي بين مدينتي أسوان والخرطوم يبعد بعضها عن بعض على مسافات مختلفة ، وهي كثيرة بين كثيرة وصغيرة . فأما الشلالات الكثيرة فأشهرها ستة وهي : الأول شلال أسوان ، والثاني شلال وادى حلفا ويقال له شلال حبكة ، والثالث شلال حنك ، والرابع شلال وادى الأدرسية ويقال له شلال كسنجر (وهو اسم محطة السكة الحديدية الواقعة تجاه هذا الشلال) ، والخامس شلال وادى الحمار ويقال له =

أيضا بلاد ، ولما فتحها أنعم بها على ابن عم المأخوذة منه ، ثم ناصفه عليها ، ووضع عليه عبيدا وجواري ونجنا وبقرًا ، وعن كل بالغ من رعيته دينارًا في كل سنة . وكانت حدود مملكة الملك الظاهر من أقصى بلاد النوبة إلى قاطع الفرات . وقد عليه من التار زهاء عن ثلاثة آلاف فارس ، فمنهم من أمره بطلبه غنائه ، ومنهم من جعله أمير عشرة إلى عشرين ، ومنهم من جعله من السقاة ، ثم جعل منهم سَلَحْدَارِيَّة و بَحْدَارِيَّة ومنهم من أضافه إلى الأمراء .

وأما مبانيه فكثيرة منها ما هدمه التار من المعازل والحصون . وعمر بقلة الجبل دار الذهب ، ورجبة الجبارج قبة عظيمة محمولة على اثني عشر عمودا من الرخام الملون ، وصور فيها سائر حاشيته وأمرائه على هيتهم ، وعمر بالقلعة أيضا طبقتين مِطْلَتَيْن على رجبة الجامع وأنشأ برج الزاوية المجاورة لباب القلعة ، وأخرج منه

== شلال جزيرة العشير (وقوعها أمامه) ، والسادس شلال سيلوكه وهو أقربها إلى الخرطوم . ويوجد في أعلى النيل من الشلالات الكبيرة شلال الروميص في النيل الأزرق وشلال القولة في النيل الأبيض .

وبسبب بناء خزان أسوان فوق مخور شلال أسوان أنشئ في نهاية القرية قناة وهويس بأبواب معدنية كبيرة تفتح وتغلق لحفظ توازن المياه عند مرور المراكب الصاعدة والنازلة من الشلال المذكور . (١) في الأصلين هكذا : « ورجبة الخارج فيه قبة » . وما أشتباه من ذيل مرآة الزمان وفوات الوفيات لابن شاكر . (٢) الجامع : المقصود هنا الجامع الذي كان موجودا بالقلعة في ذلك العهد . ويستفاد مما ذكره المقرئ في ص (٣٢٥ ج ٢) من خطه عند الكلام على جامع القلعة أن الجامع المذكور قد هدمه الملك الناصر محمد بن قلاوون وأدخله في الجامع الذي أنشأه بالقلعة سنة ٧١٨ هـ . وهذا الجامع لا يزال موجودا ، و يعرف بجامع الناصر قلعة الجبل بجوار جامع محمد على باشا الكبير .

(٣) برج الزاوية : هذا البرج لا يزال موجودا في الزاوية البحرية الغربية من السور القديم البحري للقلعة ، ولما جدد محمد على باشا الكبير سورها الحال أصبح البرج في داخله و يطؤه الآن الجناح الغربي لمستشفى الجيش بالقلعة . (٤) باب القلعة : المقصود هنا باب القلعة العموي القديم الذي أنشأه

صلاح الدين في سنة ٥٧٩ هـ . وورد في المخطط المقرئ (ج ١ ص ٢٠٤) باسم الباب المدرج ، ولا يزال موجودا ولكن بطل استعماله وسد الطريق الذي كان يصل بينه وبين حوش القلعة بسبب وجود الباب الجديد الذي أنشأه محمد على باشا الكبير في سنة ١٢٤٢ هـ بجوار الباب القديم المذكور ، والباب الحال يعرف بالباب الجديد أو الباب العموي أو الباب البحري . وفي ذيل مرآة الزمان وفوات الوفيات : « برج الزاوية المجاور لباب السر » .

- رواشن، وبنى عليه قبة وزخرف سقفها، وأنشأ جواره طباقا للمالك أيضا .
 وأنشأ^(١) برجبة باب القلعة دارا كبيرة لولده الملك السعيد، وكان في موضعها حَجَيرَ فَعَقَد عليه ستة عشر عقداً، وأنشأ دوراً كثيرة بظاهر القاهرة [تَمَّ على القلعة وإصطبلات]^(٢)
 برسم الأمراء، فإنه كان يكره سكنى الأمير بالقاهرة مخافةً من حواشيه على الرعية .
 وأنشأ^(٣) حماماً بسوق الخليل لولده الملك السعيد، وأنشأ^(٤) الجسر الأعظم والقنطرة التي على الخليج، وأظنَّها قنطرة السباع، وأنشأ^(٥) الميَّدان بالبورجى ونقل إليه النخيل بالثمن الزائد من الديار المصرية، فكانت أجرة نقله ستة عشر ألف دينار، وأنشأ به
 (١) في الأصلين : « وأنشأ نجاة برجي باب القلعة دارا ... الخ » . وما أئتمناه عن ذيل مرآة الزمان وفوات الوفيات . (٢) زيادة عن فوات الوفيات والذيل على مرآة الزمان .
 (٣) حمام سوق الخليل : لما تكلم صاحب الخطط النوفية على أعمال الظاهر بيبرس (في ص ٢٨ ج أول) قال : إن هذا الحمام هدم وعمله القره قول وبعض عمارة والده الخديوى إسماعيل باشا بجهة ميدان محمد على . وأقول إن هذا الحمام هو الذى كان يعرف أخيراً باسم حمام الهنود، وإن القره قول الذى يشير إليه هومبى قسم بوليس الخليفة القديم وقد هدم هذا المبنى أيضاً، ومكانه اليوم القضاء الواقع شرق عمارة خليل آغا بينهما وبين ميدان صلاح الدين . (٤) الجسر الأعظم : ذكر المقرئى (في ج ٢ ص ١٦٠) من خطه أن الجسر الأعظم كان يفصل بين بركة فارود وبركة القيل ثم صار شارفاً مسلوكة يمشى فيه من الكباش إلى قناطر السباع . وأقول : إن الجسر المذكور لا يزال طريقاً عاماً يعرف الآن بشوارع مراسينا ويوصل بين ميدان السيدة زينب حيث كانت قناطر السباع وبين جامع الجاولى الواقع تحت قلعة الكباش وهناك يتقابل مع شارع الخضيرى . (٥) هى بذاتها قنطرة السباع ، يؤيد ذلك ما ذكره عنها المقرئى في (ص ١٤٦ ج ٢) من خطه حيث قال : إن قناطر السباع أنشأها الملك الظاهر بيبرس ونصب عليها سباعاً من الحجارة لأن رنكها (شعاره) كان على شكل سبع فقيل لها قناطر السباع . وسماها ابن دقاق في كتاب الانتصار بالقنطرة الظاهرية . وأقول : إن هذه القنطرة كانت موجودة على الخليج المصرى ومعروفة كما شاهدها باسم قنطرة السيدة زينب، وكانت تتكون من قنطرتين أحدهما توصل بين شارع الكوى وبين شارع السد . والثانية كانت توصل بين شارع مراسينا وبين شارع الكوى وفى سنة ١٨٩٨ تم ردم الجسر الوسط من الخليج وبرداه أخفت هذه القنطرة من تلك الستة تحت ميدان السيدة زينب ، الذى دخل فيه جزء من شارع الكوى وجزء آخر من شارع مراسينا . (٦) الميدان بالبورجى : لما تكلم المقرئى على اللوق (في ص ١١٧ ج ٢) من خطه ذكر بستان البورجى بين البساتين التى كانت في حدود بستان ابن نطب، ومن هذا وما ذكره مؤلف هذا الكتاب يعلم أن المنطقة الواقعة غربى باب اللوق كانت تعرف قديماً بالبورجى، ولما تكلم المقرئى في (ص ١٩٨ ج ٢) من خطه على الميدان الظاهرى قال : إنه كان بطرف أراضى اللوق يشرف على النيل بينه وبين قنطرة قنطرة دار الواقعة بجهة باب اللوق، أنشأه الملك الظاهر بيبرس ، فى الأرض التى انحصر عنها ماء النيل غربى الميدان الصالحى، وما زال الملك =

المناظر والقاعات والبيوتات . وجدد جامع الأنور ^(١) (أعني جامع الظافر العبيدي ^(٢)) المعروف الآن بجامع الفاكهيين والجامع الأزهر ^(٣)، وبني جامع العافية بالحسينية وأنفق عليه فوق الألف ألف درهم، وأنشأ قريبا منه زاوية الشيخ خضر وحامًا وطاحونا وفُرنا وعمر بالمقياس قبة ربيعة [من خرفة] ^(٤)، وأنشأ عدة جوامع بالديار المصرية ؛ وجدد قلعة الجزيرة ^(٥)، وقلعة العمودين ببرقة ^(٦)، وقلعة السويس ^(٧)، وعمر جسرًا بالقلوبية ^(٨)، والقناطر على

= الظاهر يلعب فيه الكرة هو ومن خلفه من ملوك مصر إلى سنة ٧١٤ هـ . ثم عمه الملك الناصر محمد ابن فلاحون بستانا ، وأقول : إن قنطرة قنطرة التي كانت على الخليج الناصري هي التي وردت في خريطة الحملة الفرنسية باسم قنطرة المدافع ، ومكانها اليوم نقطة تلاقي شارع جامع جركس بشارع الحوياتي ، ومن هذا الوصف يتضح أن الميدان الظاهري كان في المنطقة التي تحد اليوم من الشرق بشارع الحوياتي ومن الشمال بشارع الأنيكطاة ومن الغرب النيل ومن الجنوب شارع الخديوي إسماعيل بقسم عابدين بالقاهرة .

(١) في فوات الوفيات : « الجامع الأقر » . وراجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٩٠ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٢) الجامع الأزهر ، قال المقرئ في (ص ٢٣٧ ج ٢) من خطه في الكلام على الجامع الأزهر : ما يغيد أن الأمير عن الدين أيذر الحل تبرع بمبلغ عظيم من المال في إصلاح الجامع الأزهر في سنة ٦٦٥ هـ وأن الملك الظاهر بيبرس أطلق أيضا جملة من المال لهارته في تلك السنة .

(٣) هو بذاته جامع الظاهر وراجع الحاشية رقم ٢ ص ١٦١ من هذا الجزء . (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦١ من هذا الجزء . (٥) المقصود هنا مقياس النيل بجزيرة الروضة ، وراجع الحاشية رقم ٣ ص ٩٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٦) زيادة عن فوات الوفيات وذيل مرآة الزمان . (٧) قلعة الجزيرة : المقصود هنا قلعة جزيرة الروضة التي أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب

في سنة ٦٣٨ هـ وقد سبق الكلام عليها وعلى مكانها وحدودها في الحاشية رقم ٣ ص ٣٢٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة . ويستفاد مما ذكره المقرئ في (ص ١٨٣ ج ٢) من خطه أن الملك المعز أيك التركاني قد هدمها وعمرها المدرسة المعزية على النيل بمدينة مصر ، ولما صارت ملكة مصر إلى الملك الظاهر

بيبرس اهتم بعمارة هذه القلعة وأصلح بعض ما تهدم منها وأعادها إلى ما كانت عليه وفتح أبراجها على الأمراء ، وأمر أن تكون بيوتهم وإصطبلاتهم فيها ، ولكن لم تطل عمارتها فانه لما تولى الملك المنصور فلاحون حكم مصر هدم هذه القلعة ونقل منها كل ما احتاج اليه من العمد الصوان والرخام لبناء المدرسة المنصورية

والمارستان والقبة التي دفن فيها بشارع (المعز لدين الله بن القصرين سابقا) ، ثم أخذ منها أيضا الملك الناصر محمد بن فلاحون ما احتاج اليه لبناء الإيوان والجامع بالقلعة والجامع الجديد على النيل بمدينة مصر ، وبذلك ذهبت هذه القلعة في زمن قصير كأنها لم تكن . (٨) كذا في الأصلين والذيل على الروضتين .

وفي فوات الوفيات : « قلعة العمد » . (٩) قلعة السويس ، هذه القلعة قد اندثرت إلا أن مكانها لا يزال مرفوا إلى اليوم باسم قلعة القلزم ، وهي عبارة عن تل مرتفع واقع في الجهة الشمالية الشرقية من سكن مدينة السويس ويشرف على خليج السويس .

- (١) بحر أبي المنجبا وقنطرة بمنية السرج، وقنطرتين عند القصير على بحر إبراش بسبعة أبواب
مثل قنطرة بحر أبي المنجبا، وأنشأ في الجسر الذي يسلك فيه إلى دمياط ست عشرة قنطرة،
وبنى على خليج الإسكندرية قريبا من قنطرتها [القديمة] قنطرة عظيمة بعقد واحد،
وحفر خليج الإسكندرية وكان قد آرتدم بالطين، وحفر بحر أشموم، وكان قد عمى،
وحفر ترعة الصلاح وخور سخنا وحفر المحامدى والكافورى، وحفر في ترعة
أبي الفضل ألف قصبة، وحفر بحر الصمصام بالقلوبية، وحفر بحر مردوس .

- (١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٤٨ من هذا الجزء . (٢) قنطرة بمنية السرج : هذه
القنطرة كانت واقعة على ترعة قديمة تعرف اليوم بالترعة البولاقية ، كانت تأخذ مياهها من النيل جنوبى بولاق
ثم ردمت في المسافة الواقعة بين المباني في قسى بولاق وشبرا بمدينة القاهرة ولا زالت بقايا هذه التربة تمر
بجوار ناحية مينة السرج بضواحي القاهرة . وأما القنطرة فقد كانت تجاه مينة السرج وليس لها أثر اليوم .
(٣) كذا في الأصلين والذيل على مرآة الزمان . وفي فوات الوفيات : « قنطرة عند القصير » .
(٤) زيادة عن ذيل مرآة الزمان . (٥) خليج الإسكندرية : يستفاد مما ذكره المقرئ
عند الكلام على خليج الإسكندرية في (ص ١٦٩ ج ١) من خطه أن الملك الظاهر أمر بحفر هذا الخليج
في سنة ٥٦٦٢ هـ ، ومن البحث تبين لى أن الخليج المذكور كان في ذلك الوقت واقعا على فرع
النيل الغربى في نقطة بأراضى ناحية مينة يبيع شرق سكن ناحية كنيسة الصهرية وكان الحفر من فة هذا
الى القيدى أى الى ترعة القيدى التى كانت وقتها هى المجرى الأصل للخليج المذكور . ومن ذلك الوقت
عرفت مينة يبيع بالظاهرية نسبة الى الملك الظاهر وهى التى تعرف اليوم بالضرية إحدى قرى مركز إيتاى
البارود بمديرية البحيرة . (٦) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
(٧) ترع الصلاح والمحامدى والمجابرى والتجايرى والكافورى وأبى الفضل ، كانت هذه الترع قديما
مخصصة للرى بالوجه البحرى وقد أختفت أسماءها الآن ، إما بسبب اندثارها وإما بسبب تغير أسمائها
بأخرى من زمن قديم ولذلك أصبحت مجهولة في زمننا هذا . (٨) في الأصلين : « خور منجبا » .
وما اثبتناه عن فوات الوفيات . وفي الذيل على مرآة الزمان « خور سشنا » .
(٩) بحر الصمصام : يستفاد مما ذكره المقرئ في خطه عند الكلام على بحر أبى المنجبا (ص ٨٧ ج ١)
أن إقليم الشرقية كان يروى قبل حفر بحر أبى المنجبا من بحر مردوس ومن الصمصام . والبحث تبين
لنى أن بحر الصمصام أو الصمصام صار بعد حفر بحر أبى المنجبا يأخذ مياهه من بحر أبى المنجبا المذكور وبذلك
أصبح فرعا منه ويعرف اليوم بترعة المصبصة المحسرة عن الصمصام بمركز قلوب . وبما أن بحر أبى المنجبا
يعرف اليوم بالترعة الشرقية التى بمديرية القليوبية فترعة المصبصة تأخذ مياهها الآن من ترعة الشرقية
في شمال ناحية ميت حلقا بمركز قلوب . (١٠) بحر مردوس : سمى بهذا الاسم نسبة الى قرية
مردوس التى كانت واقعة على النيل فم هذا البحر وأندثرت وقد ورد اسمها في كتاب الصحفة السنية لابن =

وَتَمَّ عِمَارَةُ حَرَمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَمِلَ مِنْبَرَهُ ، وَجَعَلَ بِالضَرْحِ
النَّبَوِيِّ دِرَازِينًا ، وَذَهَبَ سَقُوفَهُ وَجَدَّدَهَا وَبَيَضَ حِيطَانَهُ ، وَجَدَّدَ الْبِيَارِستانَ
بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ ، وَنَقَلَ إِلَيْهِ سَائِرَ الْمُعَاجِينَ وَالْأَكْخَالَ وَالْأَشْرَبَةَ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ طَبِيبًا^(١)
[مِنَ الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ] .

وَجَدَّدَ فِي الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قُبَّتَهُ ، وَرَمَّ شَعْنَتَهُ وَأَصْلَحَ أَبْوَابَهُ [وَمِيضَاتِهِ]^(٢)
وَبَيَضَهُ وَزَادَ فِي رَاتِبِهِ . وَجَدَّدَ بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ مَا كَانَ قَدْ تَهْتَمَ مِنْ [قُبَّةِ]^(٣)
الصَّخْرَةِ ، وَجَدَّدَ قُبَّةَ السَّلْسَلَةِ وَزَحْرَفَهَا وَأَنْشَأَ بِهَا خَانًا لِلسَّبِيلِ ، نَقَلَ بَابَهُ مِنْ دِهْلِيزِ
كَانَ لِلْخُلَفَاءِ الْمَصْرِيِّينَ بِالْقَاهِرَةِ ، وَبَنَى بِهِ مَسْجِدًا وَطَاحُونًا وَقُرْآنًا وَبُسْتَانًا . وَبَنَى
عَلَى قَبْرِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قُبَّةً وَمَسْجِدًا ، وَهُوَ عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ قَبْلَ أَرِيحَا^(٤)
وَوَقَفَ عَلَيْهِ وَقَفًا . وَجَدَّدَ بِالكَرْكِ بُرْجَيْنِ كَانَا صَغِيرَيْنِ فَهَدَمَهُمَا وَغَيَّرَهُمَا . وَسَمَّ عِمَارَةَ^(٥)
مَشْهَدَ جَعْفَرِ الطَّيَّارِ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — وَوَقَفَ عَلَيْهِ وَقَفًا زِيَادَةً عَلَى وَقْفِهِ عَلَى
الزَّائِرِينَ لَهُ وَالْوَافِدِينَ عَلَيْهِ . وَعَمَّرَ جَسْرًا بِقَرْيَةِ دَامِيَّةٍ بِالْفُؤَرِ عَلَى نَهْرِ الشَّرِيعَةِ ،
وَوَقَفَ عَلَيْهِ وَقَفًا بِرَسْمِ مَا عَسَاهُ يَتَهَدَّمُ مِنْهُ . وَأَنْشَأَ جَسورًا كَثِيرَةً بِالْفُؤَرِ وَالسَّاحِلِ .

= الْجَمْعَانِ مَعَ قَرْيَةِ بَيْسُوسَ الَّتِي يَقَالُ لَهَا الْيَوْمَ بَاسُوسَ بِمَرْكَزِ قَلْبُوبَ . وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ دَقَاقٍ فِي تَحَابُّبِ الْإِنْتِصَارِ
ص ٤٧ ج ٥ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى قَلْبُوبَ أَنَّ هَذَا الْبَحْرَ كَانَ يَمُرُّ عَلَيْهَا . وَبِالْبَحْثِ تَبَيَّنَ أَنَّ هَذَا الْبَحْرَ قَدْ ائْتَرَوْلَ
يَبْقَى مِنْهُ إِلَّا تَرْعَةً صَغِيرَةً تَعْرِفُ بِتَرْعَةِ الزَّيْتُونِ تَأْخُذُ مِيَاهَهَا مِنْ تَرْعَةِ ابْنِ الْمَنْجَا الْخَارِجَةِ مِنَ النَّيْلِ بِأَرَاضِي
بَاسُوسَ بِمَرْكَزِ قَلْبُوبَ ثُمَّ تَسِيرُ إِلَى الشَّمَالِ حَيْثُ تَمُرُّ بِجَوَارِ سَكْنِ بَلَدَةِ قَلْبُوبَ مِنَ الْجَنَةِ الْغَرِيبَةِ .

(١) زِيَادَةُ عَنْ فَوَاتِ الْوَفَايَاتِ وَالذَّيْلُ عَلَى مَرَاةِ الزَّمَانِ .
(٢) زِيَادَةُ عَنْ فَوَاتِ الْوَفَايَاتِ وَالذَّيْلُ عَلَى مَرَاةِ الزَّمَانِ . (٣) أَرِيحَا ، وَقَدْ رَوَاهُ بَعْضُهُمْ
بِالْخَاءِ الْمَجْمُوعَةِ . وَهِيَ مَدِينَةُ الْجَبَّارِينَ فِي الْفُؤَرِ مِنْ أَرْضِ الْأُرْدُنِ بِالشَّامِ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ
يَوْمَ لِلْقَارِصِ فِي جِبَالِ صَعْبَةِ الْمَلِكِ (عَنْ مَعْيَمِ الْبِلْدَانِ لِيَا قُوتَ) . (٤) فِي الذَّيْلِ عَلَى مَرَاةِ
الزَّمَانِ وَفَوَاتِ الْوَفَايَاتِ : « فَهَدَمَهُمَا وَكَبَّرَهُمَا وَعَلَاهُمَا » . (٥) هُوَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ
ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الطَّيَّارِ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أَسْلَمَ قَدِيمًا وَآسَمَعَلَهُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى غَزْوَةِ مُؤْتَةَ ، وَهِيَ قَرْيَةٌ مِنْ فَرَى الْبَلْقَاءِ فِي حُدُودِ الشَّامِ وَقِيلَ فِي مَشَارَفِ
الشَّامِ ؛ اسْتَشْهَدَ بِهَا جَعْفَرُ الطَّيَّارِ وَبِهَا قَبْرُهُ (رَاجِعْ تَهْذِيبَ التَّهْذِيبِ وَمَعْيَمِ الْبِلْدَانِ لِيَا قُوتَ فِي الْكَلَامِ عَلَى مُؤْتَةَ) .

وأنشأ قلعة قاقون^(١) وبني بها جامعا ووقف عليه وقفا، وبني على طريقها حوضا للسبيل . وجدّد جامع مدينة الرملة ، وأصلح جامعاً لبنى أُمّية^(٢) ووقف عليه وقفا . وعدّة جوامع ومساجد بالساحل .

وجدّد باشورة لقلعة صفد وأنشأها بالمجر المرقلي^(٣)، وعمّر لها أبراجا وبدنات، وصنّع بقلات مصفحة دائر الباشورة بالمجر المنحوت، وأنشأ بالقلعة صهريحا كبيرا مدرجا من أربع جهاته ، وبني عليه برجا زائدا^(٤) [الارتفاع] ، قيل إن ارتفاعه مائة ذراع، وبني تحت البرج حماما، وصنّع الكنيسة جامعا وأنشأ رباطا ثانيا، وبني حماما ودارا لنائب السلطنة .

وكانت قلعة الصبيبة قد أحرها التتار، ولم يبقوا منها إلا الآثار فحدها، وأنشأ لحامعها منارة، وبني بها دارا لنائب السلطنة، وعمل جسرا يمشى عليه إلى القلعة .
وكان التتار قد هدموا شراريف قلعة دمشق، ورعّوس أبراجها، فحدّد ذلك كله، وبني فوق برج الزاوية المطّل على الميادين وسوق الخيل طارمة كبيرة، وجدّد منظرة على قائمة مستحّدة على البرج المجاور لباب النصر، وبيّض البحرة وجدّد دهان سقفوها : وبني حماما خارج باب النصر بدمشق ، وجدّد ثلاثة إسطبلات على الشرف الأعلى ، وبني القصر الأبلق بالميدان بدمشق وما حوله من العائز . وجدّد مشهد زين العابدين رضى الله عنه بجامع دمشق ، وأمر بتخيم الحائط الشالى،

(١) في الأصلين : « قاقون » . وفي فوات الوفيات « قاقون » وسياق كلام المؤلف يقتضى ما أثبتناه . وقاقون : حصن بفلسطين قرب الرملة ، وقيل هو من عمل قيسارية من ساحل الشام (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) في الأصلين غير واضح . وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان . (٣) في الأصلين : « وعمره » والسياق يقتضى ما أثبتناه . (٤) الزيادة عرب الذيل على مرآة الزمان .
(٥) في الأصلين : « وبني جامعا » . وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان وفوات الوفيات .

وتجديد باب البريد وفرشه بالبلاط . ^(١) ورَمَّ شَعَثَ مغارة الدم . وجدد المباني التي هدموها التتار من قلعة صرخد . وجدد قبر نوح عليه السلام بالكرك . وجدد أسوار حصن الأكراد ، وعمر قلعتها . وعمر جوامع ومساجد بالساحل يطول الشرح في ذكرها حذفها خوف الإطالة .

وُثِنَ في أيامه بالديار المصرية ما لم يُثِنَ في أيام الخلفاء المصريين ، ولا ملوك بني أيوب من الأبنية والرَّباع والخانات والقواسير والدُّور والمساجد والحمامات ، من قريب مسجد التَّين ^(٣) إلى أسوار القاهرة إلى الخليج وأرض الطَّيَّالَة ، ^(٤) واتَّصلت الهائم إلى باب المَقْصِم ^(٥) إلى اللوق ^(٦) إلى البُورْجِي ^(٧) ، ومن الشارع إلى الكَبْش ^(٨)

(١) باب البريد ، هو الباب الثاني لدمشق ، كما في نزهة الأنام في محاسن الشام (ص ٢١) .
(٢) في الأصلين : « قبة الدم » . وما أثبتناه من فوات الوفيات . ومغارة الدم : مغارة تزار حسنة في لحف الجبل الذي يعرف بجبل قاسيون . سميت بذلك لأن بها حجرا عليه نسي . كالدَّم ويَزعم أهل الشام أنه الحجر الذي قتل قابيل به هابيل (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٣) مسجد التين : ذكره المقرئ في (ص ٤١٣ ج ٢) من خطه أن هذا المسجد خارج القاهرة مما على الخندق قريبا من المطرية ، بنى في سنة ١٤٥ هـ وعرف بمسجد البر ومسجد الجزيرة . وفي زمن الدولة الإخشيدية عمره الأمير تير أحد الأمراء الأكابر في أيام الأستاذ كافر الإخشيدى فصرف بمسجد تير وتسميه العامة مسجد التين وهو خطأ . وأقول : إن هذا المسجد لا يزال قائما إلى اليوم باسم زاوية الشيخ محمد التيرى في وسط أرض زراعية تابعة لسراى القبة ، وفي الشمال الغربى لمحة حمامات القبة وبالقرب منها .
(٤) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٥) باب المقسم :

يستفاد مما ذكره المقرئ في آخر كلامه على المقسم (ص ١٢١ ج ٢) من خطه أن باب المقسم ويعرف بباب البحر كان واقعا بقسرية المقسم التي يقال لها المقسم في نهاية السور الشمالى لمدينة القاهرة من الجهة الغربية ، ويعرف هذا الباب اليوم بباب الحديد وينسب إليه ميدان باب الحديد الواقع بجوار ميدان محطة مصر ، ويتفرع منه شوارع : الملكة نازلى وإبراهيم باشا وفم باب البحر وكوكوت بك والقجالة ، وكان هذا الباب واقعا على مدخل شارع فم باب البحر من جهة الميدان المذكور .

(٦) اللوق ، لما تكلم المقرئ على اللوق في (ص ١١٧ ج ٢) من خطه قال : ويطلق اللوق في زماننا على المكان الذى يعرف اليوم بباب اللوق المجاور لجامع البلاط . وأقول : وغرض المؤلف أنه يشير إلى أن المباني في زمن الظاهر يبرس كانت امتدت خارج القاهرة الأصلية حتى وصلت إلى باب اللوق الذى مكانه اليوم مدخل سارع الصنافىرى تجاه جامع البلاط بميدان باب اللوق بقسم هايدن . (٧) راجع الحاشية رقم ٦ ص ١٩١ من هذا الجزء . (٨) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧٢ من هذا الجزء .

(١) وحدره آبن قُبِيحَة إلى تحت القلعة ومشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها إلى
السُّور القَرَأَوِشِيَّ (٢) . وكل ذلك من كثرة عدله وإنصافه للرعية والنظر في أمورهم
وإنصاف الضعيف من المستضعف والدُّبَّ عنهم من العدو المخذول رحمه الله
وعفا عنه .

- ذِكْرُ مَا كَانَ يَنُوبُ دَوْلَتَهُ مِنَ الْكُلْفِ — كانت عِدَّةُ الْعَسَاكِرِ بِالْدِيَارِ
الْمِصْرِيَّةِ أَيَّامَ الْمَلِكِ الْكَامِلِ مُحَمَّدٍ وَوَلَدِهِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ أَيُّوبَ عَشْرَةَ آلَافٍ فَارِسَ ،
فَضَاعِفَهَا أَرْبَعَةَ أَضْعَافٍ ؛ وَكَانَ أَوَّلُكَ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ الْعَشْرَةَ آلَافٍ مُقْتَصِدِينَ
فِي الْمَلْبُوسِ وَالنَّفَقَاتِ وَالْعُدَدِ ، وَهَؤُلَاءِ (أَعْنَى عَسْكَرَ الظَّاهِرِ الْأَرْبَعِينَ أَلْفًا) ، كَانُوا
بِالضَّدِّ مِنْ ذَلِكَ ؛ وَكَانَتْ كُلُّفٌ مَا يَلُودُ بِهِمْ مِنْ إِقْطَاعِهِمْ ، وَهَؤُلَاءِ كُلُّفُهُمْ عَلَى الْمَلِكِ
الظَّاهِرِ ؛ وَلِذَلِكَ تَضَاعَفَتْ الْكُلْفُ فِي أَيَّامِهِ . فَإِنَّهُ كَانَ يُصَرِّفُ فِي كُلِّفٍ مَطْبِخِ
أُسْتَاذِهِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ أَيُّوبَ أَلْفَ رَطْلٍ [لَحْمٍ] ^(٤) بِالْمِصْرِيِّ خَاصَّةً نَفْسَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ؛

- (١) فِي الْأَصْلَيْنِ : « حَوْضُ قُبِيحَة » . وَالتَّصْوِيبُ عَنِ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ ص ٤٣
وَيَسْتَفَادُ مِنْ ذِكْرِهِ الْقُرَيْزِيُّ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى الْخَطِّ الْقَائِمَةِ بِمَدِينَةِ مِصْرَ فِي (ص ٢٩٦ ج ١)
فِي كَلَامِهِ عَلَى تَحْدِيدِ الْجَمْعَاتِ ، وَمَا ذَكَرَهُ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى الْعَسْكَرِ فِي (ص ٣٠٤ ج ١) فَيَايَخْتَصُّ بِمَارِسْتَانِ
أَحْمَدُ بْنُ طُولُونٍ وَتَحْدِيدِ الْعَسْكَرِ وَالْقَطَاعِ ، وَمَا ذَكَرَهُ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى بَرَكَةِ قَارُونِ فِي (ص ١٦١ ج ٢)
أَقُولُ : يَسْتَفَادُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْحَدْرَةَ كَانَتْ وَاقِعَةً عَلَى الْحَافَةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْ جَبَلٍ يُشْكِرُ فِي الْجِهَةِ
الْجَنُوبِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْ قَلْعَةِ الْكَبِشِ . وَمَكَانُهَا الْيَوْمَ الْمَوْضِعُ الْمُنْتَحِدُ مِنْ تَلَوِّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ حَيْثُ يَزُولُونَ مِنْهَا
إِلَى خَطِّ الْبَغَالَةِ وَالْمَذْبَحِ فِي قَطْعَةٍ تَتَلَقَّى شَارِعَ الْعَسْكَرِ بِشَارِعِ أَمِيرِ الْجَيْشِ فِي مَنَاطِقِ التَّلَوِّ الْمَذْكُورَةِ بِقِسْمِ
السَّيْدَةِ زَيْنَبٍ بِالْقَاهِرَةِ . وَهَذِهِ الْمُنَاسِبَةُ أَذْكَرُ : أَوَّلًا أَنَّ صَاحِبَ الْخَطِّ التَّوْفِيقِيَّ لَمَّا تَكَلَّمَ عَلَى شَارِعِ قَلْعَةِ
الْكَبِشِ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي ص ١١٧ مِنْ خَطِّهِ قَالَ : إِنَّ حَدْرَةَ أَرْنَ قُبِيحَةَ هِيَ الْحَدْرَةُ الْوَاقِعَةُ فِي أَوَّلِ شَارِعِ
قَلْعَةِ الْكَبِشِ بِجَوَارِجَاعِ صَرِغْتَشٍ مِنَ الْجِهَةِ الْغَرْبِيَّةِ وَيَصْعَدُ مِنْهَا إِلَى قَلْعَةِ الْكَبِشِ ، ثَانِيًا أَنَّ مَصْلَحَةَ
التَّنْظِيمِ أَطْلَقَتْ اسْمَ هَذِهِ الْحَدْرَةِ عَلَى زَقَاقٍ فِي عَطْفَةِ الْعَتَاةِ بِشَارِعِ السَّيْدَةِ عَائِشَةَ جَنُوبِيَّ جَامِعِ الْبَرْدِيَّ
بِقِسْمِ الْخَلِيفَةِ . وَأَقُولُ : إِنَّ كَلَامَ الْوَضْعَيْنِ خَطَأً وَالصَّوَابُ مَا ذَكَرْتُهُ . (٢) رَاجِعِ الْحَاشِيَةَ رَقْمَ ٢
ص ٣٧٨ مِنَ الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ . (٣) رَاجِعِ ص ٤٩ مِنَ الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ .
(٤) زِيَادَةُ عَنْ ذَيْلِ مِرْآةِ الزَّمَانِ .

والمصرف في مطبخ الملك الظاهر عشرة آلاف رطل كل يوم عنها وعن توابلها
 عشرون ألف درهم نفقة^(١)، ويصرف في خزانة الكسوة في كل يوم عشرون ألف درهم،
 ويصرف في الكلف الطارئة المتعلقة بالرسل والوفود في كل يوم عشرون ألف درهم،
 ويصرف في عن قُرط دوابه ودواب من يلود به في كل سنة مائة ألف درهم،
 ويقوم بكلف الخيل والبغال والجمال والحُمير من العلوفات خمس عشرة ألف عليقة
 في اليوم، عنها ستمائة إردب^(٢)؛ وما كان يقوم به لمن أوجب نفقته وألزمها عليه
 تُطحن وتُحمل إلى المخازن المعدة لعمل الجرايات خلا ما يصرف على أبواب الرواتب
 في كل شهر عشرون ألف إردب؛ وذلك بالديار المصرية خاصة. وهذا خلاف^(٣)
 الطوارئ التي كانت تفد عليه فما يمكن حصرها. وكلف أسفاره وتجديد السلاح
 في كل قليل؛ وما كان عليه من الجوامك والجرايات لمالكه ولأرباب الخدم؛
 فكان ديوانه يفي بذلك كله؛ ويحمل لحاصله جملة كبيرة في السنة من الذهب.
 وكان سبب ذلك أنه رفع أيدي الأقباط من غالب تعلقاته فافتقر أكثرهم في أيامه؛
 وباشروا الصنائع كالنجارة والبناية؛ ولا زال أمرهم على ذلك حتى تراجع في أواخر
 الدولة الناصرية محمد بن قلاوون. انتهت ترجمة الملك الظاهر بيبرس، رحمه
 الله تعالى.

- (١) الدراهم النقرة: أصل موضوعها أن يكون ثلثاها من فضة وثلثها من نحاس، وتقطع بدور الضرب
 بالسكة السلطانية، ويكون منها دراهم صحاح وقراضات مكسرة والعبرة في وزنها بالدرهم وهو معتبر بأربعة
 وعشرين قيراطا وقد رست عشرة حبة من حب الخروب فتكون كل خروبتين ثمن درهم وهي أربع حبات
 من حب البر المعتدل (عن صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٣). (٢) في الأصلين: «في جراية»
 الكسوة. وما أشتباه عن فوات الوفيات والذيل على مرآة الزمان. (٣) عبارة فوات
 الوفيات: «ويصرف للخازن الجرايات»، خلا ما يصرف لأرباب المراتب لمصر خاصة كل شهر عشرون
 ألف إردب. (٤) عبارة الذيل على مرآة الزمان: «وأما الطوارئ التي كانت تطرأ عليه
 فما يمكن حصرها». (٥) في ذيل مرآة الزمان «الجامعات».

ونذكر بعض أحواله ، إن شاء الله تعالى ، في حوادث سنتيه كما هو عادة هذا الكتاب على سبيل الاختصار . وقد أطلت في ترجمته وهو مستحق لذلك ، لأنه فرع فاق أصله ، كونه كان من جملة مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب فزادت محاسنه عليه .

- وأما من يأتي بعده فلا سبيل إليه . ويعجبنى في هذا المعنى المقالة الثانية عشرة من قول الشيخ الإمام العالم العارف الرباني شرف الدين عبد المؤمن بن هبة الله الأصفهاني المعروف بشوزرة رحمه الله في كتابه الذي في اللغة وسماه « أطباق الذهب » يشتمل على مائة مقالة [وأثنتين] أحسن فيها غاية الإحسان ، وهي :

- « ليس الشريف من تطاول وتكاثر ، إنما الشريف من تطاول وآثر ؛ وليس المحسن من روى القرآن ، إنما المحسن من أروى الظمان ؛ وليس البرإانة الحروف بالإمالة والإشباع ، لكن البرإانة الملهوف بالإنالة والإشباع ؛ ولا خير في زكاة لا يسدى معروفًا ، ولا بركة في لينة لا تروى نروفًا ؛ فوا[ها] لك ، لمن تدحرموا لك ! أنفق ألقك ، قبل أن يقسم خلقك ؛ إن منازل الخلق سواسية ، إلا من له يد مؤسنة ؛ فارفعهم أنفعهم ، وأسودهم أجودهم ، وأفضلهم أذلهم ؛ وخير الناس من سقى ملوًا حًا ،

- (١) في الأصلين : « بشفورة » . وتصحيحه عن ترجمته بأول إحدى نسخ هذا الكتاب المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٩٠٩ أدب . وقد ضبط بالقلم في النسخة المذكورة (بالشين المعجمة والواو وسكوت الراء وفتح الواو الثانية ثم هاء) . (٢) في أطباق الذهب : « من تطاول وكثر بل الشريف ... الخ » . (٣) زكاة (كهزة) من يكثر إعطاء الزكاة . (٤) اللينة من الإبل والغنم : الغزيرة اللبن . (٥) في أطباق الذهب : « لا تشبع » . (٦) تكملة عن أطباق الذهب . (٧) الملواح : هنا العطشان .

- والبلاد بينهما مناصفة ، وصاحب الكرك والشوبك الملك المغيث ^(١) [فتح الدين عمر] ابن الملك العادل ابن الملك الكامل ابن الملك العادل بن أيوب ، وصاحب حماة الملك المنصور محمد الأيوبي ^(٢) ، وصاحب حمص وتدمر والرجبة الملك الأشرف مظفر الدين موسى ، وصاحب مراکش من بلاد المغرب أبو حفص عمر الملقب بالمرتضى ، وصاحب تونس أبو عبد الله محمد بن أبي زكريا ، وصاحب آيمن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر التركماني ^(٣) من بني رسول .

وفيها كانت كسرة التتار على حمص ، وقد تقدم ذكر ذلك .

- وفيها ملك السلطان الملك الظاهر دمشق وأخرج منها علم الدين سنجار الحلبي ، وولى نيابتها الأمير علاء الدين أيديكين البندقداري ، أستاذ الملك الظاهر بيبرس هذا ، الذي أخذه الملك الصالح نجم الدين أيوب منه ، حسب ما ذكرنا ذلك أول ترجمة الملك الظاهر .

وفيها وصل الخليفة المستنصر بالله إلى القاهرة وبُيع بالخلافة ، وسافر ضجة الملك الظاهر إلى الشام ، ثم فارقه وتوجه إلى العراق فقتل ، وقد مر ذكر ذلك كله أيضا .

- وفيها توفي الملك الصالح نور الدين إسماعيل ابن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن محمد بن أسد الدين شيركوه الكبير ، كان الملك الصالح هذا صاحب حمص

(١) الزيادة عن عقد الجمان . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٧ من هذا الجزء .

(٣) هو صاحب المغرب المرتضى أبو حفص عمر بن إبراهيم بن يوسف بن حفص القيسي المؤمى ، ولي الملك بعد عمه المتنضد . توفي سنة ٦٦٥ هـ (عن المنهل الصافي وشذرات الذهب) .

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن عمر الأمير المستنصر بالله المقتدى البربري الموحدي المغربي صاحب تونس . توفي سنة ٦٧٥ هـ (عن المنهل الصافي وشذرات الذهب) .

(٥) هو السلطان الملك المظفر شمس الدين أبو المحاسن يوسف ابن السلطان الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٩٤ هـ .

ملكها بعد موت أبيه ، وكان له اختصاص كبير بابن عمه الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب والشام ، وكان الصالح هذا يُدَارِي التَّارَ وَلَا يُشَاقِقُهُمْ ، وآخر الأمر أنه قُتِلَ في وقعة هولاكو بيد التَّارِ رحمه الله تعالى لما توجَّه إليهم بحجة الملك الناصر صلاح الدين يوسف المذكور ، وكان عنده حَزْمٌ وشجاعة .
 وفيها تُوِّفِيَ الشيخ الأديب الفقيه مُخْلِص الدين إسماعيل بن عمر^(١) [بن يوسف] ابن قُرَآنِص الحمويّ الشاعر المشهور ، كان فصيحاً شاعراً من بيت علم وأدب . ومن شعره رحمه الله تعالى :

أَمَّا وَاللهِ لَوْ شَقَّتْ قُلُوبٌ * لَيُعْلَمَ مَا بَهَا مِنْ قَرُوطٍ حُجِّي
 لِأَرْضَاكَ الَّذِي لَكَ فِي فَوَادِي * وَأَرْضَانِي رِضَاكَ بِشَقِّ قَلْبِي

وفيها تُوِّفِيَ الملك السعيد إِبِلْغَازِي نعيم الدين [ابن أبي الفتح أَرْتُقِي بن إِبِلْغَازِي ابن أَلِي بن تَمِرْشَاش بن إِبِلْغَازِي] الأَرْتُقِي صاحب مارِدين ، مات في سادس صفر ، وقيل في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين .

وفيها تُوِّفِيَ الشيخ الإمام الواعظ المحدث أبو عمرو عثمان بن مَكِّي بن عثمان السَّعْدِيّ الشَّارِعِيّ الشَّافِعِيّ ، سَمِعَ الكثير وأَعْنَى به والده فأَسَمِعَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَغَيْرِهِ ، وكان يُنْشِدُ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ :

إَصْبِرْ لِدَهْرِ نَالٍ مِنْكَ فَهَكَذَا مَضَتْ الدُّهُورُ
 فَارْحَ وَحُزْنُ مَرَّةٍ * لَا الْحُزْنَ دَامَ وَلَا الشُّرُورُ

وفيها تُوِّفِيَ الأديب الفاضل نور الدين أبو الحسن عليّ بن يوسف بن أبي المكارم عبد الله الأنصاريّ المِصْرِيّ المعروف بِالْعِطَّارِ ، كان شاعراً فاضلاً ، مات قبل الأربعين سنة من عُمره . ومن شعره مُلْفِزاً فِي كَوْزِ الزَّرِيرِ :

(١) التكلة عن السلوك (ص ٤٦٦) . (٢) الزيادة عن المنهل الصافي .

وَذِي أَذْنٍ بَلَا سَمْعٍ * لَهُ قَلْبٌ ^(١) بَلَا لُبٍّ
مَدَى الْأَيَّامِ فِي خَفِيضٍ * وَفِي رَفَعٍ وَفِي نَصَبٍ
إِذَا أَسْتَوَى عَلَى الْحُبِّ * فَقُلْ مَا شِئْتَ فِي الصَّبِّ ^(٢)

- وفيهما كانت مقتلة السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ، وكُتِبَتْهُ
أبو المظفر، ابن السلطان الملك العزيز محمد ابن السلطان الملك الظاهر غازي
ابن السلطان صلاح الدين يوسف ابن الأمير نجم الدين أيوب الأيوبي الحلبي، وكان
صاحب حلب ثم صاحب الشام. وُلِدَ بقلعة حلب في شهر رمضان سنة سبع وعشرين
وسماتة ، وسلطنوه عند موت أبيه سنة أربع وثلاثين ، وقام بتدبير مملكته الأمير
شمس الدين لؤلؤ الأُميني ، وعز الدين بن المحلى ، والوزير الأكرم جمال الدين
القَفْطِي ، والطواشي جمال الدولة إقبال الخاتوني ، والأمر كله راجع لأُم [أبيه] ^(٣)
١٠ الصاحبة صفية خاتون بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب . وماتت سنة أربعين
واستقل الملك الناصر هذا وأمر ونهى . ووقع للملك الناصر هذا أمور وقائع ^(٤)
ويحمن ، وهو الذي كان الملك الظاهر بيبرس لما خرج من مصر في نوبة البحرية
توجه إليه وصار في خدمته . وقد مر ذكره في مواطن كثيرة من هذا الكتاب ،
من قدومه نحو القاهرة في جفلة التتار ، ورجوعه من قَطِيعة ^(٥) إلى البلاد الشامية ،
١٥ وغير ذلك ، ثم آل أمره إلى أن توجه إلى ملك التتار هولاكو وتوجه معه أخوه

(١) رواية عيون التواريخ وشذرات الذهب : * له جسم بلا قلب * .

(٢) في الأصلين : * فقل ما شئت في الحب * وما أثبتناه عن عيون التواريخ وشذرات الذهب .

(٣) في المهمل الصافي : « عز الدين ابن المهمل » بالجم . (٤) هو الوزير الأكرم جمال الدين

٢٠ على بن يوسف الشيباني القفطي ، وراجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٦١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٥) التكلة عن عيون التواريخ وشذرات الذهب والمهمل الصافي .

(٦) في الأصلين : « بعد أن أشنت ولدها الملك ... الخ » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ

(٧) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧٧ من هذا الجزء .

الملك الظاهر سيف الدين غازي ، وكان رُتِّحَ لُتْكَ ، والملك الصالح نور الدين إسماعيل صاحب حصن المقدم ذكره في هذه السنة ؛ ولما وصل الملك الناصر إلى هولاكو أحسن إليه وأكرمه إلى أن بلغه كُسرُهُ عَيْنَ جالوت غَضِبَ عليه وأمر بقتله ، فاعتذر إليه فأُمسك عن قتله ، لكن أعرض عنه ، فلما بلغه كُسرُهُ بَيْدْرًا ^(١) على حصن قتلَه وقَتَلَ أخاه سيف الدين غازيَا المذكور ، وقَتَلَ الملك الصالح نور الدين صاحب حصن وجميع من كان معه سوى ولده الملك العزيز . وكان الملك الناصر مَلِيحَ الشكل إلا أنه كان أحول ؛ وكان عنده فصاحةٌ ومعرفةٌ بالأدب ، وكان كريمًا عاقلاً فاضلاً جليلاً متجملًا في ممالكه وملبسه ومركبه ، وكان فصيحًا شاعرًا لطيفًا . قال ابن العديم : ^(٢) أنشدني نفسه . (يعني الملك الناصر هذا) .

١٠ البدر ينجح للغروب ومهجتي * لفراقٍ مشبهٍ أنى تنقطعُ
والشربُ قد خاط النعاسُ جفونهم * والصبحُ من جلبابه يتطلعُ

قال وأنشدني لنفسه رحمه الله تعالى :

اليومُ يومُ الأربعا * فيه يطيب المرتقى
يا صاحبي أما ترى * شمل المني قد جمعا
وقد حوى مجلسنا * جل السرور أجمعا
فقم بنا نشربها * ثلاثة وأربعا

(١) هو بيدرا مقدم التار من قبل هولاكو ، وهو الذي وقعت بينه وبين الأمير حسام الدين الجوكندار مقدم عساكر حلب والملك المنصور صاحب حماة والملك الأشرف صاحب حصن موقعة عظيمة انهزم التار فيها وهرب بيدرا إلى هولاكو بحجة وصغار (عن المنهل الصافي) . (٢) في الأصلين هنا : « سيف الدين على » . وما أئبناه عن شذرات الذهب والمنهل وما تقدم ذكره للؤلؤف قريبا وهو الملك الظاهر سيف الدين غازي ابن الملك العزيز محمد بن غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب .
(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٢ من هذا الجزء .

من كَفَّ ساقٍ أَهِيْفَ * شَيْبِهِ بِدِرٍ طَلَعَا

فِي خَدِّهِ وَتَغْيِرِهِ * وَرَدُّ وَدَرٍ صُنِعَا

يَسْطُو وَيَرْنُو نَارَةً * وَاللَيْثُ وَالظُّبْيُ مَعَا

وله لما مَرَّتْ به التَّارُ على حَلْبٍ ، وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُروَشِهَا وَقَدْ تَهَدَّمَتْ

والتَّيْرَانِ بِهَا تَعْمَلُ ، فَقَالَ :

يَعُزُّ عَلَيْنَا أَنْ نَرَى رَبَّكُمْ بَيْلَ * وَكَانَتْ بِهِ آيَاتٌ حُسْنِكُمْ تُنَلَّى

وله يَشْتَأِقُ إِلَى حَلْبٍ وَمَنَازِلَهَا :

سَقَى حَلَبَ الشَّهْبَاءِ فِي كُلِّ لَزْمَةٍ * سَحَابَةٌ غِيثٌ نَوَّهَهَا لَيْسَ يُقْلَعُ^(١)

فَنَلَّكَ دِيَارِي لَا الْعَقِيْقُ وَلَا الْغَضَا * وَتَلَّكَ رُبُوعِي لَا زَرُودٌ وَلَعْلَعُ

قلت : وقد ذكرنا من محاسنه وفضله نبذة كبيرة في تاريخنا « المنهل الصافي » ،

والمُسْتَوْفَى بعد الوافي » إذ هو كتاب تراجم يحسن التطويل فيه . انتهى .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها تُوُفِّيَ الجلال عثمان بن مكي

ابن السَّعْدِيِّ الشَّارِعِيِّ الواعظ في شهر ربيع الآخر ، وله خمس وسبعون سنة .

وأبو الحسن محمد بن الأنجب بن أبي عبد الله الصوفي في رجب ، وله ثلاث وثمانون^(٢)

سنة . وحافظ المغرب أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيِّد

الناس البَغْمَرِيُّ بَتُونِس في رجب ، وله واحد وستون عاما . وكمال الدين أبو حامد

محمد ابن القاضي صدر الدين عبد الملك بن عيسى بن دُرْبَاس الصدر العدل في شوال ،

وله اثنتان وثمانون سنة . وصاحب الشام الملك الناصر يوسف بن العزيز قُتِلَ صَبْرًا ،

(١) رواية هذا البيت في الأصلين والمنهل الصافي :

سقى حلب الشهباء في كل لزمة * سحابة غيث نوهها ليس يطلع

٢٠

وما أئبناه عن عيون التواريخ .

(٢) في الأصلين غير ظاهر . وما أئبناه عن شذرات الذهب وشرح القصيدة اللامية في التاريخ .

وله اثنتان وثلاثون سنة ، وقُتِلَ معه شقيقه الملك الظاهر غَازِي ، والملك الصالح إسماعيل ابن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حمص . وتُوفِي بِصِهْيُون صاحبها مظفر الدين عثمان بن منكورس في شهر ربيع الأول عن سنِّ عالية ؛ تملك بعد أبيه ثلاثاً وثلاثين سنة ، وولى بعد أبيه محمد .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث عشرة إصبعا .



السنة الثانية من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر ، وهي سنة ستين وستائة .

فيها استولى الملك الظاهر بيبرس صاحب الترجمة على دِمَشْق وبَعْلَبَك والصُّبَيْيَّة وحلب وأعمالها خلا البيرة .

وفيها استولى التتار على الموصل ، وقتلوا الملك الصالح صاحبها الذي كان خرج مع الخليفة المستنصر من ديار مصر ؛ على ما يأتي ذكرهما في محله من هذه السنة .

وفيها توفِّيَ الخليفة أمير المؤمنين المستنصر بالله أبو القاسم أحمد ابن الخليفة الظاهر بأمر الله محمد ابن الناصر لدين الله أحمد ، الذي بُويع بالقاهرة بالخلافة بعد مُشْغُور الخلافة نحو ستين ونصف ، وخرج الملك الظاهر بيبرس معه إلى البلاد الشامية ، وقد مرَّ ذكرُ قدومه القاهرة وبيعته وسفّره وقُتْلِهِ ورفْعُ نسبه إلى العباس رضي الله عنه في ترجمة الملك الظاهر هذا ، ولا حاجة للإعادة ؛ ومنَّ أراد ذلك فليُنظره هناك .

(١) في الأصلين : « ثلاثا وعشرين سنة » . وما أئبناه عن شذرات الذهب وما يفهم من عبارة

المنهل الصافي .

وفيه قُتِلَ الملك الصالح إسماعيل ابن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل .
وقد ذكرنا وقُودَه على الملك ونروجه مع أخيه والخليفة المستنصر بالله المقدم ذكره ،
فلا حاجة لذكره هنا ثانياً ، قُتِلَ بأيدي التتار في ذى القعدة ، وكان عارفاً عادلاً
حسن السيرة .

وفيه تُوُفِيَ الأمير سيف الدين بَلْبَانَ الزردكاش ، كان من أعيان أمراء دِمَشْقَ ،
وكان الأمير طَيْرَسُ الوزيرى نائبُ الشام إذا خرج من الشام آستنابه عليها ، وكان
دِينًا خَيْرًا . مات بدمشق في ذى الحجة .

وفيه تُوُفِيَ الحسن بن محمد بن أحمد بن نجا الشيخ الأديب أبو محمد الغنوي
النصبي الشافعي الإزيلي المنشأ الصيرير الملقب بالعز . قال صاحب الذيل على مرآة
الزمان : المشهور بعدم الدين والزندقة . كان فاضلاً في العربية والنحو والأدب
وعلوم الأوائل ، منقطعاً في منزله يتردد إليه من يقرأ عليه تلك العلوم ، وكان يتردد إليه
جماعة من المسلمين واليهود والنصارى والسامرة يقرئ الجميع ، قال : وكان يفسد
عنه من الأقوال ما يُشعر بتحلال عقيدته . ومات في شهر ربيع الآخر بدمشق . ومن
شعره قوله :

١٥ تَوْهَمَ وَاشِينَا بَلِيلَ مَزَارِهِ * فَهَمَ لَيْسَى بَيْنَنَا بِالتَّبَاعِدِ
فَعَانَقْتُهُ حَتَّى اتَّخَذْنَا تَعَانُقًا * [فَلَمَّا] أَنَا مَا رَأَى غَيْرَ وَاحِدِ
قال الشهاب محمود : وَلَمَّا أَتَشَدْتُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ يَعْنِي قَوْلَ الْعِزِّ .
* تَوْهَمَ وَاشِينَا بَلِيلَ مَزَارِهِ *

(١) هو بلبان بن عبد الله الأمير سيف الدين كان من أمراء أعيان دمشق (عن المنهل الصافي) .
(٢) هو طيرس بن عبد الله الوزيرى الأمير الكبير الحاج علاء الدين صهر الملك الظاهر بيبرس .
سيدكره المؤلف في حوادث سنة ٥٦٨٩ هـ . (٣) تكملة عن عيون التواريخ وشذرات الذهب
والمنهل الصافي . (٤) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٥٩ من هذا الجزء .

بين يدي الملك الناصر صلاح الدين صاحب دِمَشْق قال : لَا تَلْمُهُ فُلَانَهُ لِزِمِهِ
لِزَوْمِ أَغْمَى ؛ فَلَمَّا بَلَغَ الْعِزَّ قَوْلُ الْمَلِكِ النَّاصِرِ ؛ قَالَ : وَاللَّهِ هَذَا الْبِكْلَامُ أَحْلَى مِنْ شِعْرِي .

وفيهَا تُوْفِّي الشَّيْخَ الْإِمَامَ الْعَلَمَةَ شَيْخَ الْإِسْلَامِ عِزَّ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدَ الْعَزِيزِ
أَبْنِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُهَذَّبِ السَّلْمِيِّ الدَّمَشْقِيِّ
الشَّافِعِيِّ الْمَعْرُوفِ بِأَبْنِ عَبْدِ السَّلَامِ . مولده سنة سبع أو ثمانٍ وسبعين وخمسمائة .
قال الذهبي : وتفقه على الإمام نَحْرَ الدِّينِ آبنِ عَسَاكِرَ ، وقرأ الأصول والعريضة ،
ودرس وأفتى وصنّف وبرّع في المذهب وبلغ رتبة الاجتهاد ، وقصّده الطلبة من
الآفاق وتخرج به أئمة ، وله التصانيف المفيدة والفتاوى السديدة ، وكان إماما
ناسكا عابدا ، وتولّى قضاء مصر القديمة مدة ، ودرس بعدة بلاد . ومات في عاشر
بُحَادَى الْأَوَّلَى .

وفيهَا تُوْفِّي الشَّيْخَ الْإِمَامَ الْوَاعِظَ عِزَّ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدَ الْعَزِيزِ آبنِ الشَّيْخِ
الْإِمَامِ الْعَلَمَةِ أَبِي الْمَظْفَرِ شَمْسِ الدِّينِ يَوْسُفَ بْنِ قَزَاوُغْلِي الدَّمَشْقِيِّ الْحَنَفِيِّ هُوَ آبنِ
صَاحِبِ مِرْآةِ الزَّمَانِ . كَانَ عِزَّ الدِّينِ فَقِيهًا وَعَظَا فَصِيحًا مُفْتَنًا دَرَسَ بَعْدَ أَبِيهِ
فِي الْمَدْرَسَةِ الْمُعْزِيَّةِ وَعَظَّ وَكَانَ لَوْعْظُهُ مَوْقِعٌ فِي الْقُلُوبِ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِدِمَشْقَ
فِي شَوَالٍ وَدُفِنَ عِنْدَ أَبِيهِ بِسَفْحِ قَاسِيُونِ .

وفيهَا تُوْفِّي الْإِمَامَ الْعَلَمَةَ كَمَالَ الدِّينِ أَبُو الْقَاسِمِ عَمْرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ
أَبْنِ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ زُهَيْرٍ بْنِ هَارُونَ بْنِ مُوَحَّى بْنِ عِيْسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

(١) عبارة عيون التواريخ وشذرات الذهب : « قال صاحب كمال الدين بن العديم : لما سمع هذين
اليتين ، قال : سكة سكة أعمى » . (٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله
ابن عبد الله بن الحسين بن الإمام الحق نحر الدين أبو منصور الدمشقي الشافعي المعروف بابن عساكر شيخ
الشافعية بالنام . تقدمت وفاته سنة ٦٢٠ هـ . وفي الأصلين : « نحر الدين بن شاكر » والتصحيح من
المثل الصافي وشذرات الذهب .

- أن محمد بن أبي جرادة عامر بن ربيعة بن خويلد بن عوف بن عامر بن عقيل
العُقَيْلِيّ الحُلْبِيّ الفقيه الحنفي الكاتب المعروف بأبن العَدِيم ، ورفع نسبه بعض
المؤرخين إلى غِيْلَان . مولده بجلب في العشر الأول من ذى الحجة سنة ست وثمانين
ونعمسمائة ، وسمع الحديث من أبيه وعمه أبي غانم محمد ومن غيرهما ، وحدث بالكثير
في بلاد متعددة ، ودرس وأفتى وصنف ، وكان إماما عالما فاضلا مُفْتَنًا في علوم
كثيرة ، وهو أحد الرؤساء المشهورين والعلماء المذكورين . وأما خطّه ففى غاية
الحسن يُضاهي أبَن البَوَّاب^(١) الكاتب ؛ وقيل : إنّه هو الذى اخترع قلم الحواشى ،
وعرض بهذا في شعره القَيْسَرَانِيّ رحمه الله تعالى بقوله :

بوجه معدّبي آياتُ حسني * فقل ماشئت فيه ولا تُحاشي

ونسخة حسنه قرئت وصحت * وهاخطُ الكمال على الحواشي

وجمع حلب تاريخا كبيرا في غاية الحسن ، ومات وبعضه مسودة .

- قلت : وذيل طيه القاضي علاء الدين على^(٢) - ابن خطيب الناصرية قاضي قضاة
الشافعية بجلب ذبلا^(٣) إلا أنه قصير إلى الرُّكْبَة ، وقفت عليه فلم أجده جال حول الجُمَى ،
ولا سلك فيه مسلك المذيل عليه من الشروط ، إلا أنه أخذ لم التاريخ بقوة
الفقه ، على أنه كان من الفضلاء العلماء ولكنه ليس من خيل هذا الميدان ، وكان
يقال في الأمثال : مَنْ مُدِح بما ليس فيه فقد تمزض للضحكة . انتهى .

(١) هو محمد بن هبة بن محمد بن هبة الله بن أبي جرادة أبو غانم . توفي سنة ٦٢٨ هـ (من الجواهر

المضية في طبقات الحنفية) . (٢) ابن البواب هو علي بن هلال الإمام الأستاذ أبو الحسن صاحب

الخط المنسوب المعروف بأبن البواب . ويقال خط منسوب : ذوقاهدة . تفتت رقاه سنة ٤١٣ هـ .

(٣) هو قاضي قضاة حلب علاء الدين علي بن محمد بن سعد بن محمد بن علي بن عثمان الحلبي الشافعي .

سذكره المؤلف في حوادث سنة ٨٤٣ هـ . (٤) هو « المنتخب في تاريخ حلب » في أربعة

مجلدات ، كما في المنهل الصافي .

ومحسن ابن العديم كثيرة وعلومه غزيرة، وهم يث علم ورياسة وعزاقة .
يأتى ذكر جماعة من ذريته وأقاربه فى هذا الكتاب إن شاء الله تعالى . ومن شعر
الصاحب كمال الدين المذكور مما كتبه على ديوان الشيخ أيدمر مولى وزير
الجزيرة، وهو :

وكنْتُ أَظُنُّ التَّرِكَ تَخْتَصُّ أَعْيُنَ * لَمْ يَنْ رَنَتْ بِالسَّحَرِ مِنْهَا وَأَجْفَانُ
إِلَى أَنْ أَتَانِى مِنْ بَدِيعِ قَرِيضِهِمْ * قَوَافِى مِى السَّحَرِ الْحَلَالُ وَدِيَوَانُ
فَاقْبَنْتُ أَنَّ السَّحَرَ أَجْمَعَهُ لَمْ ^(٢) * يُقَرُّ لَمْ هَارَوْتُ فِيهِ وَتَحَبَّانُ
ومن شعره أيضا رحمه الله وأجاد فيه إلى الغاية :

فَوَاعَجِبَا مِنْ رِيْقِهَا وَهُوَ طَاهِرٌ * حَلَالٌ وَقَدْ أَمْسَى عَلَى مُحَرَّمَا
هُوَ الْخَمْرُ لَكِنْ أَيْنَ لِلْخَمْرِ طَعْمُهُ * وَلَذَّتْهُ مَعَ أَتْنِى لَمْ أَذُقْهُمَا

الذين ذكر الذهبى وفاتهم فى هذه السنة ، قال . وفيها توفى العلامة عز الدين
عبد العزيز بن عبد السلام السلمى - الدمشقى بالقاهرة فى جمادى الأولى عن ثلاث
وثمانين سنة . والصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن العديم العقلى - بعد
ابن عبد السلام بأيام ، وكان له أئنتان وسبعون سنة . ونقيب الأشراف بهاء الدين
على بن محمد بن إبراهيم بن أبى الجحْ الحُسَيْنِ - فى رجب عن إحدى وثمانين سنة .
وضياء الدين عيسى بن سليمان التَّغَلَبِ - فى رمضان ، وله تسعون سنة . وأسقُشيد
فى المصافق المستنصر بالله أحمد ابن الظاهر محمد ابن الناصر فى أوائل المحرم بالعراق ،

(١) هو علم الدين أيدمر بن عبد الله المحيوى نغر الترك عتيق محيى الدين محمد بن محمد بن سعيد بن ندى
(عن فوات الوفيات) . (٢) كذا فى عيون التواريخ وتاريخ الدول والملوك . وفى الأصلين :
فأقبنت أن السحر راجعة لَمْ * يقر لهم هاروت فيها وتَحَبَّان
(٣) فى الأصلين : « ابن أبى الحسن » . وتصحيحه عن شذرات الذهب والذيل على الروضتين .

وتفتق جمعه . وقَتَلَت التَّارُ في ذى القعدة الملك الصالح ركن الدين إسماعيل بن لؤلؤ صاحب الموصِل بعد الأمان . وفي شهر ربيع الآخر العزّ الضرير الفيلسوف حسن ابن محمد بن أحمد الإريلى ، وله أربع وسبعون سنة .

§ أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم ست أذرع وسبع أصابع . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا سواء .

* *

السنة الثالثة من ولاية السلطان الملك الظاهر بيبرس على مصر ، وهى سنة إحدى وستين وستمائة .

فيها بايع السلطان الملك الظاهر بيبرس المذكور الخليفة الحاكم بأمر الله أبا العباس أحمد ابن الأمير أبي عليّ الحسن ؛ وقيل : ابن محمد بن الحسن بن عليّ القميّ ١٠ ابن الخليفة الراشد ، وهو التاسع والثلاثون من خلفاء بني العباس ، وهو أول خليفة من بني العباس سكن بمصر ومات بها ؛ وبويع يوم الخميس تاسع المحرم من سنة إحدى وستين وستمائة ، وكان وصوله إلى الديار المصرية في السنة الحالية .

وفيها هلك ريّدا فرنس^(١) ، وأسمه بواش المعروف بالفرنسيس ملك الفرنج الذى كان ملك دِمياط في دولة الملك الصالح أيوب .

وفيها توفى المحدث الفاضل عزّ الدين أبو محمد عبد الرزاق [بن رزق الله^(٢) ابن أبي بكر بن خلف الرسني^(٣)] ، كان إماما فاضلا شاعرا محدثا . ومن شعره :

[و] لو أنّ إنسانا يُبلِّغُ لَوْعَتِي * وشوقي وأشجاني إلى ذلك الرّشا^(٤)

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤٩ من هذا الجزء . (٢) التكلة عن شذرات الذهب ويعيون

التواريخ والسلوك . (٣) الرسني : نسبة إلى رأس عين . وفي الأصلين : « الرسني » بالعين

المعجمة وهو صحيف . (٤) التكلة عن عيون التواريخ .

لأُسْكُتْهُ عَنِّي وَلَمْ أَرْضَها لَهُ * فَلَوْلَا لَمِيبَ الْقَلْبِ أَسْكُتْهُ الْحَشَا
 وَفِيهَا تُؤَوَّى الْأَمِيرُ بِحَيْرِ الدِّينِ أَبُو الْهَيْجَاءِ [بَن] عَيْسَى الْأَزْكَيَّيْنِ الْكُرْدِيَّيْنِ
 الْأُمَوِيِّ، كَانَ عَنْ أَعْيَانِ الْأَمْرَاءِ وَتُجَعَّاتِهِمْ، وَلَمَّا وَلِيَ الْمَلِكُ الْمَظْفَرُ قُطْرُ السُّلْطَانَةِ،
 وَوَلَّى الْأَمِيرُ عِلْمَ الدِّينِ سَنَجَرَ الْحُلِيِّ نِيَابَةَ الشَّامِ جَعَلَهُ مَشَارِكًا لَهُ فِي الرَّأْيِ وَالتَّدْوِيرِ
 فِي نِيَابَةِ الشَّامِ، وَكَانَ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ مُوسَى بْنُ الْعَادِلِ يَبْجَتُهُ مَدَّةً لِأَمْرِ أَقْضَى
 ذَلِكَ . فَلَمَّا كَانَ فِي السَّجْنِ كَتَبَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ يَقُولُ :

يَا أَحْمَدُ مَا زِلْتَ عِمَادَ الدِّينِ * يَا أَشْجَعَ مَنْ أَمْسَكَ رَحْمًا يَمِينِ
 لَا تَبْتَئِسْ إِنْ حَصَلَتْ فِي بَعْضِهِمْ * هَا يَوْسُفُ قَدْ أَقَامَ فِي السَّجْنِ سِنِينَ
 وَكَانَ مَوْلَدُهُ بِمِصْرَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ؛ وَمَاتَ فِي جُمَادَى الْأُولَى بِمَدِينَةِ
 أَرْدَبِلِ .

الَّذِينَ ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ وَفَاتِهِمْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، قَالَ : وَفِيهَا تُؤَوَّى عَبْدُ الْغَنِيِّ بْنُ سُلَيْمَانَ
 أَبْنُ بَيْنِ الْبَنَانِيِّ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَلَهُ سِتٌّ وَثَمَانُونَ سَنَةً، وَهُوَ آخِرُ مَنْ رَوَى
 عَنْ عُمَرَ . وَالْعَلَّامَةُ عِلْمُ الدِّينِ الْقَاسِمُ بْنُ أَحْمَدَ الْأَنْدَلُسِيِّ فِي رَجَبٍ بِدَمَشْقَ، وَلَهُ سِتٌّ
 وَثَمَانُونَ سَنَةً . وَالْإِمَامُ تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ مُرْهَفٍ النَّاشِرِيُّ الْمِصْرِيُّ
 الْمَقْرِيُّ فِي شَعْبَانَ، وَلَهُ إِحْدَى وَثَمَانُونَ سَنَةً . وَالْإِمَامُ كَالُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ شُجَاعٍ
 ابْنُ سَالِمٍ الْعَبَّاسِيُّ الضَّرِيرِيُّ فِي ذِي الْحِجَّةِ، وَلَهُ تِسْعُونَ سَنَةً إِلَّا شَهْرًا .

- (١) فِي الْأَصْلَيْنِ : « مَجْدُ الدِّينِ » . وَتَصْحِيحُهُ عَنِ السُّلُوكِ وَالذَّيْلِ عَلَى الرَّوْثَيْنِ وَعَقْدُ الْجَمَانِ .
 (٢) التَّكْلُفُ عَنِ السُّلُوكِ وَعَقْدُ الْجَمَانِ وَأَبْنُ كَثِيرٍ . (٣) فِي عَقْدِ الْجَمَانِ وَالذَّيْلِ عَلَى الرَّوْثَيْنِ :
 « وَأَبُوهُ الْأَمِيرُ حَسَامُ الدِّينِ مَاتَ مَحْبُوسًا مَعَ عِمَادِ الدِّينِ أَبْنِ الْمَشْطُوبِ فِي الْبَلَادِ الشَّرْقِيَّةِ الَّتِي لَا شَرْفَ » .
 (٤) كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ . وَفِي حَسَنِ الْمُخَاضِرَةِ لِلْسُّيُوطِيِّ (ج ١ ص ٢١٥) وَشُعَلَرَاتِ الذَّهَبِ :
 « وَبِمِصْرَ مِنْ شَعِيرِ الْخَنْبَلِيِّ فَكَانَ آخِرَ أَصْحَابِهِ » . (٥) فِي الْأَصْلَيْنِ : « النَّاشِرِيُّ » وَتَصْحِيحُهُ عَنْ نَائِيَةِ
 النِّهَايَةِ وَشُعَلَرَاتِ الذَّهَبِ . وَالنَّاشِرِيُّ : نِسْبَةٌ إِلَى نَاشِرَةٍ، جَدُّهُ .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وسبع أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث عشرة إصبعا .



السنة الرابعة من ولاية السلطان الملك الظاهر بيبرس على مصر، وهي سنة اثنتين وستين وستمائة .

فيها آتته عمارة مدرسة السلطان الملك الظاهر بيبرس بين القصرين من القاهرة . وقد تقدم ذكرها في ترجمته .

وفيها استدعى الملك الظاهر الأمير علاء الدين أيديكين البندقداري إلى القاهرة؛ وأمره أن يجعل نائبه بحلب بعد خروجه الأمير نور الدين على بن مجمل ففعل ذلك، وقدم القاهرة؛ فلما وصل إليها عزله وأقام نور الدين عوضه في نيابة حلب . وقد تقدم أن علاء الدين أيديكين هو أستاذ الملك الظاهر بيبرس الذي اشتراه منه الملك الصالح نجم الدين أيوب .

وفيها كان الغلاء بديار مصر فبلغ الإردب القمح مائة درهم وخمسة دراهم نُقْرَة^(٢)، والشعير سبعين درهما الإردب، وثلاثة أرطال خبز بالمصرى بدرهم نُقْرَة، ورطل اللحم بالمصرى وهو مائة وأربعة وأربعون درهما بدرهم^(٣)؛ وكان هذا الغلاء عظيما بديار مصر . فلما وقع ذلك فزع الملك الظاهر الفقراء على الأغنياء والأمراء . وألزمهم بإطعامهم، ثم فزع من شؤنه القمح على الزوايا والأربطة، ورتب للفقراء

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٢٠ من هذا الجزء . (٢) في عيون التواريخ : « فبلغ

الإردب القمح مائة وخمسين درهما نُقْرَة » . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٩٨ من هذا الجزء .

(٤) في السلوك : « واللحم كل رطل بدرهم وثلاث » . وفي عيون التواريخ : « ورطل اللحم المصرى بدرهم ونصف نُقْرَة » .

كلّ يوم مائة إردب مخبوزة تُفَرَّق بِجَمَاعِ بْنِ طُولُون. ودام على ذلك إلى أن دخلت السنة الجديدة والمُغَلّ الحديد؛ وأُبيع القمح في الإسكندرية في هذا الغلاء الإردب بثلاثمائة وعشرين درهما.

وفيها أُخْضِرِينَ يَدَى السُلْطَانِ طِفْلٌ مَيّتٌ لَهُ رَأْسَانٌ وَأَرْبَعُ أَعْيُنٍ وَأَرْبَعُ أَيْدٍ وَأَرْبَعُ أَرْجُلٍ، فَأَمَرَ بِدَفْنِهِ .

وفيها تُوُفِيَ الْقَاضِي كَيْالُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَسَدِيِّ الْحَلَبِيِّ الشَّافِعِيِّ الْمَعْرُوفُ بِأَبْنِ الْأَسَازِ قَاضِي حَلَبٍ، مَوْلَاهُ سَنَةُ إِحْدَى عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةَ، سَمِعَ الْكَثِيرَ وَحَدَّثَ وَدَرَسَ، وَكَانَ فَاضِلًا عَالِمًا مَشْهُورَ السَّيَرَةِ مَاتَ فِي شَوَّالٍ .

وفيها تُوُفِيَ شَيْخُ الشُّيُوخِ الصَّاحِبُ شَرَفُ الدِّينِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمُحْسَنِ بْنِ مَنْصُورِ الْأَنْصَارِيِّ الْأَوْسِيِّ الدَّمَشْقِيِّ الْمَوْلَدِ الْحَمَوِيِّ الدَّارِ وَالْوَفَاةُ الْإِمَامِ الْأَدِيبِ الْعَلَامَةِ، مَوْلَاهُ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ ثَانِي عَشْرِينَ بِحَادِي الْأَوَّلَى سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةَ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ وَتَفَقَّهَ وَبَرَعَ فِي الْفَقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالْأَدَبِ، وَأَفْقَى وَدَرَسَ وَتَقَدَّمَ عِنْدَ الْمُلُوكِ، وَتَرَسَّلَ عَنْهُمْ غَيْرَ مَرَّةٍ. وَكَانَتْ لَهُ الْوَجَاهَةُ النَّاتِمَةُ وَلَهُ الْيَدُ الطُّوَلَى فِي التَّرْسُلِ وَالنَّظْمِ، وَشَعْرُهُ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ. وَمِنْ شَعْرِهِ — رَحِمَهُ اللَّهُ — قَوْلُهُ :

إِنْ قَوْمًا يَلْعَنُونَ فِي حُبِّ سَعْدِي * لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا

(١) عَلِ هَامِشُ أَحَدِ الْأَصْلِينَ بِخَطِّ غَيْرِ خَطِّ الْأَصْلِ : « وَلَقَدْ رَأَيْنَا فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ يَمِدُّ الْأَلْفَ مَجْلًا جَنِينًا تَامَ الْأَعْضَاءُ لَهُ رَأْسَانٌ وَأَرْبَعُ أَعْيُنٍ وَعِثْقَانٌ وَأَرْبَعُ قَوَائِمٍ وَذَنْبٌ وَاحِدٌ، خَرَجَ مِنْ بَقَرَةٍ مَذْبُوحَةٍ، فَسَبَّحَانَ الْخَالِقِ » . (٢) فِي السُّلُوكِ : « أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدٌ » .

(٣) فِي الْأَصْلِينَ : « عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ الْمُحْسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورِ الْأَنْصَارِيِّ » . وَتَصَحُّحُهُ عَنْ السُّلُوكِ وَشَذَرَاتِ الذَّهَبِ وَالْمُهَلِّ الصَّافِيِّ وَطَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ وَمَا سَيَّذَرَهُ الْمُؤَلِّفُ فَمِنْ قَتْلِ وَقَاتِهِمْ عَنْ الدَّهْلِيِّ .

سَمِعُوا وصفها ولا مَوَّاهِيا * أَخَذُوا طَبِّيا وَأَعْطَوْا خَيْنا
وله رحمه الله :

قُلْتُ وَقَدْ عَقِرْتُ صُدْغًا لَهُ * عَنْ شِقَّةِ الْحَاجِبِ لَمْ يُحْجَبِ
قُدْسَتْ يَارَبَّ الْجَمَالِ الَّذِي * أَلْفَ بَيْنِ النُّونِ وَالْعَقْرِيبِ
وله عفا الله عنه :

مَرِضْتُ وَلِي جِرَّةُ كُلُّهُمْ * عَنْ الرُّشْدِ فِي صَحْبِي حَائِدُ
فَأَصْبَحْتُ فِي النَقْصِ مِثْلَ الَّذِي * وَلَا صِلَّةَ لِي وَلَا عَائِدُ
وله غفر الله له :

وَلَقَدْ عَجِبتُ لِعَاذِلٍ فِي حُبِّهِ * لَمَّا دَجَى لَيْلُ الْعِذَارِ الْمُظْلِمِ
أَوْمًا دَرَى مِنْ سُنَّتِي وَطَرِيقَتِي * أَتَى أَمِيلَ مَعَ السَّوَادِ الْأَعْظَمِ

قُلْتُ : وقد استوعبنا ترجمة شيخ الشيوخ بأوسع من ذلك في تاريخنا « المنهل
الصادق » وذكرنا من محاسنه وشعره نبذة كبيرة، وكانت وفاته ليلة الجمعة ثامن شهر
رمضان بجماعة رحمه الله تعالى .

وفيها تُوُفِيَ الْمَلِكُ الْمُتَنَبِّتُ فَتَحَ الدِّينَ أَبُو الْفَتْحِ عَمْرٌ صَاحِبُ الْكَرْكِ ابْنُ السُّلْطَانِ
الْمَلِكِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدُ ابْنُ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ مُحَمَّدُ ابْنُ الْمَلِكِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ
مُحَمَّدُ ابْنُ الْأَمِيرِ نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبِ الْأَيُّوبِيِّ الْمِصْرِيِّ ثُمَّ الْكَرْكِيُّ . وقد ذكرنا من أمره
نبذة كبيرة في ترجمة عمه الملك الصالح ثم من بعده في عدة تراجم لا سيما لما توجه
إليه الملك الظاهر بيبرس مع جماعة البحرية، وأقام عنده وحركه على ملك مصر حسب
ما تقدم ذكر ذلك كله . انتهى .

قلتُ : ومولد الملك المغيث هذا بالديار المصرية ورُبِّيَ يتيما عند عماته القُطَيبَات بنات الملك العادل ، والقُطَيبَات عُمُرُفَن بالقُطَيبَات لأنهنَّ أشقاء الملك المفضل قطب الدين آبن الملك العادل ، وبقي المغيث هذا عندهنَّ إلى أن أُخرج إلى الكَرْك وأعتقل بها ثم مَلَكَها بعد موت عمه الملك الصالح نجم الدين أيوب ، ووقع له بها أمور ، إلى أن قَدِمَ في العام الماضي على الملك الظاهر بيبرس بمصر ، فقبض عليه وقتله في محبسه ، رحمه الله تعالى ، لِمَا كَانَ في نفسه منه أيامَ كَانَ بخدمته في الكَرْك مع البحرية .

وفيهما تَوَفَّى الأميرُ حُسام الدين لاجين بن عبد الله العزيزي [الجوكندار^(٢)] ، كَانَ من أكابر الأمراء وأعظمهم ، وَكَانَ شجاعاً جَوَاداً دِيناً له اليد البيضاء في غزو التتار ، وَكَانَ يجمع الفقراءَ وَيصنع لهم الأوقات والساعات ، وَكَانَ كبيرَ القَدْرِ عظيم الشأن ، رحمه الله تعالى .

وفيهما تَوَفَّى الشيخ محي الدين أبو بكر محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحسين بن سُرَاقَة الأنصاري الأندلسي الشاطبي ، كَانَ فاضلاً محدثاً ، سَمِعَ الكثير وولَّى مشيخة دار الحديث بحلب ، ثم وَلَّى مشيخة الحديث بمصر بالمدرسة الكاملة وحدث بها . ومن شعره ، رحمه الله تعالى :

وصاحب كالزُّلال يمحو * صفاءه الشك باليقين

لم يُخَيِّص إلَّا الجميلَ مِنِّي * كأنه كاتبُ اليمين

(١) في الأصلين هنا : « الأفضل » . والتصويب عما تقدم ذكره في الحاشية رقم ١٦ ص ١٧٢ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٢) زيادة عما تقدم ذكره غير مرة والمنهل الصافي وتاريخ الدول والملوك لابن القرات . (٣) كذا في الأصلين . ولعلها محرفة عن « الإقامات » لأنه تقدم ذكرها للزلف في غير موضع . (٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٢٩ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

قلت : وهذا بعكس قول الأديب شهاب الدين المتأزى^(١)، رحمه الله تعالى :

وصاحب خلقه خليلاً * وما جرى غدره ببالي

لم يُحصِ إلا القبيح مني * كأنه كاتب الشمال

وفيهما توفى الملك الأشرف مظفر الدين موسى ابن الملك المنصور إبراهيم بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن محمد ابن الملك المنصور أسد الدين شيركوه الكبير، ملك الأشرف هذا يخص بعد وفاة أبيه، وطالت مدته به ووقع له أمور، وكان فيه مدارأة، للتأثر واستمر على ذلك إلى أن توفى بمصر في حادى عشر صفر قبل صلاة الجمعة، ودُفن ليلاً على جده الملك المجاهد أسد الدين شيركوه .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفى المحدث ضياء الدين

- ١٠ على بن محمد البالي^(٢) في صفر، وله سبع ونمسون سنة . وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأنصارى الباشرفي في شهر ربيع الأول . والحافظ رشيد الدين أبو الحسين يحيى ابن على الأموى العطار المالكي في جمادى الأولى ، وله ثمان وسبعون سنة . وأبو الطاهر إسماعيل بن صارم الخياط بعده بأيام . والخطيب عماد الدين عبد الكريم [ابن جمال الدين أبي القاسم عبد الصمد] بن محمد الأنصارى بن الحرساني^(٣) في جمادى الأولى . والورع الزاهد أبو القاسم بن منصور في شعبان . والإمام محيى الدين

(١) في الأصلين : « شهاب الدين الأنبارى » وهو خطأ والتصويب عن شذرات الذهب وعبود السوارخ وفوات الوفيات . وهو أبو نصر أحمد بن يوسف السليكي المتأزى توفى سنة ٤٣٧ هـ . والمتأزى : نسبة إلى منازل برزخية مكسورة وبسطها راء ساكنة ثم دال ، وهي مدينة عند خربت التي مر حصن زياد المشهور (عن ابن خلكان) .

- ٢٠ (٢) البالى : نسبة إلى بالس ، وراجع الحاشية رقم ٥ ص ٣١٩ من الجزء الثانى من هذه الطبعة .
(٣) كذا في الأصلين والمثل الصافي . وفي شذرات الذهب : « إسماعيل بن سالم » .
(٤) تكملة عن عبود التواريخ وشذرات الذهب والسلوك وتاريخ الدول والملوك .
(٥) راجع الحاشية رقم ١ ص ٦٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٦) في تاريخ الدول والملوك : « محمد بن عيسى وقيل ابن منصور » يكنى ألقاسم ويعرف بالقبارى الإسكندراني .

أبو بكر محمد بن محمد بن سُراقَة الشاطبي بمصر ، وله سبعون سنة . وشيخ الشيوخ
شرف الدين عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الأنصاري بجَمَاة في رمضان . والملك
المُغيث فتح الدين عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل محمد صاحب الكَرَك ، أعدمه
الملك الظاهر . والأمير الكبير حسام الدين لاجين الجُوكَندار العزيمي في المحرم ،
ودفن بقاسيون . وصاحب خِصص الملك الأشرف موسى ابن المنصور إبراهيم بن
أسد الدين بجمُص في صفر ، وله خمس وثلاثون سنة .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وأربع عشرة إصبعا .
مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وأثنتا عشرة إصبعا .



السنة الخامسة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر ، وهي سنة ثلاث
وستين وستمائة .

فيها تولى الملك الظاهر بيبرس من كل مذهب قاضياً وقد تقدم ذكر ذلك .
وفيها توفى الأديب البارع شرف الدين عاسن [الكتبي] ^(١) الصُوري ، كان عالماً
فاضلاً أديباً شاعراً ، ومات في شهر رجب . ومن شعره ، رحمه الله :

عَتَبْتُ عَلَى فَقُلْتُ إِنِّي عَاتَبْتُهَا * كَانَ الْعِتَابُ لَوْصِلَهَا أَسْتَهْلَاكَ
وَأَرَدْتُ أَنْ تَبْقَى الْمَوَدَّةُ بَيْنَنَا * مَوْقُوفَةً فَتَرَكْتُ ذَاكَ لِذَاكَ

وفيها توفى الأمير جمال الدين موسى بن يغمور بن جلدك بن بُلَيَّان بن عبد الله ^(٢)
أبو الفتح ، مولده في جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وخمسمائة بالقُوب من أعمال ^(٣)

(١) زيادة عن عيون التواريخ . (٢) كذا في الأصلين . وفي تاريخ الدول والملوك :

« ابن بُلَّان » . وفي عقد الجبلان ، « ابن بلهان » . (٣) القُوب أو قرية ابن يغمور : من
قرى سمهود من أعمال قوص . لما تكلم الادموي على بلاد الصعيه الأعلى في مقدمة كتابه الطالع السعيد =

- (١) قُوص بصعيد مصر وسمي الحديث، وتنقل في الولايات الجليلة مثل نيابة السلطنة بالقاهرة ونيابة دمشق، ولم يكن في الأمراء من يضاهيه في منزله وشجاعته وقربه من الملوك، وكان أميراً جليلاً خيراً حازماً سيوساً مدبراً جواداً ممدحاً، وكان الملك الظاهر إذا عمل مشورة وتكلم جمع خُشداً شينته من الأمراء فلا يصنى إلا إلى قول ابن يغمور هذا ويفعل ما أشار به عليه . وكانت وفاته في مستهل شعبان بالقصير من أعمال الفاقوسية بين القراي والصالحية . ومن شعره قوله :

ما أحسن ما جاء كتاب الحب * يُبدي حرقاً كأنه عن قلبي
فأزددت بما قرأت شوقاً وضماً * لا يُبرده إلا نسيم القُرب

- الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفي المحدث معين الدين إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي الزكوي . والحافظ زين الدين أبو البقاء خالد ابن يوسف بن سعد النابلسي بدمشق، وله ثمان وسبعون سنة في سلخ جمادى الأولى . والأمير الكبير جمال الدين موسى بن يغمور . والتجيب فراس بن علي بن زيد السقلاقي التاجر . وقاضي الديار المصرية بدر الدين يوسف بن الحسن السنجاري في رجب . والشيخ أبو القاسم الحواري الزاهد .

- ١٥ = ذكر قرية ابن يحمود بن يحمود ويحناش . وبالبحت تبين لي أن قرية ابن يحمود تقع في الجهة الجنوبية من يحمود وأنها هي القرية التي وردت في تاريخ (دقر المساحة) سنة ١٢٣١ هـ باسم كوم عقوب ثم حرف اسمها في تاريخ سنة ١٢٧٥ هـ إلى كوم يعقوب بقسم فرشوط . وما ذكر يوضح أن القوب هي القرية التي تعرف اليوم باسم كوم يعقوب إحدى قرى مركز نجح حمادى بمديرية قنا .

- (١) راجع الحاشية رقم ٢٩٢ من الجزء الخامس وص ٣٨٣ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
٢٠ (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٨٣ من هذا الجزء . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٥ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٤) في الأصلين : « الجوزى » . وتصحيحه من المتن .
وعقد الجمان وشذرات الذهب . وضبط بالقلم في المتن . وهو أبو القاسم يوسف بن أبي القاسم بن عبد السلام الأموي الحواري الموفى الزاهد المشهور المحتل .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم سبع أذرع وإصبعان . يبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وأربع عشرة إصبعاً .



السنة السادسة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، وهي سنة أربع وستين وثمانئة .

فيها توفى شهاب الدين أبو العباس أحمد بن صالح ، كان فاضلاً أديباً . ومن شعره ، رحمه الله ، في مكارٍ مَلِيح :

صَلَفْتُهُ مُكَارِيَا * شَرَّدَ عَنْ عَيْنِي الْكَرَى
قَدْ أَشْبَهَ الْبَدْرَ فَلَا * يَمَلُّ مِنْ طُولِ السَّرَى

- ١٠ وفيها توفى طاغية التتار وملكهم هُولاكُو وقيل هُولاوُون وقيل هولاء بن تُولِي خان بن جُنِكُر خان المَغْلِي التُّرْكِي ، مَلَك مكان أبيه بعد موته وكان من أعظم ملوك التتار ، وكان حازماً شجاعاً مدبراً ، استولى على الممالك والأقاليم في أيسر مئة ، وفتح بلاد خُرَاسان وأَذَرْبَيْجان وعِراق العجم وعِراق العرب والمَوْصِل والجزيرة وديار بكر والشام والروم والشرق وغير ذلك . وهو الذي قَتَلَ الخليفة المستعصم
- ١٥ المقدم ذكره ، وكان على قاعدة المَغْل لا يتدين بدين ، وإنما كانت زوجته ظفر خاتون قد تنصرت ، فكانت تعضد النصارى وتقيم شعائرهم في تلك البلاد . وكان هُولاكو سعيداً في حروبه لا يروم أمراً إلا ويسهل عليه ، وكانت وفاته بعلّة الصرع ، وكان الصرع يعتريه من عدة سنين في كل وقت ، حتى إنه كان يعتريه في اليوم الواحد المرة والمرة والثلاث ، ثم زاد به فَرَض ولم يزل ضعيفاً نحو شهرين وهلك ، فاخفوا
- ٢٠ موته وصبروه حتى حضر ولده أبنّا وجلس مكانه في الملك ، وقيل : إنه لم يدفن

وطُوقَ بسلاسل، ومات وله ستون سنة أو نحوها. وخلف من الأولاد المذكور سبعة عشر ولدًا: وهم أبنا الذي ملك بعده وأشموط وتمشين وتِكْشِي وكان [تِكْشِي فاتكًا] (٣) جبارًا، وأجائى وتُسْتَر ومنكوتمر الذي ألتقى مع الملك المنصور قلاوون على حمص وأنهمز جريما، كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى، وباكودر وأرغون وتغاي تمر (٤) والملك أحمد وجماعة أخر.

- الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفى أبو الفضل إسماعيل ابن إبراهيم بن يحيى القرشي بن الدرجي (٦) في صفر. والشيخ جمال الدين أحمد بن عبد الله بن شُعَيْب التميمي في شهر ربيع الآخر، وله آثنتان وسبعون سنة. ورَضِي الدين إبراهيم بن البرهان عمر الواسطي التاجر بالإسكندرية في رجب، وله إحدى وسبعون سنة، وخلف أموالاً عظيمة. والأمير الكبير جمال الدين أَيْدُغْدِي الْعَزِيزِي. والشيخ أحمد بن سالم المصري النحوي في شوال بدمشق. والطاغية هولاءكو بمراغة (٨).

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وسبع وعشرون إصبعا. يبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وآثنتا عشرة إصبعا.

١٥



السنة السابعة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، وهى سنة خميس وستين وستمائة.

٢٠

- (١) في عقد الجمان: «تشرين» بالباء الموحدة بدل الميم. (٢) في تاريخ الإسلام: «بكشِي» بالباء أيضا بدل التاء. (٣) زيادة عن تاريخ الإسلام. (٤) في تاريخ الإسلام: «يستر» بالياء التحتية. (٥) في تاريخ الإسلام: «تغاي دمر» بالثون في تغاي، والله في تمر. (٦) في تاريخ الإسلام وشذرات الذهب: «توفى في السادس والعشرين من شهر ربيع الأول». (٧) في تاريخ الإسلام وشذرات الذهب: «توفى في جمادى الأولى ليلة خامسة». (٨) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٨٤ من الجزء الثالث من هذه الطبعة.

فيها تُوفِّي بركة خان [بن توشي^(١)] بن چنكرخان ملك التتار، هو ابن عم هولاكو
المقدم ذكره، وكانت مملكته عظيمة متسعة جداً وهي بعيدة عن بلادنا وله عساكر
وافرة العدد، وكان بركة هذا يميل إلى المسلمين ميلاً زائداً ويُعظم أهل العلم ويقصد
الصلحاء ويتبرك بهم . ووقع بينه وبين ابن عمه هولاكو، وقاتله بسبب قتله للخليفة
المستعصم بالله وغيره من المسلمين؛ وكان بينه وبين الملك الظاهر مودة ويُعظم رسله،
وكان قد أسلم هو وكثير من جنده وبني المساجد وأقيمت الجمعة ببلاده، وكان
جواداً عادلاً شجاعاً، ومات ببلاده في هذه السنة وهو في عشر الستين، وقام مقامه
منكوتمر .

وفيها تُوفِّي الأمير ناصر الدين أبو المعالي حسين بن عزيز بن أبي الفوارس
القيصري، كان من أكابر الأمراء وأجلهم قدراً وأكبرهم شأناً، وكان شجاعاً كريماً
عادلاً، وكان الملك الظاهر قد جعله مقدم العساكر بالساحل فتوجه إليه فأتاه به
مرابطاً في يوم الأحد ثالث عشر شهر ربيع الأول، وهو صاحب المدرسة القيصرية^(٢)
بدمشق، وكان على المهمة بضاهي السلاطين في موكبه وخيله ومماليكه
وحواشيه .

وفيها تُوفِّي القاضي تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن محمود بن بدر أبو محمد
العلائي^(٣) الفقيه الشافعي المعروف بابن بنت الأعز، كان إماماً عالماً فاضلاً وولى

(١) التكملة عن تاريخ الإسلام والمنهل الصافي . وفي عقد الجمان : « بركة خان بن صابن خان
ابن دوشي خان بن چنكرخان » . وفي عيون التواريخ : « بركة خان بن تولى خان بن چنكرخان » .
وفي السلوك (ص ٥٦١) : « بركة خان بن دوشي خان » . (٢) في الأصلين : « حسن بن عزيز » .
والصواب عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ وشذرات الذهب وابن كثير والسلوك . (٣) القيصرية،
من مدارس الشافعية بدمشق، تعرف اليوم باسم القيصرية الجوانية بحارة القيصرية . دُرس بها جملة من فقهاء
الشافعية، ولا تزال معروفة (عن خطط الشام لكردي علي ج ٥ ص ٨٨) . (٤) ضبطه صاحب
عقد الجمان بالقلم (فتح العين واللام مع التخفيف) .

المناصب الجليلة كنظر الدواوين والوزارة وقضاء القضاة ودرّس بالشافعي، وكانت له مكانة عند الملك الظاهر، ومولده سنة أربع عشرة وستمائة، ومات ليلة السابع والعشرين من شهر رجب ودُفن من الغد بسفح المقطم .

وفيها تُوِّفِّي الشيخ الإمام المحدث تاج الدين أبو الحسين عليّ بن أحمد بن عليّ^(١) ابن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد بن تميمون القيسي المصري المالكي المعروف بأبن القسطلاني، وُلِدَ سنة ثمان وثمانين وخمسمائة بمصر، وبها تفقه وسمع الحديث من جماعة كثيرة وحديث بالكثير ودرّس وأقْبَى وتولّى مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة إلى أن مات بُكَرَة السابع والعشرين من شَوَّال ودُفن من يومه بسفح المقطم .

وفيها تُوِّفِّي الشيخ الإمام الفقيه المحدث شمس الدين ملكشاه بن عبد الملك ابن يوسف بن إبراهيم المقدسي الأصل المصري المولود الدمشقي الدار الحنفي المعروف بقاضي بيسان، كان فقيهاً عالماً فاضلاً مُفْتَنّاً في علوم، وُلِدَ بحارة زويله بالقاهرة سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ومات في سادس عشر صفر بدمشق، رحمه الله .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها تُوِّفِّي أبو الحجاج يوسف^(٧) ابن مكتوم السويدي الحبال . والشيخ الصالح الأثري محمود بن أبي القاسم [اسفنديار ابن بدران بن أبيان]^(٨) بالدمشقي بالقاهرة في رجب . وقاضي القضاة تاج الدين

(١) في الأصلين : « ابن الحسين » . وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام والمنهل الصافي .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٢٩ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٣) في تاريخ الإسلام : « في سابع عشر شوال » . (٤) في الأصلين غير واضح . وما أثبتناه

عن تاريخ الإسلام للذهبي . (٥) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٥٢ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

(٦) السويدي : نسبة إلى سويد ، رجل . (٧) التكلّة عن تاريخ الإسلام والمنهل

الصافي . (٨) الدمشقي : نسبة إلى دشت قرية بأصهان (عن لب الباب) .

عبد الوهاب بن خَلَف بن بنت الأَعَزَّ في رجب، وله إحدى وستون سنة. والعلامة^(١)
 شهاب الدين أبو شامة أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المَقْدِسِيّ ثم الدَّمَشْقِيّ^(٢)
 في رمضان، وله ست وستون سنة. والإمام تاج الدين عليّ ابن الشيخ أبي العباس
 أحمد بن علي القسطلاني بمصر، وله سبع وسبعون سنة. والسلطان بركة خان بن
 توشى بن چنگر خان. والأمير الكبير ناصر الدين حسين بن عزيز بن أبي الفوارس^(٣)
 القِيمُرِيّ صاحب القِيمُرِيّة^(٤).

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وأربع عشرة إصبعا.
 مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وأربع عشرة إصبعا.



السنة الثامنة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، وهي سنة ست
 وستين وثمانئة.

فيها تُوِّفِّيَ الرئيس كمال الدين أبو يوسف أحمد بن عبد العزيز بن محمد بن
 عبد الرحيم بن الحسن بن عبد الله الحلبي المعروف بأبن العَجَمِيّ، كان شاعراً رئيساً
 عالماً فاضلاً حسن الخط والإنشاء، كتب للناصر صلاح الدين يوسف،
 وكان من أعيان الكُتَّاب وأماثلهم، بلغ من العمر ستاً وأربعين سنة، ومات بظاهر
 صور من بلاد الساحل في العشر الأول من ذي الحجة وحُجِّلَ إلى ظاهر دِمَشْق فُدِّنَ^(٥)
 بها. ومن شعره في خال مَلِيح، قال :

(١) هذا يخالف لما تقدم ذكره لؤلؤ من أن مولده كان سنة ٦١٤ هـ وواقعه عليه بعض المصادر
 التي تحت يدنا مثل الذهب وشذرات الذهب وغيرها. (٢) في عقد الجمان : « أبو شامة
 وأبو محمد وأبو القاسم ». (٣) في الأصلين هنا : « ابن تولى ». والنصح عما تقدم ذكره
 قريباً في ص ٢٢٢ وتاريخ الإسلام والمنهل الصافي. (٤) يريد المدرسة القبرية بدمشق التي تقدم
 ذكرها في الحاشية رقم ٣ ص ٢٢٢ من هذا الجزء. (٥) في أحد الأصلين : « في العشر الأواخر ».

وما خالَهُ ذاك الذى خالَهُ الورى * على خده نَقَطًا من المِسْكِ فى وَرْدٍ
ولكنَّ نارَ الخَدِّ للقلبِ أحرقت * فصار سوادُ القلبِ خالًا على الخَدِّ

قلت : يعجبنى قولُ ابنِ صابرِ المُنَجِّبِيِّ^(١) فى هذا المعنى :

أهلاً بوجهِ كالبدْرِ حسنًا * صيرنى جُبهَ هِلالًا
قد رَقَّ حتى لحظْتُ فيه * سوادَ عيني نَخَلْتُ خالًا

ومثل هذا أيضا قول القائل فى هذا المعنى، ولم أدْرِ لمن هو غيرُ أنى أحفظه
قديمًا ، وهو فى خالٍ تحتِ العِذار .

له خالٌ تَغشاه هلالٌ * يفوت العينَ إنْ نَظَرْتُ إليه
كُشُخُورٍ تَحْتِيا فى سِياجٍ * خافَةَ جارجٍ من مُقْلَتَيْهِ

وفى هذا المعنى للعز الموصلى^(٢) وأبدع إلى الغاية :

لَحَظْتُ من وجنتها شامَةً * فأَبْتَسَمْتُ تَعَجَّبَ من حالى
قالتِ قَفُوا وأَسْتَمِعُوا ما جَرى * قد هام عَمى الشِخْصُ فى حالى

وفى هذا المعنى :

تفاخر الحسنُ فى أنْتسابٍ^(٣) * لما بَدَا خالُه الأنيقُ
فقالَت العينُ ذا ابنُ أختى * وقال لى الخَدُّ ذا شقيقُ

وقد استوعبتنا هذا النوع وغيره فى كتابنا « حلية الصفات فى الأسماء
والصناعات » فليُنظر هناك .

(١) هو يعقوب بن صابر بن أبي البركات . توفى سنة ٦٢٦ هـ (عن الشذرات والوافى بالوفيات) .

(٢) هو على بن الحسين بن على بن أبي بكر بن محمد بن أبي الخير عز الدين الموصلى ثم الدمشقي

الشاعر ؛ صاحب البديعية المشهورة وهى قصيدة مثنوية عارض بها بديعية الصفي الحلبي وزاد عليه أن التزم
أن يودع كل بيت اسم النوع البديعي بطريق التورية أو الاستخدام . توفى سنة ٧٨٩ هـ (عن الدرر
الكامة والمنهل الصافي) . (٣) فى أحد الأصلين : « فى أنْتساب » .

وفيها تُوِّقَ عَفِيفُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَدْلَانَ بْنِ حَمَادِ بْنِ عَلِيٍّ الْمَوْصِلِيِّ^(١)
النَّحْوِيِّ الْمُتَرَجِّمِ ، كَانَ إِمَامًا عَالِمًا أَدِيبًا مُفْتَنًا شَاعِرًا ، مَاتَ بِمِصْرَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ
تَاسِعِ شَوَّالٍ . وَمِنْ شِعْرِهِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ :

لَا تَعْجَبَنَّ إِذَا مَا فَانَكَ الْمَطْلَبُ * وَعَوْدَ النَّفْسِ أَنْ تَشْقَى وَأَنْ تَتَّعَبَ
إِنْ دَامَ ذَا الْفَقْرِ فِي الدُّنْيَا فَلَا تَعْجَبَ * مَاتَ الْكَرَامُ وَمَا فِيهِمْ فَنَى أَعْقَبَ

وفيها تُوِّقَ السُّلْطَانُ رُكْنُ الدِّينِ كَيْقَبَادُ بْنُ السُّلْطَانِ غِيَاثُ الدِّينِ كَيْخُسْرُو بْنُ
السُّلْطَانِ عَلَاءِ الدِّينِ كَيْقَبَادِ بْنِ كَيْخُسْرُو بْنِ قَلِيجِ أَرْسَلَانَ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ قَلِيجِ
أَرْسَلَانَ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ قُطْلُمِشَ بْنِ أَتِسْزِ بْنِ إِسْرَائِيلَ بْنِ سَلْجُوقِ بْنِ دُقَاقِ السَّلْجُوقِ^(٢)
صَاحِبِ الرُّومِ ، كَانَ مَلِكًا جَلِيلًا شَجَاعًا لَكِنَّهُ كَانَ غَيْرَ سَدِيدِ الرَّأْيِ ، كَانَ جَمَلُ
أَمْرِهِ بِيَدِ الْبَرْوَانَةِ فَاسْتَفْجَلَ أَمْرُ الْبَرْوَانَةِ ، فَارَادَ رُكْنَ الدِّينِ هَذَا قَتْلَهُ فَعَاجَلَهُ
الْبَرْوَانَةُ وَعَمِلَ عَلَى قَتْلِهِ حَتَّى قُتِلَ (وَكَيْقَبَادُ بَفَتْحِ الْكَافِ وَسُكُونِ الْيَاءِ آخِرَ الْحُرُوفِ
وَضَمِ الْقَافِ وَفَتْحِ الْبَاءِ ثَانِيَةَ الْحُرُوفِ وَبَعْدَ الْأَلْفِ دَالٌ مَهْمَلَةٌ سَاكِنَةٌ) . وَكَيْخُسْرُو
مِثْلُ ذَلِكَ غَيْرَ أَنَّ الْخَاءَ الْمَعْجَمَةَ مَضْمُومَةٌ وَبَعْدَهَا سَيْنٌ مَهْمَلَةٌ سَاكِنَةٌ وَرَاءَ
مَهْمَلَةٍ مَضْمُومَةٍ . وَقَلِيجُ أَرْسَلَانَ بِكَسْرِ الْقَافِ وَاللَّامِ وَسُكُونِ الْيَاءِ وَالْجِيمِ مَعًا .
وَأَرْسَلَانَ مَعْرُوفٌ .

الَّذِينَ ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ وَفَاتَهُمْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، قَالَ : وَفِيهَا تُوِّقَ أَيُّوبُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ
عُمَرُ الْحَمَّامِيُّ ابْنُ الْفُقَّاعِيِّ^(٣) . وَمَجْدُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ [بْنِ أَبِي الْغَنَائِمِ الْمُسْلِمِ بْنِ^(٤)

(١) فِي الْأَصْلَيْنِ : « ابْنُ خَالِدٍ » . وَالصَّحِيحُ عَنْ تَارِيخِ الْإِسْلَامِ لِلذَّهَبِيِّ وَعَيُونِ التَّوَارِيخِ
وَعَقْدِ الْجَمَانِ وَفَوَاتِ الْوَفَايَاتِ وَالسُّلُوكِ وَبَقِيَّةِ الْوَعَاةِ لِلْسَّيُوطِيِّ . (٢) فِي الْأَصْلَيْنِ غَيْرُ وَاضِحٍ .
وَمَا أُثْبِتَاهُ عَنْ تَارِيخِ الْإِسْلَامِ وَعَيُونِ التَّوَارِيخِ . (٣) فِي الْأَصْلَيْنِ : « أَيُّوبُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ
ابْنُ عُمَرَ » . وَمَا أُثْبِتَاهُ عَنْ عَقْدِ الْجَمَانِ وَتَارِيخِ الْإِسْلَامِ وَالْمُهَيْلِ الصَّافِيِّ .
(٤) التَّكْلِفَةُ عَنْ تَارِيخِ الْإِسْلَامِ .

حماد بن محفوظ [بن ميسرة الأزدي^(١) ابن الحلوانية في شهر ربيع الأول . والشيخ القدوة إبراهيم بن عبد الله ابن الشيخ أبي عمر] محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة [المقدسي^(٢) في شهر ربيع الأول ، وله ستون سنة . وأبو بكر عبد الله بن أحمد بن ناصر النحاس في ذي القعدة . وفيها قُتِلَت التتار السلطان ركن الدين كيقيباد ابن السلطان غياث الدين كيخسرو ابن السلطان علاء الدين كيقيباد صاحب الروم ، وله ثمان وعشرون سنة وأجلسوا ولده كيخسرو على التخت وهو ابن عشر سنين .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعا .

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا سواء .



١٠ السنة التاسعة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، وهى سنة سبع وستين وستمائة .

فيها توفى الأمير عز الدين أيّدمر بن عبد الله الحليّ الصالحى - النجمي^(٣)، كان من أكبر أمراء الدولة وأعظمهم محلاً عند الملك الظاهر، وكان نائب السلطنة عنه بالديار المصرية في غيبتة عنها لوثوقه به واعتماده عليه، وكان قليل الخبرة لكن رُزِقَ السعادة .

١٥

قلت : له أسوةٌ بمثاله . قال : وكان محظوظاً من الدنيا له الأموال الجمة والمتاجر الكثيرة والأملاك الوافرة . وأما ما خلفه من الأموال والحيول والجمال والبغال

(١) الزيادة عن تاريخ الإسلام والمنهل الصافي . (٢) في تاريخ الإسلام للذهبي : « توفى في السادس والعشرين من شوال » . (٣) في أحد الأصول والمنهل الصافي : « الحلي » بالباء الموحدة . وما أئتمناه من الأصل الآخر وتاريخ الإسلام وعيون التواريخ والسلوك وعقد الجمان .

(٤) في الأصول : « مخصوصا » . وما أئتمناه من المنهل الصافي .

والعدد فيقصر الوصف عنه . ومات بقلعة دمشق في يوم الخميس سابع شعبان ودفن بقرنته بجوار مسجد الأمير موسى بن يغمور . ومات وقد نيف على الستين .

وفيهما توفى الشيخ المحدث عماد الدين محمد بن محمد بن عليّ أبو عبد الله ، كان فاضلاً سميع الكثير ، ومات بدمشق في شهر ربيع الأول ؛ ولما كان بحلب كتب إليه أخوه سعد الدين سعد يقول :

ما للنَّوَى رِقَّةٌ تَرِنِي لمَكْتِيبٍ * حَرَّانٍ في قلبه والدمعُ في حلبِ
قد أصبحتُ حَلْبُ ذاتِ العِبادِ بكم * وَجِلْتُ لِمَا هذا من العَجَبِ

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفى زين الدين إسماعيل ابن عبد القوي بن عزون الأنصاري في المحترم . والإمام مجد الدين علي بن وهب القشيري [والد] ابن دقيق العيد . والحافظ زين الدين أبو الفتح محمد بن محمد [بن أبي بكر] الأبيوردي الصوفي في جمادى الأولى . واللغوي مجد الدين عبد الحميد بن أبي الفرج [بن محمد] الروذراوري بدمشق في صفر .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وست عشرة أصبعاً . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وسبع أصابع .



السنة العاشرة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر ، وهي سنة ثمانٍ وستين وستمائة .

(١) في أحد الأصلين : « ابن عسرون » وهو خطأ . وفي الأصل الآخر : « ابن عرون » وهو تصحيف . وتصحيحه عن تاريخ الإسلام وعقد الجمان وشذرات الذهب . (٢) التكلة عن تاريخ الإسلام والمنهل الصافي . (٣) الزيادة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب . (٤) زيادة عن تاريخ الإسلام . (٥) في الأصلين : « الروزراوردي » . والتصحيح عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب والسلوك .

فيها توفى الشيخ موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة الخزازي المعروف بأبن أبي أصيبعة الحكيم الفاضل صاحب المصنفات منها « طبقات الأطباء ». مات بصرخد في جمادى الأولى، وقد نيف على سبعين سنة، وكان فاضلاً عالماً في الطب والأدب والتاريخ وله شعر كثير، من ذلك ما مدح به صاحب أمين الدولة، وهي قصيدة طنانة أولها:

فؤادى في محبتهم أسير * وأنى سار ركبهم يسير^(٢)
يحن إلى العذيب وساكنيه * حينئذ قد تضمنه سفير
ويشوى نسمة هبت سحيراً * بها من طيب نشرهم عبير
وإنى قانع بعد التدانى * بطيف من خيالهم يزور
ومعسول اللى مر التجنى * يحور على المحب ولا يحير
تصدى للصدود ففى فؤادى * بوانر هجره أبداً هجير
وعقد وصلت جفونى فيه شهدي * فاهذى القطيعة والنور^(٣)
وهي طويلة كلها على هذا النمط .

وفيها توفى الأمير عز الدين أيك بن عبد الله الظاهري نائب حمص، كان فيه صرامة مفردة، وكان موصوفاً بالسف والظلم وسيرة قبيحة، ومع هذه المساوى كان أيضاً فيه رفق . مات بجمص وقرح بموته أهل بلده .

(١) هو أمين لدولة السامري أبو الحسن بن غزال المسلماني وزير الصالح إسماعيل . تقدمت

وفاته سنة ٦٤٨ هـ . (٢) هذه رواية عيون الأنبا في طبقات الأطباء (ج ٢ ص ٢٣٧) .

وفي أحد الأصلين : « وأين سار » وهو محرف عن هذه الرواية . وفي الأصل الآخر : « وحبب سير » .

(٣) عدة أبياتها كما في عيون الأنبا في طبقات الأطباء اثنان وثلاثون بيتاً .

وفيهما توفى الأمير عز الدين أبيك بن عبد الله المعروف بالزَّراد ، كان نائب قلعة دمشق ، وكان من المالك الصالحية النجمية ، وكانت حرمة وافرة وسيرته جميلة . ومات في ذى القعدة .

وفيهما توفى موسى بن غانم بن علي بن إبراهيم بن عساكر بن حسين الأنصاري^(١) المقدسي ، كان كبير القدر صدراً كبيراً شجاعاً وافر الحمة ، تولى مشيخة الحرم بالقدس الشريف ، وكان كريماً وله شُعبة وصيت . مات بالقدس في المحرم وقد جاوز سبعين سنة .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفى المحدث زين الدين أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي في رجب ، وله ثلاث وتسعون سنة . وقاضي القضاة محي الدين يحيى بن محمد بن الزكي القرشي في رجب ، وله اثنتان وسبعون سنة . وأبو حفص عمر بن محمد بن أبي سعد الكرماني^(٢) الواعظ في شعبان ، وله ثمان وتسعون سنة . وفيها قُتل في المصافق صاحب المغرب الملك أبو دُبوس أبو العلاء^(٣) [الواثق بالله] إدريس بن عبد الله بن محمد المؤمني^(٤) .

§ أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم ست أذرع وأثنتان وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وأثنتان وعشرون إصبعا .

(١) لم نجد هذا الاسم في المصادر التي تحت يدينا ، غير أننا وجدنا في وفيات هذه السنة في تاريخ الإسلام وعقد الجمان وتاريخ الدول والملوك وفاة : « أبي عبد الله محمد بن أبي الفتح الحسن ابن الحافظ الكبير ثقة الدين أبي القاسم علي بن هبة الله بن عساكر » .

(٢) في الأصلين : « ابن أبي سعيد » وما أُنجاه عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب .

(٣) في الأصلين هكذا : « أبووس أبو العلاء » . والتصحيح والزيادة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب والسلوك (ص ٥٨٨) . (٤) كذا في الأصلين وشذرات الذهب والسلوك .

وفي تاريخ الإسلام : « إدريس بن أن عبد الله بن أبي حفص » . وفي السلوك : « إدريس بن عبد الله ابن يعقوب » .



السنة الحادية عشرة من ولاية الملك الظاهر بيبرس البندقداري على مصر،
وهي سنة تسع وستين وستمائة .

(١)
فيها توفى الشيخ شمس الدين أبو إسحاق إبراهيم بن المسلم بن هبة الله [المعروف
بـ] ابن البارزي - الفقيه الحموي - الشافعي - ، مولده سنة ثمانين وخمسمائة ، وكان فقيها فاضلا
ورعا ، وله شعر جيد وأقوى ودرس بمعزة النعمان وغيرها ، ومات في شعبان بمحاة .
ومن شعره ، رحمه الله ، يصف دمشق :

دِمَشْقُ لَهَا مَنْظَرٌ رَائِقٌ * وَكُلُّ إِلَى وَصْلِهَا تَائِقٌ^(٢)
وَأَنَّى يُقَاسَ بِهَا بِلْدَةٌ * أَبِي اللَّهِ وَالْجَامِعُ الْفَارِقُ

وفيها توفى القاضي كمال الدين أبو السعادات أحمد بن مقدم بن أحمد بن شكر
المعروف بـ] ابن القاضي الأعز ، كان أحد الأكابر بالديار المصرية متأهلا للوزارة
وغيرها ، وتولى المناصب الجليلة ، وكان له يد في النظم ومعرفة بالأدب ومشاركة
في غيره . ومات في شهر رمضان بالقاهرة .

وفيها توفى الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله الصيرفي ، كان من أعيان الأمراء
بالديار المصرية ومن يُحتسب جانبه ، فلما تمكن الملك الظاهر بيبرس أخرجه إلى
دمشق ليأمن غائلته وأقطعه بها خبزا جيدا ، فدام به إلى أن مات ببعلبك وهو
في عشر الستين .

(١) الزيادة عن عيون التواريخ .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

(٣) في الأصلين : * وكل إلى وصفها تائق * وما أئنتاه عن عيون التواريخ . ٢٠

وفيها تُوِّفَى الأمير قطب الدين سَنَجَر بن عبد الله المستنصرى البغدادى المعروف ^(١) بالباغى، كان من ممالك الخليفة المستنصر بالله، وكان محترماً في الدولة الظاهرية وعنده معرفةٌ وحسنُ عشرةٍ ومحاضرةٌ بالأشعار والحكايات .

وفيها تُوِّفَى الملك الأجدد تقي الدين عباس ابن الملك العادل أبى بكر محمد بن أيوب ابن شادى، وكنيته أبو الفضل، كان محترماً عند الملك الظاهر لا يرفع عليه أحدٌ في المجالس، وهو آخر من مات من أولاد الملك العادل لصلبه، وكان دَمِث الأخلاق حسن العشرة لا تُملّ مجالسته . ومات بدمشق في جُهادى الآخرة ودُفِن بسَفْح قاسيون .

وفيها تُوِّفَى قطب الدين عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد بن نصر ابن محمد بن سبعين أبو محمد المُرْسَى الرُّقُوطِى ^(٢) الصوفى المعروف بابن سبعين . قال الذهبي في تاريخ الإسلام : كان صوفياً على قاعدة زُهاد الفلاسفة وتصوفهم، وله كلامٌ كثير في العِرْفان على طريق الاتحاد والزَّندقة . وقد ذكرنا محطَّ هؤلاء الجنس في ترجمة ابن الفارض وابن العَرَبِى ^(٤) وغيرهما، فيا حسرةً على العباد ! كيف لا يفضيبن لله تعالى ولا يقومون في الذَّبِّ عن معبودهم، تبارك الله وتقدَّس في ذاته عن أن يمتزج بمخلقه أو يُحَلَّ فيهم ، وتعالى الله عن أن يكون هو عين السموات والأرض وما بينهما، فإن هذا الكلام شرٌّ من مقالة من قال يَقْدَم العالم .

(١) في الأصلين : « المعروف بالباغى » . وما أئبناه عن عيون التواريخ وتاريخ الإسلام والروافى بالوفيات للصفدى . (٢) في نهاية الأرب (ج ٢٨ ص ٥٦) : « أبو الفضائل » .

(٣) في الأصلين : « الرُّقُوطِى » . وفي عيون التواريخ : « البرقُوطِى » . وفي المهمل الصافى « المرقُوطِى » . والتصحیح عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب وعقد الجمان وابن كثير .

(٤) هو شرف الدين أبو حفص عمر بن أبى الحسن على بن المرشد بن على المعروف بابن الفارض . تقدمت وفاته سنة ٦٣٢ هـ . (٥) هو يحيى الدين أبو بكر محمد بن على بن محمد المعروف بابن العربى الطائى الحامى . تقدمت وفاته سنة ٦٣٨ هـ .

وَمَنْ عَرَفَ هَؤُلَاءِ الْبَاطِنِيَّةَ عَذَرْنِي أَوْ هُوَ زَيْنْدِيقٌ مُبْطِنٌ لِلاتِّحَادِ يُدْبُّ عَنِ الْإِتِّحَادِيَّةِ وَالْحُلُولِيَّةِ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُمْ فَاللَّهُ يُثْبِتُهُ عَلَى حَسَنِ قَصْدِهِ. ثُمَّ قَالَ بَعْدَ كَلَامٍ طَوِيلٍ : وَأَشْتَهَرُ عَنْهُ (يَعْنِي عَنْ أَبِي سَبْعِينَ هَذَا) أَنَّهُ قَالَ : لَقَدْ تَحَجَّرَ أَبِي أَمْنَةَ وَاسْعًا بِقَوْلِهِ : ”لَا تَنْبِيَّ بَعْدِي“ . ثُمَّ سَاقَ الذَّهَبِيُّ أَيْضًا مِنْ جِنْسِ هَذِهِ الْمَقُولَةِ أَشْيَاءَ أَضْرَبْتُ عَنْهَا إِبْجَالًا فِي حَقِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِأَجْلِ هَذَا النَّجَسِ .

قُلْتُ : إِنْ صَحَّ عَنْهُ مَا نَقَلَهُ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ وَهُوَ حُجَّةٌ فِي نَقْلِهِ فَهُوَ كَافِرٌ زَيْنْدِيقٌ مَارِقٌ مِنَ الدِّينِ مَطْرُودٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى . اِنْتَهَى . وَالرُّقُوطِيُّ نِسْبَةً إِلَى حَصْنٍ مِنْ عَمَلٍ مُرْسِيَّةٍ يُقَالُ لَهُ رُقُوطَةٌ .

وَفِيهَا تَوْفَى الْأَمِيرُ شَرْفُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَيْسَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ كَامِلِ الْكُرْدِيِّ - الْهَكَارِيِّ ، كَانَ أَحَدَ أَعْيَانِ الْأُمَرَاءِ سَمِعَ الْحَدِيثَ وَحَدَّثَ ، وَمَوْلَدُهُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ بِالْقُدْسِ ، وَكَانَ أَحَدَ الْأُمَرَاءِ الْمَشْهُورِينَ بِالشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ وَلَهُ وَقَائِعٌ مَعْدُودَةٌ وَمَوَاقِفٌ مَشْهُورَةٌ مَعَ الْعَدُوِّ بِأَرْضِ السَّاحِلِ ، وَلِي الْأَعْمَالِ الْجَلِيلَةَ وَقَدَّمَهُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ بِيَّيْرُسَ عَلَى الْعَسَاكِرِ فِي الْحُرُوبِ غَيْرِ مَرَّةٍ ، وَمَاتَ بِدِمَشْقَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ . وَمِنْ شَعْرِهِ مِمَّا كَتَبَهُ لِلْوَزِيرِ شَرْفِ الدِّينِ بْنِ الْمُبَارَكِ وَزِيرِ إِرَاقِلَ :

أَحِبَّابِنَا إِنْ غِبْتُ عَنْكُمْ وَكَانَ لِي * إِلَى غَيْرِ مَقْنَأِكُمْ مَرَاحٌ وَلَمْ يَنْسَأُمْ
فَمَا عَنِ رِضَا كَانَتْ سُلَيْمَى بِدِيلَةٍ * بَلَيْلَى وَلَكِنْ لِلضَّرُورَاتِ أَحْكَامُ

وَفِيهَا تَوْفَى مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَنَعَمِ بْنِ نَصَرَ [اللَّهُ] ^(١) بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَوَّارَى
الْفَقِيهِ الْأَدِيبِ أَبُو الْمَكَارِمِ نَاجِ الدِّينِ التَّنُوخِيُّ الْمَعَرِّيُّ - الْأَصْلُ الْحَنْفِيُّ - الدَّمَشْقِيُّ الْمَوْلَدُ

(١) تَكَلَّمَ عَنْ تَارِيخِ الْإِسْلَامِ وَالْمَنْتَهَلِ الصَّافِي وَمَعْيُودِ التَّوَارِيخِ وَالْجَوَاهِرِ الْمُضِيَّةِ فِي طَبَقَاتِ الْخَنْفَةِ . ٢٠

والدار والوفاة المعروف بابن شُقَيْر. ^(١) وُلِدَ سنة ست وستمائة وسميع وحدث بِدَمَشَق والقاهرة، وكان فقيها محدثا فاضلا بارعا أدبيا وعنده رياسة ومكارم ودمانة أخلاق وحسن محاضرة، وهو معدود من شعراء الملك الناصر [صلاح الدين يوسف بن العزيز] ومات في صفر. ومن شعره :

قد أقبل الصيف وولّى الشتاء * وعن قريب نستبكي الحزنا
أما ترى البانَ بأغصانه * قد قلب القروا إلى برا
وقال ، رحمه الله :

وأحيرة القمرين منه إذا بدا * وإذا آتني وانجملة الأغصان
كتبَ الجمالُ ويأله من كاتب * سطرين في خديه بالريحان
قلتُ : ويعجبني قول ابن المعتز في هذا المعنى وقد أبدع في التشبيه فقال :
كَانَ خَطَّ عِذَارٍ شَقَّ عَارِضَهُ * مِيدَانِ آيسٍ عَلَى وَرْدٍ وَنِيرِينَ
وخط فوق حجاب الدر شاربهُ * بنصف صايد ودار الصدغ كالنون
ولمحمد بن يوسف [بن عبد الله المعروف بآ] نحياط الدمشقي في معنى العذار :

عِدَارٌ حَبِيٌّ دَقِيقٌ مَعْنَى * تَجَمُّلٌ عَنْ حَسَنَةِ الصِّفَاتِ
حلا لرائيه وهو نبتٌ * هذا هو السكر النبات

(١) في الأصلين : « ولد سنة سبع وستمائة » . والتصحيح عن المنهل الصافي وتاريخ الإسلام
وعيون التواريخ والخواهر المضية في طبقات الحنفية . (٢) زيادة عن المصادر المتقدمة .
(٣) هو أمير المؤمنين أبو العباس عبد الله ابن الخليفة المعتز بالله محمد ابن الخليفة المتوكل على الله
جعفر ابن الخليفة المتعمم بالله محمد ابن الخليفة هارون الرشيد . تقدمت وفاته سنة ٢٩٦ هـ

(٤) زيادة عن المنهل الصافي وما سيذكره المؤلف في وفاته سنة ٢٥٦ هـ

ولابن نبأته^(١) :

وبمجهتي رشاً يميس قوامه * فكأنه نشوان من شفتيه

شُف العذار بجنده وراه قد * نعت لواحظه فذب عليه

والصفدى^(٢) :

عيناه قد شهدت بأني مخطئ * وأتت تحط عذاره تدكاراً

يا حاكم الحب أتشد في قيتي * فالحط زور والشهود سكارى

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفي الشيخ حسن

ابن أبي عبد الله بن صدقة الصقلي المقرئ في شهر ربيع الأول وقد نيف على سبعين .

وشيع السبعينية قطب الدين عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن سبعين المرسى بمكة^(٣)

في سؤال ، وله خمس وخمسون سنة . ومجد الدين محمد بن إسماعيل بن عثمان

أبن مظفر بن هبة الله بن عساكر في ذى القعدة . وقاضى حمّاة شمس الدين إبراهيم^(٤)

أبن المسلم بن البارزي في شعبان ، وله تسع وثمانون سنة .

§ أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم ست أذرع وإحدى وعشرون إصبعا .

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وأثنا عشرة إصبعا .

١٥



السنة الثانية عشرة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، وهي سنة

سبعين وستائة .

(١) هو جمال الدين أبو بكر محمد بن محمد بن الحسن بن صالح بن علي بن يحيى بن طاهر بن محمد

ابن الخطيب أبي يحيى عبد الرحيم بن نبأته الفارق الأصل المصري المولد والدار المعروف بابن نبأته .

سيرة المؤلف في حوادث سنة ٥٧٦٨ هـ . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٧٣ من الجزء

السادس من هذه الطبعة . (٣) السبعينية : مريدوه وأتباعه (عن المنهل الصافي) . (٤) في المنهل

الصافي : « عثمان بن أبي مظفر هبة الله » . (٥) في الأصلين : « وله إحدى وثمانون سنة »

وتصحيحه عن شذرات الذهب والمنهل الصافي وتاريخ الإسلام .

فيها توفى الملك الأجمد محمد الدين أبو محمد الحسن ابن الملك الناصر داود ابن الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، كان الملك الأجمد هذا من الفضلاء وعنده مشاركة جيدة في كثير من العلوم ، وله معرفة تامة بالأدب .

وفيها توفى الشيخ عماد الدين عبد الرحيم بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن ابن الحسن بن عبد الرحمن بن طاهر بن محمد بن محمد بن الحسين الحلبي الشافعي المعروف بأبي العجمي^(١) ، كان فاضلاً سمع الحديث وتفقه وحديث ودرس وتولى الحكم بمدينة القيوم من أعمال مصر وغيرها وناب في الحكم بدمشق ، وكان مشكور السيرة . ومات بحلب في رابع^(٢) عشر شهر رمضان . ومولده في سنة خمس وستمائة بحلب .

وفيها توفى الأديب أمين الدين علي بن عثمان بن علي بن سليمان ابن علي^(٣) أبو الحسن المعروف بأمين الدين السلياني الصوفي الإربلي الشاعر المشهور ، ولد سنة آنتين وستمائة . ومات بمدينة القيوم من أعمال مصر في جمادى الأولى ، وكان فاضلاً مقتدرًا على النظم ، وهو من أعيان شعراء الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام ، وكان أولًا جنديًا ثم ترك ذلك وتزهد . ومن شعره وقد أرسل إلى بعض الرؤساء هدية فقال :

(١) في الأصلين : « عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم » . وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ وهما المصدران الدان ترجحنا له من المصادر التي تحت يدينا . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٥٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٣) في عيون التواريخ وتاريخ الإسلام : « في رابع ومضان » . (٤) في الأصلين : « أمين الدولة » . وتصحيحه عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ والمنهل الصافي والسلوك .

(٥) في الأصلين : « علي بن عماد بن علي » . والتصويب عن المصادر المتقدمة وعقد الجمان . (٦) في الأصلين : « أبو الحسين » . وتصحيحه عن المنهل الصافي وعقد الجمان والسلوك . (٧) كذلك في الأصلين وعيون التواريخ . وفي المنهل الصافي : « ولد سنة ثلاث وستمائة » .

هَدِيَّةُ عَبْدٍ مُخْلِصٍ فِي وَلَانِهِ * لَهَا شَاهِدٌ مِنْهَا عَلَى عَدَمِ الْمَالِ
وَلَيْسَتْ عَلَى قَدْرِي وَلَا قَدْرَ مَالِكِي * وَلَكَّهَا جَاءَتْ عَلَى قَدَرِ الْحَالِ

وقال رحمه الله :

أَلَا فَاحْفَظْ لِسَانَكَ فَهُوَ خَيْرٌ * وَطَرَفَكَ وَأَسْتَعِ نَضِجِي وَوَعِظِي
فَرَبَّ عِدَاوَةٍ حَصَلَتْ بِلَفْظِ * وَرَبَّ صَبَابَةٍ حَصَلَتْ بِلَحْظِ

- وفيها توفى الرئيس الصدر عماد الدين أبو عبد الله محمد بن سالم بن الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن الحسن بن محمد بن الحسن بن أحمد بن الحسين بن صصرى^(١) التَّغْلَبِيَّ، الْبَلَدِيِّ^(٢) الْأَصْلُ الدَّمَشْقِيَّ الْمَوْلَدَ وَالِدَارَ وَالْوَنَاءَ الْعَدْلَ الْكَبِيرَ، مَوْلَدَهُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَسِمِيعَ الْكَثِيرِ وَحَدَّثَ، وَكَانَ شَيْخًا جَلِيلًا مِنْ بَيْتِ الْعِلْمِ وَالْحَدِيثِ، وَقَدْ حَدَّثَ هُوَ وَأَبُوهُ وَجَدُّهُ وَجَدُّ أَبِيهِ وَجَدُّ جَدِّهِ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ بَيْتِهِ .
وَمَاتَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ .

- الذين ذكر الذهبى وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفى العلامة الكمال سَلَارُ بْنُ الْحَسَنِ الْإِمْرِيَّيَّ الشَّافِعِيَّ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ، وَمُعِينُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ الْقَاضِي زَيْنِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ يَوْسُفَ الدَّمَشْقِيِّ الْعَدْلِ بِمِصْرَ فِي رَجَبٍ . وَالْإِمَامُ جَمَالُ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَلْمَانَ الْحِزَانِيَّ الْبَغْدَادِيَّ الْحَنْبَلِيَّ فِي شَعْبَانَ، وَلَهُ خَمْسٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً .
وَالْقَاضِي عِمَادُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ سَالِمِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ الدَّمَشْقِيُّ ابْنُ

- (١) « أحمد بن الحسين » . هذان الجدان غير موجودين في أحد الأصلين ولا في المصادر التي بحثت يدنا . (٢) في الأصلين : « الرضى » وما أثبتناه من السلوك وتاريخ الإسلام وما تقدم ذكره في وفاة أبي القاسم الحسن بن هبة الله بن محفوظ أحد أجداده سنة ٦٢٦ هـ . (٣) البلدى : نسبة إلى بلد الخطب بقرب الموصل (عن لب اللباب) . (٤) في أحد الأصلين :
« كمال الدين » والتصحيح عن الأصل الآخر وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبي .
(٥) في الأصلين : « ابن سليمان » والتصحيح عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب .
(٦) في تاريخ الإسلام : « البغدادى » .

صَصْرِي فِي ذِي الْقَعْدَةِ. وَالْمَلِكُ الْأَمَجْدُ السَّيِّدُ الْجَلِيلُ حَسَنُ ابْنِ النَّاصِرِ دَاوُدَ صَاحِبُ
الْكُرْكِ فِي جُمَادَى الْأُولَى كَهَلًا. وَالصَّدْرُ وَجِيهُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ ^(١) [بْنِ أَبِي طَالِبٍ]
ابْنِ سُؤَيْدِ التَّكْرِيتِيِّ النَّاجِرُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ.

§ أَمْرُ النَّيْلِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ — الْمَاءُ الْقَدِيمُ سَبْعَ أَذْرَعٍ وَإِصْبَعَانِ. • مَبْلَغُ الزِّيَادَةِ
ثَمَانِي عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَإِحْدَى عَشْرَةَ إِصْبَعًا. •

السَّنَةُ الثَّلَاثَةُ عَشْرَةَ مِنْ وَلَايَةِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَيْتَرَسَ عَلَى مِصْرَ، وَهِيَ سَنَةُ
إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَسِتِّمِائَةً.

فِيهَا تُوُفِيَ الْأَدِيبُ الْفَاضِلُ مُخْلِصُ الدِّينِ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ هَبَةِ اللَّهِ
ابْنِ أَحْمَدَ بْنِ قُرْنَاصَ الْخَزَاعِيِّ الْحَمَوِيِّ الشَّاعِرِ الْمَشْهُورِ، كَانَ أَدِيبًا فَاضِلًا وَلَهُ الْيَدُ
الطُّوَلَى فِي النِّظْمِ، وَمَاتَ بِجَمَاعَةِ يَوْمِ الْأَحَدِ رَابِعَ شَوَّالٍ. • وَمِنْ شِعْرِهِ :

لَيْلِي وَلَيْلُكَ يَا سُؤْلِي وَيَا أَمْلِي * ضِدَانِ هَذَا بِهِ طُولٌ وَذَا قِصْرُ
وَذَاكَ أَنْتَ جَفَوْنِي لَا يُلِمُّ بِهَا * نَوْمٌ وَجَفُنُكَ لَا يَحْفَظُنِي بِهِ السَّهْرُ

قُلْتُ : وَهَذَا يَنْشَبُهُ قَوْلُ الْقَائِلِ وَمَا أَدْرَى أَيُّهُمَا أَسْبَقَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى وَهُوَ :

لَيْلِي وَلَيْسَ قَتَى نَوْمِي اخْتِلَافُهُمَا * بِالطُّوْلِ وَالطُّوْلُ يَأْطُو بِي لَوْ أَعْتَدَلَا
يَجُودُ بِالطُّوْلِ لَيْسَ كُلُّمَا يَخِلْتُ * بِالطُّوْلِ لَيْسَ وَإِنْ جَادَتْ بِهِ يَخِلَا

(١) تَكَلَّمَ عَنْ عَهْدِ الْجَمَانِ وَتَارِيخِ الْإِسْلَامِ. (٢) لَمْ تَذَكَرْ الْكُتُبَ الَّتِي تَرَجَمَتْ لَهَا هَذِهِ النِّسْبَةُ.

(٣) تَقَدَّمَ ذِكْرُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فِي مَوْضِعَيْنِ : فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ ص ٢٠٣، وَالْجُزْءِ السَّادِسِ ص ١٩٥
مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ. وَذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ أَنَّهُمَا مِنْ قَوْلِ الْفَضْلِ بْنِ عَبْدِ الْقَاهِرِ جَدِّ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْمُهَيَّا بْنِ أَبِي الْمَكَارِمِ
وَهُوَ أَقْدَمُ مِنْ هَذَا الشَّاعِرِ فَقَدْ تُوُفِيَ سَنَةَ ٥٥٠٥.

وفيهما توفى الشريف شرف الدين أبو عبد الله محمد بن رضوان بن علي بن أبي المظفر بن أبي العنّاية المعروف بالشريف الناصح . مات بدمشق في شهر ربيع الآخر، وكان من الفضلاء وله مشاركة في كثير من العلوم وله اليد الطولى في النظم والنثر . ومن شعره :

- عانقته عند الوداع وقد جرت * عني دموعاً كالنجيع القاني
ورجمت عنه وطرفه في قتره * يُملي عليّ مقاتل الفرسان
قلت : وما أحسن قول القاضي ناصح الدين الأرجاني في هذا المعنى :
إذا رأيت الوداع فأصبر * ولا يهمنك العباد
وأنْتَظِر العود عن قريب * فإن قلب الوداع عادوا

• وأجاد أيضاً من قال في هذا المعنى :

- فإن سرت بالجنان عنكم فإني * أخلف قلبي عنكم وأسير
فكونوا عليه مشفقين فإنه * رهين لديكم في الهوى وأسير
وفيهما توفى المحدث شرف الدين أبو المظفر يوسف بن الحسن بن بدر بن الحسن ابن مفزع بن بكار التابلسي الأصل الدمشقي المولد والدار والمنشأ والوفاة المحدث المشهور ، كان فاضلاً وسمع الكثير وحديث ، وكانت لديه فضيلة ومشاركة ومعرفة بالأدب . ومن شعره :

عرج بعيسك وأحس أيها الحادي * عند الكتيب وعرض يمتة الوادي .

(١) في الأصلين هنا : «ناصر الدين» والنصوب عن ابن خلكان وما تقدم ذكره للولف في حوادث سنة ٥٤٤ هـ . وهو القاضي الإمام الأديب العلامة ناصح الدين أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين الأرجاني قاضي تستر . توفي في السنة المذكورة .

وَأَقَرَّ السَّلَامَ عَلَى سُكَّانِ كَاطِمِيَّةٍ * مِنِّي وَعَرَّضَ بَنِيَّائِي وَسَهَادِي
وَقُلَّ مُحِبُّ بَنَارِ الشُّوقِ مُحْتَرِقُ * أودَى به الوجدُ خلفناه بالنَّادِي^(١)

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفى الخافظ شرف الدين أبو المظفر يوسف بن الحسن بن النابلسي الدمشقي في المحرم . وخطيب المقياس أبو الفتح عبد الهادي بن عبد الكريم القيسي المقرئ ، وله أربع وتسعون سنة في شعبان . والمحدث شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن عمار بن هامل الحتراني في رمضان . وأبو العباس أحمد بن هبة الله بن أحمد السلمي الكهنفي في رجب . وصاحب « التعجيز » الإمام تاج الدين أبو القاسم عبد الرحيم بن محمد بن محمد أبو يونس الموصل^(٢) في جمادى الأولى ببغداد ، وله ثلاث وسبعون سنة .

١٠ § أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم سبع أذرع وإحدى عشرة إصبعا .
مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث عشرة إصبعا .



السنة الرابعة عشرة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، وهي سنة
أثنتين وسبعين وستمائة .

- ١٥ (١) في الأصلين : « خلفاء بالوادي » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ والذيل على مرآة الزمان .
(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٩٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٣) كذا في الأصلين
والملل الصافي وعيون التواريخ وشذرات الذهب وشرح القصيدة اللامية في التاريخ وذييل مرآة الزمان .
وفي تاريخ الإسلام : « ابن كاهل » . (٤) في الأصلين : « الهني » . والتصحيح عن شذرات الذهب
وتاريخ الإسلام . والكهنفي : نسبة إلى كهف جبل قاسيون ، وراجع الحاشية رقم ١ ص ٢٤٦ من
الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٥) هو التعجيز في مختصر الوجيز في فروع الشافعية كما في كشف
الظنون . (٦) في الأصلين : « ابن يوسف » . والتصحيح عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ
وشذرات الذهب وعقد الجمان وكشف الظنون وذييل مرآة الزمان .

فيها ملك الملك الظاهر بيبرس^(١) برقة بعد حروب كثيرة .

وفيها توفى الصاحب محي الدين أحمد بن علي بن محمد بن سليم الصاحب محي الدين أبو العباس ابن الصاحب بهاء الدين بن حنا في ثامن شعبان بمصر ودُفن بسفح المقطم ، ووجد عليه والده وجداً شديداً ، وعُملت له الأعززية والحتم ، وكان فاضلاً وسميع من جماعة وحدث ودرس بمدرسة والده التي أنشأها بزقاق القناديل بمصر إلى حين وفاته .

وفيها توفى المحدث مؤيد الدين أبو المعالي أسعد بن المظفر بن أسعد بن حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي المعروف بأبن القلانسي ، مولده بدمشق سنة ثمان أو تسع وتسعين وخمسمائة ، وسمع الكثير وحدث بدمشق ومصر ، وهو من البيوتات

- ١٠ (١) وصف برقة باقوت واليقوتى وأبن دقاق بأنها صنع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية (تونس) أى ساحل طرابلس . ووصفها أحد كتاب الافرنج بأنها نوع جزيرة صحيرية واقعة بين البحر الأبيض المتوسط من خليج بومبي إلى مدرة العظمى . وغور عظيم يختلف ارتفاع أرضه عن سطح البحر من مترين إلى ثلاثة أمتار ، وقد يزيد ارتفاع الجبل الأخضر الهادى للسطح عن ألف متر . ومن محصولاتها الزراعة الحبوب بأنواعها كالقمح والشعير ، وتكثر بها المراعى فيجود الضأن والماعز والبق . وبها أشجار الفاكهة المختلفة خصوصا التي تنمو في البلاد الحارة كالنخيل والموز . ومن أشهر مدنها نفر بن غازي ، وعدد سكانه أكثر من ثلاثين ألفا .

- ١٥ وكانت طرابلس بما فيها برقة تابعة لقرطاجنة ثم للروم . وفي القرن السابع آلت للعرب . وفي سنة ١١٤٦م صارت تابعة للملك تايلى بإيطاليا ، ثم احتلها الأسبان سنة ١٧١٤م ثم امتلكها الترك إلى سنة ١٩١١م ثم احتلها إيطاليا ، ثم تملكها بعد حروب طويلة بين الترك والعرب وهي الآن ضمن أملاكها (عن البيان لأفت بك ص ٣٤٩ وقاموس الأمكنة لعل بك بهجت ص ٥٠) .

- ٢٠ (٢) في الأصلين : « تاج الدين » . وتصحيحه عما تقدم ذكره لؤف غير مرة والتبديل على مرآة الزمان وتاريخ الإسلام وشذرات الذهب . (٣) هي مدرسة الصاحب بهاء الدين بن حنا . ويستفاد مما ذكره المقرئى عند الكلام على المدرسة الصاحبية البهائية في ص ٣٧٠ ج ٢ من خطه أن هذه المدرسة قد اندثرت ولم يبق لها أثر من سنة ٥٨١٧هـ . وأما زقاق القناديل الذي كانت به المدرسة فقد كان واقعا في الجهة الشرقية من جامع عمرو بمصر القديمة ، وسمى زقاق القناديل لأنه كان سكن الأعراف وكانت أبواب الدور يعلق على كل واحد منها قنديل . وراجع الحاشية رقم ٢ ص ١٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

المشهوره بالحديث والعدالة والتقدم . ومات في ثالث [عشر^(١)] المحرم ببستانه ظاهر دمشق ، وكان وافر الحرمة متأهلاً للوزارة كثير الأملاك واسع الصدر

وفيهما توفي الأمير فارس الدين أقطاي بن عبد الله الأتابكي المعروف بالمستعرب الصالحى النجيبى ، كان من أكابر الأمراء وأعيانهم ، وكان الملك المظفر قطز قربه وجعله أتابكاً وعلق جميع أمور المملكة به . فلما تسلطن الملك الظاهر قام معه وحلف له وسلطنه فلم يسع الملك الظاهر إلا أن أبقاه على حاله ، وصار الظاهر فى الباطن يتبرم منه ولا يسعه إلا تعظيمه لعدم وجود من يقوم مقامه ، فإنه كان من رجال الدهر حزمًا وعزمًا ورأيًا ، فلما أنشأ الملك الظاهر بيليك الخازندار أمره بملازمته والاقتباس منه فلازمه مدة ، فلما علم الظاهر منه الاستقلال جعله مشاركاً له فى الجيش ، وقطع الرواتب التى كانت لأقطاي المذكور ، فجمع أقطاي نفسه وتملأ قريب السنة وصار يتدأوى إلى أن مات ، وكان أظهر أن به طرف جذام^(٢) ولم يكن به شيء من ذلك ، رحمه الله تعالى .

وفيهما توفي مجاهد بن سليمان بن مرهف بن أبى الفتح التميمى المصرى الخياط الشاعر المشهور ، وكان يعرف بابن أبى الربيع . مات فى جمادى الآخرة بالقرافة الكبرى ، وكان بها سكنه وبها دفين ، وكان فاضلاً أديباً . ومن شعره فى أبى الحسين الجزار وكان بينهما مهاجاة :

(١) الزيادة عن تاريخ الإسلام والذيل على مرآة الزمان . (٢) فى الأصلين : « أظهر

أن به مرق جذام » . وما أشتاء عن المنهل الصافي والذيل على مرآة الزمان وشتدات الذهب ،

وما يفهم من عبارة تاريخ الإسلام . (٣) فى أحد الأصلين : « مجاهد الدين » . وما أشتاء

عن الأصل الآخر وذيل مرآة الزمان وعيون التواريخ وفوات الوفيات .

أبا الحسين تَأَدَّبَ * ما الفخرُ بالشُّعْرُ فخرُ
وما ترشَّحتَ منه * بقطرة وهو بحرُ^(١)

وفيه يقول أيضا :

إن تاه جزاركُم عليكم * يَفْطِنِيْ عِنْدَهُ وَكَيْسُ
فليس يرجوه غيرُ كَلْبٍ * وليس يخشاه غيرُ تَيْسِ

ومن شعره قوله : لُغْزِيْ إِبْرَةَ وَكُتْبَانِ :

ثَلَاثَةٌ فِي أَمْرِ خَصَمَيْنِ * إَلْفَيْنِ لَكِنْ غَيْرِ إَلْفَيْنِ
هُمَا قَرِيْبَانِ وَإِنْ فَرَقْتَ * بَيْنَهُمَا أَيَّامَ فَرَقَيْنِ
فَوَاحِدٌ يَمْضِيْهِ وَاحِدٌ^(٢) * وَيُمْضِيْهِ الْآخِرُ بَآثْنَيْنِ

تَرَاهُمَا بَيْنَهُمَا وَقْعَةٌ * إِذْ تَقَعُ الْعَيْنُ عَلَى الْعَيْنِ

^(٣)

وفيهما تُوَفِّي الشَّيْخُ الإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ سَلِيْمَانَ [بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَلِيْمَانَ] بَنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَلِيٍّ - الْمَعَارِفِيُّ - الشَّاطِئِيُّ - الْمُقَرَّرِيُّ الزَّاهِدُ تَزِيلُ الإسْكَندَرِيَّةِ ، قَرَأَ بِالسَّبْعِ فِي الْأَنْدَلُسِ وَبَرَّجَ فِي الْقُرَآءَاتِ وَالتَّفْسِيرِ وَلَهُ تَفْسِيرٌ صَغِيرٌ . وَمَاتَ فِي الْعَشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَلَهُ سَبْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً .

١٥ وفيها تُوَفِّي الشَّيْخُ الإِمَامُ الْعَلَامَةُ فَرِيدُ عَصْرِهِ جَمَالُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ [بْنُ عَبْدِ اللَّهِ] بَنُ مَالِكِ النَّحْوِيُّ - الْجَبْيَانِيُّ - الشَّافِعِيُّ - الطَّائِيُّ - الْعَالِمُ الْمَشْهُورُ^(٤)

(١) كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ وَالذَّيْلُ عَلَى مَرَاةِ الزَّمَانِ . وَرَوَايَةُ الْمُهَلِّ الصَّالِي وَفَوَاتِ الْوَفَاةِ :

* وَمَا تَبَلَّتْ مِنْهُ *

(٢) رَوَايَةُ هَذَا الْبَيْتِ فِي الْأَصْلَيْنِ :

وَوَاحِدٌ يَمْضِيْهِ وَاحِدٌ * وَبَعْضُ الْآخَرِ اثْنَيْنِ

٢٠

وَمَا أُثْبِتَاهُ عَنِ الذَّيْلِ عَلَى مَرَاةِ الزَّمَانِ . (٣) التَّكْلَةُ عَنْ غَايَةِ النِّهَايَةِ وَتَارِيخِ الْإِسْلَامِ .

(٤) التَّكْلَةُ عَنِ الْمَصْدَرَيْنِ الْمُتَقَدِّمَيْنِ وَالْمُتَّخَذِ . (٥) الْجَبْيَانِيُّ : نَسَبُهُ إِلَى جَبَانَ : يُلْدُ بِالْأَنْدَلُسِ .

صاحب التصانيف في النحو والعربية نزيل دمشق مولده سنة إحدى وستمائة ،
وسَمِعَ الحديث وتصدّر بحلب لإقراء العربية ، وصَرَفَ قِمتَه إلى النحو حتى بَلَغَ فيه
الغاية ، وصنّف التصانيف المفيدة ، وكان إماماً في القراءات ، وصنّف فيها أيضاً
قصيدة مرموزة في مقدار الشاطيئة ، وكان إماماً في اللغة .

قلت : وشهرته تُنْفَى عن الإطناب في ذكره . ومات في ثاني عشر شعبان وقد
نَيْفَ على السبعين ، رحمه الله تعالى .

الذين ذكر الذمّي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها تُوُفِّي مؤيد الدين أسعد
أبن المظفر التميمي - أبن القلانسي - عن ثلاث وسبعين سنة في المحرم . والسيد نجيب الدين
عبد اللطيف بن أبي محمد عبد المنعم [بن علي^(١) بن نصر بن منصور بن هبة الله
أبو الفرج أبن الإمام الواعظ أبي محمد] بن الصّبّغ الحارثي في صفر ، وله خمس
وثمانون سنة . والمسند نقي الدين إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر [شاذلي^(٢) بن عبد الله]
التنوّحي الكاتب في صفر ، وله ثلاث وثمانون سنة . وأبو عيسى عبد الله بن عبد الواحد
ابن محمد [بن عبد الواحد^(٣)] بن علاق الأنصاري الرزاز في شهر ربيع الأول عن ست
وثمانين سنة . والقاضي كمال الدين عمر بن بُسْدار التفيلسي بمصر في شهر ربيع الأول
وقد جاوز السبعين . والمحتمل نجم الدين علي بن عبد الكافي الرّبيعي الشافعي في شهر
ربيع الآخر شأباً . والشيخ كمال الدين عبد العزيز بن عبد المنعم في شعبان عن ثلاث
وثمانين سنة . والعلامة جمال الدين محمد بن عبد الله [بن عبد الله] بن مالك الطائي
الحليّاني في شعبان عن نحو سبعين سنة . والأمير الكبير أتابك المُستعرب ، وأسمه

(١) زيادة عن تاريخ الإسلام وذيّل مرآة الزمان . (٢) زيادة عن المصادر المتقدمين
وشذرات الذهب . (٣) تكملة عن تاريخ الإسلام والسلوك (ص ٦١٤) .
(٤) في الأصلين : « الرّداد » . وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب .

فارس الدين أقطاي الصالحى، وقد ولي نيابة المظفر قُطُز، توفى في جمادى الأولى .
 والزاهد الكبير الشيخ محمد بن سليمان [بن محمد بن سليمان] الشاطبي بالإسكندرية
 وخوaja [محمد بن محمد بن الحسن أبو عبد الله] نصير [الدين] الطوسى في ذى الحجة .
 § أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم ست أذرع وإحدى وعشرون أصبعا .
 • يبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وست أصابع .



السنة الخامسة عشرة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، وهى سنة
 ثلاث وسعين وستمائة .

فيها كانت أنعموبة في السابع والعشرين من شعبان وهو أنه وقع رمل بمدينة
 الموصل ظهر من القبلة وأنشربميناً وشمالاً حتى ملأ الآفاق وعُجمت الطرق، فخرج
 ١٠ العالم إلى ظاهر البلد، ولم يزالوا يبتهلون إلى الله تعالى بالدعاء إلى أن كشف الله
 ذلك عنهم .

وفيها توفى الأمير شهاب الدين أبو العباس أحمد بن موسى بن يعقوب بن جلدك .
 وقد تقدم ذكر والده الأمير جمال الدين موسى . كان شهاب الدين هذا، مروفاً بالشجاعة
 والشهامة والصرامة والحرمة، ولأه الملك الظاهر المحلة وأعمالها من الغربية من إقليم
 ١٥ مصر، فهدبها ومهد قواعد وأباد المفسدين بها بحيث إنه قطع من الأيدي والأرجل
 ما لا يُحصى كثرة، وشق ووسط نخافه البرى، والسقيم . ومات بالجملة في الرابع والعشرين
 (١)

(١) التكملة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب وعيون التاريخ والنيل على مرآة الزمان
 وعقد الجمان . (٢) في الأصلين : « جمال الدين » . والباقي يقتضى ما أتينا به .

(٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٢٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٤) في الأصلين
 ٢٠ « في راجع عشر جمادى الأولى » . وبإتيناها عن عقد الجمان وعيون التاريخ وذيل مرآة الزمان .

من بُجَادَى الأولى، وكان عنده رياسة وحِشْمَةٌ ورَّيْلُنْ يَقْصِدهُ؛ وله نظمٌ وعنده فضيلة.
ومن شعره يُخاطب الأمير علم الدين الدَّوَادَارِي ^(١) :

إِنْ صَدَدْتُمْ عَنْ مِثْلِي فَلَكُمْ فِيهِ * نَسَاءُ كُنْشَرِ رَوْضِ بَيْيٍّ
أَوْ رَدَدْتُمْ فَأَنَا الْمَحْبُوبُ الَّذِي مِنْ * آلِ مُوسَى فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ

وله :

خَطْبُ أَتَى مُسِيرًا فَأَذَى * أَصْبَحَ جَسْمِي بِهِ جَدَاذَا
خَفَضَ قَلْبِي وَعَمَّ غَيْرِي * يَا لَيْتَنِي يَتُّ قَبْلَ هَذَا ^(٢)

وله في مَلِيحٍ نَحْوِي :

وَمَلِيحٌ تَعَلَّمَ النُّحُوَّ يَحْكِي * مَشْكَلَاتٍ لَهُ بَلْفِظٌ وَجِيزٍ
مَا تَمَيَّزَتْ حَسَنَتُهُ قَطُّ إِلَّا * قَامَ أَرَى نَصَبًا عَلَى التَّمْيِيزِ

وفيهَا هَلَكَ يَمِينُ الدَّرَنْجِي - مَمْلُوك طَرَابُلُسَ بِهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ
وَدُفِنَ فِي كَنِيسَةٍ بِهَا ، وَتَمَلَّكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ ، وَكَانَ حَسَنَ الشَّكْلِ مَلِيحَ الصُّورَةِ .

وفيهَا تُوُفِيَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو مُحَمَّدٍ شَمْسُ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ شَرْفِ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ
عَطَاءِ الْأَذْرَعِيِّ الْأَصْلُ الدَّمَشْقِيُّ - الْوَفَاةُ الْحَنَفِيَّةُ ، كَانَ إِمَامًا فَضِيحًا مُفْتِيًّا عَالِمًا مُفْتَنًّا ، ^(٣)

أَفْتَى وَدَرَسَ بِمَعْدَةِ مَدَارِسَ ، وَهُوَ أَوَّلُ قَاضٍ وَلِيَ الْقَضَاءَ أَسْتَقْبَالًا بِدَمَشَقٍ مِنْ
الْحَنَفِيَّةِ فِي الْعَصْرِ الثَّانِي . وَأَمَّا أَوَّلُ الزَّمَانِ فَوَلِيَهَا جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي أَوَائِلِ
الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ . وَحَسُنَتْ سِيرَتُهُ فِي الْقَضَاءِ إِلَى الْغَايَةِ ؛ وَفَصَّتْهُ مَعَ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ
بِسِيرٍ مَشْهُورَةٍ لَمَّا أَوْقَعَ الظَّاهِرُ الْحَوَاطَةَ عَلَى الْأُمَلَاكِ وَالْبَسَاتِينِ بِدَمَشَقٍ ، وَقَعَدَ

(١) عبارة الذيل على مرآة الزمان وعبود التواريخ : « وقال يخاطب صاحباً له ورد عليه من
الإسكندرية إلى المحلة » . (٢) في الأصلين : « خفض » . (٣) في الأصلين :
« البليكي » . وما أئْتِناه عن الجواهر المطبوعة في طبقات الحنفية وتاريخ الإسلام وشذرات الذهب
والمنهل الصافي ومقد الجمان والسلوك .

- الظاهر في دار العدل يَدْمَشْقُ وجرى الحديث في هذا المعنى بحضور القضاة الأربعة والعلماء وغيرهم ، فكلُّ من القضاة الآن له القول وخشيَ سَطْوَةَ الملك الظاهر إلا شمس الدين هذا ، فإنه صَدَعَ بالحق وقال : ما يَحِلُّ لمسلم أن يتعرض لهذه الأملاك والبساتين ! فإنها بيد أربابها ويُدْمُ ثابِتَةٌ عليها . فغَضِبَ الملك الظاهر من هذا القول وقام من دار العدل وقال : إذا كُنَّا ما نحن مسلمون إيش قعودنا ! فشرع الأمراء يتألفوه ولا زالوا به حتى سكن غضبه ؛ فلما رأى الظاهر صلابة دينه حَظَى عنده وقال : أثبتوا كتبنا عند هذا القاضي الحنفى وعظُم في عينه وهابه .
- وكان من العلماء الأعيان تَامُ الفضيلة وافر الديانة كريم الأخلاق حسن العشرة كثير التواضع عديم النظير ، وأنتفع بعلمه جم غفير ، رحمه الله تعالى .

- وفيها تُوُفِّيَ الشيخ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود بن أحمد ابن محمد التَّيْمُورِيّ الجَلْدِيّ ، المَوْصِلِيّ الأب ، الدَّمَشْقِيّ المَوْلَد ، المحلّي الوفاة المعروف بابن الطَّحَّان الشهير بالحافظ اليَغْمُورِيّ ، كان فاضلاً سَمِيعَ الكثير بَعْدَةَ بلاد ، وكان له مشاركة في فنون ، وكان أديباً شاعراً . ومن شعره :

رَجَعَ الْوُدُّ عَلَى رَغَمِ الْأَعَادَى * وَأَتَى الْوَصْلُ عَلَى وَفْقِ مَرَادَى

- ١٥ ما على الأيام ذَنْبٌ بَعْدَ مَا * كَفَرَ الْقُرْبُ إِسَاءَاتِ الْبِعَادِ

الذين ذكر الذمهي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفى الحافظ وجيه الدين أبو المظفر منصور بن سليم الحمداني بالإسكندرية في سؤال . وقاضى القضاة

(١) في المثل الصافي وتاريخ الإسلام : « فشرع الأمراء في التلطف ... الخ » .

(٢) في الأملين . « الهداني » . والتصحيح عن الذيل على مرآة الزمان وتاريخ الإسلام وعقد

الجلان . والحمداني « بكون الميم » : نسبة إلى القبيلة المشهورة ، كما في شذرات الذهب .

شمس الدين عبد الله بن محمد بن عطاء الحنفى فى جمادى الأولى وهو فى عشر الثمانين .
 وأبو الفتح عمر بن يعقوب الإربلى الصوفى فى يوم النحر .
 § أمر النيل فى هذه السنة المباركة - الماء القديم خمس أذرع وأربع أصابع .
 مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث أصابع .



السنة السادسة عشرة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، وهى
 سنة أربع وسبعين وستمائة .

فبها توفى الأمير عز الدين أبو محمد أئبك بن عبد الله الإسكندراني الصالحى
 النجمى ، كان أستاذه الملك الصالح نجم أيوب يبق به ويعتمد عليه وولاه
 الشوبك ، وجعل عنده جماعة كثيرة من خواصه : منهم الأمير عز الدين أيدهر
 الحلى ، والأمير سنجر الحصىنى^(١) ، والأمير أئبك الززادى ، وكان عنده كفاية وخبرة تامة
 وصرامة شديدة ومهابة عظيمة يُقيم الحدود على ما يجب ، ثم نُقل فى عتة وظائف
 إلى أن مات فى شهر رمضان بقلة الرحمة ودُفن بظاهرها .

وفبها توفى الحسن بن على بن الحسن بن ماهر^(٣) بن طاهر أبو محمد نخر الدين
 الحسينى نقيب الأشراف وابن نقيبهم ، مولده سنة ثمان وستمائة ، ومات يوم الأحد
 تاسع شهر ربيع الأول ببغلبك ، وكان عنده فضيلة ومعرفة بأنساب العلويين ونظم
 نظما متوسطا وكان مبدرا للأموال .

(١) فى الأصلين : « الحلى » . وما أئبناه من ذيل مرآة الزمان . وهو الأمير علم الدين سنجر
 الحصىنى كان من أمراء الألف وكان فى وقت نائب السلطنة بدشتو . ومات فى هذه السنة (عن الوافى
 بالوفيات للصفدى) . (٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٢٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
 (٣) فى الذيل على مرآة الزمان : « ماهر » .

وفيهما توفى الأمير الكبير ركن الدين خاص ترك بن عبد الله الصالحى النجمى،
وكان شجاعاً مقداماً مقدماً عند الملوك . مات في شهر ربيع الأول بدمشق .

وفيهما توفى الشيخ زين الدين أبو المظفر عبد الملك بن عبد الله بن عبد الرحمن
أبن الحسن بن عبد الرحمن بن طاهر الحلبي الشافعى المعروف بأبن العجمى، مولده
بجلب سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، وسمع الحديث وحديث وكان شيخاً فاضلاً .
مات في ذى القعدة بالقاهرة ، ودُفِنَ بسفح المقطم وهو خال قاضى القضاة
كمال الدين أحمد بن الأستاذ .^(١)

وفيهما توفى الشيخ بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن عيسى الله [بن جبريل] كان
صَنَدَرًا كبيراً عالماً فاضلاً شاعراً . مات بالقاهرة ودُفِنَ بالفراغة وهو في عشر
الستين م ومن شعره ، رحمه الله تعالى :

ولقد شكوتُ لِمُتَلَفِي * حالى وَلَقَطْتُ العبارة

فَكَاتِي أَشْكُو إِلَى * حَجْرٍ وَإِنْ مِنْ الْحِجَارَةِ

وله :

يا راحلاً قد كُذِّتْ أَقْضَى بَعْدَهُ * أَسْفًا وَأَحْشَانِي عَلَيْهِ تَقَطَّعُ

شَطَّ الْمَزَارُفِ الْقُلُوبِ سِوَاكُنْ * لَكِنْ دَمْعَ الْعَيْنِ بَعْدَكَ يَنْبَعُ^(٢)

وفيهما توفى الشيخ الإمام تاج الدين أبو الثناء محمود بن عابد بن الحسين بن محمد
[بن] الحسين بن جعفر بن عمارة بن عيسى بن علي بن عمارة التميمي الصرخدي^(٣)

(١) هو كمال الدين أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الأستاذ الشافعى المعروف بأبن الأستاذ .
تقدمت وفاة سنة ٦٦٢ هـ . (٢) كذا في الأصلين وذيل مرآة الزمان . وفي المنهل الصافي
وتاريخ الإسلام والسلوك : « زين الدين » . (٣) زيادة عن تاريخ الإسلام وذيل مرآة الزمان
والمنهل الصافي وعيون التواريخ . (٤) في الأصلين « ابن عابد » بالياء المثناة آخر الحروف ،
وهو تصحيف . يتضح من عيون التواريخ وذيل مرآة الزمان والمنهل الصافي وشذرات الذهب
والسلوك . (٥) التكلفة عن الذيل على مرآة الزمان .

الحنفى^(١)، مولده سنة ثمان وسبعين وخمسمائة بصرخدا . ومات ليلة الجمعة السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر بدمشق ، ودفن بمقابر الصوفية عند قبر شيخه جمال الدين الحصري^(٢)، كان من الصلحاء العلماء العاملين ، كان كثير التواضع قنوعا من الدنيا معرضا عنها ، وكانت له وجاهة عظيمة عند الملوك وأنتفع به جم غفير من الطلبة ، وكانت له اليد الطولى فى النظم والنثر . ومن شعره قوله :

ما نلتُ من حُبٍّ من كلفتُ به * إلا غراماً عليه أو ولماً^(٣)

ومحنتي فى هواء دائرة * آخرها ما يزال أولماً^(٤)

قلت : وأرشق من هذا من قال :

محبتي ما تنقضى * بلقوة تُبطلها

سكانها دائرة * آخرها أولماً

الذين ذكر الذهبي وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها توفى المحدث مكي بن الدين أبو الحسن بن عبد العظيم الحنبلي المصري فى رجب ، وله أربع وسبعون سنة . وسعد الدين أبو الفضل محمد بن مهلهل بن بدران الأنصارى الحنبلي المصرى سميع الأرتاحى . وتوفى تاج الدين محمود بن عابد التميمي^(٥) الصرخدي الحنفى الشاعر المشهور

(١) كذا فى الأصلين وذيل مرآة الزمان وعقد الجمان وما يفهم من عبارة السلوك . وفى تاريخ الإسلام وعيون التواريخ والنهل الصافى : « ولد بصرخدا سنة ثمان وتسعين وخمسمائة » . (٢) هو محمود ابن أحمد بن عبد السيد الشيخ الإمام جمال الدين بن الحصري الحنفى . تقدمت وفاته سنة ٦٣٦ هـ . (٣) رواية هذا المصراع فى الأصلين : * ما قلت من حب من ذا كلفت به *

والتصحیح عن عيون التواريخ وذيل مرآة الزمان . (٤) فى الأصلين : « ومحنتي فى هواء ... الخ » . وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان . (٥) كذا فى الأصلين . وفى حسن المحاضرة : « محمد بن بدران سعد الدين أبو الفضل الحنبلي » . وقد أوردته فى تذكرة الحفاظ فى ترجمة الحافظ عبد الغنى وقال عنه : « محمد بن مهلهل الحنبلي » بالخاء والياء وهو من روى عن الحافظ المذكور . ولم يرد هذا الاسم فى الذهبي وفى وفیات هذه السنة . (٦) هو أبو العباس أحمد بن حامد بن أحمد ابن حديد الشيخ المقرئ الأنصارى الأرتاحى ثم المصرى الحنبلي . توفى سنة ٦٥٩ هـ (عن النهل الصافى وتذكرة الحفاظ وحسن المحاضرة للسيوطى) .

في شهر ربيع الآخر عن نيّف وتسعين سنة . وسعد الدين الخيضر بن شيخ الشيوخ
 فاج الدين عبد الله [بن شيخ الشيوخ أبي الفتح عمر] بن حمويه الجويني في ذى الحجة^(٢)
 عن ثلاث وثمانين سنة . وأبو الفتح عثمان بن هبة الله بن عبد الرحمن [بن مكي^(٣)
 ابن إسماعيل] بن عوف الزهرى آخر أصحاب أبي موقا في شهر ربيع الآخر^(٤)
 بالإسكندرية .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم القاعدة لم يُحَوَّر لِأَخْتِلَافِ الْمُؤَرِّخِينَ .^(٥)
 مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وخمس عشرة إصبعا .



السنة السابعة عشرة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، وهى سنة
 خمس وسبعين ومائة .

فيها تُوُفِّيَ إبراهيم بن سعد [الله] بن جماعة بن على بن جماعة بن حازم بن محضر^(٦)
 أبو إسحاق الحموي الكنانى المعروف بأبن جماعة، سمع الفخر بن عساكر وغيره^(٧)
 وحلث . ومولده يوم الاثنين متصف رجب سنة ست وتسعين وخمسمائة بمكة ،^(٨)
 وهو والد القاضي بدر الدين بن جماعة . مات يوم عيد النحر^(٩)

- ١٥ (١) سماء الذهبي أيضا مسعود بن عبد الله، ووافقه في ذلك عيون التواريخ والذيل على مرآة الزمان
 وتاريخ الدول والملوك لابن القرات والسلوك . (٢) التكلة عن حسن المحاضرة وتاريخ الإسلام
 وشذرات الذهب . (٣) التكلة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب وعيون التواريخ .
 (٤) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن مكي بن حمزة بن موقا الأنصارى الإسكندراني الناجر . تقدمت
 وفاته سنة ٥٥٩٩ . (٥) وقد راجعنا أيضا كنز الدرر ودرر التيجان فلم يكتبنا عن الماء القديم شيئا .
 ٢٠ (٦) التكلة عن تاريخ الإسلام للذهبي والذيل على مرآة الزمان والمهمل الصافي وعقد الجمان وتاريخ
 الدول والملوك . (٧) هو عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين
 نضر الدين بن عساكر . تقدمت وفاته سنة ٥٦٢٠ . (٨) في الأصلين : « سنة سبع وتسعين » .
 والتصحيح عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ وعقد الجمان وتاريخ الدول والملوك . (٩) هو القاضي
 بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الحموي الكنانى . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٥٧٣٣ .

- وفيها توفي الأمير ناصر الدين محمد بن أيك [بن عبد الله بن] الإسكندري^(١)،
 وكان تَمَن جمع بين حسن الصورة وحسن السيرة ووفور العقل والرياسة ومكارم
 الأخلاق . مات غريباً ، مَرَّ بفرسه على جسر حجر فزَلِق الفرس ووقع به في النهر
 ونرج الفرس سباحةً ومات هو . فكان الجلال بن الصقار الماردنيّ عنه بقوله :
 يَا أَيُّهَا الرَّشَاءُ الْمَكْحُولُ نَظَرُهُ * بِالسَّحَرِ حَسْبُكَ قَدْ أَحْرَقَتْ أَحْشَانِي^(٢)
 لَمَّا أَنْفَهَا سَكَ فِي التَّيَارِ حَقَّقَ أَتَ الشَّمْسُ تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ مِنَ الْمَاءِ
 أَوْ بِقَوْلِهِ أَيْضاً . وَقِيلَ لِمَهُمَا لِأَبِي إِسْمَاقَ الشِّيرَازِيِّ^(٣) ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ :
 غَرِيقٌ كَانَ الْمَوْتُ رَقَّ لِحُسْنِهِ * فَلَانَ لَهُ فِي صَفْحَةِ الْمَاءِ جَانِبُهُ
 أَبِي اللَّهِ أَنْ يَسْلُوهُ قَلْبِي فَإِنَّهُ * تَوَفَاهُ فِي الْمَاءِ الَّذِي أَنَا شَارِبُهُ
 وفيها توفي الشيخ المعتقد الصالح أبو الفتيان أحمد بن علي بن إبراهيم [بن محمد]^(٤)
 ابن أبي بكر المقدسي الأصل البدوي المعروف بأبي اللثامتين السطوحى . مولده^(٥)

(١) زيادة عن ذيل مرآة الزمان . (٢) في الأصلين : « فقال فيه الجلال ... » .
 وتصحيحه عن ذيل مرآة الزمان . وهو جلال الدين الماردنيّ علي بن يوسف بن شيان المعروف
 بابن الصقار ، كاتب الإنشاء للوك الناصر ناصر الدين أرتق صاحب ماردن . قتل بيد التار
 سنة ٦٥٨ هـ أي قبل وفاة هذا المتحدث عنه بسبع عشرة سنة . وقد قال هذين البيتين في غلام مليح
 غرق في الماء كما في التهل الصافي وفوات الوفيات . (٣) رواية هذا المصراع
 في فوات الوفيات : * إلى أعينك من نار بأحشائي * (٤) عبارة الأصلين :
 « وقال فيه أيضاً » وفي ذيل مرآة الزمان : « وإبراده بقوله أيضاً » . والسياق يقتضى ما أثبتناه .
 (٥) هو أبو إسحاق الفيروزابادي الشيرازي إبراهيم بن علي بن يوسف الشافعي . تقدّمت وفاته
 سنة ٤٧٦ هـ . وقد ذكر المؤلف في ترجمته أنه قال هذين البيتين في غريق في الماء ، وروايتهما تختلف
 عما هنا قليلاً . (٦) تكلّمة عن شذرات الذهب والمخطوط التوفيقية . (٧) كذا في أحد
 الأصلين . ولعلها : « الفاسي » لأن مولده كان بفاس من بلاد المغرب . والأصل الآخر لم يبرم له .
 (٨) السطوحى : نسبة إلى السطوح لأنه مكث على السطوح مدة اثنتي عشرة سنة .

سنة ست وتسعين وخمسمائة ، وتوفى في سنة خمس وسبعين في شهر ربيع الأول ،
وُدُنَ بِطَنْدَنَا وَفَرِهِ يُقْصَدُ لِلزَّيَارَةِ هُنَاكَ ، وَكَانَ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ الْمَشْهُورِينَ ، وَسُمِّيَ
بِأَبِي الْثَلَاثِينَ لِلْمَلازِمَةِ الثَّلَاثِينَ صَيْفًا وَشِتَاءً ، وَكَانَ لَهُ كِرَامَاتٌ وَمَنَاقِبٌ جَمَّةٌ ، رَحِمَهُ
الله تَعَالَى وَنَفَعْنَا بِبَرَكَاتِهِ .

- وفيها تُوُفِيَ الْعَلَمَةُ بِدْرِ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَقَّازِ السُّلَمِيِّ الْحَنْفِيِّ الْمَعْرُوفِ بِأَبْنِ الْفُؤَيْرَةِ (٢١) . مَاتَ بِدِمَشْقِ
فِي يَوْمِ السَّبْتِ حَادِي عَشْرِينَ جُمَادَى الْأُولَى وَقَالَ الْحَافِظُ عَبْدُ الْقَادِرِ فِي طَبَقَاتِهِ :
رَأَيْتُ بِحُطِّ الْحَافِظِ الدَّمِيَاظِيِّ فِي مَشِيعَتِهِ أَنَّهُ تُوُفِيَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ لِحَاقَةِ مَتَنَصِفِ شَهْرِ
رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ . وَكَانَ إِمَامًا عَالِمًا مُتَبَحِّرًا فِي الْعُلُومِ ، دُرِّسَ

- ١٠ (١) هي المدينة الشهيرة التي تعرف اليوم باسم طنطا قاعدة مديرية الغربية وهي من المدن المصرية
القديمة اسمها المصري « تناسو » والرومي « نائناد » وقد وردت في الكتب العربية بأسماء . « طنطا »
« وطنتنا » « وطنلة » « وطنندا » « وطنندا » ثم أسقطت الهمزة التخفيف فصارت « طنتا » ثم نلت
الهاء فصارت « طنطا » وهو اسمها الحالي .

- وكانت مدينة المحلة الكبرى قاعدة لإقليم الغربية من أيام الفتح العربي لمصر ، فلما عين عباس باشا
حلي الأول مديرا الغربية في سنة ١٢٤٩ هـ قبل ولايته على مصر سعى لدى جده محمد علي باشا الكبير لنقل
١٥ قاعدة المديرية من المحلة الكبرى إلى طنطا فوافق جده على ذلك ، وأصبحت مدينة طنطا قاعدة لمديرية
الغربية من سنة ١٢٥٢ هـ = ١٨٣٦ م . وهذه المدينة قد زادت شهرتها من يوم أن دفن بها
ولي الله تعالى السيد أحمد البدوي المتوفى سنة ٦٧٥ هـ فان وجود قبره بها كان سببا في زيادة شهرتها حيث
يحفل فيها سنويا بأعياء ذكرى مولده العظيم ، ويقصدها خلق كثير من التبرك بهذا الولي الذي له في طنطا
ضريح تطوءه قبة عظيمة لاحتلو يوبا من الزائرين . وله جامع من أكبر الجوامع الحافظة بطلبة العلم والمصلين .
٢٠ وإليه ينسب المعهد الديني الأحمدي .

وطنطا من أكبر مدن مصر وأشهرها ، وما زاد في عمارتها وأهميتها التجارية وقوعها في وسط الوجه
البحري ووجود محطة كبيرة بها تتفرع منها شبكة من السكك الحديدية المنتشرة في الوجه البحري .

- (٢) ضبطه صاحب المثل الصافي والجواهر المضية في طبقات الحنفية بالعبرة فقالا : بفتح الحاء
المهملة وتشديد الفاء . (٣) ضبطه صاحب الجواهر المضية بالعبرة فقال : (بكسر الراء
٢٥ المهمله . وأشهر بين الناس بفتح الراء ، كذا قال لي شيخنا قطب الدين) .

بالشَّيْلِيَّةُ^(١) [مَجْبَل] الصَّالِحِيَّةُ وَأَفْتَى سَنِينَ وَبَرَعَ فِي الْفَقْهِ وَالْعَرَبِيَّةِ وَسَمِعَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ يَكْتُبُ خَطًّا حَسَنًا، وَلَهُ مَعْرِفَةٌ أَيْضًا بِالْأَصُولِ وَالْأَدَبِ وَلَهُ نَظْمٌ رَائِعٌ، وَكَانَ رَئِيسًا وَعِنْدَهُ دِيَانَةٌ وَمُرُوءَةٌ وَمَكَارِمُ أَخْلَاقٍ . وَمِنْ شِعْرِهِ [فِي مَلِيعٍ شَاعِرٍ] :
 وَشَاعِرٍ يَسْحَرُنِي طَرْفُهُ * وَرِقَّةُ الْأَلْفَاظِ مِنْ شِعْرِهِ
 أَنَشِدُنِي نَظْمًا بَدِيعًا فَا * أَحْسَنَ ذَاكَ النِّظْمِ مِنْ تَغْرِهِ
 وَلَهُ فِي مَعْدَرٍ :

عَايَنْتُ حَبَّةَ خَالِهِ * فِي رَوْضَةٍ مِنْ جُلَّتَارِ
 فَغَدَا فُرَادَى طَائِرًا * فَأَصْطَادَهُ شَرَكُ الْعِيدَارِ
 وَلَهُ :

كَانَتْ دُمُوعِي حُمْرًا يَوْمَ بَيْنِهِمْ * فُذُّ نَاوَا قَصْرَتِهَا لَوْعَةُ الْحُرْقِ
 قَطَفْتُ بِاللَّهْظِ وَرَدًّا مِنْ خُدُودِهِمْ * فَاسْتَفْطَرَ الْبَعْدُ مَاءَ الْوَرْدِ مِنْ حَدَقِي
 وَقِيلَ إِنَّهُ رُبِّي فِي الْمَنَامِ بَعْدَ مَوْتِهِ فَسُئِلَ عَمَّا لَقِيَ بَعْدَ مَوْتِهِ فَكَانَ جَوَابُهُ .
 مَا كَانَ لِي مِنْ شَافِعٍ عِنْدَهُ * إِلَّا آعْتَقَادِي أَنَّهُ وَاحِدٌ

وَفِيهَا تُوقَى الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ مَنْصُورٍ

الْحَرَّانِيُّ الْحَنْبَلِيُّ، كَانَ فَقِيهًا إِمَامًا عَالِمًا عَارِفًا بِعِلْمِ الْأَصُولِ وَالْخِلَافِ وَالْفَقْهِ وَدَرَسَ

(١) المدرسة الشَّيْلِيَّةُ مِنْ أَقْدَمِ مَدَارِسِ الْحَنْبَلِيَّةِ بِدِمَشْقَ بَسْفَحِ قَاسِيُونِ بِالْقُرْبِ مِنْ جَسْرِ تَوْرِهِ . أَنشَأَهَا شَيْبَلُ الدَّوْلَةِ كَافُورُ الْحَسَامِيِّ الرُّومِيُّ طَوَاشِي حَسَامِ الدِّينِ بْنِ لَاجِينَ وَلِدَتْ الشَّامَ سَنَةَ ٦٢٦ هـ وَقَدْ دَفِنَ بِهَا وَهِيَ فَوْقَ جَسْرِ تَوْرِهِ مِنْ طَرِيقِ عَيْنِ الْكَرْشِ لَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا قِطْعَةٌ يَسِيرَةٌ قَاوَمَتْ صُرُوفَ الزَّمَانِ . دَرَسَ بِهَا عَظَمَاءُ مِنَ الْفُقَهَاءِ مِنْهُمْ الصَّفِيُّ السَّنْجَارِيُّ وَالشَّمْسُ بْنُ الْجَوْزِيِّ وَابْنُ قَاضِي أَمَدَ وَابْنُ الْفَوَيْزِ وَابْنُ الْبَصْرِيِّ وَالْأَزْهَرِيُّ وَالْكَاشْفَرِيُّ وَالطُّوسِيُّ وَالْكَفِيرِيُّ وَالتَّرْكَانِيُّ وَالعَمَادُ الْجَيْسَلِيُّ وَابْنُ بَشَارَةَ وَغَيْرُهُمْ . (خَطَطُ الشَّامِ لِلْأَسَازِ مُحَمَّدُ كَرْدَ عَلَى ص ٩٣ ج ٦) . (٢) فِي الْأَصْلِينَ : « وَدَرَسَ بِالشَّيْلِيَّةِ وَبِالصَّالِحِيَّةِ » . وَالتَّصْحِيحُ وَالزِّيَادَةُ عَنْ ذَيْلِ مَرَاةِ الزَّمَانِ وَهَيُونَ التَّوَارِيخِ . (٣) زِيَادَةُ عَنْ هَيُونَ التَّوَارِيخِ . (٤) فِي الْأَصْلِينَ : « جَنَّةُ خَالِهِ » . وَمَا أُثْبِتَاهُ عَنْ هَيُونَ التَّوَارِيخِ وَذَيْلِ مَرَاةِ الزَّمَانِ وَشَذَرَاتِ الذَّهَبِ .

وأُتقى وأُستغل [على الشيخ علم الدين القاسم في الأصول والعريضة] ومات في جُمادى الأولى . ومن شعره قوله :

طار قلبي يوم ساروا فرقا * وسواء فاض دمي أورقا

حار في سُقي من بعدهم * كل من في الحى دأوى أورق

بعدهم لأطل وأدى المنحنى * وكذا بان الحى لا أورقا

وفيهما توفي الأديب الشاعر شهاب الدين أبو المكارم محمد بن يوسف بن مسعود ابن بركة الشيباني التلعفري^(٢) الشاعر المشهور، مولده سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بالموصل، ومات بجمة في شوال . كان أدبياً فاضلاً حافظاً للأشعار وأيام العرب وأخبارها، وكان يتشبع، وكان من شعراء الملك الأشرف موسى شاه أرمن، وكان التلعفري هذا مع تقدمه في الأدب وبراعته أثبت بالقيار، ووقع له بسبب القهار أمور منها: أنه نُودي بحلب من قبل السلطان: من فامر مع الشهاب التلعفري قطعنا يده، فضاعت عليه الأرض، فناء إلى دمشق ولم يزل يستجدي ويقامر حتى بقى في أثون من الفقر .

قلت : وديوان شعره لطيف في غاية الحسن وهو موجود بأيدي الناس . ومن

شعره قصيدته المشهورة :

أتى دمع من الجفون أسالة * إذ أثنه مع النسيم رسالة

حمته الرياح أسرار عريف * أودعها السحاب المطالة

يا خليل وللليل حقوق * واجبات الأداء في كل حالة^(٣)

(١) زيادة عن تاريخ الاسلام وذيل مرآة الزمان وعيون التواريخ . (٢) التلعفري (فتح أزه

واللام المتددة والفاء وسكون المهمله وراء : نسبة الى التل الأعفر ، موضع بنواحي الموصل (عن شذرات الذهب) . وضبطه صاحب الباب بفتح التاء واللام المخففة . (٣) في الأصلين والمنهل الصافي وفوات الوفيات : « واجبات الأحوال ... الخ » . وما أثبتناه عن ديوانه الملتوق في بيروت .

سَلَّ عَقِيقَ الْخَمِي وَقَلَ إِذْ تَرَاهُ * خَالِيًا مِنْ ظِلَابِهِ انْتَحَالَه
 أَيْنَ تَلَكِ الْمَرَاثِفُ الْعَسَلِيَّةِ * مَا تُوْتِكَ الْمَاعِطُفُ الْعَسَالَةَ
 وَلِيَالٍ قَضِيَّتْهَا كَلَالِي * بِنَزَالٍ تَفَارُ مِنْهُ الْفَزَالَةَ
 بِأَمْلَى الْأَلْحَاطِ وَالرَّيْسِ وَالْأَلْ * غَاطِظٌ كُلُّ مَدَامَةٍ سَلْسَالَةَ
 مِنْ بَنَى التَّرَكُّ كَلَمًا جَذَبَ الْقَو * مَن رَأَيْتَ فِي بُرْجِهِ بَدْرَهُ هَالَهُ
 أَوْقَعَ الْوَهْمَ حِينَ يَرَى فَلََمْ يَد * رِي يَدَاهُ أَمْ عَيْنُهُ النَّبَالَةَ
 قَلْتُ لِمَا لَوَى دِيُونََ وَصَالِي * وَهُوَ مِثْرٌ وَقَادِرٌ لَا مَحَالَهُ
 بَيْنَمَا الشَّرْعُ قَالَ سِرْبِي فَعَنْدِي * مِنْ صَفَاتِي لِكُلِّ دَعْوَى دَلَالَهُ
 وَشَهْوَدِي مِنْ خَالِ حَدَّتِي وَ[مَنْ] قَدْ ذِي شَهُودٌ مَعْرُوفَةٌ بِالْقَدَالَةِ
 أَنَا وَكَلْتُ مُقْلَتِي فِي دَمِ الْخَل * بَقِي فَقَالَتْ قِيلَتْ هَذِي الْوَكَالَةَ
 وَهُوَ مَوْثِقَةٌ مَدَحَ بِهَا شَهَابُ الدِّينِ الْأَعْرَازِي^(٥) ، ثُمَّ وَقَعَ بَيْنَهُمَا وَتَهَاجَا .
 وَأَوَّلُ الْمَوْثِقَةِ :

لَيْسَ يَرُوى مَا بَقَلْبِي مِنْ ظَلَمًا * غَيْرَ بَرَقٍ لَا تُخِ مِنْ إِضْمٍ^(٦)

* إِنْ تَبَدَّى لَكَ بَأَنَّ الْأَجْرِعِ *

* وَأُثْنِلَاتُ النَّقَا مِنْ لَطَلَجِ *

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِينَ وَالْمَثَلُ الصَّافِي . وَرَايَةُ دِيَوَانِهِ : * مَن رَأَيْتَ فِي كَفِّهِ بَدْرَهُ هَالَهُ *

(٢) هَذِهِ رَايَةُ الدِّيَوَانِ . وَرَايَةُ الْأَصْلِينَ وَالْمَثَلُ الصَّافِي :

يَقْطَعُ الْوَهْمَ حِينَ يَرَى وَلَا تَد * رِي يَدَاهُ أَوْ عَيْنُهُ النَّبَالَهُ

(٣) التَّكْلَةُ عَنِ الدِّيَوَانِ وَفَوَاتُ الْوَفِيَّاتِ . (٤) فِي الْأَصْلِينَ : « فَقَالَ » . وَمَا أُثْنِتَاهُ

عَنِ دِيَوَانِهِ وَفَوَاتُ الْوَفِيَّاتِ وَالْمَثَلُ الصَّافِي . (٥) هُوَ شَهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ

عَبْدِ الْمُنْعَمِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْأَعْرَازِي الْأَدِيبُ الشَّاعِرُ . سِذَكَرَهُ الْمُؤَلِّفُ فِي حَوَادِثِ سَنَةِ ٧١٠ هـ .

(٦) كَذَا فِي دِيَوَانِهِ وَفَوَاتُ الْوَفِيَّاتِ . وَفِي الْأَصْلِينَ : « كَيْفَ يَرُوى ... الخ » .

* يا خَلِيلِي قف على الدَّارِ مَعِي *
 * وتَأْمَلْ كَمْ بَهَا مِنْ مَضَرِّع *
 وأَحْتَرِزْ وَأَحْذَرْ فَأَحْذَقِ الدُّمَى * كَمْ أَرَأَيْتَ فِي رُبَاهَا مِنْ دَمِ
 * حَظَّ قَلْبِي فِي الْفَرَامِ الْوَلَهُ *
 * فَمَذُولِي فِيكَ مَالِي وَلَهُ ^(١) *
 * حَسْبِي اللَّيْلُ فَا أَطْوَلُهُ ^(٢) *
 * لَمْ يَزَلْ آخِرُهُ أَوَّلُهُ *
 في هَوَى أَهِيْفَ مَعْسُولِ الْآلَمَى * رَيْقَهُ كَمْ قَدْ شَفَى مِنْ أَلَمِ ^(٣)

وله في القِيَار :

يَنْشَرِّحُ الصَّدْرُ لِمَنْ لَا عَيْنِي * وَالْأَرْضُ بِي ضَيْقَةٍ فُرُوجُهَا ^(٤)
 كَمْ شَوَّشَتْ شَبُوشَهَا عَقْلِي وَكَمْ * عَهْدًا سَقَتْنِي عَامِدًا بَنُوجُهَا

ومن شعره وأجاد ، عفا الله عنه :

أُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ * رَجَاءً أَنْ أَنَالَ بِهِمْ شَفَاعَةً
 وَأُبْغِضُ مَنْ بِهِ أَثَرُ الْمَعَاصِي * وَإِنْ كُنَّا سُوءًا فِي الْبِضَاعَةِ

- ١٥ الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفى القاضي شمس الدين
 علي بن محمود الشهرزوري^{٥٠} مدرس القيصرية في شوال . والشيخ قطب الدين أحمد بن
 عبد السلام [بن المطهر بن عبد الله بن محمد بن هبة الله بن علي] بن أبي عَصْرُون بحلب ^(٥١)

(١) في الأصلين : « فمذول في الهوى ... الخ » . والتصحيح عن صيون التواريخ .

(٢) رواية هذا المصراع في الأصلين : * حتى الليل على ما أطوله *

٢٠ والتصحيح عن ديوانه وفوات الوفيات . (٣) والموشحة أكثر من هذا كما في ديوانه وفوات
 الوفيات والمثل الصافي . (٤) في الأصلين : « شهورها » . وفي الذيل على مرآة الزمان هكذا « شتوشها »
 والسياق يقتضي ما أثبتناه . (٥) التكلفة عن ذيل مرآة الزمان وتاريخ الإسلام والمثل الصافي والسلوك .

في جُمادى الآخرة . والإمام شمس الدين محمد بن عبد الوهاب بن منصور الحِزْرَانِيّ الحنبليّ في جُمادى الأولى . والشهاب محمد بن يوسف بن مسعود التَّلَقْرِيّ الشاعر بَحْمَة في شَوَّال ، وله ثلاث وثمانون سنة .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ست أذرع وثلاث عشرة إصبعا .
(١)
مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وإحدى عشرة إصبعا .

(١) الى هنا انتهى الجزء الثالث من تجزئة المؤلف وها هي صورة ما جاء في آخر الأصل الفتوغرافي المأخوذ عن النسخة المخطوطة الموجودة بمكتبة أياصوفيا بالآستانة :

« انتهى الجزء الثالث من كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة على يد الفقير إلى الله تعالى الراجي غفوره الفتي محمد بن عبد العزيز البلقيني الشافعي ، غفر الله له ولوالديه ولؤلؤه ولبن نظريه ودعا لهم بالمغفرة وجميع المسلمين . وكان الفراغ من ذلك في اليوم المبارك العشرين من شهر ذي الحجة الحرام عام خمس وثمانين وثمانمائة . »

يتلو الجزء الرابع من أول ترجمة الملك السعيد ناصر الدين أبي المعالي محمد المعروف بركة خان . إن شاء الله تعالى . وصل الله على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين . »

وصورة ما جاء في آخر الأصل الفتوغرافي المأخوذ عن النسخة المخطوطة الموجودة بالمكتبة الأهلية بباريس :

« انتهى الجزء الثالث من كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة على يد كاتبه عليّ المرزوقي في خامس عشرين شهر ربيع الأول سنة إحدى وستين وثمانمائة . نقلت من نسخة بخط المؤلف . فصح الله في مدته وأسكنه جنته بمحمد وآله وصحبه وعترته آمين . »

ورود في آخره أيضا — بعد العبارة المتقدمة — ذكر ما اشتمل عليه هذا الجزء من ملوك مصر : فأولهم الحافظ لدين الله أبو اليمون عبد الحميد العبيدي الفاطمي أحد خلفاء الفاطميين ، ثم من بعده ولي الظاهر بالله أبو منصور إسماعيل العبيدي الفاطمي ، ثم من بعده الفاتر بنصر الله أبو القاسم عيسى بن الظاهر العبيدي الفاطمي ، ثم من بعده العاضد بالله أبو محمد عبد الله ابن الأمير يوسف ابن الخليفة الحافظ بالله عبد الحميد المتقدم ذكره . والعاضد هذا هو آخر خلفاء بني عبيد بمصر وأقرض بموته دولة الرض بالله الحمد . وملكت بنو أيوب الديار المصرية ، وأولهم : السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ثم من بعده ولده الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان ، ثم من بعده ولده الملك المنصور محمد وقيل أخوه الأفضل والأول أصح ، ثم من بعده عمه الملك العادل الكبير أبو بكر محمد بن أيوب إلى أن مات ، ثم من بعده الملك الكامل محمد ناصر الدين أبو المعالي محمد إلى أن مات ، ثم من بعده ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك محمد بن الكامل إلى أن خلع من الملك ، فعول من بعده أخوه الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد إلى أن مات ، ثم من بعده ابنه الملك المعظم توران شاه مدة يسيرة وخلع ، وتولت =

ذكر ولاية السلطان الملك السعيد محمد

أبن الملك الظاهر بيبرس على مصر

- هو السلطان الملك السعيد ناصر الدين أبو المعالي محمد المدعو بركة خان
أبن السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقدارى الصالحى النجوى^(١) ، الخامس من
ملوك الترك بمصر . سُمي بركة خان على اسم جدّه لأتمه بركة خان بن دولة خان
الخوارزمي .

- تسلطن الملك السعيد هذا في حياة والده حسب ما ذكرناه في ترجمة والده
في يوم الخميس ثالث عشر شوال سنة اثنتين وستين وستائة . وأقام على ذلك سنين ،
وليس له من السلطنة إلا مجزء الأسف ، إلى أن توفى أبوه الملك الظاهر بيبرس في يوم
الخميس بعد صلاة الظهر التاسع والعشرين من المحرم من سنة ست وسبعين وستائة
بدمشق . آنفق رأى الأمراء [على] إخفاء موت الظاهر ، وكتب للأمير بيليك
الخازندار عرف الملك السعيد هذا بذلك على يد الأمير بدر الدين بكتكوت

- بعده شجرة الدر أم خليل جارية الملك الصالح نجم الدين أيوب وأم ولده خليل أشهراً ، ثم من بعده الملك
المز أليك الصالحى التركانى أول ملوك الترك بالدار المصرية إلى أن مات قتيلاً ، ثم من بعده ابنه الملك
المصعود بن أيك مدة إلى أن خلع ، ثم من بعده الملك المظفر قطز المعزى إلى أن قتل ، وتولى الملك الظاهر
بيبرس البندقدارى الصالحى النجوى أحد البحرية ، إلى أن مات رحمه الله . انتهى ملوك هذا الجزء
وقه الحمد .

- (١) هذا ابتداء النصف الأول من الجزء الرابع من بحرته المؤلف وأوله : « بسم الله الرحمن الرحيم
وصل الله على سيدنا محمد وآله وسلم » . (٢) سيذكر المؤلف وفاته في هذه الترجمة .
(٣) في الأصلين : « في يوم الخميس تاسع صفر سنة سبع وستين وستائة » وقد ذكر المؤلف ذلك
أيضاً في ترجمة الملك الظاهر عند ذكره لتولية السلطان الملك السعيد هذا ص ١٤٤ من هذا الجزء .
والصواب ما أتيته هنا قلا من السلوك ونهاية الأرب والذهب والجواهر الثمين وما يفهم من عبارة المؤلف
قبحه في المنهل الصافي . (٤) تكملة يقتضها السياق .

الجوكنذار الحموي^(١)، وعلى يد الأمير علاء الدين أيديغوش الحكيمي^(٢) الجاشنكير .
فلما بلغ الملك السعيد موت والده الملك الظاهر أخفاه أيضاً، وخلع عليهما وأعطى
كل واحد منهما خمسين ألف درهم^(٣)، على أن ذلك إشارة بعود السلطان إلى الديار
المصرية . وسافرت العساكر من دمشق إلى جهة الديار المصرية فدخلوها يوم
الخميس سادس عشرين صفر من سنة ست وسبعين وستمائة ، ومقدمهم الأمير
بدر الدين بيليك الخازنذار؛ ودخلوا مصر وهم يحفون موت الملك الظاهر في الصورة
الظاهرة، وفي صدر الموكب مكان تسير السلطان تحت العصائب^(٤)، محفة^(٥) وراءها
السلاحدارية والجمدارية وغيرهم من أرباب الوظائف توهم أن السلطان في المحفة
مريض، هذا مع عمل جند في إظهار ناموس السلطنة والحرمة للمحفة والتأدب مع
من فيها حتى تم لهم ذلك . ١٠

قلت : لله دهر من أمراء وحاشية ! ولو كان ذلك في عصرنا هذا ما قدر
الأمراء على إخفاء ذلك من الظهر إلى العصر .

ولما وصلوا إلى قلعة الجبل ، ترجل الأمراء والعساكر بين يدي المحفة ، كما
كانت العادة في الطريق في كل منزلة من حين خروجهم من دمشق إلى أن وصلوا
إلى قلعة الجبل من باب السر ، وعند دخولها إلى القلعة أجمع الأمير بدر الدين
بيليك الخازنذار بالملك السعيد هذا ، وكان الملك السعيد لم يركب لتلقيهم ، وقبل
الأرض ورى بعمامته ثم صرخ ، وقام الغزاة في جميع القلعة ، ولوقتهم جمعوا الأمراء ١٥

(١) في نهاية الأرب (ج ٢٨ ص ١١٧) : « أيديغوش الحكيمي » . (٢) في نهاية الأرب :

« وأنتم على كل منها بخمسة آلاف درهم » . (٣) العصائب : منهاها الأعلام ، جمع عصاية

وهي راية عظيمة فن حريز أصفر مطرزة بالذهب عليها ألقاب السلطان وأسمه (صبح الأعشى ج ٤ ص ٨) . ٢٠

(٤) راجع ص ١٨٤ من هذا الجزء . (٥) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٥ من هذا الجزء

والمقدمين والجند وحلقهم بالإيوان المجاور للجامع القلعة للملك السعيد، وأستثبت له^(١)
الأمر على هذه الصورة ، وخطب له يوم الجمعة [سابع عشرين صفر]^(٢) بجموع
القاهرة ومصر، وصلى على والده صلاة الغائب .

ومولد الملك السعيد هذا في صفر سنة ثمان وخمسين وستمائة ؛ وقيل : سنة
سبع وخمسين^(٣) بالعش من ضواحي مصر، ونشأ بديار مصر تحت كنف والده إلى
أن سلطنه في حياته ؛ كما تقدم ذكره .

وأما الأمير بدر الدين بيليك الخازندار فإنه لم تطل مدته ، ومات في ليلة الأحد
سابع شهر ربيع الأول . وخلف الملك السعيد على الأمير شمس الدين آق سُنُقَرُ القَارِقَانِيّ
بنيابة السلطنة عوضاً عن بيليك الخازندار المذكور .

وفي سادس عشر شهر ربيع الأول [يوم الأربعاء]^(٤) ركب السلطان الملك السعيد
من القلعة تحت العصائب على عادة والده وسار إلى تحت الجبل الأحمر، وهذا أول
ركوبه بعد قدوم العسكر، ثم عاد وبنق القاهرة وسر الناس به سروراً زائداً، وكان

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٩٠ من هذا الجزء . (٢) زيادة عن السلوك .

(٣) العش : بالبعث تبين لي أن ناحية العش قرية واقعة في منتصف الطريق ما بين القاهرة

وبطيس ، وكانت بهذا الاسم قديماً . وفي الروك الناصري (فك الزمام) الذي عمل سنة ٨٧١٥ هـ سميت
منية الرخا حيث وردت في النعفة السنية لابن الجليان باسم منية الرخا المجاورة لشين القصر من الأعمال
القليوبية . وفي العهد العثماني عرفت شين القصر باسم شين القناطر بسبب القناطر التي أنشئت قديماً
على ترعة الشراعية المأذبة بجوارها كما عرفت منية الرخا باسم منية شين لمجاورتها لها . ولا يزال اسم
هذه القرية القديم وهو العش يطلق على الحوض رقم ٣ المجاور لسكن منية شين . ومن هذا يتضح أن
ناحية العش هي القرية التي تعرف اليوم باسم منية شين إحدى قرى مركز شين القناطر بمديرية القليوبية .
(٤) الجبل الأحمر ، ورد في الجزء الأول من الخطط المقرزية (ص ١٢٥) أن هذا الجبل مطل
على القاهرة من شرقها الشمال ويعرف بالبحموم أي الجبل الأسود المظلم ، ثم قال : واليهاسيم الجبال المنفرقة
المحلة على القاهرة من الجهة الشرقية ، وقيل لها اليهاسيم لاختلاف ألوانها .

وأقول : إن الجبل الأحمر هذا لا يزال معروفاً إلى اليوم بهذا الاسم ، ومجاورته ورمله لونهما أحمر
اكن ، وهو واقع في شمال جبل المقطم ويشرف على الفضاء الواقع شرق باب النصر من القاهرة وعلى =

عمره يومئذ تسع عشرة سنة ، وطلع القلعة وأقام إلى يوم الجمعة خامس عشرين شهر ربيع الأول المذكور قبض على الأمير سُتْقَرُ الأشقر وعلى الأمير بدر الدين بَيْسَرِي وحبسهما بقلعة الجبل . ثم في يوم السبت ثامن عشر شهر ربيع الآخر قبض الملك السعيد على الأمير آق سُتْقَرُ الفارَقَانِي نائب السلطنة بديار مصر المقدم ذكره . ثم في تاسع عشر الشهر المذكور أفرج الملك السعيد عن الأمير سُتْقَرُ الأشقر وبسرى وخلع عليهما وأعادهما إلى مكاتهما .

وفي يوم الاثنين رابع جمادى الأولى فُتِحَت المدرسة التي أنشأها الأمير آق سُتْقَرُ الفارَقَانِي المجاورة للوزيرية بالقاهرة وجعل شيخها على مذهب أبي حنيفة رضى الله عنه .

وفي يوم الجمعة [رابع عشر جمادى الآخرة ^(٤)] قبض الملك السعيد على خاله الأمير بدر الدين محمد ابن الأمير حسام الدين بركة خان الخوارزمي وحبسه بقلعة الجبل لأمر

== الحياطة المستجدة باسم جبانة العباسية التي تسميها العامة قراة الغفير التي يتوسطها قبة السلطان أبي سعيد قنصوه الأشرف ، ويشرف هذا الجبل أيضا على مقابر المالِك التي يسمونها خطأ مقابر الخلفاء في حين لا يوجد فيها قبر لأى خليفة من الخلفاء ، ومن هذه المقابر مدرسة وتربة السلطان إينال وخاقان وتربة السلطان برفوق وتربة السلطان برسباي وغيرها من مقابر المالِك كما ذكرت .

(١) في عيون التواريخ : « وفي تاسع عشر شهر ربيع الأول قبض الملك السعيد على الأميرين ستقر وبدر الدين بيسرى » . (٢) مدرسة الأمير آق ستقر الفارَقَانِي ، لما تكلم المقرئ (في ج ٢ ص ٣٦٩) من خطه على المدرسة الفارَقَانِيّة قال : إن هذه المدرسة بابها شارع في سوق حارة الوزيرية من القاهرة ، أنشأها الأمير شمس الدين آق ستقر الفارَقَانِي السلاحدار ، وفتحت يوم ٤ جمادى الأولى سنة ٦٧٦ هـ ، وبها دروس للشافعية والحنفية .

وأقول : إن هذه المدرسة لا تزال موجودة إلى اليوم بشوارع درب سعادة على رأس سكة النبوة بقسم درب الأحرار بالقاهرة ، وتعرف الآن باسم جامع محمد آغا أو جامع الحيشل نسبة إلى محمد آغا الحيشل الذي كان كاتبا مستحقان بمصر ، وجدّد هذا المسجد في سنة ١٠٨٠ هـ ، فرف باسمه من ذلك الوقت . وقد عرف محمد آغا المذكور بالحيشل لأنه كان يتاجر في نبات الحيش . (٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٥١ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٤) زيادة عن عيون التواريخ .

تَقَمه عليه ، ثم أفرج عنه في ليلة خامس عشر ينه ، و خَلَع عليه وأعادته إلى منزلته .

(٢) وكان الملك السعيد هذا أمرَ ببناء مدرسة لَدَفْن أبيه فيها ، حسب ما أوصى به والده ، فنقل تابوت الملك الظاهر بيبرس في ليلة الجمعة خامس شهر رجب من قلعة دمشق إلى التربة المذكورة بدمشق داخل باب الفرج قُبالة المدرسة العادلية ، والتربة المذكورة كانت دار الشريف العقيق فاشترت وهُدِمت ، وبني موضع بابها قُبّة الدفن وفتح لها شبابيك على الطريق وجعل بقية الدار مدرسة على فريقين : حنيفة وشافعية . وكان دفنه بها في نصف الليل ولم يحضره سوى الأمير عز الدين أيّدمر الظاهري نائب الشام ، ومن الخواص دون العشرة لا غير .

ثم وقع الاهتمام إلى السّفَر للبلاد الشامية وتجهّز السلطان والعساكر . فلما كان يوم السبت سابع ذى القعدة برز الملك السعيد بالعساكر من قلعة الجبل إلى مسجد

(١) في عيون التواريخ : « وفي ثالث عشرين منه أفرج عنه » . (٢) راجع آخر ترجمة الظاهر بيبرس . وفي عيون التواريخ : « أن الظاهر أوصى أن يدفن على الطريق الساطية قريبا من داريا وأن يبنى عليه هناك » . فرأى ولده الملك السعيد أن يدفنه داخل الدور فابتاع له دار العقيق (راجع عيون التواريخ في ترجمة الملك الظاهر بيبرس) . (٣) المدرسة العادلية : تجاه باب الظاهرية بفصل بينما الطريق المؤدى إلى باب البريد ، بدأ بأشائها نور الدين محمود بن زنكي ولم تتم ، ثم عمل فيها العادل سيف الدين ولم تتم أيضا ، ثم ولده الملك المعظم عيسى ووقف عليها الأوقاف ونسبها لوالده الذي دفن فيها سنة ٦١٩ هـ وكانت أعظم المدارس الشافعية بدمشق .

وفيهما وضع المقدسي تاريخه الروضتين سنة ٦١٢ وفيها عمل ابن خلكان تاريخه المشهور . ودرس بها ابن مالك النحوى وابن جماعة وفيها نزل ابن خلدون في أوائل المائة التاسعة ، وفي القرن الثاني عشر كانت سكنى الشباب أحمد التتبي صاحب التاليف المشهورة . وفي سنة ١٩١٩م أخذها الجميع العلوى العربى وجعلها مقره ورعها بما يقرها من الأصل وجعل فيها متحفا للآثار الاسلامية . (خط الشام لكرد على ج ٦ ص ٨٤ - ٨٥) .

(٤) الشريف العقيق هو أحمد بن الحسين بن أحمد بن على العلوى صاحب الدار المشهورة بدمشق تَهْدِمت وفاته سنة ٣٧٨ هـ . وكانت الدار قد انتقلت إلى ملك الأمير قايس الدين أقطاي المستعرب الأتابك فاشترت من ورثته وهُدِمت وبني موضع بابها قُبّة الدفن كما في الأصل . وانظر الدليل على مرآة الزمان ورقة ٩٦ ، وعيون التواريخ .

(١) التبن خارج القاهرة فأقام به إلى يوم السبت حادى عشرينه، انتقل بخواصه إلى الميدان الذى أنشأه بين مصر والقاهرة، ودخلت العساكر إلى منازلهم، وبطلت حركة السفر بعد أن أعاد قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن خلّكان إلى قضاء دِمَشق وأعمالها من العريش الى سَلَمِيّة، وتوجه ابن خلّكان إلى الشام، وطلع الملك السعيد إلى قلعة الجبل وأبطل حركة السفر بالكلية إلى وقت يريده حسب ما وقع الاتفاق عليه، واستمر بالقلعة إلى أن أمر العساكر بالتأهب إلى السفر وتجهز هو أيضا لأمرٍ آتضى ذلك.

وخرج من الديار المصرية في العشر الأوسط من ذى القعدة من سنة سبع وسبعين وستائة وخرج من القاهرة بعساكره وأمرائه، ومار حتى وصل إلى الشام في خامس ذى الحجة، فخرج أهل دِمَشق إلى ملّقاءه وزينوا له البلد وسُروا بقدمه سرورا زائداً. وعَمِل عيد النحر بقلعة دمشق وصلى العيد بالميدان الأخضر.

وورد عليه الخبر بموت صاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حنّا بالقاهرة، فقبض السلطان على حفيده صاحب تاج الدين محمد، وضرب الحوطة على موجوده بسبب موت جدّه صاحب بهاء الدين المذكور.

- ١٥ (١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٩٦ من هذا الجزء. (٢) ميدان الملك السعيد محمد بركة خان بين مصر والقاهرة. لم يذكر أصحاب الخطوط ميدانا معينا باسم الملك السعيد محمد بركة خان، وبما أن المؤلف ذكر أن هذا الميدان كان واقعا بين مصر والقاهرة، فأرجح أن هذا الميدان هو ميدان القراة الذى ذكره المقرئى في (ص ٤٤٣ ج ٢) من خطه عند الكلام على القراة حيث قال: وكان ما بين قبة الامام الشافى رحمه الله وبين باب القراة ميدانا واحدا تتسابق فيه الأمراء والأجناد، ويجتمع الناس هناك للتفرّج على السباق. وفي أوائل القرن الثامن الهجرى أحدث أمراء دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون التّرب بأرض هذا الميدان. يضاف إلى ذلك أن هذه المنطقة وردت عند ذكر بعض الأماكن الواردة في الخطوط المقرئية بوصف أنها كانت بين مصر والقاهرة. ومن هذا يتبين أن ميدان القراة المذكور هو ميدان بركة خان الذى يقصده المؤلف. (٣) في الأصلين: «بهاء الدين محمد بن على». والنصوب عن تاريخ الإسلام والسلوك نهاية الأرب. (٤) هو تاج الدين محمد بن صاحب نغر الدين محمد بن بهاء الدين على. سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٧٠٧ هـ.
- ٢٥

ثم أرسل السلطان الملك السعيد إلى بُرْهَانِ الدِّينِ الْخَضِرِ بْنِ الْحَسَنِ السَّنْجَارِيِّ^(١) باستقراره وزيراً بالديار المصرية ثم خَلَعَ السلطان على الصاحب فتح الدين عبد الله [أَبْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدِ بْنِ خَالِدِ بْنِ نَصْرِ] بْنِ الْقَيْسَرَانِيِّ^(٢) بوزارة دمشق، وبسط يده في بلاد الشام وأمر القضاة وغيرهم بالركوب معه .

- ثم جهز السلطان العساكر إلى بلاد سِيسِ للثَّيْبِ والإِغَارَةِ^(٣) ، ومَقْدَمُهُمُ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ قَلَاوُونُ الْأَثَرِيُّ . وأقام الملك السعيد بِدَمَشْقَ في تَقْرِيسِيرٍ من الْأُمَرَاءِ وَالْخَوَاصِ ، فصار في غَيْبَةِ الْعَسْكَرِ يُكْثِرُ التَّرَدُّدُ إِلَى الرَّبْعَةِ مِنْ قُرَى الْمَرْجِ يُقِيمُ فِيهَا أَيَّامًا ثُمَّ يَعُودُ . ثم أسقط السلطان مَا كَانَ قَرْوَهُ وَالِدُهُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ عَلَى بَسَاتِينِ دِمَشْقَ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، فَسَرَّ النَّاسُ بِذَلِكَ وَتَضَاعَفَتْ أَدْعِيَّتُهُمْ لَهُ وَأَسْتَمَرَ السُّلْطَانُ بِدَمَشْقَ إِلَى أَنْ وَقَعَ الْخُلُفُفُ فِي الْعَشْرِ الْأَوْسَطِ مِنْ شَهْرِ ربيع الأول من سنة ثَمَانٍ^(٤) وَبِسْمِينَ بَيْنَ الْمَهَالِكِ الْخَاصِكِيَّةِ الْمَلَاذِمِينَ لخدمته وَبَيْنَ الْأُمَرَاءِ لِأُمُورٍ يَطُولُ شَرْحُهَا .

(١) في الأصلين : « بهاء الدين الخضري » . وتصحيحه عن السلوك ونهاية الأرب والمنهل الصافي ويعيون التواريخ وشدرات الذهب . في حوادث سنة ٦٨٦ هـ وهي سنة وفاته .

(٢) تكملة من المنهل الصافي وشدرات الذهب وما سيذكره المؤلف في وفاته سنة ٥٧٠٣ هـ .

- (٣) لما استقر ركاب السلطان بِدَمَشْقَ رَسَمَ بِتَفْرِيقِ عَسَاكِرِهِ لِتَمَكُّنِهِ مِنَ التَّدْيِيرِ عَلَيْهِمْ وَفَرَّرَ الْخَاصِكِيَّةَ مَعَهُ الْقَبِضَ عَلَيْهِمْ عِنْدَ عَوْدِهِمْ وَأَخَذَ لِقَاطِعَاتِهِمْ وَمَوْجُودَهُمْ وَعَيْنُوا خَبَرَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لَوَاحِدٍ مِنْهُمْ ، هَذَا وَالْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ كَوْنَهُ مَطْلَعٌ عَلَيْهِمْ فَأَرْسَلَ إِلَى الْأَمِيرِينَ بِدَرِ الدِّينِ بِسْرِي وَسَيْفُ الدِّينِ قَلَاوُونُ مَرَّافَرُهُمَا بِمَا اتَّفَقَتْ الْخَاصِكِيَّةُ عَلَيْهِ (انظر عقد الجمان للعيني وعبود التواريخ في حوادث سنة ٦٧٧ هـ) . (٤) في الذيل على مرآة الزمان : « الزنيقة » .

- (٥) ذكر في نهاية الأرب (ج ٢٨ ص ١٢٥) وعقد الجمان ويعيون التواريخ والتهج السديد سبب هذه الفتنه هو أن الملك السعيد أكثر من الإنعام على الخاصكة وأوسع في العطاء فلم ياتفق أنه أنهم على بعضهم بألف دينار فتوقف النائب في إفضاء المرسوم فاجتمع المنتم عليه ببقية خشداشيته وعرفهم فاجتمعوا وحضروا إلى الأمير سيف الدين كوندك ودخلوا إلى السلطان وصمموا على عزله فأجابهم إلى ذلك فخرجوا إليه ليوقعوا به وقبضوا عليه وقتلوه ، وكان ذلك بحضور الأمير شمس الدين سقر الأشقر فمنهم من ذلك ثم خرج مناضبا للملك السعيد مع أربعائة مملوك من الظاهرية للانضمام إلى الأمير سيف الدين قلاوون وصحبه العائدين من الغزو .

وَعَجَزَ الْمَلِكُ السَّعِيدُ عَنْ تَلَا فِي ذَلِكَ ، وَخَرَجَ عَنْ طَاعَتِهِ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ كَوْنَدُكُ^(١)
الظَاهِرِيُّ نَائِبُ السُّلْطَنَةِ وَمُقَدِّمُ الْعَسَاكِرِ مُغَاضِبًا لِلسُّلْطَانِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ ، وَخَرَجَ مَعَهُ
نَحْوُ أَرْبَعِ مِائَةِ مَمْلُوكٍ مِنَ الظَّاهِرِيَّةِ : مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ بِالشَّجَاعَةِ وَزَلُّوا بِمَنْزِلَةِ
الْقُطَيْفَةِ^(٢) فِي آتِنَظَارِ الْعَسَاكِرِ الَّتِي بِبِلَادِ سَيْسِ فِي الْعِشْرِ الْأَخِيرِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ
عَادَتِ الْعَسَاكِرُ مِنْ بِلَادِ سَيْسِ إِلَى جِهَةِ دِمَشْقَ فَزَلُّوا بِمَرْجِ عَذْرَاءَ إِلَى الْقَصِيرِ^(٣) ؛
وَكَانَ قَدْ اتَّصَلَ بِهِمْ سَيْفُ الدِّينِ كَوْنَدُكُ وَمَنْ مَعَهُ وَأَسْتَمَلُوهُمْ فَلَمْ يَدْخُلِ الْعَسْكَرُ
دِمَشْقَ ، وَأَرْسَلُوا إِلَى الْمَلِكِ السَّعِيدِ فِي مَعْنَى الْخُلْفِ الَّذِي حَصَلَ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ ،
وَكَانَ كَوْنَدُكُ مَائِلًا إِلَى الْأَمِيرِ بَيْسَرِيِّ . وَلَمَّا أَجْتَمَعَ بِالْأَمِيرِ سَيْفُ الدِّينِ فَلَاحُوا
الْأَلْفِي وَالْأَمِيرُ بَدَرَ الدِّينَ بَيْسَرِي وَالْأَمْرَاءُ الْكِبَارُ أَوْحَى إِلَيْهِمْ عَنِ السُّلْطَانِ مَا غَلَّتْ
صُدُورُهُمْ ، وَخَوَّفَهُمْ مِنَ الْخَاصِيكَةِ وَعَرَفَهُمْ أَنَّ نِيَّتَهُمْ لَمْ يَكُنْ غَيْرَ جَمْلَةٍ ، وَأَنَّ الْمَلِكَ السَّعِيدَ
مُؤَافِقٌ عَلَى ذَلِكَ وَأَكْثَرُ مِنَ الْقَوْلِ الْمُخْتَلِقِ ؛ فَوَقَعَ الْكَلَامُ بَيْنَ الْأَمْرَاءِ الْكِبَارِ وَبَيْنَ
السُّلْطَانِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ ، وَتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بَيْنَهُمْ ، فَكَانَ مِنْ جَمْلَةٍ مَا اقْتَرَحَ الْأَمْرَاءُ
عَلَى الْمَلِكِ السَّعِيدِ إِبْعَادَ الْخَاصِيكَةِ عَنْهُ ، وَأَلَّا يَكُونَ لَهُمْ فِي الدَّوْلَةِ تَدْيِيرٌ وَلَا حَدِيثٌ ،
بَلْ يَكُونُوا عَلَى أَخْبَازِهِمْ وَوُضَائِفِهِمْ مُقِيمِينَ ؛ فَلَمْ يُجِبِ الْمَلِكُ السَّعِيدُ إِلَى ذَلِكَ ؛
فَرَحَلَ الْعَسْكَرُ مِنْ مَرْجِ عَذْرَاءَ إِلَى ذَيْلِ عَقَبَةِ الشُّحُورَةِ بِأَسْرِهِمْ وَلَمْ يَعْبرُوا الْمَدِينَةَ بَلْ
جَمَعُوا طَرِيقَهُمْ مِنَ الْمَرْجِ ، وَأَقَامُوا بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَالرُّسُلُ تَتَرَدَّدُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ

(١) ضبطنا هذا الاسم بالقلم كما ضبطه صاحب عقد الجمان . وفي كتاب سلاطين المنالك

(ص ١٥٤) ضبط بالقلم (بفتح الكاف وضم الواو وسكون النون وضم الدال) .

(٢) القطيفة : قرية دون ثنية العقاب للقاصد إلى دمشق في طرف البرية من حصص (عن معجم البلدان

لياقوت) . (٣) عذراء : قرية بغوطة دمشق من إقليم خولان معروفة ، وإليها ينسب مرجع (عفراء)

وإذا انحدرت من ثنية العقاب وأشرقت على القوطة فتأملت على يسارك رأيتما أول قرية تلى الجبل

وبها مائة . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٤) راجع الحاشية رقم ٦ ص ١٥٨ من هذا الجزء .

(٥) راجع الحاشية رقم ٨ ص ١٢١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

- الملك السعيد ؛ ثم رَحَلُوا وَزَلُّوا بِمَرْجِ الصُّفَرِ وَعِنْدَ رَحِيلِهِمْ رَجَعَ الْأَمِيرُ صَرَّ الدِّينِ
أَيْدُمُ الظَّاهِرِي نَائِبَ الشَّامِ وَأَكْثَرُ عَسْكَرِ دِمَشْقَ ، وَقَدِمُوا مَدِينَةَ دِمَشْقَ وَدَخَلُوا
فِي طَاعَةِ السُّلْطَانِ . وَفِي يَوْمِ رَحِيلِهِمْ مِنْ مَرْجِ الصُّفَرِ سَيَّرَ الْمَلِكُ السَّعِيدُ وَالِدَتَهُ بِنْتَ
بُرْكَةِ خَانَ فِي حِفْظِهِ وَفِي خِدْمَتِهَا الْأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ قَرَّاسُتُقُرَّ ، وَكَانَ مِنَ الَّذِينَ لَمْ
يَتَوَجَّهُوا إِلَى بِلَادِ سِيسَ وَلَحَقُوا الْعَسْكَرَ ؛ فَلَمَّا سَمِعُوا بِوُصُولِهَا خَرَجَ الْأُمَرَاءُ الْأَكْبَارُ
الْمُقَدِّمُونَ لِمُلْتَقَاهَا ، وَتَرَجَّلُوا بِأَجْمَعِهِمْ وَقَبِلُوا الْأَرْضَ أَمَامَ الْحِفْظَةِ ، وَبَسَطُوا الْحَرِيرَ
الْعَنَابِيَّ^(١) وَغَيْرَهُ تَحْتَ حَوَافِرِ بَغَالِ الْحِفْظَةِ وَمَشَوْا أَمَامَ الْحِفْظَةِ حَتَّى نَزَلَتْ فِي الْمَنْزِلَةِ ، فَلَمَّا
اسْتَقَرَّتْ بِهَا تَحَدَّثَتْ مَعَهُمْ فِي الصِّلَحِ وَالْإِقْبَادِ وَأَجْتَمَعَ الْكَلِمَةُ ، فَذَكَرُوا مَا بَلَغَهُمْ مِنْ
تَغْيِيرِ السُّلْطَانِ طَلِبِهِمْ ، وَمُوافَقَتِهِ الْخَاصِيكِيَّةَ عَلَى مَا يَرُومُونَهُ مِنْ إِسْكَانِهِمْ وَإِعَادَتِهِمْ ؛
فَلَقِيتُ لَمْ عَلَى بَطْلَانٍ مَا يُقَالُ إِلَيْهِمْ ، فَأَشْتَرَطُوا شُرُوطًا كَثِيرَةً آلَتَزَمَتْ لَهَا بِهَا ،
وَعَادَتْ إِلَى وَلَدِهَا وَعَرَفَتْهُ الصُّورَةَ ؛ فَفَتَحَهُ مِنْ حَوْلِهِ مِنَ الْخَاصِيكِيَّةِ مِنَ الدَّخُولِ
تَحْتَ تِلْكَ الشُّرُوطِ ، وَقَالُوا : مَا الْقَصْدُ إِلَّا إِيْعَادُنَا عَنْكَ حَتَّى يَتِمَّ كُنُوفُنَا مِنْكَ وَيَنْزِعُوكَ
مِنَ الْمَلِكِ ، فَمَالَ إِلَى كَلَامِهِمْ وَأَبَى قَبُولَ تِلْكَ الشُّرُوطِ .

- فَلَمَّا بَلَغَ الْعَسْكَرَ ذَلِكَ رَحَلَ مِنْ مَرْجِ الصُّفَرِ قَاصِدًا الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ ؛ فَخَرَجَ
السُّلْطَانُ الْمَلِكُ السَّعِيدُ بِنَفْسِهِ فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ الْخَاصِيكِيَّةِ جَرِيدَةً ، وَسَاقَ فِي طَلَبِهِمْ
لِيَتَلَقَى الْأَمْرَ إِلَى أَنْ بَلَغَ رَأْسَ الْمَاءِ^(٢) ، فَوَجَدَهُمْ قَدْ عَدَّوْهُ وَأَعْدَوْا ، فَعَادَ مِنْ يَوْمِهِ
وَدَخَلَ قَلْعَةَ دِمَشْقَ فِي اللَّيْلِ وَهِيَ لَيْلَةُ الْخَمِيسِ سَلَخَ شَهْرَ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانٍ
وَسَبْعِينَ وَسِتْمِائَةٍ . وَأَصْبَحَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ مَسْتَهْلًا شَهْرَ رَجَبِ الْآخِرِ خَرَجَ السُّلْطَانُ

(١) انظر الحاشية رقم ٨ ص ١٤٩ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) الحرير العنابي : كلمة تطلق على صف من قماش مخطط بمجرة وصفرة . راجع كثر مير أول

ص ٢٤١ . (٣) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٥١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

- الملك السعيد بجميع من تحف معه من العساكر المصرية والشامية إلى جهة الديار المصرية بعد أن صلى الجمعة بها، وسار بمن معه في طلب العساكر المتقدم ذكرهم، وجهز والدته وخزائنه إلى الصكر، وسار حتى وصل إلى بلبيس يوم الجمعة خامس عشر شهر ربيع الآخر المذكور، فوجد العسكر قد سبقه إلى القاهرة؛ فأمر بالرحيل من بلبيس؛ فلما أخذت العساكر في الرحيل من بلبيس بعد العصر فارق الأمير عز الدين أيدمر الظاهري نائب الشام وصحبته أكثر أمراء دمشق السلطان الملك السعيد، وأنضاف إلى المصريين، وبلغ الملك السعيد ذلك فلم يكثر؛ وركب بمن بقي معه من خواصه وعساكره وسار بهم حتى وصل ظاهر القاهرة؛ وكان نائبه بالديار المصرية الأمير عز الدين أيبك الأفرم، وهو بقلعة الجبل والعساكر مُحْدِقة بها، فتقدم الملك السعيد بمن معه لقتال العساكر، وكان الذى بقي مع السلطان الملك السعيد جماعة قليلة بالنسبة إلى من يقاتلونه، ووقع المصاف بينهم وقاتلوا فحمل الأمير علم الدين سنجر الحلبي من جهة الملك السعيد وشق الأطلاب ودخل إلى قلعة الجبل بعد أن قتل من الفريقين نفر يسير، وملك القلعة وشال علم السلطان، ثم نزل وفتح للملك السعيد طريقاً وطلع به إلى القلعة.
- وأما سُنُقُر الأشقر فإنه بقي في المطرية وحده وصار لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.^(١)
- ولما طلع السلطان إليها أحاطت العساكر بها وحاصروها وقاتلوا من بها قتالاً شديداً

(١) المطرية : هى من القرى المصرية القديمة وردت في معجم البلدان لياقوت حيث قال : إنها من قرى مصر وأرضها يزرع شجر البلسان يستخرج منه نوع من الدهن الطيب ، ووردت المطرية في كتاب النخبة السنية لابن الجيعان بأنها من ضواحي مصر . وفي الخطط القرية باسم منية مطر .

وأقول : إن المطرية هذه لا تزال موجودة في الضواحي الشمالية الشرقية لمدينة القاهرة ، وبها محطة للسكة الحديدة الموصلة بين محطة كوبري الليمون وبين قرية المرج . وكان بأراضي ناحية المطرية مدينة عين شمس القديمة التى تسمى بالمصرى « آن » أو « رع » أى الشمس ، وبالعبري « أون » ويقال لها =

- وضايقوها وقطعوا الماء الذي يطلع إليها وزحّفوا عليها بجثثوا في القتال ، ورأى الملك السعيد تختلّ من كان معه وتخاذل من بقي معه من الخاصّة ، وعلم أنه لا طاقة له بهم ، وكان المشار إليه في العسكر أئمة الأمير سيف الدين قلاوون الألفي ، وهو حمو الملك السعيد فإن الملك السعيد كان تزوّج أخته قبل ذلك بمدة ، بخرت المراسلات بينهم وكثر الكلام وتردّدت الرّسل غير مرّة ، حتّى استقرّ الحال على أن الملك السعيد يُخلّج من السلطنة ويُنصبون في السلطنة أخاه بدر الدين سلاّمش ابن الملك الظاهر بيسرس ، ويُقطعون الملك السعيد هذا وأخاه نجم الدين خضر الكرك والشوبك وأعمالهما ؛ فسير الملك السعيد الأمير علم الدين سنجر الحلبي والقاضي تاج الدين محمد بن الأثير إلى الأمير سيف الدين قلاوون وأعيان الأمراء ليستوثق لنفسه منهم ، فحفّوا له على الوفاء بما ألتموه من إعطاء الكرك والشوبك له ولأخيه .
- ١٠ ونخرج من قلعة الجبل يوم الأحد سابع عشر شهر ربيع الآخر المذكور ونزل إلى دار

- == « عون » والرومي هليوبوليس أى مدينة الشمس — وقد أخذت هذه المدينة ولم يبق من آثارها إلا إحدى المستنيتين اللتين كان أقامهما على الباب الكبير لمعبد المدينة الملك سانوسريت الأول (سيزوستريس) أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة الفرعونية . وأما المسلة الثانية فقد سقطت سنة ١١٩٠ م . اليوم يطلق اسم عين شمس على محطة عين شمس ، وعلى المساكن المجاورة لها الواقعة على السكة الحديدية في شمال محطة المطرية ، كما يطلق اسم هليوبوليس على المدينة الجديدة التي أنشئت في سنة ١٩٠٦ بالصحرى الشمالية الشرقية لمدينة القاهرة وهي المعروفة بمصر الجديدة . ويوجد بأراضي المطرية بستان قديم يعرف ببستان البلم ، به شجرة وبز ، يزعمون أنها من آثار السيدة مريم العذراء عند مرورها بأرض مصر مع ولدها المسيح عيسى عليه السلام . ولا تزال بقايا هذه الشجرة موجودة إلى اليوم ، وتعرف بشجرة العذراء ، يظلمها المسيحيون ويقصدونها للتبرك بها .
- ٢٠

- (١) كان الدخول بها في ربيع الأول سنة خمس وسبعين وستمائة ، واهتم السلطان الملك الظاهر بذلك اهتماما عظيما لم يسمع بمثله . وخلق على جميع أكابر دولته من الأمراء والمقدمين والوزراء والقضاة والكتاب . وأنعم على الأمير سيف الدين قلاوون بتسريح كامل بشر بوش كان السلطان قد لبسه ثم خلعه عليه . وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في ترجمة والده الملك الظاهر ، وانظر نهاية الأثر ص ٧٠ ج ٢٨
- ٢٥ تجد تفاصيل كثيرة .

(١) العدل التي على باب القلعة، وكانت مركز الأمير قلاوون في حال المصافى والقتال، وكان الحصار ثلاثة أيام بيوم القدوم لا غير .

ولما حضر الملك السعيد إلى عند قلاوون أحضر أعيان القضاة والأمراء والمفتين وخلصوا الملك السعيد هذا من السلطنة وسلطنوا مكانه أخاه بدر الدين سلامش ولقبوه بالملك العادل سلامش، وعمره يومئذ سبع سنين وجعلوا آتابكته الأمير سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى النجى . واستمرت بنت قلاوون عند زوجها الملك السعيد المذكور إلى ما سياتى ذكره .

ثم أخذ قلاوون في تحليف الأمراء للـك العادل لحلفوا له بأجمعهم على العادة، وضربت السكة في أحد الوجهين: اسم الملك العادل والآخرا اسم قلاوون، وخطب لها أيضا معاً على المنابر، واستمر الأمر على ذلك؛ وتصرف قلاوون في المملكة وانخرائن، وعامله الأمراء والجيوش بما ياملون به السلطان . ثم عمل قلاوون بقطع الملك السعيد محضراً شرعياً ووضع الأمراء خطوطهم عليه وشهادتهم فيه، وكتب فيه المفتون والقضاة وأعطوا الملك السعيد الكرك وعملها، وأخاه نجم الدين خيصر الشوبك وعملها . وخرج الملك السعيد من قلعة الجبل إلى ركة الجحاج متوجهاً إلى الكرك في يوم الاثنين ثامن عشر شهر ربيع الآخر المذكور من سنة ثمان وسبعين (أعني ثاني يوم من خلعه) ومعه جماعة من العسكر صورة ترسيم، ومقدمهم الأمير

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦٣ من هذا الجزء . (٢) لما تم خلع السلطان الملك السعيد وإرساله إلى الكرك عرضت السلطة على الأمير سيف الدين قلاوون، وقال له الأمراء الأكابر: أنت أول بتدبيرها فأبى وقال أنا لم أخلع الملك السعيد شرها إلى السلطة وحراً على المملكة، لكن حفظاً للنظام وأخافه لجيوش الإسلام أن يتقدم عليهم الأصاغر، والأول ألا يخرج الأمر من ذرية الملك الظاهر فأقام الأمير بدر سلامش كافي الأصل . (راجع عقد الجمان في حوادث سنة ٦٧٨ هـ) .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

سيف الدين بيدغان الرُّكني، ثم بدأ لهم أن يرجعوا به إلى القلعة فعادوا إليها في نهار الاثنين لأمرٍ أرادوه وقرروه معه ثم أمرُوه بالتوجه ؛ فخرج ومافر ليلة الثلاثاء إلى الكرك بمن معه فوصلها يوم الاثنين خامس عشرين شهر ربيع الآخر المذكور، وتسلم أخوه نجم الدين خضر الشوبك، وكان الأمير بيدغان ومن معه قد فارقوا الملك السعيد من غزّة ورجعوا إلى الديار المصرية ؛ وأقام الملك السعيد بالكرك وزال مُلكه ؛ فكانت مدة حُكمه وسلطته بعد موت أبيه الملك الظاهر بيبرس إلى يوم خلعه سنتين وشهرين وخمسة عشر يوماً، واستمر بالكرك مع ممالئكه وعياله، وقصده الناس والأجناد، فصار يُنعم على من يقصده، واستكثر من استخدام الممالئك .

- ثم رسم الأمير سيف الدين قلاوون بانتقال الملك خضر من الشوبك إلى عند أخيه الملك السعيد بالكرك، وتسلم نواب قلاوون الشوبك ؛ ودام الملك السعيد على ذلك حتى خلع سلاطش من السلطنة وتسلم قلاوون حسب ما يأتي ذكر ذلك كله في ترجمتهما .

- فلما تسلم قلاوون بلغه عن الملك السعيد أنه استكثر من استخدام الممالئك وأنه يُنعم على من يقصده فاستوحش منه، وتأثر من ذلك . فمرض الملك السعيد بعد ذلك بمدة يسيرة وتوفي، رحمه الله تعالى، في يوم الجمعة حادى عشر ذى القعدة سنة ثمان وسبعين وستمائة بالكرك، ودُفن من يومه بأرض مؤتة عند جعفر بن أبي طالب، رضى الله عنه، ثم نُقل بعد ذلك إلى دِمَشق في سنة ثمانين وستمائة فدُفن إلى جنب والده الملك الظاهر بيبرس بالتربة التي أنشأها قبالة المدرسة العادلية السيفية، وألحده

(١) رواية عقد الجمان والجوهر اثنين : « سنتين وشهراً وأياماً » .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٠٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٣) عبارة تاريخ الإسلام والمنهل الصافي : « ثم نُقل إلى تربة بدمشق بعد ستة وخمسة أشهر » .

(٤) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٦٣ من هذا الجزء .

قاضى القضاة عز الدين محمد بن الصائغ . وكانت مدة إقامته بالكرك بعد أن خُلع من السلطنة ستة أشهر وخمسة وعشرين يوما . ووجد الناس عليه كثيرا وعُمل عزأؤه بسائر البلاد ، وخرجت الخوّنَدَات حاسراتٍ بجوارِهنَّ يَلْطُنن بِالْمَلاهي والدُّفُوف أيا ماً عديدة ، ويُسمِعن الملك المنصور قلاوون الكلام الخشن وأنواع السب وهو لا يتكلم ، فإنه يُسب اليه أنه آغاثه بالسّم لما سمِع كثرة استخدامه للمالِك وغيرهم .

قلتُ : ولا يبعد ذلك عن الملك المنصور قلاوون لكثرة تخوفه من عِظَم شوْكَته وكثرة ممالك والده وحواشيه . وأبغض الناس الملك المنصور قلاوون سنينا كثيرة إلى أن أَرْضاهم بكثرة الجهاد والفتوحات ؛ وأبغض الملك المنصور قلاوون حتى أبنته زوجة الملك السعيد المذكور ، فإنها وجدت على زوجها الملك السعيد وجدا عظيما وتألّت لفقده ؛ ولم تزل باكيةً عليه حزينةً لم تترجّع بعده إلى أن تُوفيت بعد زوجها الملك السعيد بمدة طويلة في مستهل شهر رجب سنة سبع وثمانين ومستمائة . وكانت شقيقة الملك الأشرف خليل بن قلاوون ، ودُفِنَت في تربة معروفة بوالدها بين مصر والقاهرة .

١٥ (١) هو قاضى القضاة عز الدين محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل الأنصارى الدمشقي الشافى . سيذكر المؤلف في حوادث سنة ٦٨٣ هـ فيمن نقل وفاتهم عن الذهبي .

(٢) تربة المنصور قلاوون التي دفنت بها أبنته زوجة الملك السعيد بركة خان ، هذه التربة هي التي ذكرها المقرئى في (ص ٣٩٤ ج ٢) من خطه باسم مدرسة تربة أم الصالح ، وقال : إنها بجوار المدرسة الأشرقية بالقرب من المشهد الغيبى فيما بين القاهرة ومصر . أنشأها الملك المنصور قلاوون في سنة ٦٨٢ هـ برسم زوجته أم ولده الملك الصالح علاء الدين على . ولما توفيت يوم ١٦ شوال سنة ٦٨٣ هـ دفنت بهذه التربة ، وقد ذكرها ابن دساق في آاب الانتصار (ص ١٢٥ ج ٤) باسم التربة الخاتونية بنت قلاوون وقال إنها بجانب المدرسة الأشرقية ، دفن بها في سنة ٦٨٧ هـ الملك الصالح علاء الدين على بن قلاوون في حياة والده ، ثم دفنت بها أبنته خاتون أرملة الملك السعيد محمد بركة خان . وفي سنة ٧٧٤ هـ دفن بها =

١٥

٢٠

وُصِّلَى على الملك السعيد بدمشق صلاة الغائب يوم الجمعة رابع وعشرين ذى الحجة . ثم أنعم الملك المنصور بالكرك بعد موته على أخيه خضر ولُقِّب بالملك المسعود خضر .

- وكان الملك السعيد ، رحمه الله ، سلطاناً جليلاً كريماً سَخِيَّ الكَفِّ ، كثير العدل في الرعية ، محسناً للخاص والعام ، لا يرذ سائلاً ولا يُجَبِّب آملاً ، وكان متواضعا بَشَوِشاً ، حسن الأخلاق ليس في طبعه عَسْفٌ ولا ظلمٌ ، كثير الشفقة والرحمة على الناس ، لِينٌ الكلمة محباً لفعل الخير ، قليل المجاب على الناس يتصدى للأحكام بنفسه ، وكان لا يميل لسفك الدماء مع قدرته على ذلك ، وكان يوم دخوله إلى قلعة الجبل ولِدَ له مولود ذَكَرٌ من بعض حظاياه في شهر ربيع الآخر من هذه السنة .
- وكان يُحِبُّ التَّجَمُّلَ ويكثر من الإناعم على الناس ويَتَخَلَّعُ حتى في الأعززية . ولما مات خاله الأمير بدر الدين محمد بن بركة خان بن دولة خان ، وكان من أعيان الأمراء بالديار المصرية في الدولة الظاهرية ، وكان حصل له عند إفضاء الملك لابن أخته الملك السعيد تقدُّمٌ كبير ومكانة عالية ، وتوجه معه إلى دِمَشْقَ قَمَرِضَ بها إلى أن تُوُفِيَ ليلة الخميس تاسع شهر ربيع الأول ، ودُفِنَ بِسَفْحِ قَاسِيُونِ بِالثَّرْبَةِ المجاورة لرباط الملك الناصر صلاح الدين يوسف ؛ ومقدار عمره خمسون سنة ، عَمِلَ له ١٥

= الملك الصالح إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون . وفي سنة ٧٦١ دفن بها الملك الصالح صالح ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون . ومن هذا يتبين أنه دفن بها ثلاث ملوك لقهم الصالح .

- وأقول : إن هذه التربة لا تزال موجودة إلى اليوم بشارع الأشراف بقسم الخليفة بالقاهرة باسم تربة الست فاطمة خاتون بحرى المدرسة الأشرقية وبالقرب من جامع السيدة نفيسة . وبما يلتفت النظر في قبة هذه التربة المقرنص الذى تحتهما والكتابة الكوفية التى حول عقود شبايكها ثم مذهبها ذات الشكل المربع المشرفة على الشارع بشكل برج مرتفع . ولا انخفاض أرض هذه التربة عن منسوب الأرض المحيطة بها قد أقامت إدارة الآثار العربية حولها حائطا مرتفعا لمنع تهايل الأتربة عليها .

(١) في الأصلين : « فصل ... الخ » .

عِدَّةُ أُعْزِيَّةٍ وَفُرِيٍّ بِالْثَّرْبَةِ عِدَّةُ خَتَمَاتٍ ، حضر إحداها آبن أخته الملك السعيد ،
وَمُدَّ خَوَانُ فِيهِ مِنْ عَظِيمٍ فَاحِرِ الْأَطْعَمَةِ وَالْحَلَاوَاتِ ، فَأَكَلَ مَنْ حَضَرَ ، وَخَلَعَ الْمَلِكُ
السَّعِيدُ عَلَى وَالِدَتِهِ وَمَمَالِيكَه وَخَوَاصَّه وَهُوَ فِي الْعَزَاءِ فَلْيُسُوا الْخَلَعَ وَقَبِلُوا الْأَرْضَ ،
وَكَانَتْ الْخَلَعُ خَارِجَةً عَنْ الْحَذِّ . فِهَذَا أَيْضًا تَمَّا يَدُلُّ عَلَى كَرَمِهِ وَوَسْعِ نَفْسِهِ وَكَثْرَةِ
إِنْعَامِهِ حَتَّى فِي الْأُعْزِيَّةِ . رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . انْتَهَتْ تَرْجُمَةُ الْمَلِكِ السَّعِيدِ .
وَيَأْتِي ذِكْرُ حَوَادِثَ سَنِينَ سُلْطَنَتِهِ عَلَى عَادَةِ هَذَا الْكِتَابِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



السنة الأولى من ولاية الملك السعيد محمد برّكة خان على مصر ، وهي سنة
ست وسبعين وستمائة .

١٠ فيها توفى الشيخ كمال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل ^(١) [بن إبراهيم
آبن فارس] الإسكندري المقرئ ، كان عارفاً بالقراءات ، وَاَنْتَفَعَ بِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ،
وَتَوَلَّى نَظَرَ حَبِيسِ دِمَشْقَ ، وَنَظَرَ بَيْتِ الْمَسَالِ بِهَا مُضَافًا إِلَى نَظَرِ الْحَبِيسِ ، وَبَاشَرَ عِدَّةَ
وِظَائِفَ دِينِيَّةٍ . وَمَاتَ فِي صَفَرٍ . وَكَانَ رَئِيسًا فَاضِلًا .

١٥ وفيها توفى الأمير جمال الدين آقوش بن عبد الله المحمدي الصالح النجفي ،
كَانَ مِنْ أَعْيَانِ الْأَمْرَاءِ وَمِنْ أَكَابِرِهِمْ ، وَكَانَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ بَيْرُوسَ يُخَافُهُ ، وَخَبَسَهُ مَدَّةَ
طَوِيلَةٍ ثُمَّ أَفْرَجَ عَنْهُ فَمَاتَ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ ، وَدُفِنَ بِتَرْبَتِهِ بِالْقَرَاةِ الصَّغْرَى ^(٢) .

(١) الزيادة عن تاريخ الإسلام وغاية النهاية . (٢) غير ممكن تعيين موقعها الآن لا بد
من قديم ، بسبب هدم التربة القديمة وإحداث تربة أخرى في مكانها . لا ما كان منها من الآثار المتهتكة .
وهذه ليست منها . والقراءة الصغرى هي التي تعرف اليوم بجمانة الإمام الشافعي .

وفيهما تُوفِّي الأمير عَزَّ الدين أَيْبَك بن عبد الله المَوْصِلِيّ الظاهريّ نائب السلطنة
بِمَحْص، وكان وليّ مَحْص مدّة ثم عَزَلَه الملك الظاهر عنها ونفاه إلى حصن الأكراد،^(١)
وكان شجاعاً مقداماً .

وفيهما تُوفِّي الأمير عَزَّ الدين أَيْبَك بن عبد الله الدِّمِيَاطِيّ الصالحِيّ النَجْمِيّ أحد
أكابر الأمراء المُقَدِّمِينَ على الجيوش، كان قديم الهِجْرَة [بينهم]^(٢) في علو المنزلة وسمو
المكانة، وكان الملك الظاهر أيضاً حبسه مدّة طويلة ثم أطلقه وأعادَه إلى مكانته .
ومات بالقاهرة في شعبان ودُفِنَ بترابته التي أنشأها بين القاهرة ومصر في القُبَّة^(٣)
المجاورة لحوض السبيل^(٤) المعروف به .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٩٣ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) زيادة عن الذيل على مرآة الزمان . (٣) قبة أَيْبَك بن عبد الله الدمياطي، لما تكلم
المقريري في (ص ٤٣٠ ج ٢) من خطه على زاوية الدمياطي قال : إن هذه الزاوية خارج مصر
فها بين خط السبع سقايات وبين قنطرة السد . أنشأها الأمير عز الدين أيبك الدمياطي أحد الأمراء
المقدماتين الأكابر، وبها دفن لما مات في سنة ٦٧٦ هـ .

وأقول : إن القبة المشار إليها كانت قائمة فوق قبر هذا الأمير داخل الزاوية من الجهة البحرية،
وقد هدمت هذه القبة . وأما الزاوية فلا تزال موجودة من الجهة البحرية، وتعرف الآن بجامع الحبيبي
نسبة إلى الشيخ محمد الحبيبي شيخ الطريقة الحبيبية الذي جدد هذا المسجد في سنة ١٢٤٧ هـ . ثم دفن
فيه بجوار قبر الأمير أيبك ضرف بجامع الحبيبي من ذلك الوقت . وفي سنة ١٣٣٠ هـ جددت نظارة
الأوقاف هذا الجامع ولا يزال مقام التماثر إلى اليوم بشارع السد الجواني على رأس شارع الشيخ سليم
بقسم السيدة زينب بالقاهرة . (٤) في الأصلين : « المجاورة لحوض والسبيل » وما أثبتناه
عن الذيل على مرآة الزمان . وحوض السبيل المجاور لقبة أيبك الدمياطي ، لما تكلم المقريري على
زاوية الدمياطي في (ص ٤٣٠ ج ٢) من خطه قال : إن هذه الزاوية خارج مصر بين خط السبع
سقايات وبين قنطرة السد بجانب حوض السبيل المد لشرب الدواب ؛ ثم قال : ولا يزال يعرف الحوض
المجاور لهذه الزاوية بحوض الدمياطي .

وأقول : إن هذا الحوض قد أُنْشِئَ ، ومكانه الدكاكين الواقعة بجوار جامع الحبيبي من الجهة البحرية
والمتفرقة على شارع السد، حيث كان الطريق العام من عهد الدولة الفاطمية بين مصر والقاهرة إلى اليوم .

وفيهما توفى الأمير عز الدين أيذر بن عبد الله العلّائي نائب قلعة صفد، حضر بعد موت الملك الظاهر إلى القاهرة ومات بها ودُفن بالقرافة الصغرى، وكان ديناً عفيفاً أميناً، وهو أخو الأمير علاء الدين أيذر بن الصالحى .

وفيهما توفى الأمير بدر الدين يلبك بن عبد الله الظاهري الخازندار نائب السلطنة بالديار المصرية بل بالممالك كلها . قد تقدم من ذكره نبذة جيدة في عدة مواطن، وهو الذى أخفى موت الملك الظاهر حتى قدم به إلى مصر حسب ما تقدم ذكره، وكانت وفاته بالقاهرة فى سادس شهر ربيع الأول بقلعة الجبل ودُفن بترتبه التى أنشأها بالقرافة الصغرى، وحزن الناس عليه حزناً شديداً حتى شمل مصابه الخاضع والعام، وعُمِل عزاءه بالقاهرة ثلاثة أيام، فى الليل بالشموع وأنواع الملاهى . وصدع موته القلوب وأبكى العيون، وقيل : إنه مات مسموماً، وكان عمره خمسا وأربعين سنة، ومحاسنه كثيرة بطول الشرح فى ذكرها .

وفيهما توفى الشيخ المعتقد خضر بن أبى بكر [محمد] بن موسى أبو العباس المهراتى العدوى، كان أصله من قرية المحمدية من أعمال جزيرة ابن عمر، وهو شيخ الملك الظاهر بيبرس، وصاحب الزاوية التى بناها له الملك الظاهر بالحسنية على الخليج بالقرب من جامع الظاهر . وقد تقدم من ذكره فى ترجمة الملك الظاهر ما يبنى عن الإعادة هاهنا . وكان الشيخ خضر بشر الملك الظاهر قبل سلطته بالملك، فلما تسلطن صار له فيه العقيدة العظيمة حتى إنه كان يزل إليه فى الجمعة المزة والمزتين،

(١) غير ممكن تعيين موقعها الآن لانه نادرها من قديم . راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٧٤ من هذا الجزء

(٢) زيادة عن المهل الصافى . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦١ من هذا الجزء .

(٤) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٤٣ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

(٥) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٦١ من هذا الجزء .

وكان يُطلعه على غوامض أسرارهِ، ويستشيرهُ في أموره، ويستصحبهُ في أسفاره، وفيهِ يقول الشريف محمد بن رضوان الناصح ^(١).

- ما الظاهرُ السلطانُ إلا مالكُ الدُّنيا بذاك لنا الملاحمُ تُخبرُ
ولنا دليلٌ واضحٌ كالشمس في * وَسَطِ السَّما بِكَلِّ عَيْنٍ تُنْظَرُ
لما رأينا الحُضرُ يقدُمُ جيشَه * أبداً علمنا أَنَّهُ الإسْكَندَرُ

- وكان الشيخ يُخبرُ الملك الظاهر بأمور قبل وقوعها فتقع على ما يُخبره، ثم تغير الملك الظاهر عليه لأمر بلغته عنه وأحضر السلطان من حاققه، وذكروا عنه من القبائح ما لم يصدر عن مسلم! والله أعلم بصحة ذلك؛ فاستشار الملك الظاهر الأمراء في أمره، فنهزم من أشار بقتله، ومنهم من أشار بحبسه، فقال الظاهر إلى قتله ففهم خضر؛ فقال للظاهر: إسمع ما أقول لك، إن أجلى قريب من أجلك، وبينى وبينك مدة أيام يسيرة، فمن مات منا لحقه صاحبه عن قريب! فوجم الملك الظاهر وكف عن قتله، فحبسه في مكان لا يُسمع له فيه حديث، وكان حبسه في شوال سنة إحدى وسبعين وثمانئة، وتوفي يوم الخميس أو في ليلة الجمعة سادس المحرم سنة ست وسبعين وثمانئة، ودُفن بزوايته بالحسينية. وكان الملك الظاهر بدمشق، فلما بلغه موته اضطرب وخاف على نفسه من الموت
- لما كان قال له الشيخ خضر: إن أجله من أجله قريب، فريض الظاهر بعد أيام يسيرة ومات، فكان بين الشيخ خضر وبين الملك الظاهر دون الشهر، انتهى.

(١) هو محمد بن رضوان السيد الشريف العلوي الحسيني الدمشقي الناصح، كان يكتب خطاً متوسط

الحسن، وله يد في النظم والنثر والأخبار. تقدمت وفاته سنة ٦٧١ هـ وراجع فوات الوفيات (ج ٢

وفيها تُوفِّي شيخ الإسلام محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن الحسن
ابن الحسين النَّوَوِيّ^(٢) الفقيه الشافعي الحافظ الزاهد صاحب المصنفات المشهورة .
وُلِدَ في العشر الأوسط من المحرم سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة ، ومات ليلة الأربعاء
رابع عشرين شهر رجب بقرية نوى .

قلت : فضله وعلمه وزُهدُه أشهر من أن يُذكر . وقد ذكرنا من أمره
نبذة كبيرة في تاريخنا « المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي » ؛ إذ هو كتاب تراجم
يحسُن الإطنا ب فيه . انتهى .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها تُوفِّي الملك القاهر
عبد الملك بن المعظم [عيسى] بن العادل [أبي بكر بن أيوب] في المحرم مسموماً .
والسلطان الملك الظاهر ركن الدين الصالحى يَبْرَسَ في أواخر المحرم بالقصر الأبلق ،

(١) ضبطه شارح القاموس بكسر الميم مقصوراً . (٢) النوى : نسبة إلى نوى ، بلدة من أعمال
حوران وقيل هي قصبتها بينها وبين دمشق مزلان وهي منزل أيوب طيه السلام وبها قبر سام بن نوح طيه
السلام فيما زعموا (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) الزيادة عن تاريخ الإسلام والدليل على
مرآة الزمان والمنهل الصافي وعمود التواريخ .

(٤) القصر الأبلق : بناء الظاهر في مرجة دمشق في الميدان القليل سنة ٦٦٨ هـ وعلى أقباضه بنيت
التيكة السلطانية سنة ٩٧٤ هـ الباقية إلى اليوم كأجل أثر للعثمانيين في دمشق . وكان على واجهة القصر الأبلق
مائة أسد منزلة صورها بأسود في أبيض وعلى النهاية اثنا عشر أسداً منزلة صورها بأبيض في أسود . وقد
بنى من أسفل إلى أعلاه بالجهر الأسود والأصفر بتأليف غريب وإحكام عجيب ، ولذلك سمى بالقصر الأبلق
وعلى مثاله بنى الناصر محمد بن قلاوون القصر الأبلق بقلمة الجبل بمصر . قال ابن فضل الله العمري
في وصفه : وأمام هذا القصر دركاة (عرصة) يدخل منها إلى دهليز القصر وهو دهليز فسح يشتمل على قاعات
ملكية مفروشة بأرخام المثلون البديع الحسن الموزر بالأرخام ، المفضل بالصدف والقص المذهب إلى مجفف
السقف . وبالدار الكبرى به إيوانان متقابلان تطل شسايك شرقهما على الميدان الأخضر وغربهما
على شاطئ واد أخضر يجرى فيه نهر . وله رافار عالية تناغى السحب تشرف من جهاتها الأربع على جميع
المدينة والنوطة . رآه ابن طولون المتوفى سنة ٩٥٣ هـ وقرأ عليه أن تاريخ بناءه كان سنة ٦٦٨ وقال : إن
على أسكفته ضرباً من رخام أبيض وسطه مكتوب ، عمل إبراهيم بن غنائم (المهندس المصرى الشهير) . وقد
وصف بهاء الدين الموصل القصر بعبارة بليغة منها . يبر الناظر حسن معناه ، ولا يقدر على وصف محاسنه
من يراه . (انظر خطط الشام لكرد على ج ٤ ص ١٢٢ و ج ٥ ص ٢٨٥ — ٢٨٦) .

- وله يُضَعُّ ونمسون سنة . وكال الدين إبراهيم بن الوزيري نجيب الدين [أحمد^(١)] بن إسماعيل [بن إبراهيم^(١)] بن فارس التميمي الكاتب المقرئ في صفر، وله ثمانون سنة .
والواعظ نجم الدين علي بن علي بن إسفنديار بدمشقي في رجب، وله خمس وأربعون سنة وأشهر . وسيليك الظاهري الخازندار نائب مصر . والصاحب معين الدين سليمان بن علي [بن محمد بن حسن^(٢)] البروانه الرومي، قتله أبقا في المحرم . والشيخ خضر بن أبي بكر العدوي شيخ السلطان . والشيخ الإمام شمس الدين محمد [بن إبراهيم^(٣)] ابن عبد الواحد بن علي بن سرور قاضي القضاة أبو بكر وأبو عبدالله المعروف بـ [أبن^(٤) العباد الحنبلي في المحرم بمصر . والقاضي تقي الدين محمد بن حياة الرقي قاضي حلب بنبوك في المحرم^(٥) .

- ١٠ § أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ست أذرع وثلاث عشرة إصبعاً .
مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعاً وثمانى أصابع .



السنة الثانية من ولاية الملك السعيد على مصر، وهى سنة سبع وسبعين وستمائة .

- ١٥ (١) تكلم عن الذهبي وغاية النهاية وما تقدم للولف في وفيات هذه السنة .
(٢) الذى فى تاريخ الإسلام للذهبي وشذرات الذهب أنه ولد سنة ٦١٦هـ . فهذا يكون قد مات وسه ستون سنة . وفى ذيل مرآة الزمان : « وقد نيف على ستين سنة » . (٣) زيادة عن المنهل الصافي وعيون التواريخ والذيل على مرآة الزمان . (٤) الكلمة عن تاريخ الاسلام وشذرات الذهب .
(٥) فى الأصلين : « قاضى حلب مقتولا » . وتصحيحه عن المنهل الصافي وذيل مرآة الزمان .
وتبوك : موضع بين وادى القرى والشام (عن معجم البلدان لياقوت) .

ففيها توفى الشيخ الإمام زين الدين أبو العباس إبراهيم بن أحمد بن أبي الفرج^(١) الدمشقي الحنفي المعروف بأبن السديد إمام مقصورة الحنفية شمالي جامع دمشق وناظر وقفها . كان إماماً فقيهاً دينياً كثير الخير غدير المروءة . مات في جمادى الأولى بسنانه بالمزة ودُفن بسفح قاسيون .

وفيها توفى الأمير شمس الدين آق سُقُربن عبد الله الفارغاني ، كان أصله من مماليك الأمير نجم الدين حاجب الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام ، ثم انتقل إلى ملك السلطان الملك الظاهر بيبرس ، وتقدم عنده وجعله أستاذ داراً كبيراً ، وكان للملك الظاهر عدة أستاذية ، وكان الملك الظاهر كثير الوثوق به في أموره ويستنبيه في غيبته ويُقدمه على عساكره ، ولما صار الأمر إلى الملك السعيد جعله نائبه لسائر الممالك بعد بيليك الخازندار ، فلما ثارت الخاصكية قبضوا عليه وقتلوه ، وقيل إنه بقي في هذه السنة ، والأصح أنهم قبضوا عليه وسجنوه إلى أن مات في جمادى الأولى من هذه السنة . وكان أميراً كبيراً جسيماً شجاعاً مقداماً^(٢) مهيباً ذا رأي وتدير وعقل ودهاء ، كثير البر والصدقات على الهمة ، وله مدرسة عند داره داخل باب سعادة بالقاهرة .

(١) في الأصلين : «أبن أبي الفتوح» . والنصح عن تاريخ الإسلام وذيل مرآة الزمان والجواهر المضية في طبقات الحنفية والمنهل الصافي . (٢) المقصورة الحنفية ، من مدارس الحنفية بدمشق وهي محل التدريس في حرم الجامع الأموي وقف عليها كاتب الممالك القاضي نضر الدين أوقافاً . انظر (خطط الشام الكردي ج ٦ ص ٩٧) . وفي تاريخ الإسلام : «إمام مقصورة الحليين» . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٧ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٦٢ من هذا الجزء . (٥) باب سعادة ، يستفاد مما ذكره المؤلف عن موضع المدرسة المذكورة وما ذكره المقرئ في خطه عند الكلام على بناء القاهرة (ص ٣٦٠ ج ١) وعلى أبواب القاهرة (ص ٣٨٠ ج ١) وعلى باب سعادة (ص ٣٨٣ ج ١) وعلى بستان العدة (ص ١١٩ ج ٢) وعلى مسجد يانس (ص ٤١١ ج ٢) يستفاد من كل ذلك أن باب سعادة مكانه اليوم الباب الغربي للطرفة الفاصلة بين ديوان محافظة مصر وبين محكمة الاستئناف الأهلية بميدان باب الخلق بقسم الدرب الأحمر بالقاهرة . وهذه الطرفة كانت طريقاً عاماً =

وفيهما توفى الأمير جمال الدين آفوش بن عبد الله النجيبى الصالحى النجيبى الأيوبي، كان مقرباً عند أستاذه الملك الصالح وولاه أستاذاراً، وكان كثير الاعتماد عليه . ثم ولّاه الملك الظاهر بيبرس نيابة دمشق فأقام بها تسع سنين، ثم عزّله وتركه بطّالاً بالقاهرة إلى أن مات بها في ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الآخر بدّاره بدرّب ملوخيّاً من القاهرة، ودُفن يوم الجمعة بقرية بالقرافة الصغرى .

وفيهما توفى الشيخ جمال الدين طه بن إبراهيم بن أبي بكر بن أحمد بن بختيار الهذبانى الإريلى، كان عنده فضيلة وأدب ورياسة، وله يدٌ في النظم . ومات في جمادى الأولى . ومن شعره في النهى عن النظر في النجوم :

دع النجومَ لطرفي^(٣) يعيش بها * وبالعزيزمة فأنهض أيها الملك
إنت النبيّ وأصحاب النبيّ نهوا * عن النجوم وقد أبصرت ما ملكوا

وفيهما توفى قاضى القضاة مجد الدين أبو المحجد عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن هبة الله العقيلى الحلبى الحنفى ابن الصاحب كمال الدين عمر بن العديم . كان إماماً

= في امتداد سكة للنبوية الواقعة تجاه الطرقة من الجهة الشرقية . ولما سدّ باب سعادة بطل استعمال هذا الجزء من الطريق من زمن بعيد . ولما أنشأ منصور باشا يكن سرايه التي بها اليوم ديوان محافظة مصر دخلت هذه الطرقة في السراي وأنشأ بجريها حديقة وعلى أرض هذه الحديقة أنشئت محكمة الاستئناف الأهلية .
وأما سعادة المنسوب إليه هذا الباب فهو سعادة بن حيان أحد قواد جيش الخليفة المعز لدين الله أبي تميم معد الفاطمى . فلما جاء سعادة وجيشه إلى القاهرة في سنة ٣٦٠ هـ دخل إليها من هذا الباب فصرّف من ذلك الوقت بياض سعادة .

(١) هذه الدار غير ممكن تعيين موقعها الآن لاندثارها من قديم الزمن ، وأما درب ملوخيا فكانه اليوم الطريق المعروفة بخارة قصر الشوك أحد فروع قصر الشوك بقسم الجالية بالقاهرة . وراجع الحاشية رقم ٦ ص ٤٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٢) هذه التربة قد اندثرت من قديم الزمن ولا يعلم مكانها اليوم . (٣) ذكر المؤلف هذين البيتين في حوادث سنة ٥٨٢ هـ بصدد حكم المنجمين بجرب العالم في تلك السنة وبيان كذبهم ؛ وقد رواهما المؤلف هناك وقال إنه يعرف قائلهما . ورواية المصراع الأول فيا تقدّم :
دع النجوم لصوفي يعيش بها *
والصواب ما روى هنا . (٤) تقدّمت وفاته سنة ٥٦٦ هـ .

علماً فاضلاً كبير الديانة والورع، كان جمع بين العلم والعمل والرياسة، ولى قضاء دمشق مع عدة تداريس، ولم يزل فاضلاً إلى أن توفى بظاهر دمشق بخوسقته^(١) الذى على الشرف [الأعلى]^(٢) القبل فى يوم الثلاثاء سادس عشر شهر ربيع الآخر، ودُفن فى تربة أنشأها قبالة الجوسق المذكور. ومن شعره ما كتبه لخاله عون الدين سليمان ابن العجمى بسبب ابن مالك، فقال :

أمولائى عون الدين ياروايأ لنا * حديث المعالى عن عطاءٍ ونافع
بعيشك حدثنى حديث ابن مالك * فانت له يا مالكى خير شافع

وفىها توفى الشيخ موفق الدين أبو محمد عبد الله بن عمر بن نصر الله الأنصارى، كان أديباً فاضلاً. قال الشيخ قطب الدين اليونينى فى الذيل على المرأة : « صاحبنا [كان أديباً فاضلاً مقتدرًا على النظم] ، وله مشاركة فى علوم كثيرة، منها : الكُمل والطب، وغير ذلك من الفقه والنحو والأدب ، ويعظ الناس، حلوا النادرة حسن المحاضرة » . انتهى كلام قطب الدين . قلتُ ومن شعره :

قلبي وطرفي فى ديارهم * هذا ييم بها وذا يهيم
رسم الهوى لما وقفتُ بها * للدمع أن يجرى على الرسيم

وفىها توفى الأديب نجم الدين أبو المعالى محمد بن سوار بن إسرائيل بن الحضير بن إسرائيل الشيبانى الدمشقى المولد والدار والوفاة، كان أديباً فاضلاً قادراً على النظم

(١) الجوسق معرب جوسك أو جوسه وهو القصر . (٢) زيادة عن عون التواريخ وتاريخ الدول والملوك لابن القرات . (٣) هو سليمان بن عبد المجيد بن الحسن بن أبي غالب ابن عبد الله بن الحسن بن عبد الرحمن الأديب البارع عون الدين بن العجمى الحلبي الكاتب توفى سنة ٦٥٦ هـ بدمشق (عن المنهل الصافي) .

(٤) هذه العبارة متعولة عن الذيل على امرأة الزمان وليست بالأصليين .

صوفيًا. وقد ذكرنا حكايته مع الشهاب الحيمي^(١) لما أدعى كل منهما القصيدة البائية التي أولها :

* يا مطلبًا ليس لي في غيره أرب *

وتداعيا عند الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض فأمر ابن الفارض أن يعمل كل منهما قصيدة على الوزن والقافية فعمل ذلك ، فحكم ابن الفارض بالقصيدة للشهاب الحيمي . وقد ذكرنا القصائد الثلاث في « المنهل الصافي » في ترجمة شهاب الدين الحيمي . وأرب إسرائيل هذا ممن تكلموا فيه ورموه بالاتحاد . والله أعلم بحاله . ومن شعر ابن إسرائيل هذا على مذهب القوم :

خَلَا مِنْهُ طَرْفِي وَأَمْتًا مِنْهُ خَاطِرِي * فَطَرْفِي لَهُ شَاكٍ وَقَلْبِي شَاكِرٌ
ولو أنني أنصفتُ لم تشكُّ مُقَلَّتِي * بِعَادَا وَدَارَاتُ الوجود مَظَاهِرُ ١٠
وله أيضا :

يا من تنأى وفؤادى دأره * مُضْنَاكَ قد أقلقته تَذْكَارُهُ
صددت عنه قبل ما وصلته * وكان قبل سُكره نُحْمَارُهُ

وفيها توفى الشيخ الإمام العلامة مجد الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عمر ابن أحمد بن أبي شاذي الإزيلي - الأديب الفقيه الحنفي - المعروف بابن الظهير . مولده ١٥
بإربل في ثاني صفر سنة اثنتين وستمئة ونسأبها ، وطلب العلم وتفقه وبرع في الفقه والأصول والعربية ، وقدم دمشق وتصلى بها للإقراء والتدريس ودرس بالقائمية^(٢)

(١) هو محمد بن عبد المنعم بن محمد الشيخ الإمام البارع الشاعر الأديب شهاب الدين بن الحيمي الأنصاري . سيذكر المؤلف في حوادث سنة ٦٨٥ هـ . وقد أورد المؤلف هذه الحكاية في ترجمته أيضا .

(٢) القائمية : من مدارس الحنفية بدمشق . داخل بابي الفرج والنصر أنشأها صارم الدين قياز النجمي المتوفى سنة ٨٩٦ هـ . كان خيرا عاقلا يتولى أعمال السلطان صلاح الدين ويعمل عمل أستاذ الدار ، وكلما فتح السلطان بلدة سلمها إليه ليروضها . وكانت هذه المدرسة بالمناخية ثم درست عندما جرى توسيع الطريق . (عن خطط الشام ج ٦ ص ٩٦) .

بدمشق؛ وهو من أعيان شيوخ الأدب وغول المتأخرين وله ديوان شعر، وسمع
الحديث ببغداد من أبي بكر بن الخازن^(١) والكاشغري^(٢) [و] بدمشق من السخاوي^(٣)
وكريمة وتاج الدين بن حمويه؛ وروى عنه أبو شامة والقوصي^(٤) والدمياطي^(٥) والشهاب
محمود، وعليه تدرج في الأدب، و[أبو الحسين] البونيني^(٦) والحافظ جمال الدين المزي^(٧).
ولما مات رثاه تلميذه الشهاب محمود بقصيدة أولها:

تَمَكَّنَ لَيْلٍ وَأَطْمَأَنَّتْ كَوَاكِبُهُ * وَسُدَّتْ عَلَى صُبْحِ الْفَدَا مَذَاهِبُهُ^(٨)
بَكَتْهُ مَعَالِيهِ وَلَمْ يُرْقَبْ لَهُ * كَرِيمٌ مُضَى وَالْمَكْرَمَاتُ نَوَادِبُهُ^(٩)

ومن شعر ابن الظهير:

قَلْبِي وَطَرَفِي ذَا بَسِيلٍ دَمًا وَذَا * دُونَ الْوَرَى أَنْتَ الْعَلِيمُ بَقَرَحِهِ^(١٠)

- ١٠ (١) هو أبو بكر محمد بن سعد بن الموفق الصوفي ابن الخازن. تقدمت وفاته سنة ٦٤٣ هـ. فبين قتل المؤلف وفاتهم عن الذهبي. (٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن يوسف الزركشي الكاشغري: نسبة إلى كاشغر، مدينة بالمشرق. توفي سنة ٦٤٥ هـ. عن شذرات الذهب. (٣) هو علم الدين علي بن محمد بن عبد الصمد الحمداني السخاوي المفسر الشافعي. تقدمت وفاته سنة ٦٤٣ هـ.
- ١٥ (٤) هي كريمة بنت عبد الوهاب القرشية. تقدمت وفاتها سنة ٦٤١ هـ. (٥) هو تاج الدين أبو محمد عبد الله بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه شيخ الشيوخ. تقدمت وفاته سنة ٦٤٢ هـ. (٦) هو أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم. تقدمت وفاته سنة ٦٦٥ هـ. (٧) في الأصلين: «والقوصي» وهو تحريف، وتصحيحه عن تاريخ الإسلام. وهو الشهاب القوصي أبو الحامد وأبو العرب وأبو الفداء وأبو الطاهر إسماعيل بن حامد بن عبد الرحمن الفقيه الشافعي الأنصاري الخزرجي. تقدمت وفاته سنة ٦٥٣ هـ. فبين قتل المؤلف وفاتهم عن الذهبي. (٨) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٦ من هذا الجزء.
- ٢٠ (٩) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٥٩ من هذا الجزء. (١٠) الزيادة عن تاريخ الإسلام والمنهل الصافي. وهو شرف الدين أبو الحسين علي بن محمد بن أحمد البونيني الحنبلي. سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٧٠١ هـ. (١١) هو جمال الدين أبو الحاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف بن علي بن عبد الملك بن علي بن أبي الزهر الكلي القضاعي الدمشقي المزي. سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٧٤٢ هـ.
- ٢٥ (١٢) في فوات الوفيات: «تسكليل ... الخ». (١٣) هذه رواية فوات الوفيات وفي الأصلين: «وسدت على صمبي الفداء ... الخ». (١٤) اقتصر المؤلف على هذين البيتين وهي قصيدة طويلة كلها على هذا النمط وتقع في خمسة وأربعين بيتا كما في عيون التواريخ في حوادث هذه السنة. (١٥) هذه الأبيات من قصيدة واردة في عيون التواريخ وفوات الوفيات، تقع في نحو ثمانية عشر بيتا أولها: غش المفسد كامن في نصحه * فأطل وقوفك بالنور وسفحه

(١٦) في عيون التواريخ وفوات الوفيات: «بين الوري».

وهما يُحبك شاهدان وإِنَّمَا * تعديلُ كُلِّ منهما في جَرَحِهِ
والقلب منزلةُ القديمِ فإنَّ تجد * فيه سواك من الأنام فَتَنَحَّهِ

- الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال:- وفيها توفى الأديب نجم الدين محمد [بن سوار]^(١) بن إسرائيل الحريري الشاعر المشهور في شهر ربيع الآخر. والإمام محمد الدين محمد بن أحمد بن عمر بن الظهير الحنفى^(٢) الأديب في شهر ربيع الآخر أيضا .
والأمير شمس الدين آق سنقر الفارقاني في الحبس في جمادى الأولى . والأمير جمال الدين آقوش النجيبى بالقاهرة في شهر ربيع الآخر . وشيخ الحنفية وقاضيه المصدّر سليمان بن أبى العزبن وهيب الحنفى في شعبان، وله ثلاث وثمانون سنة .
والصاحب محمد الدين أبوالمجد عبد الرحمن بن أبى القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله العقيلي قاضى الحنفية في شهر ربيع الآخر، وله ثلاث وستون سنة . والوزير بهاء الدين على بن محمد بن سليم المصرى^(٤) بن حنا في ذى القعدة . والمحذث ناصر الدين محمد ابن عمر بن شاه الممداني في جمادى الأولى . والمحذث شهاب الدين أحمد بن محمد بن عيسى الجزرى . وأبو المرحبى المؤمل بن محمد بن على [بن محمد بن على بن منصور عز الدين] البالىسى في رجب .

- § أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم سبع أذرع وإحدى وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وخميس أصابع .

- (١) التكملة عن تاريخ الاسلام وما تقدم ذكره للؤلؤ . (٢) الحريرى : نسبة الى الحريرية وهم أتباع الشيخ على الحريرى الذى تقدمت وفاته سنة ٥٦٤ هـ . (٣) فى الأصلين والجواهر المضية : « ابن وهب » . وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ وعقد الجمان وشذرات الذهب .
(٤) ضبط بالقلم فى تاريخ الإسلام (فتح السين) . وفى عقد الجمان وعيون التواريخ بعضها .
(٥) فى الأصلين : « محمد بن عمر شاه » والتصحيح عن تاريخ الإسلام للمثل الصاق وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ وعيون التواريخ وتاريخ الدول والملوك . (٦) فى الأصلين : « أبو الرجا » . ما أثبتناه عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب . (٧) زيادة عن تاريخ الإسلام .

ذكر سلطنة الملك العادل سَلَامُش على مصر^(١)

هو السلطان الملك العادل بدر الدين سَلَامُش ابن السلطان الملك الظاهر
 ركن الدين بَيْرُكس البُنْدُقْدَارِي الصالحى النجمى السادس من ملوك الترك بمصر .
 تسلطن بعد خَلْع أخيه الملك السعيد أبى المعالى ناصر الدين محمد بركة خان بِاتِّفَاق
 الأمراء على سلطنته ، وجلس على سرير الملك فى يوم الأحد سابع عشر شهر ربيع الآخر
 سنة ثمان وسبعين وستمائة وعمره يوم تسلطن سبع سنين . وجعلوا أتابكته ومدبر
 مملكته الأمير سيف الدين قلاوون الصالحى النجمى . وَضُرِبَت السُّكَّة على أحد
 الوجهين باسم الملك العادل سَلَامُش هذا ، وعلى الوجه الآخر اسم الأمير قلاوون ؛
 وَخُطِبَ لهما أيضا على المنابر . وأستمر الأمر على ذلك وصار الأمير قلاوون
 هو المتصرف فى الممالك والعساكر والخزائن ، ولم يكن لَسَلَامُش فى السلطنة
 مع قلاوون إلا مجرد الاسم فقط . وأخذ قلاوون فى الأمر لنفسه . فلما استقام له
 الأمر دَخَلَ إليه الأمير شمس الدين سُتُرُ الأشقر ووافقه على السلطنة وأخفى ذلك
 لكونه كان خُشْدَاءَه ، وكان الأمير عَزَّ الدين أَيْدَمُر نائب الشام عاد إلى الشام
 بمن معه بعد خلع الملك السعيد ، فوصل إلى دِمَشق يوم الأحد مستهل جمادى
 الأولى ، ففرج لتلقيه من كان تخلف بِدِمَشق من الأمراء والجند ، والمقدم عليهم
 الأمير جمال الدين آقوش الشمسى . وكان قلاوون قد كاتب آقوش فى أمر أَيْدَمُر
 هذا والقَبْض عليه ، فلما وصلوا إلى مُصَلَّى العيد بقصر حجاج أحتاط الأمير جمال
 الدين آقوش الشمسى والأمراء الذين معه على الأمير أَيْدَمُر نائب الشام وأخذوه
 بينهم ، وفترقوا بينه وبين عسكره الذين حضروا معه من الديار المصرية ، ودخلوا إلى

(١) ضبط بالقلم فى عيون التواريخ : (فتح السين وضم الميم) . وفى السلوك : (بضم السين وكسر الميم)
 ووافقه عقد الجمان فى ضم السين ولم يضبط الميم .

- (١) دِمَشْق من باب الجابية، ورسوموا عليه بدار في دِمَشْق؛ ثم نقلوه إلى قلعة دمشق وأعتقلوه بها . وكان الملك السعيد قبل أن يخرج من الشام سلم قلعة دِمَشْق للأمير علم الدين سَنَجَر الدَّوَيْدَارِيَّ وجعله النائب عنه أيضا في البلد . ثم أرسل قلاوون جمال الدين آقوش الباخلِ وشمس الدين سُنُقُرْ جَاه [الكِنِجِيَّ^(٢)] إلى البلاد الشامية وعلى يدهم نسخة الأيمان بالصورة التي آسَفتَ الحال عليها بمصر، وأحضروا
 ٥. الأمراء والهند والقضاة والعلماء وأكابر البلد للحليف، وكان معهم نسخة بالملكنوب المتضمن خلع الملك السعيد وتولية الملك العادل سَلَامُش، فُقِرِيَّ ذلك على الناس وحلفوا وأستمر الحليف أياها . ثم إن الأمير قلاوون وَلَّى خُشْدَاشَه الذي آتفق معه على السلطنة، وهو الأمير شمس الدين سُنُقُرْ الأشقر، نيابة الشام وأعمالها فتوجه سُنُقُرْ الأشقر إليها، ودخلها يوم الأربعاء ثالث جُمادى الآخرة من سنة ثمان وسبعين
 ١٠. المذكورة بتجمل زائد، فكان مَوَكِبُهُ يَضَاهِي مَوَكِبَ السلطان، وعند وصوله إلى دِمَشْق أمر الأمير علم الدين سَنَجَر الدَّوَيْدَارِيَّ بالتزول من قلعة دِمَشْق فزل في الحال . وصفا الوقت للأمير قلاوون بِمَسْكِ أَيْدُمَر نَائِبِ الشام، وبخروج سُنُقُرْ الأشقر من الديار المصرية وأتبرم أمره مع الأمراء والخاصية، وآتفقوا معه على
 ١٥. خلع الملك العادل سَلَامُش من السلطنة وتوليته إياها . فلما كان يوم الثلاثاء حادى عشرين شهر رجب سنة ثمان وسبعين وستمائة اجتمع الأمراء والقضاة والأعيان بقلعة الجبل وخلعوا الملك العادل بدر الدين سَلَامُش من السلطنة ليصغر سنه، وتسلمن عِوَضَه أتابكهُ الأمير سيف الدين قلاوون الأتني الصالحى التَّجْمِيَّ،

(١) باب الجابية، هو السابغ من أبواب دمشق، منسوب إلى قرية الجابية، وكانت في الجاهلية

مدينة عظيمة . (عن نزهة الأناضول في محاسن الشام ص ٢٥) .

(٢) زيادة عن عيون التواريخ والسلوك .

وُنِيتَ بالملك المنصور، على أنه كان هو المتصرف في المملكة منذ خلع الملك السعيد وتسلمن الملك العادل سَلَامُش، ولم يكن لَسَلَامُش في أيام سلطته غير الأسم، وفلاوون هو الكل! وكان عدم سلطنة فلاوون قبل سَلَامُش أنه خاف ثورة الممالك الظاهرية عليه، فأنهم كانوا يوم ذاك هم معظم عسكر الديار المصرية، وأيضا كانت بعض القلاع في يد ثواب الملك السعيد فلما مهد أمره تسلمن. ولما بلغ سُنُقُر الأشقر سلطنة فلاوون داخله الطمع في الملك وأظهر العُصيان، على ما سيأتي ذكره في ترجمة الملك المنصور فلاوون إن شاء الله تعالى.

وكانت مدة سلطنة الملك العادل بدر الدين سَلَامُش على مصر ثلاثة أشهر وستة أيام. ولزم الملك العادل سَلَامُش داره عند أمه إلى أن أرسله الملك المنصور فلاوون إلى الكرك، فأقام به عند أخيه الملك خَضِر مدة (٢) ثم رسم الملك المنصور بإحضاره إلى القاهرة فحضر إليها، وبقي حاملا إلى أن مات الملك المنصور فلاوون وتسلمن من بعده ولده الملك الأشرف خليل بن فلاوون، جهزه وأخاه الملك خضرا وأهله إلى مدينة اسطنبُول بلاد الأَشْكُرَى، فأقام هناك إلى أن توفى بها في سنة تسعين وستمائة. وكان شابا مليحا جميلا تام الشكل رَشِيق القَدَّ طويل الشعر ذا حياء

(١) في الأصلين : « ثلاثة أشهر تنقص ستة أيام ». والصواب ما أثبتناه لأنه حكم من سابع عشر شهر ربيع الآخر إلى الحادي والعشرين من شهر رجب كما سيقوله المؤلف بعد قليل . وفي عقد الجمان والسلوك : « وكانت مدة ملكه مائة يوم ». وفي النهج السيد للفضل بن أبي الفضائل (ج ٢ ص ٧٥) : « وكانت مدة تسميته بالسلطة ثلاثة أشهر ونصف » . (٢) لعله يريد الملك السعيد، لأنه هو الذي أخذ الكرك . وأما أخوها الخضر فقد أخذ الشوبك كما تقدم ذكر ذلك في أواخر ترجمة الملك السعيد . (٣) الذي في السلوك وتاريخ أبي القدا وعقد الجمان في حوادث

سنة ٦٨٥ أن السلطان أرسل عسكرا كثيفا مع حسام الدين طرغاي المنصوري، وأمره بمنازلة الكرك فصار إليها وتسلمها بالأمان، وعاد وصحبه أصحاب الكرك جمال الدين خضرو بدر الدين سلاش ولدا الملك الظاهر، فأحسن السلطان إليهما، ووفى لها بأمانه، ثم بلغه عنهما ما كرهه فاعتقلهما بقبض في الحبس حتى توفى الملك المنصور.

ووقار وعقل تام . مات وله من العمر قريب من عشرين سنة ؛ قيل : إنه كان أحسن أهل زمانه ، وبه أفقتن جماعة من الناس ، وشبَّ به الشعراء وصار يُضرب به المثل في الحسن حتى يقول القائل : « ثغرُ سَلَامِي » . انتهت ترجمة الملك العادل سَلَامُش ، رحمه الله .



- السنة التي حكم فيها الملك السعيد إلى سابع عشر شهر ربيع الآخر، ثم حكم من سابع عشر شهر ربيع الآخر إلى حادى عشرين شهر رجب الملك العادل سلامش ، ثم في باقيها الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفى ، وهى سنة ثمان وسبعين وستمائة .
- فيها كان خَلْعُ ولدى الملك الظاهر بيبرس من السلطنة : الملك السعيد محمد بركة خان ، والملك العادل بدر الدين سَلَامُش ، وتسلمن بعد سلامش الأمير قلاوون .
- وقد تقدم ذكر ذلك كله .

- وفيها تُوفِّيَ الفقيه المحدث صفى الدين أبو [محمد] إسماعق [بن] إبراهيم بن يحيى الشَّقْرَاوَى^(٢) الحنبلى ، وُلِدَ بشقراء من ضياع^(٣) برزة من عمل دِمَشْق سنة خمس وستمائة . ومات بدمشق فى ذى الحجة ، وكان فاضلا فقيها سمع الكثير وحَدَّث .
- وفيها تُوفِّيَ الأمير جمال الدين آقوش بن عبد الله الرُّكْنِيّ المعروف بالبطاح^(٤) أحد أكابر أمراء دمشق ، عاد من تجريدة سييس مريضاً ومات بحلب ونُقِلَ إلى خِمَص فُدِنَ عند قبر خالد بن الوليد ، رضى الله عنه . والركنى : نسبة الى أستاذه

(١) التكملة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب وعيون التواريخ . (٢) فى المثل الصافى : « الشعراوى ... ولد بشعر من ضواحي دمشق » . (٣) فى شذرات الذهب : « من ضياع زرع » . (٤) فى الأصلين والمثل الصافى : « المعروف بالبطاخ » . وما أقتناه عن تاريخ الإسلام وعقد الجمان .

الأمير ركن الدين بيبرس الصالحى النجى الذى لقي الفرنج بأرض غزّة وكسرهم، وهو غير الملك الظاهر بيبرس .

وفىها تُوفى الأمير جمال الدين آقوش بن عبد الله الشهابى السلحدار، كان أيضا فى تجريدة سيس وعاد مريضا، وتُوفى بحماة ثم نُقل إلى دِمَشق ودفن عند خشدائه أيدىكين [بن عبد الله^(١)] الشهابى ، نسبة إلى الطوّاشى شهاب الدين رشيد الخادم الصالحى الكبير وهو أستاذهما .

وفىها تُوفى الأمير نور الدين أبو الحسن على بن عمر بن مجلى الهكّارى، كان من أجل الأمراء وأعظمهم ، ولى نيابة حلب ، وكان حسن السيرة على الهمة كريم الأخلاق شجاعا مقداما عارفا مدبرا معظما فى الدول . مات بعد عزله عن نيابة حلب فى مرض موته باستعفائه عنها بها فى شهر ربيع الآخر ودفن بها ، وقد نيف على السبعين سنة، رحمه الله تعالى .

وفىها تُوفى الشيخ جمال الدين أبو زكريا يحيى بن أبي المنصور بن أبي الفتح ابن رافع بن على الحزّانى الحنبلى المعروف بأبن الصيرفى ، كان إماما فقيها عالما مُقتنا فى الفقه متبحرا فيه كثير الإفادة ، وأفتى ودرّس وأنتفع به الطلبة ، ومات فى صفر .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفىها تُوفى السلطان الملك السعيد ناصر الدين محمد بن الظاهر بالكرّك فى ذى القعدة، وله عشرون سنة وأشهر. والمُسند أبو العباس أحمد بن أبى الخير سلامة بن إبراهيم الحدّاد الحنبلى يوم عاشوراء . والإمام جمال الدين يحيى بن أبي المنصور بن الصيرفى الحزّانى فى صفر، وله خمس

(١) زيادة من التبل الصافى . وقد ذكر أنه توفى سنة ٦٩٧ هـ .

وتسعون سنة . وصنفى الدين إسماعيل بن إبراهيم الشَّقْرَاوِي . وفاطمة بنت الملك
المُحْسِن يُزَاعَةُ .^(١)^(٢)

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم مست أذرع سواء . مبلغ الزيادة
ثمانى عشرة ذراعا وإصبع واحدة .

-
- (١) هو الملك المحسن أحمد ابن السلطان صلاح الدين تقدمت وفاته سنة ٦٣٤ هـ فيمن نقل المؤلف
 - وفاتهم عن الذهبي . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٨٣ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

ذكر سلطنة الملك المنصور سيف الدين قلاوون على مصر
السلطان الملك المنصور سيف الدين أبو المعالي وأبو الفتح قلاوون بن عبد الله
الأنثى التركى الصالحى النجفى السابع من ملوك الترك بالديار المصرية ، والرابع من
منه الرق .

ملك الديار المصرية بعد خلع الملك السعيد وصار مدبر مملكة الملك العادل
بدر الدين سلامش إلى أن خلع سلامش وتسلطن الملك المنصور قلاوون هذا من
بعده فى حادى عشرين ، وقيل عشر شهر رجب سنة ثمان وسبعين وستمائة ، وجلس
على سرير الملك بأبهة السلطنة وشعار الملك وتم أمره . ولما استقل بالمملكة أمسك
جماعة كثيرة من الممالك والأمراء الظاهرية وغيرهم ، واستعمل ممالিকে على البلاد
والقلاع ، فلم يلق ريقه حتى خرج عليه الأمير شمس الدين سقرا الأشقر نائب دمشق ،
فإنه لما وصل إليه البريد إلى دمشق بسلطنة المنصور قلاوون فى يوم الأحد
سادس عشرى رجب ، وعلى يده نسخة يمين التحليف للأمرء والجند وأرباب الدولة
وأعيان الناس ، فأحضروا إلى دار السعادة بدمشق وحلقوا إلى الأمير سقرا الأشقر
نائب الشام ، فإنه لم يحلف ولا رضى بما جرى من خلع سلامش وسلطنة قلاوون ،

- (١) فى الأصلين : « أبو الفتح » . وما أثبتناه عن شذرات الذهب والمنهل الصافى .
(٢) هذا ما جرى عليه أكثر المصادر التى تحت يدا خلا الجوهر الثمين وبدائع الزهور ففيها :
« وجلس على تخت فى يوم الأحد ثمانى عشر رجب » .
(٣) فى الأصلين : « سادس عشر رجب » . والصواب ما أثبتناه ، لأن ولاية كانت
فى الحادى والعشرين من رجب . عن تاريخ الدول والملوك لابن القرات . (٤) دار السعادة
هى دار العدل التى أنشأها فى دمشق قريبا من باب النصر قبل قلعة دمشق الشهيد محمود بن زنكى واشتهرت
فى عصر المماليك بدار السعادة ، ونظرا لقربها من باب النصر يطلقون عليها اسم باب دار السعادة .
وموضعها اليوم قبل سوق الأروام (أفادني حضرة الأستاذ الشيخ محمد أحمد دهمان الدمشقي) . وفى أخذ
الأصلين : « باب السعادة » .

فلم يلتفت أهل دمشق إلى كلامه . وخطب بجامع دمشق للملك المنصور قلاوون وجوامع الشام بأسرها خلا مواضع يسيرة توقّفوا ، ثم خطبوا بعد ذلك .

- وأما الملك المنصور قلاوون فإنه في شهر رمضان عزّل صاحب برهان الدين السنجاري^(١) عن الوزارة بالديار المصرية ، وأمره بلزوم مدرسة أخيه قاضي القضاة بدر الدين السنجاري^(٢) بالقرافة الصغرى ، واستقرّ مكانه في الوزارة صاحب نغر الدين إبراهيم بن لقمان صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالديار المصرية ، وتولى عيوضه محابة الديوان القاضي فتح الدين محمد ابن القاضي محي الدين [عبد الله] بن عبد الظاهر ، وهو أزل كاتب سرّ كان في الدولة التركية وغيرها ، وإنما كانت هذه الوظيفة في ضمن الوزارة ، والوزير هو المتصرف في الديوان ، وتحت يده جماعة من الكتاب الموقعين ، وفيهم رجل كبير كُتّاب كاتب السرّ الآن ، سُمّي في الآخر صاحب ديوان الإنشاء . ومن الناس من قال : إن هذه الوظيفة قديمة . وأستدلّ بقول صاحب صبيح الأعشى وغيره ممن كتب للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، ومن بعده . وردّ على من قال ذلك جماعة آخر ، وقالوا : ليس في ذكر من كتب للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، وغيره من الخلفاء دلالة على وظيفة كتابة السرّ ، وإنما هو دليل لكلّ كاتب كتب للملك أو سلطان أو غيرهما كائناً من كان ، فكلّ كاتب كُتّب عند رجل يقول : هو أنا ذاك الكاتب ، وإذا الأمر آختم وأختمل سقط الاحتجاج به . ومن قال : إن هذه الوظيفة ما أحدثها إلا الملك المنصور قلاوون فهو الأصحّ ، وتبين ذلك ، إن شاء الله تعالى . في أواخر هذه الترجمة ، وتذكر من ذكره

(١) هو صاحب برهان الدين الخضر بن الحسن السنجاوي . سيذكره المؤلف في مبحث

سنة ٦٨٦ هـ . (٢) هذه المدرسة غير مكن بغير مواعيد الآن لا بدّ أرواح أحداث زرع في منطقها . وأما القرافة الصغرى فهي التي تعرف اليوم بجبانة الإمام المنافى .

(٣) التلمذة عن المنيل الصافي وشذرات القنعب وما سبّاق ذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٩١ هـ .

صاحب صبيح الأعشى وغيثه من الثَّكَّاب من عهد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، إلى يومنا هذا على سبيل الاختصار . انتهى . وقد خرجنا عن المقصود .

وأما سنقر الأشقر فإنه في يوم الجمعة رابع عشر ذي القعدة من السنة ركب من دار السعادة بدمشق بعد صلاة العَصْرِ ومعه جماعة من الأمراء والجند ، وهم رَجَالَةٌ وهو راكب وحده وقصد القلعة من الباب الذي يل المدينة فهجمَها بمن كان معه ، وطلعها وجلس بها من ساعته وحلَّف الأمراء والجند ومن حضر وتسلطن وتلقب « بالملك الكامل » ، ونادت المنادية في المدينة بسلطنته وأستقلاله بالملك الشامية ، وفي بكرة يوم السبت خامس عشر من ذي القعدة طَلَب القضاة والعلماء ورؤساء البلد وأكابرَه وأعيانه إلى مسجد أبي الدُّرداء ، رضى الله عنه ، بقلعة دمشق وحلَّفهم وحلَّف بقية الناس على طاعته ، ثم وجَّه العساكر في يوم الأربعاء تاسع عشر منه إلى بلاد غَزَّة لحفظ البلاد ومقلَّها ودَفَع من يأتي إليها من الديار المصرية . وخرجت سنة ثمانٍ وسبعين وليس للـك المنصور قلاوون حَكْمٌ إلَّا على الديار المصرية وأعمالها فقط .

ولما آسَته سنة تسع وسبعين والملك المنصور سلطان مصر ، والملك الكامل شمس الدين سنقر الأشقر سلطان دمشق وما والاها ، وصاحب الكرك الملك المسعود خَضِرَ ابن الملك الظاهر بيبرس ، وصاحب حمَّاء والمعزة الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك تقي الدين محمود الأيوبي ، والعراق والجزيرة والموصل وإربل وأذربيجان وديابكر وخِلاط ونُحْرَاسان والعجم وما وراء ذلك بيد التَّار والروم ، وصاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر [بن علي بن رسول ^(٢)] ، وصاحب مكة ، شرفها الله تعالى ، الشريف نجم الدين أبو نعيم الحَسَنِي ، وصاحب المدينة الشريفة ،

(١) في الأصلين : « رابع عشر » . والتصحيح عن تاريخ أبي الفداء . وما سيذكره المؤلف بعد قليل .

(٢) زيادة عما سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٩٤ هـ .

على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، الأمير عز الدين جمّاز بن شبيحة الحُسَيْنِي ؛
ذكرنا هؤلاء تنبيهاً للناظر في الحوادث الآتية ، ليكون فيما يأتي على بصيرة . انتهى .

ثم إن السلطان الملك المنصور قلاوون في أول سنة تسع وسبعين وستمائة المذكورة
جهّز عسكرياً لغزّة ، فلما قاربوها لقيهم عسكر الملك الكامل سُنْقُرُ الأَشْقَرُ وقتلواهم حتّى
نزحوا عنها ، وأنكسر العسكر المصري وقصد الرمل وأطمأن الشاميون بغزّة ونزلوا بها
ساعةً من النهار ، وكانوا في قِلّة ، فكثّر عليهم عساكر الديار المصرية ثانياً وكسبواهم
ونالوا منهم مثلاً كبيراً ، ورجّع عسكر الشام منهزماً إلى مدينة الرملة ^(١) .

وأما الملك الكامل سُنْقُرُ الأَشْقَرُ فإنه قدّم عليه بدمشق الأمير شرف الدين عيسى
ابن مُهنّا ملك العرب بالبلاد الشرقية والشمالية ؛ ودخل على الكامل وهو على
السّماط فقام له الكامل ، فقبل عيسى الأرض وجلس عن يمينه فوق من حضر .
ثم وصل إلى الملك الكامل أيضاً الأمير شهاب الدين أحمد بن جحّى بن بريد ملك
العرب بالبلاد الحجازية فأكرمه الملك الكامل غاية الإكرام .

وأما الملك المنصور لما بلغه ما وقع لعسكره بغزّة جهّز عسكرياً آخر كَثِيفاً
إلى دمشق لقتال الملك الكامل سُنْقُرُ الأَشْقَرُ ، ومقدّمهم الأمير علم الدين سَنَجَرُ
الحلبي ، وخرجوا من مصر وساروا إلى جهة الشام ، فصار عسكر دمشق الذي بالرملة
كلّما تقدّم العسكر المصري منزلة تأخّر هو منزلة إلى أن وصل أوائلهم إلى دمشق
في أوائل صفر . وفي يوم الأربعاء ثاني عشر صفر المذكور خرج الملك الكامل
من دمشق بنفسه بجميع من عنده من العساكر ، وضرب دِهْلِيزَه بالجسورة وخيم هناك

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) في الأصلين وما سيأتى ذكره للؤلف في حوادث سنة ٦٨٢ هـ : « ابن يزيد » والتصحيح عن
المنهل الصافي وعيون التواريخ وتاريخ الإسلام . (٣) الجسورة : موضع بظاهر دمشق .

بجميع الجيش، واستخدم المالِك وأنفق الأموال، وجمع خَلْقاً عظيماً وحضر عنده
عرب الأميرين : أبْن مُهَنَّا وَأَبْن جَحَى وَنَجْدَةُ حلب ونجدة حماة، مقَدَّمُهُمَا الملك
الأفضل نور الدين على أخو صاحب حماة؛ وَرَجَالَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ جِبَال بَعْلَبَك، وَرَتَّبَ
العساكر والأطلابَ بنفسه وَصَفَّ العساكرَ ثَمِينَةً وَمِيسَرَةً وَوَقَفَ هُوَ تَحْتَ عَصَابِيهِ؛
وسار العسكر المِصْرِي أيضاً بِتَرْتِيب هَائِلٍ وَعَسَاكِرَ كَثِيرَةٍ، وَالْأَطْلَابَ أَيْضاً مُرْتَبَةً،
وَأَتَقَى الْجَيْشَانِ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ [سادس عشر صفر^(١)] وَقَتَ طُلُوعِ الشَّمْسِ فِي الْمَكَانِ
الْمَذْكُورِ وَتَقَاتَلَا أَشَدَّ قِتَالٍ، وَثَبَّتَ كُلُّ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ شَبَاباً لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ إِلَّا نَادِراً
لِاسْتِثْنَاءِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ سُنْقَرُ الْأَشْفَرِ، فَإِنَّهُ ثَبَّتَ وَقَاتَلَ بِنَفْسِهِ قِتَالاً شَدِيداً، وَاسْتَمَرَّ
المُصَابُّ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ إِلَى الرَّابِعَةِ مِنَ النَّهَارِ وَلَمْ يُقْتَلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ إِلَّا نَفَرٌ سِيرَ جَدًّا،
وَأَمَّا الْجِرَاحُ فَكَثِيرَةٌ . فَلَمَّا كَانَتِ السَّاعَةُ الرَّابِعَةُ مِنَ النَّهَارِ خَاصِرَ أَكْثَرَ عَسْكَرِ دِمَشْقَ
عَلَى الْمَلِكِ الْكَامِلِ سُنْقَرُ الْأَشْفَرِ وَغَدَرُوا بِهِ وَأَنْضَافُوا إِلَى الْعَسْكَرِ الْمِصْرِيِّ، وَكَانَ
لَمَّا وَقَعَ الْعَيْنُ عَلَى الْعَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَلْتَحِمَ الْقِتَالُ أَنْهَزَمَ عَسَاكِرُ حَمَاةٍ وَتَحَاذَلَ عَسْكَرُ الشَّامِ
عَلَى الْكَامِلِ، فَفَنِمَ : مَنْ دَخَلَ بَسَاتِينَ دِمَشْقَ وَأَخْفَى بِهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ دَخَلَ دِمَشْقَ
رَاجِعاً، وَمِنْهُمْ مَنْ ذَهَبَ إِلَى طَرِيقِ بَعْلَبَك، فَلَمْ يَلْتَفِتِ الْمَلِكُ الْكَامِلُ لِمَنْ ذَهَبَ مِنْهُ
مِنَ الْعَسَاكِرِ وَقَاتَلَ، فَلَمَّا أَنْهَزَمَ عَنْهُ مَنْ ذَكَرْنَا فِي حَالِ الْقِتَالِ ضَعُفَ أَمْرُهُ وَمَعَ هَذَا
اسْتَمَرَّ يَفْتَالُ بِنَفْسِهِ وَمِمَّا يَكُنِيهِ إِلَى أَنْ رَأَى الْأَمِيرُ عِيسَى بْنُ مُهَنَّا الْهَزِيمَةَ عَلَى الْمَلِكِ
الْكَامِلِ أَخَذَهُ وَمَضَى بِهِ إِلَى الرَّحْبَةِ^(٢)، وَأَنْزَلَهُ عِنْدَهُ وَنَصَبَ لَهُ بَيْتَ الشُّعْرِ .
وَأَمَّا الْأَمِيرُ شِهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ جَحَى فَإِنَّهُ دَخَلَ إِلَى دِمَشْقَ بِالْأَمَانِ، وَدَخَلَ
وِي طَاعَةِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ .

(١) زيادة من عيون التواريخ والذيل على مرآة الزمان

(٢) عبارة عن ذيل مرآة الزمان وتواريخ الإسلام . « وعند ما وقعت العين على العين ... انط » .

(٣) يريد رحمة مالك بن طوق، كما في ذيل مرآة الزمان .

وأما عساكر الشام فإنهم اجتمعوا على القصب من عمل جِصص، ثم عاد أكثر الأمراء إلى جهة دِمَشق وطلبوا الأمان من مقدم العساكر المصرية الأمير عَلم الدين سَنَجَر الحلبي .

- وأما العساكر المصرية فإنهم ساقوا من وقتهم إلى مدينة دِمَشق وأحاطوا بها، ونزلوا بنحيمهم ولم يتعرضوا للزحف، وراسلوا من بالقلعة إلى العَصْر من ذلك النهار، وفتِح من المدينة بابُ الفرج ودخل منه إلى دِمَشق بعضُ مقدمي الجيش؛ ثم طلب من بالقلعة الأمان فأتتهم سَنَجَر الحلبي، ففتحت القلعة فدخلوا إليها من الباب الذي داخل المدينة وتسلّموها بالأمان وأفرجوا عن جماعة كثيرة من الأمراء وغيرهم، كان أعقلهم سُنقر الأشقر، منهم : الأمير ركن الدين بِيَتْرَس العَجَمي^(١) المعروف بالخالق، والخالق : أسم للفرس الحدّ المزاج باللغة التركية، والأمير حُسام الدين لاجين المنصوري^(٢)، والقاضي تقي الدين توبة التكريتي وغيرهم . وكتب الأمير علم الدين سَنَجَر الحلبي بالنصر إلى الملك المنصور قلاوون فسُر المنصور بذلك، ودقت البشائر لذلك أياما بالديار المصرية وزُيّنت القاهرة ومصر .

- وأما سَنَجَر الحلبي فإنه لما ملك دِمَشق وقلعتها جهز في الحال قطعة جيّدة من الجيش المصري تُقارب ثلاثة آلاف فارس في طلب سُنقر الأشقر ومن معه من الأمراء والجند . ثم حضر جواب الملك المنصور قلاوون بسرعة يتضمّن : بأننا قد عَقَوْنَا عن جميع الناس الخاص والعام أرباب السيوف والأقلام ، وأمنتهم على أنفسهم وأهليهم وأموالهم ؛ وحضر التشریفُ للأمير حُسام الدين لاجين المنصوري

(١) سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٥٧٠٧ هـ . (٢) هو حُسام الدين لاجين بن عبد الله المنصوري الذي تسلطن على الديار المصرية بعد سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الأولى كما سيأتي في الجزء الثامن من هذه الطبعة ، إن شاء الله تعالى . (٣) هو التقي صاحب الكبير أبو البقاء توبة ابن علي بن مهابر التكريتي ويعرف بالبيع . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٩٨ هـ .

السَّلْحَدَار بِنَايَة دِمَشْق، فَلَيْسَ الْخَلْمَة وَقَبْلَ الْأَرْض؛ ثُمَّ أُرْدِفَ الْأَمِيرُ سَنْجَرُ الْحُلِيِّ
الْعَسْكَرَ الَّذِي كَانَ تَوَجُّهَ لِقِتَالِ سُنْقُرِ الْأَشْقَرِ بِعَسْكَرِ آتَر، مَقْدَمَهُ الْأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ
الْأَفْرَم، فَلَحِقَ بَيْنَ كَانَ تَوَجُّهَ قَبْلَهُ وَسَارَ الْجَمِيعُ فِي طَلَبِ سُنْقُرِ الْأَشْقَرِ . فَلَمَّا بَلَغَ
سُنْقُرُ ذَلِكَ رَحَلَ عَنْ عَيْسَى بْنِ مُهَنَّا وَتَوَجَّهَ فِي الْبَرِّيَّةِ إِلَى الْحَصُونِ الَّتِي كَانَتْ بَقِيَتْ
فِي يَدِ تَوَابِهِ ، فَتَحَصَّنَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ بِهَا فِي أَوَاخِرِ الشَّهْرِ الْمَذْكُورِ وَهِيَ : صِهْيُونُ ،
كَانَ بِهَا أَوْلَادُهُ وَخَزَائِنُهُ وَدَخَلَهَا هُوَ أَيْضًا ، وَبَلَا طُلُسَ وَحَصَنَ بُرْزِيَّةَ وَحَصَنَ عَكَارَ^(١)
وَجَبَلَةَ وَاللَّادِيقِيَّةَ وَغَيْرَهَا ؛ ثُمَّ عَادَتِ الْعَسَاكِرُ إِلَى دِمَشْقَ وَتَرَدَّدَتِ الرِّسَالُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
سُنْقُرِ الْأَشْقَرِ .

وَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلِكَ وَرَدَتِ الْأَخْبَارُ فِي أَوَائِلِ جُمَادَى الْآخِرَةِ أَنَّ التَّارَ قَصَدُوا
الْبِلَادَ الشَّامِيَّةَ ، فَخَرَجَ مَنْ كَانَ بِدِمَشْقَ مِنَ الْعَسَاكِرِ الشَّامِيَّةِ وَالْمِصْرِيَّةِ ، وَمَقْدَمُهُمْ
الْأَمِيرُ رُكْنُ الدِّينِ إِيَابَجَى ، وَلَحِقَهُمُ الْعَسَاكِرُ الَّذِينَ كَانُوا فِي طَلَبِ سُنْقُرِ الْأَشْقَرِ ،
وَنَزَلَ الْجَمِيعُ بِظَاهِرِ حِمَاةٍ ؛ وَكَانُوا كَاتِبُوا الْمَلِكَ الْمَنْصُورَ قَلَاوُونَ يَحْيَى التَّارَ . فَخَفِزَ
إِلَيْهِمْ فِي الْحَالِ عَسْكَرًا عَلَيْهِ الْأَمِيرُ بَدْرُ الدِّينِ بَكْكَاشُ النَّجْمِيِّ ، فَلَحِقَ بِهِمُ الْأَمِيرُ
بَكْكَاشُ الْمَذْكُورُ بَيْنَ مَعَهُ مِنَ الْعَسْكَرِ الْمِصْرِيِّ ، وَاجْتَمَعَ الْجَمِيعُ عَلَى حِمَاةٍ وَأَرْسَلُوا
كُشَافَةً فِي الْعَشْرِ الْأَوْسَطِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ إِلَى بِلَادِ التَّارِ . هَذَا وَقَدْ جَفَلَ
غَالِبُ مَنْ بِالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ وَنَحَرَجُوا عَنْ دُورِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ وَلَمْ يَبْقَ هُنَاكَ إِلَّا مَنْ عَجَزَ
عَنِ الْحَرَكَةِ . وَكَانَ سَبَبُ حَرَكَةِ التَّارِ أَنَّهُمْ لَمَّا سَمِعُوا اخْتِلَافَ الْكَلِمَةِ ، وَظَنُّوا أَنَّ

(١) فِي الْأَمْلِيْنِ : «عَكَ» . وَتَصْحِيحُهُ عَنْ عِيُونِ التَّوَارِيخِ وَعَقْدِ الْجَمَانِ وَالْمَذِيلِ عَلَى مَرَاةِ الزَّمَانِ ،
وَرِاجِعِ الْحَاشِيَةِ رَقْمَ ٣ ص ١٥١ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ . (٢) لِقَبِّهِ الْمَوْلُفُ فِي الْمَثَلِ الصَّافِي :
« سَيْفُ الدِّينِ إِيَابَجَى » وَذَكَرَ أَنَّ وَفَاتَهُ سَنَةَ ٦٨٦ هـ . (٣) هُوَ بَكْكَاشُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
الْفَخْرِيُّ الْأَمِيرُ بِدَرُ الدِّينِ أَمِيرُ سِلَاحِ كَانَ مَقْدَمَ الْعَسَاكِرِ الْمِصْرِيَّةِ . سَيَذْكُرُ الْمَوْلُفُ وَفَاتَهُ سَنَةَ ٧٠٦ هـ
وَالْفَخْرِيُّ : نِسْبَةً إِلَى نَخْرَ الدِّينِ بْنِ الشَّيْخِ ، كَأَنَّهُ فِي الدَّرَجَةِ الْكَامَةِ وَالْمَثَلِ الصَّافِي وَمَا سَيَذْكُرُهُ الْمَوْلُفُ .

- سُتَقْرَ الأشقر بمن معه يَتَفَقَّ معهم على قتال الملك المنصور قلاوون . فأرسل أمراء
العساكر المصرية إلى ستقر الأشقر يقولون له : هذا العدو قد دَهَمَنَا وما سببه
إلا الخُلُفَ بيننا ! وما ينبغي هلاك الإسلام ، والمصلحة أنَّا نَجْتَمِعَ على دَفْعِهِ ؛ فَاَمْتَنَلْ
ستقر ذلك وأنزل عسكره من صِهْيُون وأمر رفيقه الحاج أَزْدَمُرُ أن يفعل كذلك
من شِيزر ، وخِيَمَتِ كُلُّ طَائِفَةٍ تحت قلعَتها ، ولم يجتمعوا بالمصريين ، غير أنهم
اتفقوا على اجتماع الكلمة ودَفْعِ العدو المخذول عن الشام ؛ وأَسْتَمَرُوا على ذلك إلى يوم
الجمعة حادى عشرين بُجَادَى الآخرة . وصل طائفة كبيرة من عساكر التتار إلى حلب
ودخلوها من غير مانع يَمْنَعُهُمْ عنها ، وأحرقوا الجوامع والمساجد والمدارس الْمُعْتَبَرَةَ
ودار السلطنة ودور الأمراء ، وأفسدوا إفسادا كبيرا على عادة أفعالهم القبيحة ، وأقاموا
بها يومين على هذه الصورة ؛ ثم رحلوا عنها في يوم الأحد ثالث عشرينه راجعين
إلى بلادهم بعد أن تقدَّمَتْهم الغنائم التي كسبوها وكان شبيثا كثيرا . وكان سبب
رجوعهم لما بلغهم اتفاق الطائفتين على قتالهم ؛ وقيل في رجوعهم وجه آخر ،
وهو أن بعض من كان أَسْتَرَّ بحلب يَتَّسِعُ عن نفسه من الحياة ؛ فطَلَعَ منارة الجامع
وكَبَّرَ بأعلى صوته على التتار ، وقال : جاء النَّصْرُ من عند الله وأشار بِمَنْدِيلٍ كان معه
إلى ظاهر البلد ، وأوهم أنه أشار به إلى عسكر المسلمين ، وجعل يقول في خلال
ذلك : اقبضوهم من البيوت مثل النساء ! فتوهم التتار من ذلك وخرجوا من البلد
على وجوههم وسَلِمَ الذي فعل ذلك .

وأما سُتَقْرُ الأشقر فإن جماعة من لأمراء والأعيان الذين كانوا معه فَرُّوا إلى
العسكر المصري ودخلوا تحت طاعة الملك المنصور قلاوون .

(١) في ذيل مرآة الزمان : « ينس من الحياة » .

وأما الملك المنصور قلاوون فإنه لما طال عليه أمر سُقِرَ الأشقر وأمرُ التتار
 جَمَعَ أعيان مملكته في هذا الشهر بقلعة الجبل ، وجعل ولده الأمير علاء الدين علياً^(١)
 ولياً عهده ، ولقبه « الملك الصالح » ، وخطب له على المنابر . ثم تجهز السلطان وخرج
 من الديار المصرية بعساكره ، وسار حتى وصل إلى غزّة بلغه رجوع العدو المخذول ،
 فأقام بالرملة وتوقف عن التوجه إلى دمشق لعدم الحاجة إلى ذلك ، وقصد تخفيف
 الوطأة عن البلاد وأهلها . ثم رحل يوم الخميس عاشر شعبان راجعاً من الرملة إلى
 الديار المصرية ، فدخلها وأقام بها أقل من أربعة أشهر . ثم بدأ له التوجه إلى الشام
 ثانياً ، فتجهز وتجهزت عساكره وخرج بهم من مصر في يوم الأحد مستهل ذي الحجة
 قاصداً الشام ، وترك ولده الملك الصالح علياً يباشر الأمور عنه بالديار المصرية .
 وسار الملك المنصور قلاوون حتى وصل إلى الرّوحاء من عمل الساحل ، ونزل عليها
 في يوم الثلاثاء سابع عشر ذي الحجة ، وأقام قبالة عكا ، فراسلته الفرنج من عكا
 في تجديد الهدنة ، فإنها كانت آنقضت مدتها ، وأقام بهذه المنزلة حتى استهلّت
 سنة ثمانين وستمئة رحل عنها يوم الخميس عاشر المحرم . ونزل الجيئون^(٢) ، وحضر رُسل
 الفرنج بها بحضرة الأمراء ، وسمعوا رسالة الفرنج ، فاستشارهم السلطان فحصل الاتفاق
 على الهدنة ، وحلف لهم الملك المنصور على الصورة التي وقع الاتفاق عليها ،
 وأنتم الصلح وأنقضت الهدنة في يوم الأحد ثالث عشر المحرم . ثم قبض الملك
 المنصور على الأمير كوندك الظاهري^(٣) وعلى جماعة من الأمراء الظاهرية لمصلحة
 اقتضاها الحال ، وعند قبضهم هرب الأمير سيف الدين بلبان الهاروني ومعه

(١) في عقد الجمان وبدائع الزهور لابن إياس : « نور الدين » . وسيدكره المؤلف في وفيات

سنة ٦٨٧ هـ . باسم علاء الدين . (٢) الجيئون : بله بالأردن ، بينه وبين طبرية عشرون ميلاً ،

وإلى الرملة مدينة فلسطين أربعون ميلاً (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٦٦ من هذا الجزء .

جماعة وقصدوا صهيون إلى عند سنقر الأشقر، وركبت الخيل في طلبهم فلم يدركوهم،
ثم هرب الأمير أَيْتَش السَّعْدِي أيضا ومعه جماعة إلى صهيون من منزلة نَحْرِيَّة^(١)
القصص .

- ثم سار الملك المنصور إلى دِمَشْق فدخلها في يوم السبت تاسع عشره، وأقام
بِدِمَشْق إلى أن قَدِم عليه في صفر الملك المنصور محمد صاحب حَمَاة، ففرج الملك
المنصور قلاوون لتلقيه وأكرمه . ثم ترددت الرسل بين السلطان الملك المنصور
قلاوون وبين سُنْقُر الأشقر في تقرير قواعد الصلح . فلما كان يوم الأحد رابع شهر
ربيع الأول من سنة ثمانين وستمائة وصل من جهة سنقر الأشقر الأمير علم الدين
سَنَجَر الدَّوَيْدَارِي^(٢) ومعه خازن دار سُنْقُر الأشقر في معنى الصلح والوقوف على اليقين،
فخلف الملك المنصور قلاوون يوم الاثنين خامسه، ونادت المناديَّة في دِمَشْق
بانتظام الصلح واجتماع الكلمة، فراجع رسل سُنْقُر الأشقر ومعهم الأمير نَفَر الدِّين^(٣)
إياز المُقَرِّي ليحضر يمين سُنْقُر الأشقر؛ فخلفه وعاد إلى دِمَشْق يوم الاثنين ثاني
عشره، فضربت البشائر بالقلعة وسر الناس بذلك غاية السرور . وصورة ما انتظم
الصلح عليه أن سُنْقُر الأشقر يرفع يده عن شِيزر ويسلمها إلى نواب الملك المنصور
قلاوون، وعوضه قلاوون عنها فامية وكفَرطَاب وأنطاكية والسَّوَيْدِيَّة^(٤) وبكَّاس
ودر كُوش بأعمالها كلها وعدة ضياع معروفة، وأن يُقيم على ذلك، وعلى ما كان
أستقر بيده عند الصلح، وهو صهيون وبلاطُوس وحِصْن بَرَزَة وجبلَة واللادقية

(١) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٣٠٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) في الأصلين هنا : « الدواداري » . والتصحيح عما تقدم ذكره للؤلؤ في ترجمة العادل

سلامش، وذيل مرآة الزمان في غير موضع وعقد الجمان . (٣) هو إيازين عبد الله الصالحى

النجمي الأمير نَفَر الدِّين المعروف بالمُقَرِّي . توفي سنة ٦٨٧ هـ . (عن المهمل الصافي وتاريخ الإسلام) .

(٤) السويديّة : من بلاد الشام على ساحل البحر الأبيض، وهي مينا . لأنطاكية (راجع تقويم البلدان

لأبي القدا إسماعيل) .

بستمائة فارس، وأنه يُسَلَّم الأمر إلى الملك المنصور قلاوون؛ وخُوطِبَ سُتْقُرُ الأشقر في مكاتباته «بالمَقَرَّ العالى المولوى السَّيِّدَى العالىِّ العادلىِّ الشمسىِّ» ولم يُصرَح في مخاطباته بالملك ولا بالأَمير، وكان يُخاطَب قبل ذلك في مكاتباته من الملك المنصور قلاوون إلى الجناب العالىِّ الأميرى الشمسىِّ . انتهى .

وبينا السلطان في ذلك ورَدَ عليه مجىء التَّار إلى البلاد الشامية وهو يَدَمَشق،
 قهياً لقاتلهم وأرسل يطلب العساكر المصرية، وبعد قليل حضرت عساكر مصر
 إلى دِمَشق وأجتمعت العساكر عند السلطان، ولم يتأخر أحدٌ من التُّركِمان والعُرَبان
 وسائر الطوائف . ووصل الخبرُ بوصول التَّار إلى أطراف بلاد حلب، فغلت حلب
 من أهلها وجُنُدها ونزحوا إلى جهة حَمَّاء وخمَّص، وتركوا الغلال والحواصل والأمتعة،
 وخرجوا جرائد على وجوههم؛ ثم ورد الخبرُ بوصول منكوثر بن هولاكو ملك التَّار
 إلى عَيْنتاب وما جاورها في يوم الأحد سادس عشرين جُمادى [الآخرة] فخرج
 الملك المنصور قلاوون بعساكره في يوم الأحد المذكور وخيَّم بالمرج، ووصل
 التَّار إلى بَغْرَاس، فقدم الملك المنصور عسكره أمامه، ثم سافر هو بنفسه في سَلْع
 جُمادى الآخرة المذكور، وسار حتى نزل السلطان بعساكره على خمَّص في يوم الأحد
 ثالث عشرين شهر رجب، وراسل سُتْقُرُ الأشقر بالحضور إليه بمن معه من الأمراء
 والعساكر، وكذلك الأمير أَيْتَمُش السَّعْدَى الذى كان هَرَبَ من عند السلطان
 لما قبض على الأمراء الظاهرية؛ فأتمثل سُتْقُرُ الأشقر أمر السلطان بالسمع
 والطاعة وركب من وقته بجماعته، وحضر إلى عند الملك المنصور قلاوون،
 وأستحلفه لأَيْتَمُش السَّعْدَى يمينا ثانية ليزداد طمأنينةً، ثم أحضره وتكامل حضورهم

(١) الزيادة عما فيهم من الذيل على مرآة الزمان والتوفيقات الإلهامية وما سيذكره المؤلف بعد

قليل . (٢) في ذيل مرآة الزمان : « ثالث شهر رجب » .

عند السلطان ، وعامل السلطان سُتْقِرَ الأشقرَ بالاحترام التام والخدمة البالغة والإقامات العظيمة والزواتب الجليلة . وشرعت التتار تتقدم قليلاً قليلاً بخلاف عاداتهم ، فلما وصلوا حماة أفسدوا بنواحيها ، وشعثوا وأحرقوا بُستان الملك المنصور صاحب حماة وجوسقَه وما به من الأبنية . واستمرَّ عسكر السلطان بظاهر حمص على حاله إلى أن وصلت التتار إليه في يوم الخميس رابع عشر شعبان ، فركب الملك المنصور ٥ بساكره وصافف العدو ، وألقى الجمعان عند طلوع الشمس ، وكان عددُ التتار على ما قيل مائة ألف فارس أو يزيدون ، وعسكرُ المسلمين على مقدار النصف من ذلك أو أقل ، وتواقعوا من صفوة النهار إلى آخره ، وعظم القتال بين الفريقين وثبت كلُّ منهم .

قال الشيخ قطب الدين البويني : « وكانت وقعة عظيمة لم يُشهد مثلها ١٠ في هذه الأزمان ولا من سنين كثيرة ، وكان الملتقى فيما بين مشهد خالد بن الوليد ، رضى الله عنه ، إلى الرستن^(١) والعاصي ، واضطربت تيمنة المسلمين ، وحملت التتار على ميسرة المسلمين فكسروها وأنهزم من كان بها ، وكذلك أنكسر جناح القلب الأيسر وثبت الملك المنصور سيف الدين قلاوون ، رحمه الله تعالى ، في جمع قليل بالقلب ثباتاً عظيماً ، ووصل جماعة كثيرة من التتار خلف المنكسرين من المسلمين ١٥ إلى بحيرة حمص ، وأحرق جماعة من التتار حمص ، وهي مغلقة الأبواب ، وبذلوا نفوسهم وسيوفهم فيمن وجدوه من العوام والسوقة والغلمان والرجال المجاهدين بظاهرها ، فقتلوا منهم جماعة كثيرة ، وأشرف الإسلام على خطبة صعبة : اثم إن أعيان الأمراء ومشاهيرهم وشجعانهم : مثل سُتْقِرَ الأشقر المتقدم ذكره ، وبدر الدين بيسرى ،

٢٠ (١) الرستن : بلدة قديمة بين حماة وحمص في نصف الطريق ، بها آثار باقية إلى الآن تدل على جلالها ، وهي خراب ليس بها ذو مرى ، وهي في علو تشرف على العاصي (عن معجم البلدان لياقوت) .

وعلم الدين سَنَجَر الدَّوْدَارِيّ، وعلاء الدين طَبِيرَس الْوَزِيرِيّ، وبدر الدين بيليك أمير سلاح، وسيف الدين أَيْمَش السَّعْدِيّ، وحُسام الدين لاجين المنصوريّ، والأمير حسام الدين طُرُنْطَاي وأمثالهم لمَّا رَأَوْا ثبات السلطان رَدُّوا على التَّار وحَمَلُوا عليهم حَمَلَات حَتَّى كَسَرُوهم كَسْرَةً عَظِيمَةً، وَجُرَحَ مَنْكُومُهُمْ مَقْدَمُ التَّار، وَجَاءَهُم الأمير شرف الدين عيسى بن مُهَنَّأ فِي عَرَبِهِ عَرَضًا فَتَمَّتْ هَزِيمَتُهُمْ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً تُجَاوِزُ الْوَصْفَ، وَاتَّفَقَ أَنْ مَيْسِرَةَ الْمُسْلِمِينَ كَانَتْ أَنْكَسَرَتْ كَمَا ذَكَرْنَا، وَالْمَيْمَنَةُ سَاقَتْ عَلَى الْعَدُوِّ وَلَمْ يَبْقَ مَعَ السُّلْطَانِ إِلَّا النَّفَرُ الْبَسِيرُ، وَالْأَمِيرُ حُسام الدِّين طُرُنْطَاي قُدَّامَهُ بِالسَّنَاقِقِ، فَعَادَتْ الْمَيْمَنَةُ الَّذِينَ كَسَرُوا مَيْسِرَةَ الْمُسْلِمِينَ فِي خَلْقٍ عَظِيمٍ وَمَرَّوْا بِهِ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ النَّفَرِ تَحْتَ السَّنَاقِقِ (بَعْنَى الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ) وَالْكُوسَاتِ تَضْرِبُ. قَالَ: وَلَقَدْ مَرَرْتُ بِهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ وَمَا حَوْلَهُ مِنَ الْمَقَاتِلَةِ أَلْفَ فَارِسٍ إِلَّا دُونَ ذَلِكَ، فَلَمَّا مَرَّوْا بِهِ (بَعْنَى مَيْمَنَةِ التَّارِ الَّتِي كَانَتْ كَسَرَتْ مَيْسِرَةَ الْمُسْلِمِينَ) ثَبَتَ لَهُمْ ثَبَاتًا عَظِيمًا، ثُمَّ سَاقَ عَلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ فَأَنْهَزَمُوا أَمَامَهُ لَا يَلُوءُونَ عَلَى شَيْءٍ، وَكَانَ ذَلِكَ تَمَامَ النَّصْرِ؛ وَكَانَ أَنْهَزَامُهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ قَبْلَ الْغُرُوبِ، وَأَقْرَقُوا فَرَقَتَيْنِ: فَرَقَةً أَخَذَتْ جِهَةً سَلْمِيَّةً وَالْبَرِّيَّةَ، وَفَرَقَةً أَخَذَتْ جِهَةً حَلَبَ وَالْقُرَاتِ. وَلَمَّا أَنْقَضَى الْحَرْبَ فِي ذَلِكَ النَّهَارِ عَادَ السُّلْطَانُ إِلَى مَنَزَلِهِ، وَأَصْبَحَ بُكَرَةً يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَادِسَ عَشَرَ رَجَبَ جَهَّزَ السُّلْطَانُ وَرَاءَهُمْ جَمَاعَةً كَثِيرَةً مِنَ الْعَسْكَرِ وَالْعُرْبَانِ، وَمَقْدَمُهُمُ الْأَمِيرُ بَدْرُ الدِّينِ بَيْلِيكُ الْأَيْدَمُرِيِّ، وَكَانَ لَمَّا لَاحَتِ الْكُسْرَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ

(١) هو طرُنْطَاي بن عبد الله المنصوري الأمير حسام الدين أبو سعيد. توفي سنة ٦٩٩ هـ (عن المنهل الصافي). (٢) في الأصلين: في «حزبه». وما أُنْبِئناه عن ذيل مرآة الزمان وما يفهم من عبارة عقد الجمان وعبود التواريخ. (٣) كذا في الأصلين وذيل مرآة الزمان الذي نقل عنه المؤلف. ولعل صوابه: «أودون ذلك». (٤) في الأصلين: «سادس عشر شعبان». وتصحيحه عن ذيل مرآة الزمان والتوقيفات الإلهامية، وما يفهم من عبارة عبود التواريخ وعقد الجمان.

نُهِبَ لَهُمُ مِنَ الْأَقَشَةِ وَالْأَمْتَةِ وَالْخَزَائِنِ وَالسَّلَاحِ مَا لَا يُحْصَى كَثَرَةً ، وَذَهَبَ ذَلِكَ كُلُّهُ أَخَذَتْهُ الْحَرَاثَةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْغُلَامَانِ وَغَيْرِهِمْ . وَكُتِبَتْ الْبَشَائِرُ بِهَذَا النِّصْرِ الْعَظِيمِ إِلَى سَائِرِ الْبِلَادِ ، وَحَصَلَ لِلنَّاسِ السَّرُورُ الَّذِي لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ ، وَعُمِلَتِ الْقِلَاعُ^(٢) وَزُيِّنَتِ الْمُدُنُ » .

- وَأَمَّا أَهْلُ دِمَشْقَ فَإِنَّهُ كَانَ وَرَدَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرُ أَوَّلًا بِكَسْرَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَوَصَلَ إِلَيْهِمْ جَمَاعَةٌ مِمَّنْ كَانَ أَنْهَزَمَ ؛ فَلَمَّا بَلَغَهُمُ النِّصْرُ كَانَ سُرُورُهُمْ أَضْعَافَ سُرُورِ غَيْرِهِمْ .
- وَكَانَ أَهْلُ الْبِلَادِ الْبَشَامِيَّةِ مِنْ يَوْمِ نَخْرَجَ السُّلْطَانُ مِنْ عِنْدِهِمْ إِلَى مُتَقَى التَّنَارُوهِمْ يَدْعُونَ اللَّهَ تَعَالَى فِي كُلِّ يَوْمٍ وَيَتَهَلَّلُونَ إِلَيْهِ ، وَنَخْرَجَ أَهْلُ الْبِلَادِ بِالنِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ إِلَى الصَّحَارَى وَالْجَوَامِعِ وَالْمَسَاجِدِ ، وَأَكْثَرُوا مِنَ الْإِهْتِهَالِ إِلَى اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ لَا يَقْفُرُونَ عَنْ ذَلِكَ حَتَّى وَرَدَ عَلَيْهِمْ هَذَا النِّصْرُ الْعَظِيمُ وَنَحْمُ اللَّهَ الْحَمْدُ ،
- ١٠ وَطَابَتْ قُلُوبُ النَّاسِ ، وَرَدَّ مَنْ كَانَ نَزَحَ عَنْ بِلَادِهِ وَأَوْطَانِهِ وَأَطْمَآنَ كُلُّ أَحَدٍ وَتَضَاعَفَ شُكْرُ النَّاسِ لَذَلِكَ . وَقُتِلَ فِي هَذِهِ الْوَقْعَةِ مِنَ التَّارِمَالَا يُحْصَى كَثَرَةً ؛ وَكَانَ مَنْ أَسْتَشْهِدَ مِنْ عَسْكَرِ الْمُسْلِمِينَ دُونَ الْمَسَاتِينِ عَلَى مَاقِيلٍ ؛ وَمَنْ قُتِلَ الْأَمِيرُ الْحَاجُّ أَزْدَمُرُ ، وَسَيْفُ الدِّينِ بَلْبَانَ التُّوْمِيَّ ، وَشِهَابُ الدِّينِ تُوْتَلِ الشُّهْرُزُورِيُّ ، [وَنَاصِرُ^(٣)]
- ١٥ الدِّينِ بْنِ جَمَالِ الدِّينِ الْكَامِلِيِّ] ، وَ[عِزُّ الدِّينِ بْنِ النُّصْرَةِ] مِنْ بَيْتِ الْأَتَابِكِ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ وَكَانَ أَحَدَ الشُّجْعَانِ الْمُفْرِطِينَ فِي الشُّجَاعَةِ ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى أَجْمَعِينَ .

(١) الحرافشة ، جمع حروفش وهو ذئب الخلق والخلق « عن دوزي مادة حرفش » .

(٢) لعلها : « وزينت القلاع والمدن » كما يفهم من سياق كلام اليوناني في الدليل .

(٣) كذا في الأصلين وتاريخ الإسلام . وفي ذيل امرأة الزمان والوافي بالوفيات : « نوبل » .

٢٠ بالباء بدل التاء الثانية . (٤) تكلمة عرب تاريخ الإسلام .

(٥) في الأصلين : « ابن بنت الأتابك » . والتصحيح والزيادة عن ذيل امرأة الزمان .

ثم إن السلطان آتقل من منزله بظاهر حصص إلى البحيرة التي بنحس ليعبد
عن الحيف ، ثم توجه عائداً إلى دمشق فدخلها يوم الجمعة الثاني والعشرين من
شعبان قبل الصلاة ، وخرج الناس إلى ظاهر البلد للقائه ، فدخل دمشق وبين يديه
جماعة من أسرى التار وبايديهم رماح عليها رموس القتل من التار ، فكان يوماً
مشهوداً . ودخل السلطان الشام وفي خدمته جماعة من الأعيان ، منهم : سقتر
الأشقر الذي كان تسلطن وتلقب بالملك الكامل ، وأيمش السعدى ، و [الأمير
علم الدين سنجر] الدويدارى ، وبلبان الجارونى ، ثم قدم بعد ذلك [الأمير بدر الدين]^(١)
الأيديمرى بمن معه من العسكر عائداً من تتبع التار بعد ما أنكى فيهم نكايّة عظيمة ،
ووصل إلى حلب وأقام بها ، وسيراً أكثر من معه يتبعونهم ، فهلك من التار خلقٌ
كثير غير قوا بالفرات عند عبورهم . وعند ماعدوه نزل إليهم أهل البيرة فقتلوا منهم
مقتلة عظيمة وأسروا منهم جمعاً كثيراً ، وتفترق جمع التار وأخذت أموالهم .
وأقام السلطان بدمشق إلى ثانى شهر رمضان خرج منه عائداً إلى الديار المصرية ،
وخرج الناس لوداعه مبتهلين بالدعاء له ، وسار حتى دخل الديار المصرية يوم
ثانى عشرين الشهر بعد أن احتفل أهل مصر لملاقاته ، وزينت الديار المصرية
زينة لم ير مثلها من مدة سنين ، وعملت بها القلاع ، وشق القاهرة في مروره إلى
قلعة الجبل حتى طلع إليها ؛ فكان هذا اليوم من الأيام المشهودة ، وتضاعف سرور
الناس بسلامته وبنصر المسلمين على العدو المخذول .

ثم إن السلطان عقيب دخوله إلى مصر قبض على الأمير ركن الدين إياجى
الحاجب ، وبهاء الدين يعقوب مقدم الشهرزورية بقلعة الجبل . واستمر السلطان

(١) زيادة عما تقدم ذكره للزلف في هذه الترجمة .

(٢) راجع الحاشية المتقدمة رقم ٢ ص ٣٠٥ في هذه الترجمة .

مصر إلى خامس ذى القعدة من السنة قبض على الأمير آيتش السعدى بقلعة الجبل وحسبه بها، ثم أرسل إلى نائب دمشق بالقبض على الأمير بلبان الهارونى بدمشق فقبض عليه .

وفي هذه السنة (أعني سنة ثمانين وستائة) تربت جزيرة كبيرة ببحر النيل تجاه قرية بولاق^(١)

- (١) قال المؤلف : إن هذه الجزيرة تربت ببحر النيل في سنة ٦٨٠ هـ . تجاه قرية بولاق والوق ؛ وعادة المؤلف ليست دقيقة في التعبير ، لأنها توهم أن بولاق كانت موجودة قبل ظهور هذه الجزيرة في حين أنها أنشئت في سنة ٥٧١٣ هـ على جزء من هذه الجزيرة بعد ظهورها في سنة ٦٨٠ هـ . ولوعبر المؤلف بأن الجزيرة تربت في مكان بولاق تجاه اللوق لاستقام التعبير . ويفهم من عبارة المؤلف في هذا الموضوع أن هذه الجزيرة اتصلت بشاطئ النيل تجاه اللوق فأصبحت الطريق من اللوق إلى مكان بولاق سالكة للشيء ، ويفهم أيضا من هذه العبارة أنه في السنة التي ظهرت فيها هذه الجزيرة طمت السبالة التي كانت في مجرى البحرين جزيرة الفيل وبين منية السرج فأفسد ذلك المجرى ونسف البحر بينهما وأصل ما بين المقس وجزيرة الفيل بالمشي أى اتصل ميدان باب الحديد بجزيرة بدران بعد أن كان النيل يجري بينهما آتيا من الجنوب بمحاذاة شارع الملكة نازلي وذاها إلى الشمال من ميدان باب الحديد إلى منية السرج .
- (٢) بولاق — يستفاد مما ذكره المؤلف بعاليه ربما ذكره المقرئ في الجزء الثاني من خطه عند الكلام على اللوق (ص ١١٧) وعلى بولاق (ص ١٣٠) وعلى قنطرة باب البحر (ص ١٥١) وعلى جزيرة الفيل (ص ١٨٥) أن شاطئ النيل الشرق القديم تجاه القاهرة كان إلى سنة ٦٨٠ هـ بعد أن يمر في مجراه الحالي من مصر القديمة إلى قصر النيل ينطف قليلا إلى الشرق . ويمتد في الأمتدة التي تعرف اليوم بشارع الملكة نازلي من أوله عند مصلحة المجارى ، ثم يسير فيه إلى ميدان باب الحديد فيدان محطة مصر فمحطة كوبري الليمون وبعد أن يمر شرق مخازن محطة مصر ينطف شمالا فيسير في شارع مهشحة ثم في مكان جسر السكة الحديدية وعند عزبة الخمايسة يميل إلى الشمال الغربي مارا تحت سكن منية السرج ثم يسير شمالا إلى الغرب حتى يتصل بمجره الحال عند فم ترعة الإسماعيلية . وفي سنة ٦٨٠ هـ انحصر النيل عن جانب المقس من الجهة الغربية وقطع ماء النيل عن سور مدينة القاهرة الذي كان ينتهي إلى المقس عند ميدان باب الحديد وظهر في مجرى النيل بجوار الشاطئ القديم جزر من الرمال الفساد وصارت أرض هذه الجزر تتسع وتنضم إلى بعضها حتى أصبحت جزيرة واحدة كبيرة اتصلت من مجريها بجزيرة الفيل ومن قبلها بأرض اللوق ثم طرح عليها البحر فربت وارتفعت أرضها عن منسوب ماء النيل بسبب ما كان يتركه عليها من الطمي سنويا وأصبحت أطلانها صالحة للزراعة والسكنى . وفي سنة ٥٧١٣ هـ صرح الملك الناصر محمد بن قلاوون بالمهارة والبناء في تلك الأراضي فتسابق الأمراء والجند والكتاب والتجار والعامة في البناء وأنشئوا على النيل الدور والقصور والبساتين وتكون من مجموع ذلك بلدة جديدة هي بولاق . ومن هذا يتبين أن بولاق التي على شاطئ النيل بالقاهرة أنشئت في سنة ٥٧١٣ هـ = ١٣١٣ م .

واللوق ، وأنقطع بسببها بحرى البحر ما بين قلعة المكس^(٢) وساحل

= ومن الاطلاع على خريطة مدينة القاهرة طبع سنة ١٨٥٨ يبين أن بولاق كانت لغاية تلك السنة بلدة صغيرة واقعة على النيل ولم تتجاوز مبانيها المنطقة التي تحد اليوم من الشمال بشارع السبئية ومن الجنوب بشارع اصطبلات الطرق ومن الشرق بشوارع سيدى العليمى وعلوة الجحاج وتل نصر ووابور النور ، وكانت الأرض التي بين بولاق القديمة وبين شارع الملكة نازلى كلها أرضا زراعية وبساتين ولم يتحدث فيها المباني إلا فى زمن الخديو إسماعيل ومن ذلك الوقت أخذت بولاق تتسع فى العمارة حتى اتصلت بمبانيها بمدينة القاهرة وأصبحت بولاق قسما إداريا من أقسام القاهرة .

(١) اللوق : يستفاد مما ذكره المقرئى عند الكلام على اللوق (ص ١١٥ ج ٢) من خطه أن اللوق هو الأرض البنية التي تزرع بطريق التلويق فيعد أن يتهى فيضان النيل ويصرف الماء عنها تنكشف أرضها ولا تحتاج إلى الحرث لينها ورخاوتها بل تلاق لوقا عند ثمر البذور حيث تزرع أصنافا شتوية أسوة بأراضي الملق التي في حياض الوجه القبلى .

ومن تطبيق الحدود التي ذكرها المقرئى لأرض اللوق يبين أنها كانت ممتدة على النيل في الجهة الغربية من مدينة القاهرة وتشمل المنطقة التي تحد اليوم من الشمال بشارع قطرة الدكة ومن الغرب بشارع الملكة نازلى إلى أوله عند مصلحة المجارى ثم ينطفئ الحد إلى قصر النيل ومنه يسير محاذيا للنيل إلى كوبرى محمد ح . والحد القبلى مستثنى قصر العينى وشارع بستان الفاضل . والحد الشرقى شارع الخليج المصرى فشارع سعد الدين فشوارع نو بار باشا (الدواوين سابقا) إلى أن يتقابل مع شارع الشيخ ربحان فينطفئ الحد مائلا إلى الشرق حتى يتصل بشارع عماد الدين عند نقطة تلاقيه بشارع الخديوى إسماعيل ثم يستقيم الحد متجها إلى الشمال في شارع عماد الدين إلى أن يتقابل مع الحد البحرى وهذا الحد الشرقى لأرض اللوق كان هو مكان الشاطئ الشرقى للنيل تجاه القاهرة لغاية سنة ١٦٩٠ هـ أى أن النيل كان يجرى عند هذا الحد قبل ظهور أرض اللوق وكانت أراضي اللوق في الزمن الماضى مما يفرمه ماء النيل ثم انحصر عنها فى سنى ٣٣٠ و ٥٦٠ هـ وأصبحت أرضا زراعية أنشئ بها كثير من البساتين والمنشآت مثل منشأة القاضي الفاضل وبستانه ومنشأة ابن تطلب وبستانه ومنشأة الكتبة وغيرها مما ذكره المقرئى ، ثم زالت هذه المنشآت وبقيت أرض اللوق أرضا زراعية ولم يحدث فيها بناء بعد ذلك إلا فى سنة ١٦٦٠ هـ حيث قدم على مصر طائفة من التتار مستأمنين فأزلهم الملك الظاهر بيبرس البندقدارى فى دور كان قد أمر بمارتها من أجلهم فى أراضي اللوق . وفى آخر سنة ١٦٦١ هـ قدم طوائف عدة من المغل والبالادرية فأزلهم السلطان فى مساكن عمرت لهم بالوق . ومن ذلك الوقت أصبح بأرض اللوق عدة أحكار عامرة أهلة بالسكان ثم أخذت هذه الأحكار فى الخراب تدريجيا إلى أن اندثرت عن آخرها فى القرن العاشر الهجرى .

ومن الاطلاع على خريطة مدينة القاهرة طبع سنة ١٨٥٨ م يبين أن أرض اللوق التي ذكرنا حدودها كانت لغاية تلك السنة أطيا نازراعية وليس فيها من المباني الا مجموعة من المساكن واقعة خارج باب اللوق بين شارع البستان وبين شارع جامع جركس . وفى زمن الخديو إسماعيل بدأ الناس فيها بالعمارة والبناء حتى صارت هذه المنطقة مشغولة كلها بالدور والقصور ويظللها الشوارع الواسعة والميادين كما ترى اليوم من قطرة الدكة إلى مستشفى قصر العينى وشارع بستان الفاضل .

(٢) قلعة المكس : هى قلعة المكس ، ويستفاد مما ذكره المقرئى فى خطه عند الكلام على سور =

(١) باب البحر، والرَّمْلة [و] بين جزيرة الفيل وهو الماز تحت مُنْبَةِ السَّيرج، وأنسَد هذا البحر ونشف بالكِثَّة، وأتصل ما بين المَقْص وجزيرة الفيل بالمشى، ولم يُعهد

- = القاهرة (ص ٣٧٧ ج ١) وعلى منظره المَقْص (ص ٤٨٠ ج ١) وعلى جامع المَقْص (ص ٢٨٣ ج ٢) أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لما عمر السور الثالث للقاهرة في سنة ٥٦٦ هـ وقت وزارته للخليفة العاضد زاد في هذا السور القطعة التي من باب الشعيرة إلى باب البحر وبني قلعة المَقْص على شكل برج كبير في نهايته السور الغربي على شاطئ النيل بحرى جامع المَقْص في مكان منظره المَقْص التي كانت على النيل وقت أن كان يمر تحت المَقْص من الجهة الغربية . وكانت هذه القلعة قاعة إلى أن هدمها الوزير صاحب شمس الدين عبد الله المقسى عند ما جدد جامع المَقْص في سنة ٧٧٠ هـ وجعل في مكانها جنينة .
- وبما أن جامع المَقْص لا يزال موجودا وهو الذى يعرف اليوم بجامع أولاد عتات بشارع إبراهيم باشا كما أن أجزاء من السور الذى أقامه صلاح الدين بين باب الشعيرة وباب البحر لا تزال قائمة إلى اليوم كما هو مبين على خريطة مدينة القاهرة الحالية . وبما أن هذه القلعة كانت واقعة في نهاية هذا السور وعلى امتداده من الجهة الغربية فيكون مكانها الأرض القائم عليها اليوم عمارتا الأوقاف وراتب باشا المجاورتان لجامع أولاد عتات من الجهة البحرية بميدان باب الحديد .
- (١) يستفاد مما ذكره المؤلف في موضوع الجزيرة التي تربت ببحر النيل في سنة ٦٨٠ هـ ، أن بحرى النيل القديم تنحاه باب البحر كان الى تلك السنة مارا بميدان باب الحديد فيدان محطة مصر فشارع غمره فشارع مهمشة ومنحها الى الشمال الغربى حيث يمر تحت سكن ناحية منية السرج .
- وبما أن باب البحر الذى يعرف اليوم بباب الحديد كان واقعا على مدخل شارع فم باب البحر من جهة ميدان باب الحديد الحالى فيكون ساحل باب البحر الذى يشر إليه المؤلف واقعا بميدان باب الحديد وما جاوره من شارع الملكة نازلى من جهته القبلى وما جاوره من محطة كوبرى الليمون من جهته البحرية .
- (٢) هذه الرملة ذكرها أيضا المقرئى عند الكلام على الجزر (ص ١١٩ ج ٢) من خطه ويفهم من عبارته أن هذه الرملة كان يقال لها منية بولاق ومكانها المنطقة التي لا تزال تعرف الى اليوم برملة بولاق الواقعة عند كوبرى امبابه بين النيل وبين شارع كوبرى روض الفرج بقسم بولاق .
- (٣) يستفاد مما ذكره المقرئى عند الكلام على جزيرة الفيل (ص ١٨٥ ج ٢) من خطه أن هذه الجزيرة كانت واقعة في وسط النيل تنحاه ناحية منية السرج خارج باب البحر من القاهرة وكانت موضعها غامرا بالماء في أيام الدولة الفاطمية ، وفي أواخر حكم تلك الدولة اكتمر مركب كبير كان يعرف بالقبيل وترك في مكانه ، فربا عليه الرمل وانطرد عنه الماء فصارت جزيرة يحيط بها الماء من جميع الجهات ثم علا أراضيها الطمي وما برحت تتسع مساحة أراضيها حتى تم تكويتها حول سنة ٥٧٠ هـ ، فزيرت في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب . وفي سنة ٦٨٠ هـ ، طرح البحر بجوارها فارتفعت أراضيها بأرض ناحية منية السرج والمَقْص حيث ميدان باب الحديد الآن . وفي زمن الملك المنصور قلاوون . أشأ بها الأمراء والأعيان الدور والقصور والبساتين حتى صارت بلدا كبيرا جامع وسوق كبير وعدة بساتين جليلة . ثم أخذت مبانيها في الخراب تدريجا ولم يبق بها إلا البساتين والأراضي الزراعية .

فما تقدم ، وحصل لأهل القاهرة مشقة من نقل الماء الحلو بُعد البحر ، فأراد السلطان حفره فنهوه عن ذلك ، وقالوا له : هذا ينشف إلى الأبد ، فتأسف السلطان وغيره على ذلك .

قلت : وكذا وقع ، ونحن الآن لا نعرف أين كان جريان البحر المذكور
إلا بالحدس ، لإنشاء الأملاك والبساتين والعائر والحارات في محل مجرى البحر
المذكور، فسبحان القادر على كل شيء !

ثم في أول سنة إحدى وثمانين وستمائة ورد الخبر على السلطان أنه تسلطن
في مملكة التتار مكان أبغا بن هولاء أخوه لأبيه أحمد بن هولاء ، وهو مسلم
حسن الإسلام وعمره يومئذ مقدار ثلاثين سنة ، وأنه وصلت أوامره إلى بغداد
تتضمن إظهار شعائر الإسلام وإقامة مناره ، وأنه على كلمة الدين ، وبني الجوامع
والمساجد والأوقاف ورتب القضاة ، وأنه أنقاد إلى الأحكام الشرعية ، وأنه ألزم
أهل الذمة بلبس الغيار^(١) ، وضرب الجزية عليهم ، ويقال إن إسلامه كان في حياة
والده هولاء ، فسّر السلطان بذلك سرورا عظيما . وبعد مدة قبض السلطان على

= وأقول : إن جزيرة الفيل هي التي تعرف اليوم باسم شبرا أحد أقسام مدينة القاهرة ولا يزال الجزء
الجنوبي منها يعرف بجزيرة بدران وكانت جزيرة الفيل تشغل المنطقة التي يتوسطها اليوم شارع بشبرا من
الجنوب إلى الشمال ويحدها من الغرب النيل حيث جسر طراد النيل القديم وشارع أبو الفرج اليوم ومن الجنوب
النيل حيث شارع جزيرة بدران وشارع بركات اليوم ومن الشرق سيالة مياه كانت فاصلة بين هذه الجزيرة
وبين الشراية ومنية السرج ثم طغت في سنة ٦٨٠ هـ .

وبالاطلاع على خريطة القاهرة وضع الحملة الفرنسية في سنة ١٨٠٠ م بين أن أرض قسم شبرا
كانت أرضا زراعية وبها كثير من البساتين ومجموعة مساكن قليلة بجزيرة بدران ولم يستجد فيها البناء
إلا في عهد الخديو إسماعيل حيث أنشأ بها قصر الزهرة (المدوسة التوفيقية اليوم) ثم تبعه الأعيان وكبار التجار
فأنشؤا بها القصور والبساتين على جانبي شارع شبرا ثم أخذت العمارة في الزيادة والاتساع إلى أن امتدت
المباني إلى شاطئ النيل وجسر السكة الحديدية وترعة الإسماعيلية .

(١) الغيار : علامة أهل الذمة كالزناز ونحوه .

الأمير بدر الدين بَيسَرى، وعلى علاء الدين كُشتغُدى الشمسى وأعتقلهما بقلعة الجبل، وذلك في يوم الأحد مستهل صفر من السنة . واستمر السلطان على ذلك إلى يوم الأربعاء ثانى عشرين شعبان طافوا بكسوة البيت العتيق التى عَمِلَتْ بِرَسْمِ الكعبة، عَظَمَهَا الله تعالى، بمصر والقاهرة على العادة، وَلَعِبَتْ ممالك السلطان الملك المنصور قلاوون أمام الكسوة بالرماح والسلاح .

- قلت : وأظنّ هذا هو أوّل ابتداء سَوِّق المحمل المعهود الآن، فإننا لم نقف فيما مضى على شىء من ذلك مع كثرة ألتفاتنا إلى هذا المعنى ، ولهذا غلب على ظنّى من يوم ذاك بدأ السوق المعهود الآن ، ولم يكن إذ ذاك على هيئة يومنا هذا ، وإنما ازداد بحسب آجتهد المعلمين ، كما وقع ذلك في غيره من الفنون والملاعب والعلوم، فإن مبدأ كلّ أمر ليس كنهائته ، وإنما شرع كلّ معلم في اقتراح نوع من أنواع السَّوِّق إلى أن انتهى إلى ما نحن عليه الآن، ولا سبيل إلى غير ذلك . يعرف ما قلته من له الماسّ بالفنون والعلوم إذا كان له ذوقٌ وعقل . وعلى هذه الصيغة أيضًا اللعب بالرمح فإن ممالك قلاوون هم أيضا أحدثوه ، وإن كانت الأوائل كانت تلعبه، فليس كان لعبهم على هذه الطريقة ؛ وأنا أضرب لك مثلا لمُصداق قولى في هذا الفنّ، وهو أنّ ممالك الملك الظاهر برقوق كان أكثرهم قد حاز من هذا الفنّ طرْفًا جيّدًا، وصار فيهم من يضرب بلعبه المثلّ ، وهم جماعة كثيرة يطول الشرح في ذكرهم، ومع هذا أحدث معلمو زماننا هذا أشياء لم يَهْتَدَوْهَا أولئك من تغيير القَبْض على الرمح في مواطن كثيرة في اللعب، حتى إنّ لعب زماننا هذا يكاد أنه يُخالِف لعب أولئك في غالب قُبوضاتهم وحرّكاتهم . وهذا أكبر شاهد لي على ما نقلته من أمر المحمل، وتعدّد فنونه، وكثرة ميادينه، واختلاف
- (١) في الأصلين : « إلى يوم الأحد ... الخ » . وتصحيحه عن ذيل مرآة الزمان والتوقيفات الإلهامية .

أسمائها لتغيير لعب الرمح في هذه المدة اليسيرة من صفة إلى أخرى ، فكيف وهذا الذى ذكرناه من ابتداء السوق من سنة إحدى وثمانين وستمائة ! فمن باب أولى تكون زيادات أنواع سوق المحمل أحق بهذا الطول السنين ، ولكثرة من باشره من المعلمين الأستاذين ، ولتغير الدول ، ولحبة الملوك وتعظيمهم لهذا الفن ، ولإتفاق سوق من كان حاذقا في هذا الفن . وقد صُنِفَتْ أنا ثمانية ميادين كل واحد يخالف الآخر في نوعه لم أَسْبَقْ إلى مثلها قديما ولا حديثا ، لكننى لم أظهرها لكَسَاد هذا الفن وغيره في زماننا هذا ، ولعدم الإنصاف فيه وكثرة حساده ممن يدعى فيه المعرفة وهو أجنبي عنها ، لا يعرف أسم نوع من أُنْدَابِهِ على جَلِيلَتِهِ بل يدّعيه جهلا ، وَيَقْوَى على دعواه بالشوكة والعصبية . والله درّ القائل :

أَيُّهَا الْمَدْعَى سُلَيْمَى كِفَاحًا * لَسْتَ مِنْهَا وَلَا قَلَامَةُ ظُفْرِ
إِنَّمَا أَنْتَ مِنْ سُلَيْمَى كَوَاوٍ * أَلْحِقْتُ فِي الْمَجَاءِ ظُلُمًا بَعَمْرٍو

وشاهدنى أيضا قول العلامة جار الله محمود الرّضخشرى وأجاد ، رحمه الله تعالى :

وَأُخْرَى دَهْرَى وَقَدَّمَ مَعَشَرًا * عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَأَعْلَمُ
وَمَذُ أَفْلَحَ الْجَهْلُ أَيْقَنْتُ أَنَّنَى * أَنَا الْمِسْمُ وَالْأَيَّامُ أَفْلَحَ أَعْلَمُ

قلت : وتفسير الأفلح هو مشقوق الشفة العليا ، والأعلم مشقوق الشفة السفلى ، وفائدة ذلك أن مشقوق الشفتين العليا والسفلى لا يقدر أن يتلفظ بالميم ولا يتنطق بها . فانظر إلى حسن هذا التخيل والغوص على المعانى .

(١) الأنداب : جمع ندب ، وهو ندب الشباب : نوع من اللعب به : يقال لعب أندابا في الميدان ، وكان عارفا بأنداب الحرب وأظهر أندابا غريبة ، وأظهر من هذه الأنداب العجائب (انظر تكملة المعاجم العربية لمدوزى ص ٦٥١ وانظر كترميرج ٢ مجلد ٢ ص ٩٨) .

(٢) هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الرّضخشرى . تقدمت وفاته سنة ٥٣٨ هـ .

(٣) في الأصلين : « لأنهم » . (٤) في الأصلين : « أعلم أننى » .

وما أحسن قول الإمام العلامة القاضى الفاضل عبد الرحيم وزير السلطان صلاح الدين، وهو :

ما ضرَّ جهلُ الجاهلِ * نَ ولا أنتفعتُ أنا بِمِثْذِ
وزيادة في المِثْذِ فهِ * سى زيادةً في نقصِ رِزْقِ

وقول الشريف الرضى فى المعنى :^(١)

ما قدَّرُ فضلك ما أصبحت تُرزَقُهُ * ليس الحظوظ على الأقدار والمِهنِ
قد كنتُ قبلك من دهرى على حَنَقِ * فزاد ما بك فى غِظى على الزمَنِ

وفى المعنى :

كم فاضلٍ فاضلٍ أعيثَ مَذاهُ * وجاهلٍ جاهلٍ تلقاه مرزوقاً
هذا الذى تركَ الألبابَ حائرةً * وصيرَ العالمَ التَّحريرَ زَندِيقاً

قلت : ويُعجبنى المقالةُ السادسة عشرة من كتاب « أطباق الذهب » للعلامة
شرف الدين عبد المؤمن الأصفهاني المعروف بِسُورَةُ^(٢)، وهى :

« طَبِيعُ الكَرِيمِ لا يَحْتَمِلُ حِمَّةَ الضَّمِّ، وهَوَاءُ الصَّيْفِ لا يَقْبَلُ عُثْمَةَ النِّمِّ، والنَّبِيلُ
يَرْضَى النَّبَالَ والحُسَامَ، وَيَأْبَى أَنْ يُسَامَ؛ وَلَأنَّ يُقْتَلُ صَبْرًا، وَيُودَعُ قَبْرًا؛ أَحَبُّ
إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُصِيبَهُ نَشَابُ الجَفَاءِ، مِنْ جَفِيرِ الأَكْفَاءِ؛ يَهْوَى المَنِيَّةَ، وَلَا يَرْضَى الدُّنْيَةَ؛
يَسْتَقْبِلُ السِّيفَ، وَلَا يَقْبَلُ الحَيْفَ؛ إِنْ سِيمَ أَخَذَتْهُ الهِزَّةُ، وَإِنْ ضَمِّمَ أَخَذَتْهُ

(١) هو القاضى الفاضل عبد الرحيم ابن القاضى الأشرف أبى المجد على ابن القاضى السعيد أبى محمد
محمد محمى الدين . تقدمت وفاته سنة ٥٩٦ هـ . (٢) هو الشريف الرضى أبو الحسن الموسوى محمد
ابن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم . تقدمت وفاته سنة ٤٠٦ هـ .

(٣) فى الأصلين هنا : « بشيفروه » . وراجع الحاشية رقم ١ ص ١٩٩ من هذا الجزء .
(٤) الحصة (بالضم) : مم كل شئ . يلدغ أو يلسع . (٥) يقال سامه خسفا أى أولاه
إياه وزاده عليه . (٦) الجفير : جمعة من جلود لا خشب فيها ، أو من خشب لا جلود فيها .

العِزَّة ؛ إن عاشرتَه سالَ عَذْبًا ، وإن عَاسرتَه سُلَّ عَضْبًا ؛ ^(١) إن شاربته تمخر ، وإن حاربتَه تمخر ؛ يرى العِزَّ مَغْنًا ، والدَّلَّ مَغْرَمًا ، وكان كأَنف اللَّيْث لا يَشْتَمُ مَرْغَمًا ! .
 فيا هذا كن في الدنيا مِمِّي الْأَنْفَ مَنِيعَ الجَنَابِ ، أبايَ النَّفْسِ طَرِيرَ النَّابِ ؛ ^(٢)
 ولا تصحب الدنيا صحبةً بَعَالٍ ، ولا تنظر إلى أبنائها إلَّا من عالٍ ؛ ولا تخفِضْ جَنَاحَكَ
 لبنيها ، ولا تُضَعِّضْ رِكنَكَ لبانيها ؛ ولا تَمُدَّنْ عَيْنَكَ إلى زخارفها ، ولا تَبْسُطْ يَدَكَ
 إلى مَخَارِفِهَا ؛ وكن من الأَكْيَاسِ ، وآتِلْ على اللُّثَامِ سُورَةَ النَّاسِ ، ^(٣) ولا تُصَعِّرْ خَدَّكَ
 للنَّاسِ » . انتهى .

قلتُ : وقد خرجنا عن المقصود غير أننا وجدنا المقال قليلًا . ولنعُد إلى مانحن
 فيه من ترجمة الملك المنصور قلاوون .

١٠ ودام السلطان الملك المنصور بديار مصر إلى سنة ثلاث وثمانين وستمئة ، تُوفِّيَ
 صاحبَ حَمَاةِ الملك المنصور محمد الأيوبي ، فأنعم السلطان الملك المنصور على ولده
 بسلطنة حَمَاة ، وولاه مكان والده المنصور . ثم تجهَّز السلطان في السنة المذكورة
 وخرَجَ من الديار المصرية بعسكره متوجِّهًا إلى الشام في أواخر جُمادى الأولى ، وسار
 حتى دخل دِمَشْقَ في ثاني عشر جُمادى الآخرة ، وأقام يَدِمَشْقَ إلى أن عاد إلى جهة
 ١٥ الديار المصرية في الثلث الأخير من ليلة السبت ثالث عشرين شعبان ، وسار حتى
 دخل مصر في النصف من شهر رمضان ، وأقام بديار مصر إلى أول سنة أربع
 وثمانين وستمئة تجهَّز وخرج منها بعساكره إلى جهة الشام ، وسافر حتى دخل
 دِمَشْقَ يوم السبت ثاني عشرين المحرم من السنة المذكورة ، وعَرَّضَ العسكر
 الشامي عدَّةَ أيَّامٍ ، وخرجوا جميعًا قاصدين المَرْقَبَ في يوم الاثنين ثاني صفر . وكان

(١) المضب : السيف . (٢) طرير : حاد . (٣) البال : ملاعبة المرء أهله .

(٤) في أطباق الذهب : « وآتِلْ على اللثام سورة الياس » .

- قد بقي في يد سُتْقَر الأشقر قطعة من البلاد، منها : يِلَاطُنُس وصِهْيُون وبرَزِيَه وغير ذلك، وكان عمل السلطان في الباطن آتِزَاع ما يُمكن آتِزَاعُه من يد سُتْقَر الأشقر المذكور وإفساد نُوابِه. فَاتَّفَق الحال بين نُواب السلطان وبين نُواب سُتْقَر الأشقر على تسليم يِلَاطُنُس فسُلِّمَتْ في أوَّل صفر . ووافق السلطان البُشْرَى بتسليمها وهو على عيون القَصَب في توجُّهه إلى حصار المَرْقَب فسُرَّ بذلك واستبشر بِبَيْتِل مقصوده من المَرْقَب، وكان في نفس السلطان من أهل المَرْقَب لِمَا فعلوا مع عسكره ما فعلوا في السنين الماضية، فنازل السلطان حصن المَرْقَب في يوم الأربعاء عاشر صفر، وشرع العسكر في عمل الساتر والمجانيق. فلما آتته الساتر التي للمجانيق حملتها المقاتلة لباب الحصن، فسقطت الساتر إلى بركة كبيرة كان عليها جماعة من أصحاب الأمير علم الدين سَنَجَر الدَوِيدَارِي، منهم شمس الدين سُتْقَر أستاذاره وعِدَّة من مماليكه فاستشهدوا جميعهم، رحمهم الله تعالى .

- (١) ثم في يوم الأحد رابع عشره، حضر رُسُل الفرنج من عند ملكهم الإِسْتَار، وسألوا السلطان الصُّلح والأمان لأهل المَرْقَب على نفوسهم وأموالهم ويُسَامُون الحصن المذكور، فلم يُجِبه السلطان إلى ذلك، وكلَّ نصب المجانيق ورَمَى بها وشَعَثَ الحصن وهدم معظم أبراجه واستمر الحال إلى سادس عشر شهر ربيع الأول، زحف السلطان على الحصن فأذعن من فيه بالتسليم، وحصلت المراسلة في معنى ذلك . فلما كان يوم الجمعة ثامن عشر شهر ربيع الأول المذكور سُلِّمَ، ورُقِعت عليه الأعلام الإسلامية ونزل من به بالأمان على أرواحهم فركبوا، وجَهَّز معهم من أوصلهم إلى أَنْطَرُطُوس . [و] بالقرب من هذا الحصن [مَرْقِيَّة] وهي بلدة صغيرة على البحر، وكان

(١) في الأصلين : «ثم في يوم الأربعاء رابع عشره» . وتصحيحه عن ذيل مرآة الزمان .

(٢) تكملة عن ذيل مرآة الزمان وثر الجمان للقبوري والمنهل الصافي .

صاحبها قد بقي في البحر بُرجاً عظيماً لا يُرام ولا يَصِلُه النَّشَاب ولا جُحْرُ المَنْجَنِيْق وحَصْنُه ؛
وَأَتَّفَقَ حُضُورُ رُسُلِ صَاحِبِ طَرَابُلُسَ إِلَى السُّلْطَانِ بِطَلَبِ مَرَاذِيهِ ، فَأَقْرَحَ عَلَيْهِ خَرَابَ
هَذَا الْبَرْجِ وَإِحْضَارَ مَنْ كَانَ فِيهِ أَسِيرًا مِنَ الْخَبِيلَيْنِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ صَاحِبِ جُبَيْلٍ فَأَحْضَرَ^(٢)
مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ وَأَعْتَذَرَ عَنْ هَدمِ الْبَرْجِ بِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ ، وَلَا هُوَ تَحْتَ حُكْمِهِ ؛
فَلَمْ يَقْبَلِ السُّلْطَانُ أَعْتَاذَارَهُ وَصَمَّ عَلَى طَلْبِهِ مِنْهُ ، فَقِيلَ : إِنَّهُ أَشْتَرَاهُ مِنْ صَاحِبِهِ

(١) كان هذا البرج من حصون فرسان التيلار وهي طائفة الداوية المشهورة التي تقدم ذكرها غير مرة في الجزء السادس من هذه الطبعة . وأطلق عليها اسم التيلار أيضاً ، ومعناه فرسان الهيكل ، وكان للتيلار في الحروب الصليبية شأن عظيم منذ أول عهدهما حتى محاربتهم ليموند الرابع صاحب طرابلس ثم محالقتهم له وللإمام علي على عهد بيرس . وكانت لهم حصون بفراس وعثيث وأنطروطوس وجبل السابق ذكرها (انظر تاريخ الصليبيين في المشرق لاستفنون . ولسطين الاسلامية لاسترنج ص ٤٤٧) .

(٢) يقصد بالخبيلين هنا جماعة من المسلمين كانوا مع صاحب جبل سيري (Sir Guy) الفارس التيلاري الذي سماه القطب اليوناني سيركي . أدمه به الأمير سيف الدين بلان لأخذ طرابلس سنة ١٢٨٢م وكان صاحب جبل المذكور قد كاتب معظم الخيالة بطرابلس لانضمامهم اليه ضد صاحبها ييموند السابع وأشرط على نفسه أنه متى تملكها تكون مناصفة بينه وبين الملك المنصور ، فلما كان في أواخر شوال ركب صاحب جبل في أصحابه وجماعة من الجليليين ودخلوا ميناء طرابلس ليلاً ونجوا من المراكب ودخلوا البلد وكان الخبير قد نعى الى ييموند فأوقع بهم وقصد «جى» دار الديوية فقبض عليه ييموند ومات في أسرهم . قبل أغرة وأصحابه في البحر ، واحتل جبل فصارت له مع طرابلس . وأما الجليليون فيقوا في الأسر حتى نازل السلطان المرقب وحضر اليه رسول صاحب طرابلس يطلب الأمان فطلبهم السلطان ولم يسمع له رسالة فعاد الى صاحبه وأخبره ما رسم به السلطان فكساهم جميعاً وجهمهم الى أعتاب السلطان . (انظر اليوناني ذيل مرآة الزمان في وفيات سنة ١٢٨١م في ترجمة سيركي . وانظر الصليبيين في المشرق لاستفنون ص ١٤٨)

(٣) جبل : بلدة على شاطئ سوريا بين بيروت والبترون فتحت في عهد يزيد بن معاوية وكانت من جند دمشق كبقية مدن الشاطئ الى عهد الفاطميين وقد ظهر فيها علماء مشاهير . وفي سنة ٤٩٦هـ = ١١٠٣م سقطت في يد الصليبيين وكان يحكمها بارون من قبل ملك أو وثلثم وكان لها مرفأ صغير به حصن منيع ، وقد سقطت في عهد صلاح الدين في يد المسلمين ، لكن الصليبيين استردوها بستة آلاف دينار من الأكراد ، وفي أواخر القرن الرابع عشر الميلادي كانت في يد بني حمادة المتأولة (الشيعية)حكام جبل لبنان الى آخر القرن الثامن عشر فتحولت الى قرية صغيرة عذبة الأهمية ثم حارت عاصمة مدبرية باسمها فاتنعت قليلاً ، ولكنها لم يبق لها مرفأ . سكانها ٢٠٠٠ نفس غالبهم موازية وقليل من المسلمين (دائرة المعارف الإسلامية ص ١٠٥٧ ومعجم البلدان لياقوت) .

بعثة قُرى وذَهَب كثير ، ودفعه إلى السلطان ، فأمر بهدمه فهُدِم وأستراح الناس منه . وحصل الاستيلاء في هذه الغزوة على المَرْقَب وأعماله ومَرْقِيَّة . والمَرْقَب هو من الحصون المشهورة بالمنعة والحصانة وهو كبير جداً ، ولم يفتحهُ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فيما فتح ، فأبقاه السلطان الملك المنصور بعد أن أشير عليه بهدمه ، ورُمَّ شَعْنه وأستتاب فيه بعضَ أمرائه ورتبَ أحواله . وتُكْتَبَت البشائر بهذا الفتح إلى الأفطار .

ولما كان السلطان الملك المنصور على حصار المَرْقَب جاءته البُشْرَى بولادة ولده « الملك الناصر محمد بن قلاوون » ، فولدَ الملك الناصر محمد هذه السنة ، فيحفظ إلى ما يأتي ذكره في ترجمته ، إن شاء الله تعالى ، فإنه أعظم ملوك الترك بلا مدافعة .

١٠

ولما فتح السلطان الملك المنصور المَرْقَب عَمِلَت الشعراء في ذلك عِدَّة قصائد ، فن ذلك ما قاله العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود ، وهي قصيدة طنانة أولها :

الله أكبر هذا النصر والظفر * هذا هو الفتح لا ما تزعم السير
 هذا الذي كانت الآمالُ إن طمَحَتْ ^(١) * إلى الكواكب ترجوه وتنتظرُ
 فأنهض ومروأمك الدنيا فقد تحلَّتْ * شوقاً منابرها وأرتاحت السررُ
 كم رام قبلك هذا الحصن من ملكٍ * فطال عنه وما في باعه قصرُ
 وكيف تمتعه الأيامُ مملكةً * كانت لدولتك الفراء تدخرُ
 وكيف يسمو إليها من تأخر عن ^(٢) * إسعاده منجداك القدر والقدرُ

١٥

(١) في الذيل على مرآة الزمان : « كادت » .

٢٠

(٢) في الأصلين هكذا : * إسعاده منحدر إلى القدر والقدر * .

وما أنبتناه عن المنهل الصافي .

غَرَّ الْعِدَا مِنْكَ حِلْمٌ تَحْتَهُ هِمٌّ * لِأَشْفَرِ الْبَرْقِ مِنْ تَحْجِيلِهَا غُرُرُ
لَهَا وَإِنْ أَشْبَهْتَ لُطْفَ النَّسِيمِ سَرَى * مَعْنَى الْعَوَاصِفِ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ
أَوْرَدَتْهَا الْمَرْقَبَ الْعَالَى وَلَيْسَ سَوَى * مَاءِ الْحَجَرَةِ فِي أَرْجَائِهَا نَهْرُ
كَانَهُ وَكَانَتْ الْجَوَّ يَكْنُفُهُ * وَهَمٌّ تُمَثِّلُهُ فِي طَيْهَا الْفِكْرُ
يُخَالُ كَالْعَادَةِ الْعَدْرَاءِ قَدْ نُظِمَتْ * مِنْهُ مَكَانَ الْآلَى الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ
لَهُ الْهَلَالُ سَوَارٌ وَالشَّهَاءُ شَنْفٌ * وَالْقَلْبُ قَلْبٌ وَمَسَوْدُ الدَّبِي طُرُرُ
تَعْلُو الرِّيَّاحُ إِلَيْهِ كَيْ تُحِيطَ بِهِ ^(١) * [خُبْرًا] وَتَدْنُو وَمَا فِي ضَمْنِهَا خَبْرُ
وَيُؤَمِّضُ الْبَرْقُ يَهْفُو نَحْوَهُ لِيَرَى * أَذَى رُبَاهُ وَيَأْتِي وَهُوَ مَعْتَذِرُ
وَلَيْسَ يَرَوِي بِمَاءِ السُّحْبِ مُضْعِدَةً * إِلَيْهِ مَنْ فِيهِ إِلَّا وَهُوَ مُنْعَدِرُ

ومنها : ١٠

وَأُضِرَّتْ حَوْلَهُ نَارٌ لَهَا لَهَبٌ * مِنَ السِّيُوفِ وَمِنْ نَبْلِ الْوَعَى شَرُّ

ومنها :

كَاتَهَا وَمَجَانِيقُ الْفَرْنَجِ لَهَا * فَرَانِسُ الْأُسَيْدِ فِي أَظْفَارِهَا الظُّفُرُ
وَكَمْ شَكَا الْحَصْنَ مَا يَلْقَى فَمَا أَكْثَرَتْ * يَا قَلْبَهَا أَحَدِيدُ أَنْتَ أَمْ حَجَرُ
وَلِلنَّقُوبِ دَيْبٌ فِي مَفَاصِلِهِ * تُشِيرُ سُقْمًا وَلَا يَبْدُو لَهُ أَثَرُ
أَضْحَى بِهِ مِثْلَ صَبٍّ لَا تَبِينُ بِهِ * نَارُ الْهَوَى وَهِيَ فِي الْأَحْشَاءِ تَسْتَعِرُ ^(٢)

ومنها :

رَكِبْتَ فِي جُنْدِكَ الْأَوَّلَى إِلَيْهِ حُجًّا * وَالنَّصْرُ يَتْلُوكَ مِنْهُ جُنْدُكَ الْآخِرُ
قَدْ زَالَ تُجَلَّى قُوَاهُ عَنْ قَوَاعِدِهِ * وَنَحْرٌ أَعْلَاهُ نَحْوُ الْأَرْضِ يَتَبَدَّرُ

(١) المراد قلب القرب : منزلة من منازل القمر، وهو كوكب نير و بجانبه كوكبان .

(٢) في الأصلين : « كى تحيط به » * « وتدنو ... » . والكلبة عن ذيل امرأة الزمان والمهل الصافي .

(٣) في الأصلين : « وهو » . وما أبتناه عن ذيل امرأة الزمان .

وساخَ وأنكشفت أقبأؤه وبدَا * لديك من مُضَمَّرات النصرِ ما سَتَرُوا
فَسَالَ يَهُوَى إِلَيْهِمْ كُلُّ لَيْثٍ وَعَنَى * لَهُ مِنَ الْبَيْضِ نَابٌ وَالْقَنَاظُفُّ
ومنها بعد أبيات كثيرة براعة المَقْطَع :

إِنْ لَمْ يُؤَفِّ الْوَرَى بِالشِّكْرِ مَا قَتَحَتْ * بِدَاكَ فَاللهُ وَالْأَمْلاكَ قَدْ شَكَرُوا

- ثم سار الملك المنصور قلاوون من المرقب إلى دِمَشْق وأقام بها أياما، ثم خرج
منها عائداً إلى نحو الديار المصرية في بُكَرة الاثنين ثاني عشر جمادى الأولى؛ فدخل
الديار المصرية في أوائل شهر رجب .

- ولما دخل القاهرة وأقام بها أخذ في عمل أخذ الكَرَك من الملك المسعود
نجم الدين خِضْرَ ابن السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى حتى
أخذت، وورد عليه الخبر بأخذها في ليلة الجمعة سابع صفر [سنة خمس وثمانين
وستمائة] ودُقَّت البشائر بالديار المصرية ثلاثة أيام .

- ثم في سنة ست وثمانين وستمائة جهز السلطان طائفة من العسكر بالديار المصرية
صحبة الأمير حُسام الدين طُرْطَاطَى إلى الشام لحصار صِهْيُون وبرزية وآتراءهما من
يد سُتْقَرِ الأشقر، فسار حُسام الدين المذكور بمن معه حتى وصل دِمَشْق في أثناء
الحزم، واستصحب معه الأمير حُسام الدين لاجين نائب الشام، وتوجه الجميع إلى
صِهْيُون بالجانب فوصلوها وشرعوا في حصارها، وكان سُتْقَرِ الأشقر قد استعد لهم
وجمع إلى القلعة خلقاً كثيراً؛ فحاصروه أياما، ثم بعد ذلك توجه الأمير حُسام الدين
إلى بَرْزِيَه وحصرها وأستولى عليها، وهي مما يُضْرَب المثلُ بِمَحْصَاتِهَا . ولما فتحها
وجد فيها خيولاً لِسُتْقَرِ الأشقر . ولما فُتِحَتْ بَرْزِيَه لانت عريكة سُتْقَرِ الأشقر،

(١) زيادة يقتضيا سياق كلام المؤلف والذيل على مرآة الزمان وعيون التواريخ .

وأجاب إلى تسليم صهيون على شروط أشرطها ، فأجابهُ طُرُنْطَاي إليها ، وحلف له بما وُقِّعَ به من الإيمان ، ونزل من قلعة صهيون بعد حصرها شهراً واحداً ، وأعين على نقل أنقاله بِجَمَالٍ كثيرة وحضر بنفسه وأولاده وأنقاله وأتباعه إلى دمشق . ثم توجه إلى الديار المصرية صحبة طُرُنْطَاي المذكور ووقَّ له بجميع ما حلف عليه ؛ ولم يزل يَدُبُّ عنه أيام حياته أشدَّ ذُبِّ . وأعطى السلطانُ لِسُقْرَ الأشقر بالديار المصرية خُزْمَانَةَ فارس ، وبقِيَ وافر الحُرمة إلى آخر أيام الملك المنصور قلاوون . وانتظمت صهيون وبرزية في سلك الممالك المنصورية .

ثم خرج الملك المنصور من الديار المصرية قاصداً الشام في يوم سابع عشرين شهر رجب سنة ست وثمانين وسار حتى وصل غَزَّةَ أَقَامَ بِتَلِّ الْعُجُولِ أَيَّاماً إلى شَوَّالِ ، ثم رَجَعَ إلى الديار المصرية فدخلها يوم الاثنين ثالث عشرين شَوَّالِ ، ولم يعلم أحد ما كان غرضه في هذه السَّفرة . وفي شَوَّالِ هذا سَلَطَنَ الملكُ المنصورُ وَلَدَهُ الملكَ الأشرف صلاح الدين خليلاً وجعله مكان أخيه الملك الصالح علاء الدين على بعد موته ، ودُقَّتِ البشائر لذلك سبعة أيام بالديار المصرية وغيرها ، وحلَفَ الناس له والعساكرُ ، وخُطِبَ له بولاية العهد .

ثم في سنة ثمان وثمانين وسقمانَة فُتِحَتْ طَرَابُلُسُ ، وهو أن صاحب طرابلس كان وقع بينه وبين سِير تلميه الفرنجي ، وكان من أصحاب صاحب

(١) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٢٧١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) ورد هكذا في الأصلين . وفي المراجع الأفرنجية : « سير بارثولميو » (Bartholomew) وهو صاحب جبيل . كانت قائداً لجيش لوسيا أخت بيوند السابع صاحب طرابلس الذي مات في سنة ٦٨٦ هـ = ١٢٨٧ م . ومم يعقب فورثته لوسيا المذكورة . وكان بارثولميو قائداً للخيالة في طرابلس بعد موت بيوند ، وهو نجل سرجي الفارس التبتلاري صاحب جبيل المذكور في الحاشية رقم ٢ ص ٣١٦ من هذا الجزء ، وقد سأل بارثولميو السلطان أن يساعده على تملك طرابلس على أن تكون ناسيته منهما كما تـ .

- (١) الحصن الذى أحربه صاحب طرابلس رضا، الملك المنصور قلاوون حسب ما تقدم ذكره .
فحصلت بينه وبين صاحب طرابلس وحشة بسبب ذلك ، وأتفق موت صاحب
الحصن ، وسأل سير تلميه من السلطان الملك المنصور المساعدة ، وأن يتقدم للأمر بلبان
الطبايحى السعدار أن يساعده على تملك طرابلس ، على أن تكون مناصفة ، وبذل في ذلك
بذولا كثيرة ، فسُوِّدَ إلى أن تم له مراده ، ورأى أن الذى بذله للسلطان لا يوافقه
الفرنج عليه ، فشرع في باب التسوية والمغالطة ومدافعة الأوقات ، فلما علم السلطان
باطن أمره عزَّم على قتاله قبل استحكام أمره ، فتجهَّز وخرج من الديار المصرية
بعساكره لحصار طرابلس ، وسار حتى وصل دمشق وأقام بها ، ثم تهيأ وخرج منها ،
ونازل طرابلس في مستهل شهر ربيع الأول ، ونصب عليها المجانيق وضايقتها مضايقة
شديدة إلى أن ملكها بالسيف في الرابعة من نهار الثلاثاء رابع شهر ربيع الآخر ،
وشمل القتل والأسر لسائر من كان بها ، وغرق منهم في الماء جماعة كثيرة ، ونهب
من الأموال والذخائر والمتاجر وغير ذلك ما لا يُوصف ، ثم أُحْرِقَتْ وَخُرِبَ سُورُهَا ،
وكان من أعظم الأسوار وأمنعها . ثم تَسَلَّمَ حَصْنُ أَتَقَّةَ (٣١) وكان أيضا لصاحب طرابلس

- = فضل أبوه من قبل ، فلما تم له ما أراد رأى أن الفرنج لا يوافقونه على ذلك فشرع في باب التسوية
والمغالطة كما في الأصل مما دعا السلطان إلى حصار طرابلس والاستيلاء عليها . وفي ابن القرات قلاوون
اليوناني أن السلطان بعد أن ملك طرابلس أبى على أخت البرنس صاحب طرابلس قرينين من قراها . قال :
وحضر إلى السلطان بظاهر طرابلس ولد سركى صاحب جبيل وكان صاحب طرابلس قتل أباه سنة ٥٦٨١ .
نقل عليه السلطان وأقره على جبيل على سبيل الإنقطاع وأخذ منه معظم أموالها . وفي المقرئى وآخر
جبيل على صاحبها على مال أخذه منه . (انظر تاريخ الصليبيين في المشرق لاستغفون ص ٣٥٠ ، وانظر
ابن القرات ج ١٥ ص ٢٦١ والسلوك للقرئى ترجمة كثر مير عدد ٢ ج ١ ص ١٠٣) .

- (١) يقصد بالحصن هنا حصن مرقية السابق ذكره . وكانت مرقية وجبيل كلتاهما من
حصون القبلان . (٢) هو الأمير بلبان بن عبد الله الطبايحى المصورى . سيف الدين . سيذكره
المؤلف في حوادث سنة ٥٧٠٠ . (٣) أتقة : بلدة على ساحل بحر الشام شرق جبيل
صينون بينهما ثمانية فراسخ (عن معجم البلدان لياقوت) .

فامر السلطان بتخريبه ، ثم تسلّم السلطان البترون وجميع ما هناك من الحصون .
وكان لطرابلس مدة طويلة بأيدي الفرنج من سنة ثلاث وخمسمائة إلى الآن .

قلت : وكان فتح طرابلس الأول في زمن معاوية بن أبي سفيان ، رضي
الله عنه ، وتقلت في أيدي الملوك ، وعظمت في زمن بني عمار قضاء طرابلس
وحكامها . فلما كان في آخر المائة الخامسة ظهرت طوائف الفرنج في الشام
واستولوا على البلاد فامتنعت عليهم طرابلس مدة حتى ملكوها بعد أمور
في سنة ثلاث وخمسمائة ، واستمرت في أيديهم إلى أن فتحها الملك المنصور قلاوون
في هذه السنة .

وقال شرف الدين محمد بن موسى المقدسي الكاتب في «السيرة المنصورية» :

إن طرابلس كانت عبارة عن ثلاثة حصون مجتمعة باللسان الرومي ، وكان فتحها
على يد سفيان بن نجيب الأزدي^(١) ، بعثه لحصارها معاوية بن أبي سفيان في خلافة
عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، انتهى كلام شرف الدين باختصار .

قلت : وأما طرابلس القديمة كانت من أحسن المدن وأطيبها ، ثم بعد ذلك
آخذوا مكانا على ميل من البلدة وبنوه مدينة صغيرة بلا سور ، فجاء مكانا رديء الهوى
والمزاج من الوحْم . انتهى .

ولما فتحت طرابلس كتبت البشائر إلى الآفاق بهذا النصر العظيم ، ودقت
البشائر والتهاني وزينت المدن وعملت القلاع في الشوارع وسر الناس بهذا النصر
غاية السرور . وأنشأ في هذا المعنى القاضي تاج الدين آبن الأثير كتابا إلى صاحب
اليمين بأمر الملك المنصور يعرفه بهذا الفتح العظيم وبالبشارة به . وأوله :

(١) في الأصلين «ابن نجيب» . وما أثبتناه عن ابن الأثير (ج ٢ ص ٢٣١) . وقد اجماع القوي
في حوادث سنة ٦٨٨ هـ .

- (١) [بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَعَزَّ اللَّهُ] نَصَرَ الْمَقَامَ الْعَالِيَّ السُّلْطَانِيَّ الْمَلِكِيَّ الْمُظْفَرِيَّ الشَّمْسِيَّ . ثم استطرد وحكى أمر الفتح وغيره إلى أن قال فأحسن فيما قال : وكانت الخلفاء والملوك في ذلك الوقت ما فيهم إلا مَنْ هو مشغول بنفسه ، مُكَبِّطٌ عَلَى مَجْلَسِ أَنَفْسِهِ ؛ يرى السلامة غنيمته ، وإذا عَنَ لَهُ وَصَفُ الْحَرْبِ لَمْ يَسْأَلْ [مِنْهَا إِلَّا] عَنْ طُرُقِ الْهَزِيمَةِ ؛ قَدْ بَلَغَ أَمَلُهُ مِنَ الرِّبَةِ ، وَقَنِعَ [مَنْ مَلَكَهَ كَمَا يُقَالُ بَا] لِسَكَّةٍ وَالْخَطْبَةِ ؛ أُمُورٌ تُنْهَبُ ، وَمَمَالِكُ تَذْهَبُ ؛ لَا يُبَالُونَ بِمَا سَلَبُوا ، وَهُمْ كَمَا قِيلَ :
- إِنْ قَاتَلُوا قُتِلُوا أَوْ طَارَدُوا طُرِدُوا * أَوْ حَارَبُوا حُرِبُوا أَوْ غَالِبُوا غُلِبُوا
- إِلَى أَنْ أَوْجَدَ اللَّهُ مَنْ نَصَرَ دِينَهُ ، وَأَذَلَ الْكُفْرَ وَشِيطَانِيَّتَهُ . انتهى (٢)
- قلت : والكاتب هذا خلاصته والذي أعجبني منه .

- ١٠ وعمل الشعراء في هذا الفتح عِدَّةَ قصائد ، فمن ذلك ما قاله العلامة شهاب الدين أبو التَّاءِ محمود كاتب الدَّرَجِ الْمُقَدَّمِ ذَكَرَهُ يَمْدَحُ الْمَلِكَ الْمَنْصُورَ قَلَاوُونَ وَيَذْكُرُ فَتْحَهُ طَرَابُؤُسَ ، وَالْقَصِيدَةَ أَوَّلَهَا :
- طَيْنَا لِمَنْ أَوْلَاكَ نِعْمَتَهُ الشُّكْرُ * لَأَنْتَ لِلْإِسْلَامِ يَا سَيْفَهُ دُحْرُ
وَمِنَّا لَكَ الْإِخْلَاصُ فِي صَالِحِ الدُّعَا * إِلَى مَنْ لَهُ فِي أَمْرِ نَصْرَتِكَ الْأَمْرُ
وَبِاللهِ فِي إِعْلَاءِ مُلْكِكَ فِي الْوَرَى * مُرَادٌ وَفِي التَّائِيدِ يَوْمَ الْوَعَى سِرٌّ
١٥ أَلَا هَكُنَا يَا وَارِثَ الْمُلْكِ فَلْيَكُنْ * جِهَادُ الْعِيدَا لَا مَا تَوَالَى بِهِ الدَّهْرُ

(١) في الأصلين : « وأوله نصره المقام ... الخ » . والنصح والتمسك عن تراجمان للقيوم .
(٢) زيادة عن تراجمان . (٣) تمسك عن تراجمان . (٤) في الأصلين : « لا يسألون » . وما أئتمناه عن تراجمان . (٥) راجع بقية هذا الكتاب ؛ إن شئت ، في تراجمان للقيوم في حوادث سنة ٦٨٨ هـ .

ومنها :

نهضت إلى عليا طرابلس التي * أقل عناها أن خندقها البحر^(١)
والقصيدة طويلة كلها على هذا المنوال ، أضربت عنها خوف الإطالة . انتهى .
ثم عاد الملك المنصور إلى الديار المصرية في جمادى الآخرة من السنة ، واستمر
بالقاهرة إلى أول سنة تسع وثمانين وستمائة ، جهز الأمير حسام الدين طرطاي
كافل الممالك الشامية إلى بلاد الصعيد ، ومعه عسكر جيد من الأمراء والجنود ، فسكن
تلك النواحي وأباد المفسدين وأخذ خلقا عظيما من أعيانهم رهائن ، وأخذ جميع
أسلحتهم وخيولهم ، وكانت معظم سلاحهم السيوف والمجف^(٢) والرماح ، وأحضروا
إلى السلطان من ذلك عدة أحمال ، ففرق السلطان من الخيول والسلاح فيمن أراد
من الأمراء والجنود وأودع الرهائن الحبوس . ١٠

وفي هذه السنة أيضا عاد الأمير عز الدين أيبك الأقرم من غزو بلاد السودان
بمغانم كثيرة ورقيق كثير من النساء والرجال وفيل صغير .

ثم في هذه السنة أيضا رسم السلطان ألا يستخدم أحد من الأمراء وغيرهم
في دواوينهم أحدا من النصارى واليهود وحرص على ذلك ، فأمتثل ذلك الأمراء
جميعهم . ١٥

وفي هذه السنة عزم السلطان الملك المنصور على الحج فبلغه خبر فرنج عكا ، فقرّر
عزمه وتبأ للخروج إلى البلاد الشامية ، ورأى أن يقدم غزوهم والانتقام على الحج ،
وأخذ في تجهيز العساكر والبعوث ، وضرب دهليزه خارج القاهرة ، وباب الدهليز إلى

(١) راجع بقية هذه القصيدة في نثر الجمان وميون التواريخ .

(٢) المجف : التروس من جلود بلا خشب ولا عقب .

- جهة عكا . وخرج من القاهرة إلى مُجَيْمِه وهو متوعك لأيام خلت من شؤال ، ولا زال متمرضا مُجَيْمِه عند مسجد التبن خارج القاهرة إلى أن تُوفِّي به في يوم السبت سادس ذى القعدة من سنة تسع وثمانين وستمئة ، وحُمل إلى القلعة ليلة الأحد . وتسلمن من بعده ولده الملك الأشرف صلاح الدين خليل الذى كان عهد له بالسلطنة قبل تاريخه حسب ما ذكرناه . وكثر أسف الناس عليه .

- قال الحافظ أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي في « تاريخ الإسلام » بعد ما سماه ولقبه قال : اشترى بالف دينار ، ولهذا كان في حال إمرته يُسمَّى بالأنفى ، وكان من أحسن الناس صورة في صباه ، وأباهم وأهيبهم في رجولته ، كان تام الشكل مستدير الخية قد وخطه الشيب ، على وجهه هيبه الملك وعلى أكتافه حشمة السلطنة ، وعليه سكة ووقار ، رأيته مرات آنرها مُنصرَفة من فتح طرابلس . وكان من أبناء الستين . ثم قال : وحدثني أبي أنه كان مُعجَم اللسان لا يكاد يُفصح بالعربية ، وذلك لأنه أتى به من بلاد الترك وهو كبير . ثم قال بعد كلام آخر : وعمل بالقاهرة بين القصرين تربة عظيمة ومدرسة كبيرة ، قال : وبيمارستانا للرضى .

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٩٦ من هذا الجزء .

- (٢) تكلم المقرئ في (ص ٣٧٩ و ٣٨٠ و ٤٠٦ من الجزء الثانى) من خطه على هذه الأماكن الثلاثة فقال : إنها داخل باب المارستان الكبير المنصوري بخط بين القصرين بالقاهرة ، أنشأها الملك المنصور قلاوون ولم يذكر المقرئ تاريخ إنشاء التربة والمدرسة ، ولكنه ذكر فقط تاريخ الشروع في بناء المارستان . وقد تبين لي من الكتابات المنقوشة على مباني هذه الأماكن الثلاثة أن المارستان بدي في عمارته في شهر ربيع الآخر سنة ٦٨٣ هـ . وأتت في شؤال من تلك السنة ، وأن القبة بدي في عمارتها في شؤال سنة ٦٨٣ هـ ، وأتت في صفر سنة ٦٨٤ هـ . وأن المدرسة بدي في عمارتها في صفر سنة ٦٨٤ هـ . وأتت في جمادى الأولى من السنة المذكورة ، ويجمع هذه التواريخ الثلاثة تاريخ واحد كتب على الباب الرئيس لهذه الهامة ذكر فيه تاريخ البدء في البناء وهو شهر ربيع الآخر سنة ٦٨٣ هـ وتاريخ الفراغ منه وهو شهر جمادى الأولى سنة ٦٨٤ هـ .

قلت : ومن عمارته البيارستان المذكور وعظم أوقافه تُعرف هُتته ، ونذكر
عمارة البيارستان إن شاء الله تعالى بعد ذلك . انتهى .

وقال غيره : وكان يُعرف أيضا قلاوون الآقستقري الكاملي الصالح النجمي ،
لأن الأمير آق ستقر الكاملي كان اشتراه من تاجر بألف دينار ، ثم مات الأمير
آق ستقر المذكور بعد مدة يسيرة ، فأرتجع هو وخشداشيتة إلى الملك الصالح نجم الدين
أيوب في سنة سبع وأربعين وستائة ، وهى السنة التى مات فيها الملك الصالح أيوب ،
وهذا القول هو الصحيح في أصل مشتراه .

قلت : ولما طلع الملك المنصور قلاوون إلى قلعة الجبل ميتاً ، أخذوا في تجهيزه
وغسله وتكفينه إلى أن تم أمره ، وحملوه وأنزلوه إلى تربته بين القصرين فدُفن
بها . وكانت مدة مُلكه إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر ، رحمه الله تعالى ، وكان
سلطاناً كريماً حليماً شجاعاً مقداماً عادلاً عفيفاً عن سفك الدماء مائلاً إلى فعل الخير
والأمر بالمعروف ، وله مآثر كثيرة :

منها البيارستان الذى أنشاه بين القصرين ، وتمَّ عمارته في مدة يسيرة ، وكان
مُشيد عمارته الأمير عَلم الدين سَنَجَر الشَّجَاعِي المنصوري وزير الديار المصرية ومُشيد

== وهذه الأماكن واقعة بشارع المزلدين الله (شارع بين القصرين سابقاً) بالقاهرة ، ووجهها الشرقية
المشرقة على الشارع تتكوّن من قسمين : البحرى منها وهو الواقع على يمين الداخل من الباب الرئيسى هو
وجهة التربة وتعلوها القبة ، والقبلى منها وهو الخارج هو وجهة المدرسة المزخرفة بالحنايا المحمولة على عمد
من الرخام يتوسطها شباك على أشكال جميلة ، وبين القبة والمدرسة دهليز طويل فيه أبوابها ، وكان
يوصل قديماً إلى المارستان . وأما القبة من الداخل فشكلها من أبداع وأجل القباب المزخرفة بالقسفساء
والخشب المذهب ، يحلها أربعة أعمدة أسطوانية سمكة وطويلة من الجرانيت الأحمر . والجدران مكسوة
بالرخام وتحت هذه القبة القبر المدفون به الملك المنصور قلاوون وأبنته الملك الناصر محمد .

وأما المدرسة فيوجد الآن من مبانيها القديمة الإيوان الشرق وما فيه من الزخارف الجميلة ثم محرابها
البدیع . وأما المارستان فقد خربت مبانيه القديمة ولم يبق منها إلا أجزاء من بعض قاعاته . وفي سنة ١٩١٥ م
أنشأت وزارة الأوقاف مستشفى للرمذ بباب خاص على جزء كبير من أرض المارستان المذكور

(١) هو الأمير علم الدين سنجري عبد الله الشجاعى المنصوري . سبذكر المؤلف وفاته سنة ٦٩٣ هـ .

دواوينها ، ثم ولى نيابة دِمَشْق ونَهَض بهذا العمل العظيم وفرغ منه فى أيام قلائل ،
ولما كمل عمارة الجميع أَمَدَحَهُ مُعِينُ الدِّينِ بْنِ تُولُوسَ بِقَصِيدَةٍ أَوْهَى :

أَنشأت مدرسةً وَمَارِسَتَانَا * لَتُصَحَّحَ الأَدْيَانُ والأَبْسَدَانَا

قلت : وهذا البَيَارِستَانُ وأوقافه وما شَرَطَه فيه لم يَسْبِقْهُ إلى ذلك أحد قديماً

ولا حديثاً شرقاً ولا غرباً . وجدد عمارة قلعة حلب وقلعة كَرْكَر وغير موضع .

وأما غَزَوَاتُهُ فقد ذكرناها فى وقتها . وجمع من الممالك خَلْقاً عظيماً لم يجمعهم أحد

قبله ، فبلغت عِدَّتُهُمْ اثْنَى عَشَرَ أَلْفًا ، وصار منهم الأمراء الكبار والنواب ، ومنهم

من تسلطن من بعده على ما يأتى ذكره . وتسلطن أيضاً من ذُرِّيَّتِهِ سلاطين كثيرة

آخَرُهُمُ الملك المنصور حَاجَى الذى خَلَعَهُ الملك الظاهر بَرْقُوق . وأعظمُ من هذا أنه

مَنْ تسلطن من بعده من يوم مات إلى يومنا هذا ، إما من ذرئته ، وإما من

ممالكه أو ممالك ممالك أولاده وذريته ، لأنَّ يَلْبَغًا مملوك السلطان حسن ، وحسن

أَبْنُ محمد بن قلاوون ، وبَرْقُوق مملوك يَلْبَغًا ، والسلاطين بأجمعهم ممالك بَرْقُوق

وأولاده . انتهى . وكان من محاسن الملك المنصور قلاوون أنه لا يميل إلى جنس

بَعِيْنِهِ بل كان مِيلُهُ لِمَنْ يَتَخَيَّلُ فِيهِ النِّجَابَةَ كائناً من كان .

قلت : ولهذا طالت مدَّة ممالكه وذريته باختلاف أجناس ممالكه ، وكانت

حُرْمَتُهُ عَظِيمَةً على ممالكه لا يستطيع الواحد منهم أن يَنْهَرَ غلامه ولا خادمه خوفاً

(١) هو عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن أحمد بن تولوس الفهرى المصرى التنيسى معين الدين الشاعر

الأديب . سبَّحَهُ المؤلِّف سنة ٦٨٥ هـ . وقد ضبطه الصفدى فى الواقى بالوفيات بالعبارة فقال (يضم

الثاء ثالثة الحروف وسكون الواو الأولى وضم اللام وفتح الواو الثانية وبعدها ألف) .

(٢) كركر : قلعة حصينة شاهقة جداً ، على جانب الفرات الغربى ، وهى من أعظم ثغور الشام

(عن تقويم البلدان لأبى الفدا إسماعيل) .

منه، ولا يتجاهر أحد منهم بفاحشة، ولا يترجح إلا إن زوجه هو بعض جَوَّاريه؛ هذا مع كثرة عددهم.

قلت رحمه الله تعالى : لو لم يكن من محاسنه إلا تربية ممالكه وكف شرهم عن الناس لكفاه ذلك عند الله تعالى، فإنه كان بهم منفعة للساكنين، ومضرة للشركين وقيامهم في الغزوات معروف، وشرهم عن الرعية مكفوف؛ بخلاف زماننا هذا، فإنه مع قلتهم وضعف بنييتهم وعدم شجاعتهم، شرهم في الرعية معروف، وتقمعهم عن الناس مكفوف؛ هذا مع عدم التجاريد والتقاء الخوارج وقلة الغزوات، فإنه لم يقع في هذا القرن، وهو القرن التاسع، لقاء مع خارجي غير وقعة تيمور، وأفتضحوا منه غاية الفضيحة، وسلموا البلاد والعباد وتسحب أكثرهم من غير قتال.

وأما الغزوات فأعظم ما وقع في هذا القرن فتح قبرس^(١)، وكان النصر فيها من الله سبحانه وتعالى، إنكسر صاحبها وأخذ من جماعة يسيرة، تلقاهم بعض

(١) يريد القرن التاسع، وهو الذي فتحت فيه قبرس، كما ذكره المؤلف وسيذكره أيضا في هذا الكتاب.

(٢) قبرس : جزيرة كبيرة في الزاوية الشمالية الشرقية للبحر الأبيض المتوسط على مسافة قريبة من آسيا الصغرى وسوريا، حيوانها ونباتها كنبات وحيوان سوريا. أما جوها فيشبه جو آسيا الصغرى. اعتاد أهلها الحياة البحرية الساذجة، وأشهرت بغاباتها العظيمة التي كانت تمد الملاحه القديمة بأحسن الأخشاب، لذا كان تاريخها مشاعا بين آسيا الصغرى وسوريا ومصر وبلاد اليونان، تنافس الكل في امتلاكها، وصار أهلها خليطا من اليونان والترك والعرب وانتشرت فيها المسيحية والإسلام.

احتلها معاوية سنة ٢٨ هـ = ٦٤٨ م. وأدخل فيها الإسلام هارون الرشيد ثم احتلها اليونان إلى آخر القرن الثاني عشر الميلادي إلى أن سقطت عكا في يد المسلمين سنة ٦٩٠ هـ = ١٢٩١ م. ثم تملكها ملوك أورشليم فتعاقب عليها ١٨ أميرا من أسرة لوزينيان إلى أن فتحتها الأشرف بارسباي سنة ٨٢٩ هـ = ١٤٢٦ م، وأسر ملكها وفرض عليه الجزية كل عام. وكانت عمرة التجارة بين أوروبا وآسيا ثم أسنولى عليها الأتراك سنة ٩٧٩ هـ = ١٥٧١ م. وفي سنة ١٨٣٢ م احتلها جيوش محمد علي الكبير. وفي سنة ١٨٧٨ م تنازلت عنها الدولة العلية لانتحلتها في مقابل دفاعها عن شواطئ تركيا الآسيوية، وهي الآن تابعة لها، وإدارتها منوطة بمندوب سام تعينه لندن يساعده مجلس تشريعي من أهل الجزيرة (ملخص عن دائرة المعارف الإسلامية).

عسا كره . خذلانٌ من الله تعالى ! وقع ذلك كله قبل وصول غالب عسكر المسلمين .

وأما غير ذلك من الغزوات فسفر في البحر ذهاباً وإياباً ، فكيف لو كان هؤلاء أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب عندما غزا الساحل ، وغاب عن الديار المصرية نحو العشر سنين ، لا يفارق فيها الحميم والتشتت عن الأوطان وأتصال الغزوة بالغزوة ! أو لو كانوا أيام الملك الكامل محمداً قاتل الفرنج على ديباط نحو الثلاث سنين لم يدخل فيها مصر إلى أن فتح الله عليه ، أو لو كانوا أيام الملك الظاهر بيبرس وهو يجهز ويغزو في السنة الواحدة المرة والمرة والمرة ، ولعلَّ جراً ! إلى أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين لما أخذت الإسكندرية . وهذا شيء معروف لا يسأح فيه أحد . وأعجب من هذا كله أن أولئك كانوا على حظ وافٍ من الأدب والحشمة والتواضع مع الأكابر ، وإظهار الناموس وعدم الأزدراء بمن هو دونهم ، وهؤلاء أنست في الماء وأنف في السماء ، لا يبتدى أحدهم لمسك لحام الفرس ، وإن تكلم تكلم بنفس ؛ ليس لهم صناعة ، إلا نهب البضاعة ؛ يتقوون على الضعيف ، ويشترهون حتى في الرغيف ؛ جهأدهم الإحراق بالرئيس ، وغزوهم في التبن والدريس ؛ وحظهم منقّام ، ولا مروءة لهم والسلام . انتهى .

١٥

قال ابن كثير في حق الملك المنصور قلاوون المذكور : اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب من الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب بالف دينار ، فلذلك سُمي بالألفي .

٢٠

قلت : وهذا بخلاف ما نقله الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي في أن الذي اشتراه بالف دينار إنما هو الأمير آق سُتُر الكامي ، والأرجح عندي ما قاله الصفدي في أن الذي اشتراه بالف دينار إنما هو الأمير آق سُتُر من وجوه عديدة .

قال ابن كثير أيضا : وكان الملك المنصور قد أفرد من ممالكه ثلاثة آلاف وسبعائة مملوك من الأمراء والجرّاء كسّة وجعلهم بالقلعة ، وسماهم « البرجية » ، وأقام نوابه في البلدان من ممالكه ، وهم الذين غيروا ملابس الدولة الماضية .

قال الصلاح الصفدي : وَلَبَسُوا أَحْسَنَ الْمَلَابِسِ ، لِأَنَّ فِي الدَّوْلَةِ الْمَاضِيَةِ الصَّلَاحِيَّةِ كَانَ الْجَمِيعُ يَلْبَسُونَ كَلَوَاتَ صُفْرِ مُضَرَّبَةٍ بِكَلْبِدَاتٍ بَغِيرِ شَاشَاتٍ ،

(١) الكلوات : جمع كلوة بتشديد اللام وهي فارسية ، معناها الطاقية الصغيرة من الصوف المضربة بالقطن ، كانت غطاء الرأس في الدولتين : الأيوبية والمماليك ، وكانت شارة الأمراء يلبسونها بغير عمامة فوقها ، ولها كلاليب تعقد تحت الذقن هي الكلبيدات الآتية ذكرها في الحاشية التالية ، وكانت لهم ذوائب شعر يربطونها خلفهم وكانت صفراء . فلما كانت دولة الأشرف خليل بن قلاوون غير لونها من الصفرة إلى الحمرة وأمر بالعمائم فوقها وبقيت كذلك حتى حج الناصر محمد بن قلاوون في أوائل دولته لخلق رأسه لخلق الجميع ردومهم . وكانت عمامتهم صغيرة فريد في قدرها في دولة الأشرف شعبان بن حسين فحسنت هيئتها . قال المقرئ : كانت في أيام الناصر تسمى الناصرية وفي أيام الأشرف شعبان تسمى الطرخانية وفي زمن الظاهر برفوق تسمى الجركمية واستقر الحال على ذلك إلى زمنه . (كزيمير أول ص ١٣٧ وصحيح الأعشى رابع ص ٤٩ وخطط على باشا مبارك ج ١٢ ص ٢٦ وخطط المقرئ ج ٢ ص ٩٨ ، ٢١٧ ودوزي الملابس عند العرب ص ٣٧٨ والقاموس الفارسي الانجليزي لاستنجاس ص ١٠٩٦) .

(٢) الكلبيدات : جمع كلبيدة وهي فارسية ، معناها لباس الرقبة أروكفية الرقبة يلبسها النساء على ردومهن وترتبط تحت الذقن لحفظ ما فوق ردومهن من اللباس حتى لا يتزحج ما على الشعر وتطلق أيضا على نوع من حل الذهب تلبس حول الرقبة . والذي في المقرئ أن السلطان والأمراء والعساكر إنما يلبسون على ردومهم كلوة صفراء مضربة تضربا عريضا ولها كلاليب بغير عمامة ، والكلاليب هنا هي الكلبيدات الآتية الذكر (انظر خطط المقرئ ج ٢ ص ٩٨ والسلوك ج ١ ص ٩٤ طبع دار الكتب المصرية وانظر استنجاس ص ١٠٩٦) .

(٣) الشاشات : جمع شاش لا توجد في القاموس وهي قطعة من قاش كانت ثلاث على الكلوة . جاء في النوري : تعمم بشاش دخاني عتيق . وفي السلوك فأكرمه السلطان وأحسن إليه وأنعم عليه بفنر يرف أطلس معدني بطرز زركش وكلوة زركش وشاش رقم وحياصة ذهب مجوهرمة على عادة أكابر نواب السلطنة الشريفة . وفي موضع آخر ركب في الموكب بالأقنية الإسلامية والكلوة والشاش على عادة العساكر الشريفة . وفي ابن إياس في حوادث سنة ٧٨٧ هـ : « جرت عادة وهي أن امرأة سالحة رأت النبي صلى الله عليه وسلم في منام وهو يقول لها : قول للنساء يقتهن عن لباس الشاش وكان شيئا قد أقترحه النساء يلبسه على ردومهن مثل ستام الجمل ، طوله نحو ذراع وارتفاعه ربع ذراع وينزعه بالذهب والؤلؤ ويالن في ذلك وكان بدعة سيئة من السيئات » . وشاع لبس الشاش في القرون الوسطى حول الكلوة في بلاد العرب وسور يا ومصر وفارس وما وراء النهر . (انظر الملابس العربية لدوزي ص ٢٣٦ — ٢٤٠) .

- وشعورهم مضمفورة^(١) ديايسق في أيجاس حرير ملونة، وكان في خواصرهم موضع الحوائص بنود ملونة أو بعلبكية^(٢)، وأكام^(٣) أقيتهم ضيقة على زى ملابس الفرنج، وأخفافهم برغالى أو سقامين ومن فوق قماشهم كترات يمساق وإبريم، وصوالقهم يكار يسع كل صولق نصف وية أو أكثر، ومنديلهم كبير طوله ثلاث أذرع، فأبطل المنصور ذلك كله بأحسن منه، وكانت الخلع للأمراء المقدمين المروزي^(٤)،

- (١) يقصد أن شعورهم كانت مضمفورة مدلاة بدبوقة كما في خطط المقرزى (ج ٢ ص ٩٨).
والديايسق : نوع من الحرير المنسوب الى ديق بلد قديم من أعمال تنيس بمصر راجع الحاشية رقم ٣ ص ٨٢ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٣ من هذا الجزء .
(٣) الأقية جمع قباء، وهو ثوب يلبس فوق الثياب ويقصد بالقباء هنا البنطاق وهي فارسية معناها المغطى . والبنطاق : قباء صغير، قال المقرزى في الكلام على الأسواق : استجد الأمير سلا رايا المالك الناصر محمد القباء الذى يعرف بالسلارى، وكان قبل ذلك يعرف بالبنطاق . وكانت هذه البغالق إما بيضا أو مشجرة أحمر وأزرق مرصعة بالجوهر وهي ضيقة الأكام على هيئة ملابس الفرنج اليوم . ولم يزل هذا زيهم الى أيام الملك المنصور فقلوبون فغير هذا الزى بأحسن منه وأبطلوا الحكم الضيق . فلما ملك الأشرف خلى جمع خاصيته ومعالكة وتجيز لهم الأقية الأطلس المدنى . راجع خطط المقرزى (ص ٩٩ ج ٢) وخطط على باشا مبارك (ج ١ ص ١٠) و(دوزى الملابس عند العرب من ٣٥٢ - ٣٦٢ وكرمير مجلد ١ ج ٢ ص ٧٥ - ٧٦) .

- (٤) الخلف البرغالى : ذكر ابن بطوطة في رحلته في كلامه حين انصرف عن القسطنطينية ما يلي : وكنت ألبس ثلاث فروات ومسروالين أحدهما مبطن، وفي رجل خف من صوف وفوقه خف مبطن بثوب كنان وفوقه خف من البرغالى وهو جلد الفرس مبطن بجلد ذئب . وابن بطوطة (ج ٢ ص ٤٤٥) .
(٥) السقامين : جمع سقام وهو خف ثان يلبس فوق خف آخر كان يستعمل في دولة المماليك يلبسه الحريم والجنود والأمراء والسلاطان نفسه . وقد ورد في المقرزى : «وفي أرجلهم من فوق الخلف سقام وهو خف ثان» . (المقرزى خطط ج ٢ ص ٩٨) .

- (٦) كترات : جمع كمر، فارسية معناها الحزام المفرغ من وسطه لحشو النقود وأبحوها، شائع الاستعمال في مصر الآن، وقد ورد في المقرزى : «ومن فوق القباء كمران بمحاق وإبريم» (المقرزى خطط ج ٢ ص ٩٨) .
(٧) الإبريم كما ورد في اللسان : حديدة تكون في طرف الحزام يدخل فيها الطرف الآخر . والخلق معروف . (٨) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧٨ من هذا الجزء .

نخِصَّ الملك المنصورُ من الأمراء بلبس الطرد وحش^(١) أربعة من خُشْدَاشِيَّتِهِ ،
 وهم : سَفَرُ الْأَشْمَقِ الذي كان تسلطن ولُقِّبَ بالملك الكامل واليَمَسِرِيُّ والأَيْدَمِرِيُّ
 والأَفَرَمُ . وباقي الأمراء والخاصيكية والبرانية تلبس المَرْوَزِيُّ والطيلخانات بالملقون ،
 والعشرات بالعتابي^(٢) .

قلت : وهذا أيضا بخلاف زماننا فإنه ليس فيه أوباش الناس الخلع السنية ،
 وأعجب من هذا أنه لما ليس هؤلاء الخلع السنية زالت تلك الآبهة والحشمة
 عن الخلع المذكورة وصلت كمن دونها من الخلع في أعين الناس لمعرفتهم بمقام
 اللابس . انتهى .

قلت : والآن نذكر ما وعدنا بذكره في أوائل ترجمة الملك المنصور قلاوون من
 أمر تكتاب السر ، لأنه هو الذي أحدث هذه الوظيفة وسمي صاحبها بكتاب السر على ما
 نبينه من أقوال كثيرة :

منها أنه لما كان أيام الملك الظاهر بيبرس كان الدوادار يوم ذاك بلبان بن
 عبد الله الرومي . قال الشيخ صلاح الدين خليل الصفدي : كان من أعيان الأمراء
 (يعني عن بلبان المذكور) ومن مُجَبِّاهِمُ ، وكان الملك الظاهر بيبرس يعتد عليه ويُحْمَلُ
 أسراره إلى القصاد . ولم يؤمره إلا الملك السعيد ابن الملك الظاهر بيبرس .

(١) الطرد وحش ، كلبه مركبة تطلق على ضرب من الثياب تصنع على هيئة جلد الوحش .
 ذكر المقرئ في باب الخلع ومراتبها الطرد وحش فقال : إنه ثاني الأطلسين : الأطلس الأول لأكابر
 أمراء الدين . والطرد وحش لمن دونهم في المرتبة ، وكان يعمل بدار الطراز بالإسكندرية ومصر ودمشق ،
 وهو مجوهر بجواهر ألوان متميزة بقصب مذهب يفصل بين هذه الجواهر نقوش وطراز من هذا القصب .
 وربما كبره بعضهم فركب عليه طراز امرؤكشا بالذهب وعليه فرو سنجاب وسندس (خطوط المقرئ ج ٢
 ص ٢٢٧ وكرر ج ٤ ص ٧٠ - ٧١) .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٦٧ من هذا الجزء .

وَأَسْتَشْهِدُ بِمَصَافٍ حِصصَ سَنَةِ ثَمَانِينَ وَسِتِّائَةٍ ، وَكَانَ يَبَاشِرُ وَظِيفَةَ الدَّوَادَارِيَّةِ
وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ كَاتِبٌ سِرٌّ ، فَأَتَّفَقَ أَنَّهُ قَالَ يَوْمًا لِمُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ : أَكْتُبْ لِي
فَلَانٍ مَرَسُومًا أَنْ يُطْلَقَ لَهُ مِنَ الْحِزَانَةِ الْعَالِيَةِ بِدَمَشَقَ عَشْرَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ ، نَصْفُهَا
عَشْرُونَ أَلْفًا ، فَكُتِبَ الْمَرْسُومُ كَمَا قَالَ لَهُ وَجُهِزَ إِلَى دِمَشَقَ ، فَأَنْكَرُوهُ وَأَعَادُوهُ إِلَى
السُّلْطَانِ ، وَقَالُوا : مَا نَعْلَمُ ! هَلْ هَذَا الْمَرْسُومُ بَعِشْرِينَ نَصْفُهَا عَشْرَةُ أَوْ بِعَشْرَةِ
نَصْفُهَا خَمْسَةٌ ؟ فَطَلَبَ السُّلْطَانُ عَمِّي الدِّينَ وَأَنْكَرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ ، فَقَالَ : يَا خَوْنَدُ ، هَكَذَا
قَالَ لِي الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بَلْبَانَ الدَّوَادَارِ ، فَقَالَ السُّلْطَانُ : يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لِلْمَلِكِ
كَاتِبٌ سِرٌّ يَتْلَقُ الْمَرْسُومَ مِنْهُ شِفَاهَا . وَكَانَ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ قَلَاوُونَ حَاضِرًا مِنْ جَمَلَةِ
الْأَمْرَاءِ فَسَمِعَ هَذَا الْكَلَامَ . وَخَرَجَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ عَقِيبَ ذَلِكَ إِلَى نُوبَةِ الْبُلُستَيْنِ ،
فَلَمَّا تَوَقَّعَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ وَمَلَكَ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ قَلَاوُونَ أَخَذَ كَاتِبُ سِرِّهِ . إِنْتَهَى .
كَلَامُ الصَّفِيدِيِّ بِإِخْتِصَارٍ .

قلت : وفي هذه الحكاية دلالة على أن وظيفة كتابة السِّرِّ لم تكن قبل ذلك أبدًا ،
لِقَوْلِهِ : يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَكُونَ لَهُ كَاتِبٌ سِرٌّ يَتْلَقُ الْمَرْسُومَ مِنْهُ شِفَاهَا . وَأَيْضًا تَحْقِيقُ
مَا قُلْنَا : أَنَّ وَظِيفَةَ كِتَابَةِ السِّرِّ لَمْ تَكُنْ قَدِيمًا ، وَإِنَّمَا كَانَتْ الْمُلُوكُ لَا يَتْلَقُونَ الْأُمُورَ
عَنْهُمْ إِلَّا الْوُزَرَاءُ .

قضية نغز الدين بن لُقْمَانَ مع القاضي فتح الدين محمد بن عبد الظاهر في الدولة
الأشرفية خليل بن قلاوون ، وهو أنه لما توزَّع نغز الدين بن لُقْمَانَ قَالَ لَهُ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ :
مَنْ يَكُونُ عِوَضُكَ فِي الْإِنْشَاءِ ؟ قَالَ : فَتَحَ الدِّينُ بْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ ، فَوَلَّى فَتَحَ الدِّينَ
وَتَمَكَّنَ عِنْدَ السُّلْطَانِ وَحَظِيَ عِنْدَهُ ، وَفَتَحَ الدِّينُ هَذَا هُوَ الَّذِي قُلْنَا عَنْهُ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ
إِنَّهُ أَوَّلُ كَاتِبِ سِرِّ كَانَ ، وَظَهَرَ أَسْمُ هَذِهِ الْوِظِيفَةِ مِنْ ثُمَّ . إِنْتَهَى . وَحَظِيَ فَتَحُ الدِّينَ

عند السلطان إلى الغاية . فلما كان بعض الأيام دخل نحر الدين بن لقمان على السلطان فأعطاه السلطان كتاباً يقرأه ، فلما دخل فتح الدين أخذ السلطان الكتاب منه وأعطاه لفتح الدين ، وقال لفخر الدين : تأخر ! فعظم ذلك على نحر الدين بن لقمان .

قلت : ولولا أن هذه الواقعة حرق العادة ما غضب ابن لقمان من ذلك ، لأن العادة كانت يوم ذاك لا يقرأ أحدٌ على السلطان كتاباً بحضرة الوزير . انتهى .

ومنها واقعة القاضي فتح الدين المذكور مع شمس الدين ابن السلّوس لما ولى الوزارة للكل الأشرف خليل بن قلاوون ، فإنه قال لفتح الدين : اعرض على كل ما تكتبه عن السلطان كما هي العادة ، فقال فتح الدين : لا سبيل إلى ذلك ، فلما بلغ الملك الأشرف هذا الخبر من الوزير المذكور ، قال : صدق فتح الدين ، فعُضِب من ذلك الوزير ابن السلّوس .

قلت : وعندى دليل آخر أقوى من جميع ما ذكرته ، أنه لم أفد على ترجمة رجل في الإسلام شرقاً ولا غرباً نعت بكتاب السر قبل فتح الدين هذا ، وفي هذا كفاية . وما ذكره صاحب صبح الأعشى وغيره ممن كتبوا للنبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده ليس في ذلك دليل على أنهم كُتِبَ السر ؛ بل ذلك دليل لكل كاتب كتب عن مخدومه كائناً من كان . ونحن أيضاً نذكر الذين ذكروهم صاحب صبح الأعشى وغيره من الكتاب ، ونذكر أيضاً من ألحقناه بهم من كتاب السر إلى يومنا هذا ، ليعلم بذلك صدق مقالتي بذكروهم وألقابهم وزمانهم . انتهى . قال : اعلم أن كتاب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، كانوا يتقوا على ستة وثلاثين كاتباً ، لكن المشهور منهم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية بن أبي سفيان ومروان بن الحكم .

(١) هو الوزير صاحب شمس الدين محمد بن عثمان بن أبي الرجا التنوخي الدمشقي المعروف

بأبي السلّوس . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٩٣ هـ .

- قلت : وفي مَرَوَانَ خلاف ، لأنَّ الحافظ أبا عبد الله الذهبي قال في ترجمة مَرَوَانَ بن الحَكَم : له رُؤية إن شاء الله ، ولم يَعُدْهُ من الصحابة ، فكيف يكون من الكُتَّاب ! وأيضاً حَذَفَ جماعة من كبار الصحابة كُتَّابَ النبي صَلَّى الله عليه وسلم وأثبت مروان هذا ، وفي صحبته خلاف . ولولا خشية الإطالة لذكرنا مَنْ ذكره الحافظ العلامة مُغلطاي ^(١) مَنْ كتب للنبي صَلَّى الله عليه وسلم ليعلم بذلك غَلَطَ مَنْ عَدَّ مَرَوَانَ من الكُتَّاب . انتهى . قال : ولما تَوَقَّى النبي ، صَلَّى الله عليه وسلم وصارت الخلافة إلى أبي بكر كتب عنه عمر بن الخطاب وعثمان وعلي رضي الله عنهم . فلما استخلف عمر كتب عنه عثمان وعلي ومعاوية وعبد الله بن خَلَف الخُزَاعِي ، وكان زيد بن ثابت ^(٣) وزيد بن أَرْقَم ^(٤) يكتبان على بيت المال . فلما استخلف عثمان كتب عنه مَرَوَانَ بن الحَكَم . فلما استخلف علي كتب عنه عبد الله بن رافع مولى النبي صَلَّى الله عليه وسلم وسعيد بن نُمَيْرٍ ^(٥) . فلما استخلف الحسن كَتَبَ عنه كُتَّابُ أبيه . فلما بایعوا معاوية كَتَبَ عنه عبد الله بن أَوْس ، وكتب عبد الله المذكور عن أبنه زيد أيضاً ، وأبن أبيه معاوية بن يزيد . فلما خَلَعَ معاوية ابن يزيد نفسه وتولى مَرَوَانَ بن الحَكَم كتب عنه سُفْيَانُ الأَحْوَلُ وقيل عُبَيْدُ الله بن أَوْس .
- فلما استخلف عبدُ الملك بن مَرَوَانَ كَتَبَ عنه رَوْحُ بن زَيْنَاع الجُدَامِي . فلما استخلف الوليدُ كتب عنه قُرَّةُ بن شَرِيك ، ثم قَيْصَةُ بن دُؤَيْب ، ثم الضحَّاك ^(٧) ابن زَيْل . فلما استخلف سليمانُ كتب عنه يزيد بن المُهَلَّب ، ثم عبد العزيز بن

(١) هو مُغلطاي بن قليج بن عبد الله البكري الحنفي الحافظ . سذكر المؤلف وفاته سنة ٥٧٦٢ .

(٢) كان من كُتَّاب عمر رضي الله عنه ، قتل في يوم الجمل وكان مع عائشة رضي الله عنها سنة ٥٣٦ .

(٣) تقدّم وفاته سنة ٥٤٥ . (٤) تقدّم وفاته سنة ٦٧ أوسنة ٥٦٨ .

(٥) في الأصلين : « سعد بن نمر » . والتصحيح عن طبقات ابن سعد وأسد الغابة والاستيعاب في معرفة

الأصحاب والطبری . (٦) في حسن المحاضرة ، للسيوطي : « شعبان الأحول » .

(٧) في الأصلين : « ابن زمل » . وتصحيحه عن أسد الغابة وشرح القاموس .

الحارث . فلما استخلف الإمام عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كتب عنه رجاء بن حيوة الكِنْدِيّ ، ثم ابن أبي رُقِيّة^(١) ؛ فلما استخلف يزيد بن عبد الملك كتب عنه سعيد بن الوليد الأبرش ، ثم محمد بن عبد الله بن حارثة الأنصارى . فلما استخلف هشام بن عبد الملك أبقاهما على عادتتهما ، وأستكتب معهما سالمًا مولاه . فلما استخلف الوليد بن يزيد كتب عنه العباس بن مسلم . فلما استخلف يزيد بن الوليد كتب عنه ثابت بن سليمان . فلما استخلف إبراهيم بن الوليد كتب عنه أيضا ثابت على عادته . فلما صارت الخلافة إلى مروان بن محمد بن مروان كتب عنه عبد الحميد بن يحيى مولى بني عامر إلى حين أنقراض الدول الأموية . ثم صارت الخلافة لبني العباس فأخذوا كتّابهم وزراء ، وكان أول خلفاء بني العباس أبو العباس عبد الله ابن محمد السفاح فأخذ أبا سلمة [حفص بن سليمان] الخلال^(٢) ، وهو أول وزير وزر في الإسلام ؛ ثم أستوزر معه [خالد بن] برمك وسليمان بن مخلد والربيع بن يونس ، قرأكت عليهم الأشغال ، وأتسمت عليهم الأمور ، فأفردوا للكتابات ديوانًا ، وكانوا يُعبرون عنه تارة بصاحب ديوان الرسائل ، وتارة بصاحب ديوان المكاتبات ، وتفرقت دواوين الإنشاء في الأقطار ، فكان بكل مملكة ديوان إنشاء ؛ وكانت الديار المصرية من حين الفتح الإسلامى وإلى الدولة الطولونية إمارة ، ولم يكن لديوان الإنشاء فيها كبير أمر . فلما أستولى أحمد بن طولون عظمت مملكتها وقوى أمرها فكتب عنه أبو جعفر محمد بن أحمد بن مودود . وكتب لولده نحمارويه إسحاق بن نصر

(١) هو الليث ابن أبي رقية ، كما فى حسن المحاضرة والطبرى . (٢) لم يتم لإبراهيم بن الوليد بن عبد الملك هذا أمر الخلافة ، فقد كان يسلم عليه جمعة بالخلافة وجمعة بالإمرة وجمعة لا يسلمون عليه بالخلافة ولا بالإمرة فكان على ذلك حتى قدم مروان بن محمد نخله . (راجع الطبرى ق ٢ ص ١٨٧٥) . (٣) فى الأصلين : « أبو مسلم الخلال » . والتصحيح والزيادة عن التنبيه والإشراف للسعودى والطبرى والفرغى فى الآداب السلطانية . (٤) تكملة عن المصادر المتقدمة .

- العبادى . وتوالت دواوين الإنشاء بذلك إلى حين أنقراض الدولة الإخشيدية .
- ثم كانت الدولة الفاطمية فعظم ديوان الإنشاء بها ، ووقع الاعتناء به واختيار بُلغَاء الكُتَّاب مابين ^(١١) مُسلم وذمى ، فكتب للعزير بن المعز في الدولة الفاطمية أبو المنصور بن جورس ^(١٢) النصرائى ، ثم كتب لابنه الحاكم ومات في أيامه ، وكتب للحاكم بعده القاضى أبو الطاهر النهركى . ثم تولى الظاهر بن الحاكم فكتب عنه أبو الطاهر المذكور . ثم تولى المسنصر فكتب عنه القاضى ولى الدين بن خيران ، وولى الدولة موسى بن الحسن بعد أنتقاله إلى الوزارة ، وأبو سعيد العميدى . ثم تولى الأمر والحافظ فكتب عنهما الشيخ أبو الحسن على بن أبى أسامة ^(١٣) الحلبي إلى أن توفى في أيام الحافظ ، فكتب بعده ولده أبو المكارم إلى أن توفى ، ومعه الشيخ أمين الدين تاج الرياسة أبو القاسم على بن سليمان بن منجب المعروف بآبن الصيرفى ، والقاضى كافى الكُفَّاء محمود آبن القاضى الموفق أسعد بن قادوس ، وآبن أبى الدم اليهودى ، ثم كتب بعد أبى المكارم القاضى الموفق بن الخلال بقية أيام الحافظ إلى آخر أيام العاضد آخر خلفائهم ، وبه تخرج القاضى الفاضل عبد الرحيم اليمسانى . ثم أشرك العاضد مع الموفق بن الخلال في ديوان الإنشاء القاضى جلال الدين محموداً

- ١٥ (١) كذا في الأصلين وحسن المحاضرة . وفي صبح الأعشى (ج ١ ص ٩٦) : « أبو المنصور ابن سورد بن النصرائى » . (٢) كذا في الأصلين . وفي حسن المحاضرة : « أبو الطاهر الهولى » . وفي صبح الأعشى « أبو الطاهر البهزكى » . وقد بحثنا في المصادر التى تحت أيدينا عن هذه النسب الثلاث فلم نثر على واحدة منها . (٣) هو ولى الدين أبو محمد أحمد بن على المعروف بآبن خيران الكاتب الشاعر (عن ابن خلكان في ترجمة على بن أحمد بن نوبخت) . (٤) في صبح الأعشى : « قبل أنتقاله إلى الوزارة ... » . (٥) في حسن المحاضرة : « أبو سعيد العبدى » . (٦) في الأصلين : « بعده » . وهو خطأ والتصويب عن حسن المحاضرة وصبح الأعشى . (٧) في الأصلين : « منجد » وتصحيحه عن الإشارة فيمن نال الوزارة ، وهى من مؤلفاته . (٨) في الأصلين وحسن المحاضرة : « بعد آبن أبى المكارم » . والتصحيح عن صبح الأعشى . وما تقدم ذكره لولف قريباً . (٩) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٤ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

الأنصارى . ثم كتب القاضي الفاضل بين يدي الموفق بن الخلال في وزارة صلاح الدين يوسف بن أيوب . ثم كانت الدولة الأيوبية ، فكتب للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب القاضي الفاضل المذكور ، ثم أضيفت إليه الوزارة . ثم كتب بعد الناصر لأبنيه العزيز ولأخيه العادل أبي بكر ، ثم مات العادل والفاضل .

قلت : هنا مجازفة لم يكتب القاضي الفاضل للعادل وكان بينهما مشاحنة ، ومات الفاضل قبل وصول العادل إلى مصر ، وقيل وقت دخول العادل من باب النصر إلى القاهرة كانت جنازة القاضي الفاضل خارجة . وقد ذكرنا ذلك كله في هذا الكتاب^(١) ، وإنما كتب الفاضل للعزيز عثمان ولولده الملك المنصور محمد ، فالتبس المنصور على الناقل بالعادل . انتهى .

قال : ثم تولى الكامل بن العادل فكتب له أمين الدين سليمان المعروف بكتاب الدريج إلى أن توفى ، فكتب له بعده الشيخ أمين الدين عبد المحسن [بن حمود] الحلبي مدة قليلة ؛ ثم كتب للصالح نجم الدين أيوب ، ثم ولى ديوان الإنشاء صاحب بهاء الدين زهير ، ثم صرف وولى بعده صاحب نحر الدين إبراهيم بن لقمان الإسعدي ، فبقي إلى أنقراض الدولة الأيوبية . فلما كانت الدولة التركية كتب للعزيزيك صاحب نحر الدين المذكور ، ثم بعده للظفر قطز ، ثم للظاهر بيبرس ، ثم للمنصور قلاوون ، ثم نقله قلاوون من ديوان الإنشاء للوزارة ، وولى ديوان الإنشاء مكانه القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر فكتب عنه بقية أيامه ؛ ثم كتب لأبنيه الأشرف خليل إلى أن توفى ، فولّى مكانه القاضي تاج الدين [أحمد]^(٢) بن الأثير فكتب إلى أن

(٢) الزيادة عما تقدم ذكره للوف في حوادث

(١) راجع حوادث سنة ٥٩٦ هـ .

(٣) الزيادة عن صبح الأمل .

سنة ٦٤٣ هـ وحسن المحاضرة .

- تُوفِّي ؛ فكتب بعده القاضي شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله فكتب بقية أيام الأشرف . فلما تولى أخوه الناصر محمد كتب عنه القاضي شرف الدين المذكور في سلطته الأولى ثم في أيام العادل كتباً ثم أيام المنصور لاجين ثم في أيام سلطنة الناصر محمد الثانية ؛ ثم نقله إلى كُتَّاب السَّرِّ بدمشق عَوْضًا عن أخيه القاضي محي الدين ، وتولى مكانه بمصر القاضي علاء الدين [بن تاج الدين] بن الأثير فبقي حتى مَرِضَ بالفالج فاستدعى الملك الناصر محي الدين بن فضل الله من دمشق وولده شهاب الدين [أحمد] وولاهما ديوان الإنشاء بمصر . ثم ولى بعدهما القاضي شمس الدين ابن الشهاب محمود فَبَقِيَ إلى عَودِ السلطان من الحج فأعاد القاضي محي الدين وولده القاضي شهاب الدين إلى ديوان الإنشاء بمصر فَبَقِيَاً مَدَّةً . ثم تَغَيَّرَ السلطان على القاضي شهاب الدين وصرفه عن المباشرة ، وأقام أخاه القاضي علاء الدين وكلاهما معينين لوالده لِكِبَرِ سِنِهِ ، ثم سأل القاضي محي الدين السلطان في العَودِ إلى دمشق فأعاده وصحبته ولده شهاب الدين ؛ واستمر ولده القاضي علاء الدين بالديار المصرية فبأشر بقية أيام الناصر ، ثم أيام ولده الملك المنصور ، ثم أيام الأشرف بكك ، ثم أيام الناصر أحمد إلى أن خَلَعَ نفسه وتوجه إلى الكَرَكِ معه القاضي علاء الدين ؛ فلما تولى الملك الصالح إسماعيل السلطنة

- ١٥ (١) هو عبد الوهاب بن فضل الله بن المجمل بن دجمان بن خلف القاضي شرف الدين القرشي العمري . توفي سنة ٥٧١٧ هـ . (عن المنهل الصافي وشذرات الذهب) .
 (٢) هو يحيى بن فضل بن المجمل بن دجمان القاضي الكبير الرئيس محي الدين أبو المعالي القرشي العدوي العمري . توفي سنة ٥٧٣٨ هـ . (عن الدرر الكامنة) . (٣) نكحة عن حسن المحاضرة .
 (٤) زيادة عن الدرر الكامنة والمنهل الصافي . توفي سنة ٥٧٤٩ هـ . (٥) في الأصلين : « وولاه » .
 والسياق يقتضي ما أثبتناه . (٦) في الأصلين وصحح الأعشى : « شرف الدين » . وما أثبتناه عن المنهل الصافي وشذرات الذهب والدرر الكامنة . وهو محمد بن محمود بن سليمان بن فهد . توفي سنة ٥٧٢٧ هـ .
 (٧) هو علاء الدين علي بن يحيى بن فضل الله . توفي سنة ٥٧٦٩ هـ . كما سيذكر المؤلف بعد قليل .
 (٨) هو السلطان الملك المنصور سيف الدين أبو بكر ابن السلطان الملك الناصر أبي المعالي بن المنصور فلاورن الذي تـسلـطـن بعد وفاة أبيه سنة ٥٧٤١ هـ .

بمصر بعد أخيه الناصر أحمد قزّر القاضي بدر الدين محمد ابن القاضي محي الدين بن فضل الله عوضاً عن أخيه علاء الدين .

قلت : لم يل بدر الدين محمد بعد أخيه علاء الدين الوظيفة استقلالاً وإنما ناب عنه إلى حين حضوره . انتهى .

قال : ثم أعيد علاء الدين أيام الصالح إسماعيل وأيام الكامل شعبان ، ثم أيام المظفر حاجي ثم أيام الناصر حسن في سلطته الأولى ، ثم في أيام الصالح صالح ، ثم في أيام الناصر حسن في سلطته الثانية ، ثم أيام المنصور محمد ابن المظفر حاجي ، ثم في أيام الأشرف شعبان وتوفّي في أيامه .

قلت : وكانت وفاته في شهر رمضان سنة تسع وميتين وسبعائة بعد أن باشر كتابة السرى نيفاً وثلاثين سنة لأحد عشر سلطاناً .

قال : ثم ولي الوظيفة بعده ولده بدر الدين محمد ابن القاضي علاء الدين ، فباشر بقية أيام الأشرف شعبان ، ثم ولده المنصور عليّ ، ثم أخيه الملك الصالح حاجي بن شعبان إلى أن خلع بالظاهر برقوق ، فاستقر برقوق بالقاضي أوحد الدين عبد الواحد ابن إسماعيل التركمانيّ إلى أن توفّي .

قلت : وكانت وفاته في ذى الحجة سنة ستّ وثمانين وسبعائة .

(١) توفّي سنة ٧٤٦ هـ عن المنهل الصافي والدرر الكامنة وما سيذكره المؤلف .

(٢) هو الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون . تولى السلطة سنة ٧٦٤ هـ وتوفّي سنة ٧٧٨ هـ وهو غير الكامل شعبان بن محمد بن قلاوون الذي ولي السلطة في سنة ٧٤٦ هـ وتوفّي سنة ٧٤٧ هـ كما سيأتي ذكره للمؤلف . (٣) سيذكر المؤلف سنة وفاته بعد قليل . (٤) هو أوحد الدين عبد الواحد بن إسماعيل بن يس بن أبي حسن الإفريقيّ ثم المصريّ الحنفى سبط القاضي كال الدين بن التركمانيّ . (عن شذرات الذهب والمنهل الصافي) .

قال : ثم أُعيد بدر الدين فباشر حتى خُلِع الظاهر برقوق بالمنصور حَاجِيٌّ ،
فاستمر بدر الدين إلى أن عاد برقوق إلى سلطته الثانية ، صرفه بالقاضي علاء الدين
علي بن عيسى الكركي ، ثم صَرَف الكركي .

قلت : ومات معزولا في شهر ربيع الأول في سنة أربع وتسعين وسبعمائة .

قال : ثم أُعيد القاضي بدر الدين من بعد عزَل القاضي علاء الدين فاستمر
بدر الدين إلى أن عاد برقوق فتوفى بِدَمَشَق .

قلت : ووفاته في شوال سنة ست وتسعين وسبعمائة .

قال : وولي بعده القاضي بدر الدين محمود الكُكُستَاني فباشر إلى أن تُوُفِّي .

قلت : وكانت وفاته في عاشر جمادى الأولى سنة إحدى وثمانمائة .

قال : فتولى بعده القاضي فتح الدين فتح الله ^(١) [التَّبْرِيْزِيّ] فباشر بقية أيام
الظاهر ، ومدة من أيام الناصر إلى أن صَرَفه الناصر فرج بالقاضي سعد الدين بن
غُرَاب مائة يسيرة ، ثم صَرَف ابن غُرَاب وأُعيد القاضي فتح الله ثانيا ، فباشر
إلى أن صَرَف بالقاضي نحر الدين بن المزوق ، فباشر مدة يسيرة ، ثم صَرَف وأُعيد
فتح الله فباشر إلى أن صَرَفه الملك المؤيد شيخ وقَبَض عليه وصادره .

قلت : ومات تحت العقوبة خُنْفًا في ليلة الأحد خامس عشر شهر ربيع الأول
سنة ست عشرة وثمانمائة ، وهو فتح الله بن مستعصم بن تَقِيْس التَّبْرِيْزِيّ الحنفي
الدَّوُودِي ، يأتي ذكره هو وغيره من كُتَاب السِّرِّ في محلهم من هذا الكتاب إن شاء
الله تعالى .

(١) زيادة عن حسن المحاضرة وما سيذكره المؤلف بعد قليل . (٢) هو سعد الدين إبراهيم

ابن عبد الرزاق بن غُرَاب . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٥٨٠ هـ . (٣) هو نحر الدين ماجد ، ويدعى
عبد الله ، بن السيد أبي الفضائل بن سناء الملك المعروف بابن المزوق . سيذكره المؤلف سنة ٥٨٣ هـ .

- قال : وتَوَلَّى بعده القاضي ناصر الدين محمد البارِزِي^(١) فباشر إلى أن تُوُفِّي .
- قلت : وكانت وفاته يوم الأربعاء ثامن شوال سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة ، ومولده بِمَحَاة في يوم الاثنين رابع شوال سنة تسع وستين وسبعائة^(٢) . وتولى بعده ولده القاضي كمال الدين محمد بن البارِزِي ، فباشر إلى أن صرفه الملك الظاهر ططر وولَّى^(٣) علم الدين داود [بن عبد الرحمن] بن الكُوَيْزِي ، فباشر إلى أن تُوُفِّي سنة ست وعشرين وثمانمائة في دولة الملك الأشرف بُرْسَبَاي . وولَّى بعده جمال الدين يوسف بن الصَّغِي^(٤) الكَرَكِي فباشر قليلاً إلى أن صُفِر بقاضي القضاة شمس الدين محمد الهَرَوِي ، ودام الكَرَكِي بعد ذلك وباشر عِدَّة وظائف بالبلاد الشامية إلى أن تُوُفِّي في حدود سنة خمس وخمسين وثمانمائة ، وباشر الهَرَوِي إلى أن عُزِل بقاضي القضاة نجم الدين عمر ابن حُجِّي ، فباشر ابن حُجِّي إلى أن عُزِل وتوجَّه إلى دِمَشْق على قضائها ، ودام إلى أن قُتِل بها في ذى القعدة سنة ثلاثين وثمانمائة ، وولَّى بعده القاضي بدر الدين محمد [ابن محمد بن أحمد] بن مُزْهِر ، واستمر إلى أن مات في ليلة الأحد سابع عشرين بِمَحَادَى الآخرة من سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة . وولى بعده ابنه جلال الدين ؛ وقيل^(٥) بدر الدين محمد مدة يسيرة . وصُفِر بالشريف شهاب الدين أحمد [بن علي بن إبراهيم ابن عَدْنَانَ] الحُسَيْنِي الدمشقي ، فباشر مدة يسيرة وتُوُفِّي بالطاعون في سنة ثلاث وثلاثين ،
- (١) هو ناصر الدين أبو المعالي محمد ابن القاضي كمال الدين محمد بن عز الدين محمد بن عثمان الجهنِي الحموي الشافعي المعروف بابن البارِزِي كاتب السر الشريف . (٢) في الأصلين هنا : « سنة سبع وستين وسبعائة » . وما أثبتناه عما سيذكره المؤلف في سنة وفاته . (٣) سيذكر المؤلف وفاته بعد قليل في ولايته الثالثة . (٤) زيادة عما سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٨٣١ هـ والمنهل الصافي . (٥) سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٨٥٦ هـ . (٦) هو شمس الدين محمد بن عطاء الله بن محمد بن محمود بن أحمد بن فضل الله بن محمد الرازي الحموي الشافعي . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٨٢٩ هـ . (٧) التكللة عن المنهل الصافي وما سيذكره المؤلف في سنة وفاته . (٨) سيذكر المؤلف وفاته سنة ٨٣٣ هـ . (٩) زيادة عن المنهل الصافي وما سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٨٣٣ هـ .

- وولى بعده أخوه نحو الجمعة بغير خَلْعَةٍ وتُوُفِّي بالطاعون أيضا . وولى بعدهما شهاب الدين أحمد [بن صالح بن أحمد بن عمر المعروف بآ] بن السَّفَاح الحَلَبِي فباشر إلى أن مات في سنة خمس وثلاثين . وولى بعده الوزير كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ مضافا للوزارة ، فباشر أشهراً وصُرف ؛ وأُعيد القاضي كمال الدين محمد بن البارِزِي في يوم السبت العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين ، فباشر إلى أن صُرف يوم الخميس سابع شهر رجب سنة تسع وثلاثين ؛ وولى مكانه الشيخ مُحِب الدين محمد ابن الأشقر فباشر إلى أن صرف ، وولى صلاح الدين محمد ابن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ، فباشر إلى أن تُوُفِّي بالطاعون في سنة إحدى وأربعين ، وولى مكانه والده الصاحب بدر الدين حسن فباشر إلى أن صُرف ، وأُعيد القاضي كمال الدين بن البارِزِي في يوم الثلاثاء سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة ، وهي ولايته الثالثة ؛ فباشر إلى أن تُوُفِّي بكرة يوم الأحد سادس عشرين صفر سنة ست وخمسين وثمانمائة . ولم يُخَلَف بعده مثله ، وولى بعده القاضي محب الدين محمد بن الأشقر المقدم ذكره ، وباشر إلى أن صَرَفَه الملك الأشرف إينال بالقاضي مُحِب الدين محمد بن الشَّحْنَة الحَلَبِي ، فباشر ابن الشَّحْنَة أشهراً ثم صُرف ، وأُعيد القاضي محب الدين محمد بن الأشقر وهي ولايته الثالثة . انتهى .

١٥

قلت : وغالب من ذكرناه من هؤلاء الكُتَّاب قد تقدم ذكر أكثرهم ، ويأتي ذكر باقيهم في محلهم من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى . وقد استطرَدنا من ترجمة الملك المنصور إلى غيرها ، ولكن لا بأس بالتطويل في تحصيل الفوائد . انتهى .

(١) الكلمة عن المنبل الصافي وما سيذكره المؤلف في سنة وفاته . (٢) هو الوزير الصاحب

كريم الدين عبد الكريم ابن الوزير الصاحب تاج الدين عبد الرزاق ابن شمس الدين عبد الله المعروف بابن كاتب المناخ ، سيذكر المؤلف وفاته سنة ٨٥٢ هـ .

٢٠



السنة الأولى من سلطنة الملك المنصور قلاوون على مصر وقد تقدم ذكرها
في ترجمة الملك السعيد ، والملك العادل سَلامش وَلَدِي الملك الظاهر بيبرس ، وهي
سنة ثمان وسبعين وستمائة ، فإنه حَكَمَ فيها من شهر رجب إلى آخرها .



وهذه السنة الثانية من ولاية الملك المنصور قلاوون المذكور ، وهي سنة
تسع وسبعين وستمائة .

فيها تُوُفِيَ الشيخ مُحيي الدين أبو العباس أحمد [بن علي^(١) بن عبد الواحد بن السابق
الحلبي العدل الكبير ، كان من أكابر بيوت حلب ، وكان عنده فضيلة ورياسة
ومات بدمشق في ذي الحجة .

وفيها تُوُفِيَ الأمير سيف الدين ، وقيل صارم الدين ، أَزَبَك بن عبد الله الحلبي
العدل الكبير ، كان من أعيان أمراء دِمَشْق ، وهو منسوب إلى أستاذه الأمير
عز الدين أَيْتَك الحلبي ، وكان قد تجرد إلى بَعْلَبَك فتمرض بها ، فحُمِلَ في حِفْظَةٍ إلى
دِمَشْق ، فمات بها في شوال .

وفيها تُوُفِيَ الأمير جمال الدين آقوش بن عبد الله الشَّمْسِي ، كان من أعيان
الأمراء وأماثلهم وشجعانهم ، وهو الذي أمسك الأمير عز الدين أَيْدَمُر الظاهري ،
وهو الذي باشر قتل كَتَبُغَا نُورِين مقدم التار يوم عَيْن جالوت ، وكان ولي نيابة
حلب في السنة الخالصة ، ومات بها في يوم الاثنين خامس المحرم ودُفِنَ بحلب ، وهو
في عشر الخمسين .

(١) النكتة عن تاريخ الإسلام .

وفيهما تُوفِّي الشيخ الإمام كمال الدين أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الحنفى - الفقيه العَدْل ، كان من أعيان الفقهاء العدول ، وكان كثير الديانة والتعبّد ، وهو أخو قاضى القضاة شمس الدين الحنفى ^(١) .

وفيهما تُوفِّي الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد [بن أبوب بن أبى رحلة] ^(٢) الحنفى المولد والدار البعلبكي الوفاة ، كان فاضلاً ظريفاً أديباً شاعراً ، ومما ينسب إليه من الشعر قوله :

والدهرُ كالطيفِ بؤساء وأنعمهُ * عن غير قصدٍ فلا تمحّد ولا تلم
لاتسألِ الدهرَ في البأساء يكشفها * فلوسالتَ دوامَ البؤس لم يدم

وفيهما تُوفِّي الأديب الفاضل الشاعر المُفَتِّى جمال الدين أبو الحسين يحيى ابن عبد العظيم بن يحيى بن محمد بن على - المصرى - المولد والوفاة ، المعروف بالجزّار ، الشاعر المشهور أحد فحول الشعراء في زمانه . مولده سنة إحدى وستائة ^(٣) . ومات يوم الثلاثاء ثمانى عشر شوال ومُؤَيِّن بالقرافة ، وكان من محاسن الدنيا ، وله نوادر مُستظرفةٌ ومُداعبات ومُفاوضات مع شعراء عصره ، وله ديوانٌ شعر كبير .

قال الشيخ صلاح الدين الصَّفْدِى : لم يكن في عصره من يُقاربه في جَوْدَةِ النظم غير السَّراج الوزّاق ، وهو كان فارس تلك الحَلَبَةِ ، ومنه أخذوا ، [و] على نَمِطِهِ نسجوا ، ومن مادّته استمدّوا . انتهى كلام الصَّفْدِى .

(١) هو شمس الدين عبد الله بن محمد بن عطاء الأذرى الحنفى قاضى القضاة أبو محمد . تقدّمت وفاته فيمن تقل المؤلف وفاتهم عن الدهى سنة ٦٧٣ هـ . (٢) زيادة عن عيون التواريخ والذيل على مرآة الزمان وعقد الجمان . (٣) كذا في الأصلين وذيل مرآة الزمان وعيون التواريخ في إحدى روايته . وروايته الثانية وتاريخ الإسلام والميل الصافى أن مولده سنة ٦٠٣ هـ . (٤) في الذيل على مرآة الزمان : « ومكاتبات » . (٥) هو أبو حفص عمر بن محمد السراج الوراق . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٩٥ هـ .

قلت : ونذكر قطعة من شعره فن ذلك قوله :

أَكْلَفَ نَفْسِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ * هُمُومًا عَلَى مَنْ لَا أَفُوزُ بِخَيْرِهِ^(١)

كَأَسْوَدِ الْقَصَارِ بِالشَّمْسِ وَجْهَهُ * لِيَجْهَدَ فِي تَبْيِضِ أَثَوَابٍ غَيْرِهِ

وقيل : إنه بات ليلة في رمضان عند صاحب بهاء الدين بن حنا، فصلّى عنده

التراويح وقرأ الإمام في تلك الليلة سورة الأنعام في ركعة واحدة؛ فقال أبو الحسين :

مَالِي عَلَى الْأَنْعَامِ مِنْ قُدْرَةٍ * لَا سِيَّمَا فِي رَكْعَةٍ وَاحِدَةٍ

فَلَا تَسُومُونِي حُضُورًا سِوَى * فِي لَيْلَةِ الْأَنْفَالِ وَالْمَائِدَةِ

ومن شعره :

طَرَفَ الْحُبِّ فَمُ يُدَاعِ بِهِ الْجَوَى * وَالدمْعُ إِنْ صَمَتَ اللِّسَانُ لِسَانُ^(٢)

تَبْكِي الْجَفُونَ عَلَى الْكَرَى فَأَتَجَبَّلُنَّ * تَبْكِي عَلَيْهِ إِذَا نَأَى الْأَوْطَانُ

وفيها تُوقِّ الشَّيْخُ الْإِمَامُ عِمَادُ الدِّينِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ هِلَالِ بْنِ عَبَّادِ الْجَلِيلِيِّ^(٣) الْحَنْفِيُّ

مُعِيدُ الْمَدْرَسَةِ الشَّيْئَلِيَّةِ . كَانَ إِمَامًا حَالِمًا صَالِحًا مُنْقَطِعًا عَنِ النَّاسِ مُشْتَغَلًا بِنَفْسِهِ ،

وكَانَ مَعْدُودًا مِنَ الْعُلَمَاءِ ، أَفْتَى وَأَعَادَ وَدَرَسَ وَأَنْتَفَعَ بِهِ النَّاسُ وَمَاتَ فِي تَامِعِ عَشْرِ

شَهْرِ رَجَبٍ ، وَقَدْ كَمَّلَ لَهُ مِائَةٌ سَنَةٍ وَأَرْبَعٌ سِنِينَ . وَرَوَى عَنْهُ أَبُو الْزَّيْدِ^(٤) ؛ وَرَوَى

بِالْإِجَازَةِ الْعَامَّةِ عَنِ السَّلْفِيِّ .

(١) في الأصلين : « شرورا » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ والمنهل الصافي .

(٢) قبل هذين البيتين ، كما في عيون التواريخ وذيل مرآة الزمان ، هذا البيت :

سر القلوب تذيبه الأجفان * هيات ينفع مفرما كمان

(٣) كذا في الأصلين . وفي تاريخ الإسلام للذهبي : « ابن عباد الجليل » . وفي تراجم الجمان للقبوي

والذيل على مرآة الزمان : « المعروف بالحنلي » .

(٤) هو سراج الدين الحسين بن أبي بكر المبارك بن محمد الزبيدي . تفرغمت وفاته سنة ٦٣١ هـ .

فيمن نقل المؤلف فاتهم عن الذهبي .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها تُوِّقَ الفقيه شمس الدين محمد بن عبد الله [بن محمد بن عمر بن مسعود] بن النّ . والأديب البارع أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم الجزار بمصر . وشيخ الرافضة النّجيب أبو القاسم بن الحسين ابن العود الحليّ بجزيّ في شعبان . والشيخ الزاهد يوسف [بن تبحّاح بن موهوب] الفُقاعيّ بزأويته بقاسيون .

§ أمر في هذه السنة — الماء القديم ثلاث أذرع وخمس أصابع . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وثلاث وعشرون إصبعا .



السنة الثالثة من ولاية السلطان الملك المنصور قلاوون على مصر، وهي

سنة ثمانين وستمائة .

١٠

فيها تَرَبَّتْ جزيرة كبيرة ببحر النيل تجاه قرية بُولاق واللّوق^(٤)، وأقطع بسببها تجرى البحر ما بين قلعة المقس وساحل باب البحر والرّملة وبين جزيرة الفيل^(٥)؛ ولم يعمد هذا فيما تقدّم، وحصل لأهل القاهرة مَشَقَّةٌ يسيرةٌ من قتل الماء لبعُد البحر عنهم؛ وأراد السلطان حفره فنعه، وقالوا له : هذا نَشَفٌ إلى الأبد .

قلت : وكذا وقع، وغالب أملاك باب البحر والبساتين خارج باب البحر وداخله هي مكان البحر الذى نَشَفَ، وآلتصقت المباني والبساتين بجزيرة الفيل وصارت غير جزيرة، فسبحان القادر على كل شيء !

- (١) تكملة من تاريخ الإسلام . (٢) زيادة عن تاريخ الإسلام وشفرات الذهب .
 (٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٧ من هذا الجزء . (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٠٨ من هذا الجزء . (٥) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٨ من هذا الجزء . (٦) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٩ من هذا الجزء . (٧) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٠٩ من هذا الجزء .

وفيهما تُوُفِيَ الشيخ الصالح المولاهُ الْمُتَقَدِّدُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدِ الشَّاعُورِيِّ المعروف بِجَيْعَانَةَ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ سَابِعِ جُمَادَى الْأُولَى بِدَمَشَقٍ ، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ الْمُؤْمِنِينَ بِسَفْحِ قَاسِيُونِ ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ نَحْوُ سَبْعِينَ سَنَةً ، وَكَانَتْ لَهُ جَنَازَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَكَانَ لَهُ أَحْوَالٌ وَمَكَاشِفَاتٌ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

٥ وفيها تُوُفِيَ مَلِكُ التُّتَارِ أَبْنَا بْنُ هُوَلَاكُو بْنِ تُوَلِي خَانِ بْنِ جِنْجِيْزْ خَانِ مَلِكِ التُّتَارِ وَطَاغِيَّتِهِمْ ، كَانَ مَلِكًا جَلِيلَ الْقَدْرِ عَلَى الْهَيْمَةِ شَجَاعًا مِقْدَامًا خَبِيرًا بِالْحَرْبِ ، لَمْ يَكُنْ بَعْدَ وَالِدِهِ مِثْلُهُ ، وَكَانَ عَلَى مَذْهَبِ التُّتَارِ وَأَعْتَقَادِهِمْ ، وَمَمْلَكَتُهُ مَنَسُوعَةٌ جَدًّا وَعَسَاكِرُهُ كَثِيرَةٌ ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ كَلِمَتُهُ مَسْمُوعَةٌ فِي جَنْدِهِ مَعَ كَثَرَتِهِمْ . وَلَمَّا تَوَجَّهَ أَخُوهُ مَنكُوتْمَرْ بِالْعَسَاكِ إِلَى جِهَةِ الشَّامِ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَنْ رَأْيِهِ بَلْ أُشِيرَ عَلَيْهِ فَوَافَقَ ، وَنَزَلَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ الرَّحْبَةَ ، أَوْ بِالْقُرْبِ مِنْهَا ، فَلَمَّا بَلَغَ أَبْنَا كَسْرَةً مَنكُوتْمَرْ رَجَعَ إِلَى هَمْدَانَ فَاتَتْ غَمًّا وَكَدًّا وَمَاتَ مَنكُوتْمَرْ بَعْدَ أَخِيهِ أَبْنَا بِمَدَّةٍ يَسِيرَةٍ بَيْنَ الْعَبِيدِ ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ نَحْوِ خَمْسِينَ سَنَةً ، وَقِيلَ : ثَلَاثِينَ سَنَةً وَالثَّانِي أَرْبَعٌ . وَمَاتَ بَعْدَهُ بِيَوْمَيْنِ أَخُوهُ آجَانِي عَلَى مَا يَأْتِي ذَكَرَ مَنكُوتْمَرْ فِي الْقَابِلَةِ .

١٥ وفيها تُوُفِيَ التَّاجِرُ نَجْمُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْمُظْفَرِ بْنِ الْحَلِيِّ ، كَانَ ذَا نِعْمَةٍ صَخْمَةٍ وَثَرَّةٍ ظَاهِرَةٍ ، وَأُمُورٍ جَمَّةٍ ، وَلَهُ التَّقَدُّمُ فِي الدَّوْلَةِ .

٢٠ وفيها تُوُفِيَ الشَّيْخُ مُوَفَّقُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَوْسُفَ الْمَعْرُوفُ بِالْكَوَاشِيَّةِ (٢) الْإِمَامُ الْعَالِمُ الْمُفَسِّرُ صَاحِبُ التَّفْسِيرِ الْكَبِيرِ وَالتَّفْسِيرِ الصَّغِيرِ وَهُمَا مِنْ أَحْسَنِ التَّفَاسِيرِ ، وَكَانَتْ لَهُ الْيَدُ الطُّوَلَى فِي الْقُرْآنِ وَمِشَارَكَةٌ فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعُلُومِ ، وَكَانَ مَقِيماً

(١) فِي الْأَصْلَيْنِ : « فَلَمَّا بَلَغَ مَنكُوتْمَرْ الْكِسْرَةَ رَجَعَ إِلَى هَمْدَانَ فَاتَتْ غَمًّا وَكَدًّا بَعْدَ أَخِيهِ أَبْنَا ... الخ » .

وَتَصَحَّحَ هَذِهِ الْعِبَارَةَ عَنْ عِيُونِ التَّوَارِيخِ وَالْمَثَلِ الصَّافِي وَالذَّبِيلِ عَلَى مَرَأَةِ الزَّمَانِ وَتَرَاثُهَا .

(٢) الْكَوَاشِي (بِالْفَتْحِ وَالتَّخْفِيفِ) : نَسَبٌ إِلَى كَوَاخِشَ ، قَلْعَةٍ بِالْمَوْصِلِ (عَنْ لُبِّ الْبَابِ وَشَذَرَاتِ

الذَّهَبِ وَذَبِيلُ مَرَأَةِ الزَّمَانِ) .

بالجامع العتيق بالموصل متقطعاً عن الناس مجتهداً في العبادة لا يقبل لأحد شيئاً، وكان يزوره الملك ومن دونه فلا يقوم لهم ولا يجيبهم، وكان له مجاهدات وكشوف وكرامات، ولأهل تلك البلاد فيه عقيدة. ومات وله تسعون سنة تقريباً، وكانت وفاته في سابع عشر جمادى الآخرة بالموصل ودُفن بها.

- وفيها توفى الأمير عز الدين المعروف بالحاج أزدمر بن عبد الله الجمدار، كان من أعيان الأمراء، وكان ممن أنضاف إلى سقر الأشقر لما تسلم، وكان سنقر جعله نائباً بدمشق، ووقع له أمورٌ ذكرنا بعضها في أول ترجمة الملك المنصور قلاوون إلى أن استشهد في واقعة التار مع المنصور قلاوون بظاهر حصن مقبلاً غير مدبر رحمه الله وتقبل منه.

- ١٠ وفيها توفى الأمير عز الدين أبيك بن عبد الله الشجاعى الصالحى الميادى والى الولاية بالجهات القبلية، كان ديناً خيراً لين الجانب شديداً على أهل الرب وجيهاً عند الملوك، وكان الملك الظاهر يبرس يعتمد عليه في أموره؛ ثم إنه ترك الأمر باختياره ولزم داره إلى أن مات بدمشق في جمادى الآخرة، وقد بلغ خمسا وعشرين سنة.

وفيها توفى الأمير بدر الدين بكتوت بن عبد الله الحارثى نزار، استشهد أيضاً في واقعة التار بيمينه وكان أميراً جليلاً.

١٠

وفيها توفى الأمير سيف الدين بلبان الرومى النوادر المقتسم ذكره في فضية كتاب السر، كان الملك الظاهر يبرس يعتمد عليه وولاه دواً داراً، وكان المطلق

(١) في أحد الأصلين : « في سابع رجب » . وفي الأصل الآخر : « في سابع عشر رجب » .
والتصحیح عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب وغاية النهاية . (٢) كذا في الأصلين والذيل

٢٠

على امرأة الزمان . وفي تاريخ الإسلام للذهبي : « والى إقليم حوران والسواد » .
(٣) في تاريخ الإسلام : « بلبان الرومى » بالذال .

على أسرارِهِ ، وتديرُ أمورَ القُصَّادِ والجوَّاسِيسِ والمكاتباتِ لا يُشَارِكُهُ في ذلكَ وزيرٌ ولا نائبٌ سلطنةً ، بل كان هو والأميرُ حُسامُ الدينَ لاجينَ الأيدُمِرِيَّ المعروف بالترَفِيلِ ، فلما تُوفِّيَ لاجينَ المذكورُ انفردَ بَلْبَآنُ بذلكَ وحدهُ ، وكان مع هذه الخصوصيةِ عندَ الملكِ الظاهرِ أميرَ عشرةٍ ، وقيلَ جندياً .

قال الصَّفَدِيُّ : لم يُؤمِّرْهُ طبلخاناهُ إلى أن ماتَ الملكُ الظاهرُ أنعمَ عليه ولده الملكُ السعيدُ بِإمرةٍ ستينَ فارساً بالشامَ ، وبقيَ بعد ذلكَ إلى أن استشهدَ بظاهرِ خمسِ رحمه الله وقد نيفَ على ستينَ سنة .

وفيهما تُوفِّيَ الأميرُ شمسُ الدينَ سُتْقُرُ بنَ عبدِ الله الأتَمِيَّ ، كان من أعيانِ الأمراءِ الظاهريةِ ، وولى نيابةَ السلطنةِ بمصرَ للملكِ السعيدِ بعد موتِ الأميرِ بدرِ الدينِ بِيَلِيكِ الخازِنْدَارِ ، وباشرَ النيابةَ أحسنَ مُباشرةٍ إلى أن استعفى فأعفى ، وولى النيابةَ عوضَه الأميرُ كُوندَكُ ، فكانَ ذهابُ الدولةِ على يده . ثم قبضَ الملكُ المنصورُ على سُتْقُرُ هذا واعتقله بالإسكندريةِ ، وقيلَ بقلعةِ الجبلِ ، إلى أن ماتَ ، وله من العمرِ نحو أربعينَ سنة .

وفيهما تُوفِّيَ الشيخُ علاءُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمودِ بنِ الحسنِ بنِ نَهْبانَ اليَشْكُرِيَّ ثم الربيعيَّ ، كان له اليدُ الطولى في علمِ الفلكِ ، وتفردَ بِجَلِّ الأزياجِ وعَمَلِ التقاويمِ ، وغلبَ ذلكَ عليه مع فضليةٍ تامةٍ في علمِ الأدبِ وجودةِ النظمِ . ومن شعره :

ولما أتاني العاذِلونَ عِدَّتُهُم * وما منهمُ إلا لِلْيَمِيِّ قارِضُ
وقد يَهْتُمُّوا لما رأوني شاحِباً * وقالوا به عينٌ فقلتُ وعارضُ

وله :

إني أغارُ من النِّسيمِ إذا سَرَى * بأريجِ عَرَفِكَ خيفةً من ناشِقِ

(١) في ذيلِ مرآةِ الزمانِ : « وقد نيفَ على خمسينَ سنة » .

(١) وأود لو سهرت لا من علة * حذراً عليك من الخيال الطارق

قلت : وأجاد الصاحب جمال الدين يحيى بن مطروح في هذا المعنى حيث قال :

فلو أمتى على تلقى مصرًا * لقلت معذبى بالله زدنى

ولا تسمع بوصلك لى فائى * أغار عليك منك فكيف منى

ومثل هذا أيضا قول حفصة المغربية ، رحمها الله :

(٢) أغار عليك من غيرى ومنى * ومنك ومن مكانك والزمان

ولو أأتى خباتك فى جفونى * إلى يوم القيامة ما كفاينى

وفىها توفي الشيخ الإمام الأديب البارع بدر الدين يوسف بن لؤلؤ بن عبد الله

الذهبي الشاعر المشهور ، كان أبوه لؤلؤ عتيق الأمير بدر الدين صاحب تلّ باشر . ١٠

وكان بدر الدين هذا فاضلاً شاعراً ماهراً . ومن شعره مما كتبه للشيخ نجم الدين

[محمد] بن إسرائيل وله صاحب يميل إليه يسمى بالجارح :

قلبك اليوم طائر * عنك فى الجوائح

كيف يربى خلاصة * وهو فى كف جارح

(١) رواية هذا المصراع فى ذيل مرآة الزمان :

١٥

* وأود لو مهدت جفونى فى الكرى *

(٢) هى حفصة بنت الحاج الركونية الشاعرة الأدبية المشهورة بالجمال والحسب والمال . (عن

فتح الطيب ج ٢ ص ٥٣٩) . (٣) رواية هذين البيتين فى فتح الطيب :

أغار عليك من عيني رقيب * ومنك ومن زمانك والمكان

٢٠

ولو أأتى خباتك فى عيوني * إلى يوم القيامة ما كفاينى

(٤) زيادة عما تقدم ذكره للأولف ص ٢٨٢ من هذا الجزء .

ومن شعره في دولاب :

ورَوْضَةٍ دُولَابُهَا * إِلَى الْفُصُونِ قَدْ شَكَا
مَنْ حِينَ ضَاعَ زَهْرُهَا * دَارَ عَلَيْهِ وَبَكَى
وله :

يَا عَاذِلِي فِيهِ قُلُوبِي * إِذَا بَدَأَ كَيْفَ أَسْلُو^(١)
يَمُزُّبِي كُلَّ حِينٍ * وَكَلِمَا مَرَّ يَحْلُو
وله :

حَلَا نَبَاتُ الشَّعْرِ يَا عَاذِلِي * لَمَّا بَدَأَ فِي خَذِهِ الْأُخْمَرِ
فَشَاقَنِي ذَاكَ الْعِذَارُ الَّذِي * نَبَاتُهُ أَحْلَى مِنَ السُّكَّرِ
وله في غلام على وجهه حَبَّ شَبَابٍ :

تَعَشَّقْتُهُ لَدُنَ الْقَوَامِ مُهَفِّقًا * تَنَبَّهْتُ إِلَيْهِ أَوْحَى الْمَرَاشِفَ أَشْنَبًا
وَقَالُوا بَدَأَ حَبُّ الشَّبَابِ بِوَجْهِهِ * فَبَا حُسْنَهُ وَجْهًا إِلَى مُجِيبَا
وله :

رَفَقًا بِصَبِّ مُفْرَمٍ * أَبْلَيْتَهُ صَدًّا وَهَجْرًا
وَأَفَاكَ سَائِلُ دَمْعِهِ * فَرَدَدَتْهُ فِي الْحَالِ نَهْرًا

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها تُوُفِّيَ العلامة الزاهد موفق الدين أحمد بن يوسف الكواشي^(٢) المفسر بالموصل في مجامد الآخرة ، وقد جاوز التسعين . والقاضي نجم الدين محمد ابن القاضي صدر الدين بن سني الدولة بدمشق

(١) رواية هذا المصراع في ذيل مرآة الزمان وتاريخ الإسلام :

* عَنْ حَبِّهِ كَيْفَ أَسْلُو *

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٤٨ من هذا الجزء . (٣) هو محمد بن أحمد بن

يحيى بن هبة الله بن الحسن بن سني الدولة ، قاضي القضاة نجم الدين أبو بكر ابن قاضي القضاة صدر الدين أبي العباس ابن قاضي القضاة شمس الدين أبي البركات الدمشقي الشافعي (عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب والمنهل الصافي) .

في المحترم . والعلامة قاضي القضاة تقي الدين محمد بن الحسين بن رزين العامري^(١) بالقاهرة في رجب ، وله سبع وسبعون سنة . والحافظ المسند جمال الدين أبو حامد محمد بن علي بن محمود بن الصابوني في ذي القعدة . والمسند شمس الدين أبو الغنائم المسلم بن محمد بن المسلم بن علان في ذي الحجة ، وله سبع وثمانون سنة . والعدل أمين الدين القاسم بن أبي بكر بن القاسم الإربلي^(٢) في جمادى الأولى . والعارف الزاهد ولي الدين علي بن أحمد بن بدر الجزري^(٣) المقيم بجامع بيت هيبا في شوال .
وأبقا بن هولاكو ملك التتار ببلاد همذان . والحاج أزدمر الأمير بمصاف
خص شهيذا .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمسة أذرع وثلاث أصابع . يبلغ

الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وأربع أصابع .



السنة الرابعة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر ، وهى سنة
إحدى وثمانين وستمائة .

فيها توفى قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن
أبي بكر بن خلكان بن باول بن عبد الله بن شاكل بن الحسين بن مالك بن جعفر بن
يحيى بن خالد بن برمك البرمكي الإربلي^(٤) الشافعي قاضي قضاة دمشق وعالمها ومؤرخها .

- (١) في الذيل على مرآة الزمان : « أبو عبد الله » . (٢) في الأصلين : « الجزري » .
وتصححه عن تاريخ الإسلام والذيل على مرآة الزمان . (٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٨٦
من الجزء الثاني من هذه الطبعة . (٤) في الأصلين : « ابن نازل » . وفي عيون التواريخ :
« ابن ناول » . وفي ذيل مرآة الزمان : « ابن ناول » . وما أثبتناه عن المثل الصافي ، وقد ضبطه
بالعبارة فقال : « بفتح الواو » . (٥) ضبطه المؤلف بالعبارة في المثل الصافي (فتح الكاف) .

مولده في ليلة الأحد حادى عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وستمائة بإربل وبها نشأ .
 ذكره ابن العديم في تاريخه فقال : من بيت معروف بالفقة والمناصب الدينية . وقال
 غيره : كان إماماً عالماً فقيهاً أدبياً شاعراً مُفْتَنّاً بمجموع الفضائل معدوم النظر في علوم
 شتى ، حُجَّةٌ فيما ينقله مُحَقِّقاً لما يُورده منفرداً في علم الأدب والتاريخ ، وكانت
 وفاته في شهر رجب وله ثلاث وسبعون سنة .

قلت : وهو صاحبُ التاريخ المشهور ، وقد استوعبنا من حاله نبذةً جيدةً
 في تاريخنا « المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي » . انتهى .

وكان ولي قضاء دمشق مرتين : الأولى في حدود الستين وستمائة وعُزِلَ
 وقَدِمَ القاهرة ، وناب في الحُكْمِ بها عن قاضى القضاة بدر الدين السنجارى ، وأُفْتِيَ بها
 ودرس ودام بها نحو سبع سنين ؛ ثم أُعيد إلى قضاء دمشق بعد عز الدين بن الصائغ ،
 ومُتَّهَمٌ الناس بعوده . ومدحته الشعراء بعدة قصائد ؛ من ذلك ما أنشده الشيخ رشيد
 الدين عمر بن إسماعيل [بن مسعود بن سعد بن سعيد] الفارقي فقال :^(١)

أنت في الشام مثل يوسف في مصر * وير وعندي أن الكرام جناس
 ولكل سبع شداد وبعد السبع * عام فيه يقات الناس

وقال فيه أيضا نور الدين على بن مضعب .

رأيت أهل الشام طراً * ما فيهم قط غير راض

(١) كذا في الأصلين وذيل مرآة الزمان . وفي المنهل الصافي وترجمة ابن خلكان التي بآثار الجوزي
 الثاني من كتابه وفيات الأعيان طبع بولاق : « ومولده بإربل في يوم الخميس حادى عشر شهر ربيع الآخر
 سنة ثمان وستمائة » . (٢) هو قاضى قضاة دمشق عز الدين أبو المفاخر محمد بن عبد القادر
 ابن عبد الخالق الأنصارى المعروف بابن الصائغ . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٨٣ هـ فيمن قتل
 وفاتهم عن الذهبي . (٣) زيادة عن تاريخ الإسلام للذهبي . وكانت وفاته سنة ٦٨٩ هـ
 كما في عيون التواريخ وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام والمنهل الصافي .

أَنَاهُمُ الْخَيْرُ بَعْدَ شَرٍّ * فَالَوْ قُتُّ بَسْطُ بِلَا أَتْقَابِضَ
وَعُوضُوا فَرَحَةً بِحُزْنٍ * قَدْ أَنْصَفَ الدَّهْرُ فِي التَّقَاضِي
وَسَرَّهْمُ بَعْدَ طُولِ غَمٍّ * قَدُومُ قَاضٍ وَعَزْلُ قَاضٍ
فَكُلُّهُمْ شَاكِرٌ وَشَاكٍ * لِحَالِ مُسْتَقْبَلٍ وَمَاضٍ

ومن شعر ابن خلكان المذكور قوله :

تَمَثَّلْ لِي وَالْبِلَادُ بَعِيدَةٌ * نَفِئْ لِي أَنَّ الْفَوَادَ لَكُمْ مَعْنَى
وَأَجَا كُمْ قَلْبِي عَلَى الْبُعْدِ وَالنَّوَى * فَأَنْتُمْ لَفَطًا وَأَوْحَشْتُمْ مَعْنَى

وله دوبيت :

قَاسُوكَ بِيَدِ التَّمِّ قَوْمٌ ظَلَمُوا * لَا ذَنْبَ لَهُمْ لِأَنَّهُمْ مَا عَلِمُوا
مَنْ أَيْنَ لَبَدِ التَّمِّ يَا وَيْحَهُمْ * جِيدٌ وَعَيُونٌ وَقَوَامٌ وَفَمٌ

وله :

يَا رَبِّ إِنَّ الْعَبْدَ يُعْنِي عَيْنُهُ * فَاسْتَرْجِلْكَ مَا بَدَا مِنْ عَيْنِهِ
وَلَقَدْ أَنَاكَ وَمَا لَهْ مِنْ شَافِعٍ * لَذُنُوبِهِ فَأَقْبَلْ شَفَاعَةَ شَيْبِهِ

قلت ويعجبني في هذا المعنى قولُ القائل :

إِنْ كَانَتْ الْأَعْضَاءُ خَالِفَتِ الدِّي * أُمِرْتُ بِهِ فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ
فَسَلُوا الْفَوَادَ عَنِ الذِّى أَوْدَعْتُمْ * فِيهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ
تَجِدُوهُ قَدْ آدَى الْأَمَانَةَ فِيهِمَا * فَهَبُوا لَهُ مَا خَلَّ فِي الْأَرْكَانِ

وفيهما تُوتَى ملك التتار منكوتمر بن هولاكو خان بن تولى خان بن جينكو خان،

هو أخو أبغا ملك التتار، ومنكوتمر هذا هو الذى ضرب المصافق مع السلطان الملك

المنصور قلاوون على حصص حسب ما تقدم ذكره وأنكسرت عساكره ، فلما وقع

ذلك عَظُمَ عليه وحصل عنده غَمٌّ شديدٌ وَكَدٌّ زائدٌ ، وحدثته نفسه بجمع العساكر من سائر ممالك بَيْتِ هولاكو ، وأستنجد بأخيه أَبَا على غَزْوِ الشام ، فَقَدَّرَ الله سبحانه وتعالى موتَ أَبَا ، ثم مات هو بعده في محرم هذه السنة ، وأراح الله المسلمين من شرهما . وكان مَنكُوتُمُرُ شجاعاً مقداماً وعنده بَطْشٌ ^(١) وجبروت وسَفْكٌ للدماء ، وكان نصرانياً ، وكان جريح يوم مَصَافٍ حِص ، والذي بَرَّحه الأمير علم الدين سَنَجَرُ الدَّوَيْدَارِي .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها تُوُفِيَ الإمام زَيْنُ الدين عبد السلام بن علي - الزَّوَاوِي - المَالِكِي - شيخ القراء في رجب ، عن اثنتين وتسعين سنة . وقاضى القضاة شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان الإربلي - في رجب ، وله ثلاث وسبعون سنة . ونجيب الدين المقداد بن ^(٢) هبة الله القيسي - العدل في شعبان . وأبو الطاهر إسماعيل بن هبة الله المليجي - آخر من قرأ القرآن على أبي الجود ^(٣) في رمضان بالقرافة . والبرهان إبراهيم بن إسماعيل [بن إبراهيم بن يحيى بن علوي - المعروف بـ] أبان الدَرَجِي - إمام المدرسة المِعْزِيَّة في صفر ، وله اثنتان وثمانون سنة . والعماد إسماعيل بن إسماعيل بن جوسلين البعلبكي . والعلامة برهان الدين محمود ابن عبد الله المَرَاغِي في شهر ربيع الآخر ، وله ست وسبعون سنة . والإمام أمين الدين

(١) في الأصلين : « طيش » . وما أتيته عن ذيل مرآة الزمان . (٢) ضبطه صاحب غاية النهاية بالعبارة فقال : (فتح الميم و ياء ساكنة بعد اللام المكسورة وجيم) . والمليجي : نسبة إلى مليج ، قرية واقعة على شاطئ بحر شين من الجهة الغربية وهي تابعة لمركز شين الكوم بمدينة المنوفية .

(٣) هو أبو الجود غياث بن فارس الغني مقرئ الديار المصرية . تقدمت وفاته سنة ٦٠٥ هـ فيمن قل المؤلف وفاتهم عن الذهبي . وفي الأصلين : « ابن أبي الجود » . والصحيح عما تقدم ذكره لكونه غاية النهاية وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام . (٤) زيادة عن تاريخ الإسلام والجواهر الحضية في طبقات الحنفية وشذرات الذهب والمثل الصافي

أحمد بن عبد الله [بن محمد بن عبد الجبار] بن الأشتر^(٢) الشافعي في شهر ربيع الأول .
والشيخ الزاهد عبد الله [بن أبي بكر بن أبي البدر البغدادى^(٣) ويعرف] بكنية ببغداد .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع . مبلغ الزيادة
سبع عشرة ذراعا وثمانى عشرة إصبعا .



السنة الخامسة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، وهى سنة

أثنين وثمانين وستمائة .

- فيها توفى الأمير شهاب الدين أحمد بن حمى^(٤) بن بريد البرمكى أمير آل مرسى ،
كان من فرسان العرب المشهورين ، كانت سراياه تُغير إلى أقصى نجد وبلاد الحجاز
ويؤدون له الخفر ، وكذلك صاحب المدينة الشريفة ، وكانت له المنزلة العالية عند
الظاهر والمنصور قلاوون وغيرهما من الملوك ، كانوا يُدارونه ويتقنون شره ، وكان
يزعم أنه من نسل الوزير جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك^(٥) من أخت الخليفة
هارون الرشيد الذى أمتحن جعفر بسببها وقُتل . وكان بين شهاب الدين هذا وبين
عيسى بن مهنا أمير آل فضل منافسة ، فكتب إليه شهاب الدين هذا مرة كتابا
وأغلظ فيه ، وكان عند عيسى الشيخ شهاب الدين أحمد بن غانم^(٥) فساله عيسى بن مهنا
المجاوبة ، فكتب عنه يقول :

(١) زيادة عن المنهل الصافي وذيل مرآة الزمان وشذرات الذهب . (٢) فى الأصلين : « ابن
الأشترى » . ونصحيحه عن المصادر المتقدمة . (٣) الزيادة عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ .
(٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٩٥ من هذا الجزء .

(٥) كان من أعيان شعراء مكة فى عصره . توفى سنة ٧٤١ هـ كما فى المنهل الصافي .

زَعَمُوا أَنَا هَجَوْنَا * جَمْعُهُم بِالْإِفْتِرَاءِ
كَذَّبُوا فِيمَا أَدَّعَوْهُ * وَأَفْتَرَوْا بِالْإِدْمَاءِ
إِنَّمَا قُلْنَا مَقَالًا * لَا كَقَوْلِ السَّفَاهَاءِ
أَلْ فَضِيلُ أَلْ فَضِيل * وَأَنْتُمْ أَلْ مِرَاءِ

وفيها تُوِّفِّي شرف بن مَرَى بن حسن بن حسين بن محمد النَّوَاوِي والد الشيخ
عبي الدين النَّوَاوِي ، كان مقتنِعاً بالحلال يزرع أرضاً يقاتُ منها هو وأهله ، وكان
يُحِبُّ ولده الشيخ عبي الدين منها ، ومات في صفر .

وفيها تُوِّفِّي الشيخ الإمام شمس الدين أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد
أبن محمد بن قُدَّامَةَ الحَنْبَلِيِّ المَقْدِسِيِّ ، كان إماماً فقيهاً ورعاً زاهداً كبير القدر
جَمَّ الفضائل ، انتهت إليه رئاسة مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، رضى الله عنه ،
في زمانه ، وشرح كتاب « المَقْنِيع » في الفقه تأليف عمه شيخ الإسلام موفق الدين ،
رحمه الله :

وفيها تُوِّفِّي الأمير علاء الدين كُشْتُغْدِي بن عبد الله الشَّرْقِيُّ الظَّاهِرِيُّ المعروف
بأمير مجلس ، كان من أعيان الأمراء وأكابرهم بالديار المصرية وكان بطلاً شجاعاً
وله مواقف مشهورة ونكايات في العدو المخنول . ومات بقلعة الجبل وقد نيفَ
على خمسين سنة ، وحضر الملك المنصور قلاوون جنازته .

(١) رواية هذه الأبيات في أحد الأصلين وذيل مرآة الزمان تخطف عن هذه الرواية .
(٢) هو عبي الدين يحيى بن شرف بن مَرَى بن حسن بن حسين بن محمد النَّوَاوِي . تقدّمت وفاته
سنة ٨٦٧٦ هـ . (٣) في تاريخ الإسلام : « أبو محمد وأبو القرج » . (٤) هو موفق الدين
عبد الله بن أحمد بن محمد بن قُدَّامَةَ بن مقدم بن نصر الله أبو محمد . تقدّمت وفاته سنة ٨٦٢٠ هـ .
(٥) في الأصلين : « كش دغدي » . وما أجتناه عن تاريخ الإسلام والذيل على مرآة الزمان
والمثل الصافي . (٦) في ذيل مرآة الزمان : « المشرق » .

- وفيهما تُوفِّي الكاتب المَجُود عماد الدين أبو عبد الله، وقيل أبو الفضل، محمد
 ابن محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله الشَّيرَازِيّ - الدمشقيّ - صاحب الخط
 المنسوب . انتهت إليه الرئاسة في براعة الخط لاسمياً في [القلم] ^(١) المحقق و [قلم] ^(٢) النسخ .
 سمع الكثير وروى عنه الحافظ جمال الدين المِزِّي وغيره، وتصدى للكتابة وأنفع به
 الناس . وقدم القاهرة وأتفق أنه ركب النيل مرة مع صاحب بهاء الدين بن حنا ،
 وكان معه جماعة من أصحابه وفيهم شخص معروف بأبن الفقّاعى من له عناية بالكتابة ،
 فسأل صاحب بهاء الدين، وقال : عندى لمولانا صاحب وهؤلاء الجماعة يوم
 كامل الدّعوة، ومولانا يدعوا المولى عماد الدين يُفيدنى قِطعة القلم، فقال صاحب :
 والله ما فى هذا شيء ، مولانا يتفضل عليه بذلك، فأطرق عماد الدين مُغضباً، ثم رَفَعَ
 رأسه وقال : أو خيرُ لك من ذلك؟ قال : وما هو؟ قال : أحمل إليك ربعةً بخطى،
 ويعفينى من هذا، فقال صاحب : لا والله، الربعة بخط مولانا تُساوى ألفى درهم،
 وأنا ما آكل من هذه الضيافة شيئاً يُساوى عشرة دراهم .

- وفيهما تُوفِّي الشيخ أبو محمد ، وقيل أبو المحاسن ، عبد الحليم بن عبد السلام
 ابن تيمية الحِزَانِيّ أحد علماء الحنابلة ووالد الشيخ تقي الدين بن تيمية . مولده بحِزَان
 فى ثمانى عشر شوال سنة سبع وعشرين وستمائة، وسمع الكثير وتفقه وبرع فى الفقه
 وتميّز فى عدة فنون، ودرس ببلده وأقضى وخطب وعظ وفسر، ولى هذه الوظائف

(١) زيادة عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ . والقلم المحقق، هو قلم استحدثت كتابته فى طغرافات
 كتب القانات فى زمن الفلّسندى مؤلف صبح الأعشى (صبح الأعشى ج ٣ ص ٥٢) .

(٢) هو الشيخ جمال الدين أبو الحاج يوسف بن الزكى عبد الرحمن بن يوسف القضاعى توفى سنة ٨٧٤٢
 عن الدرر الكامنة وشذرات الذهب وتذكرة الحفاظ . والمزى : نسبة إلى المرة ، وراجع الحاشية رقم ١ ص ٧٧
 من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٣) هو شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن
 عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحِزَانِيّ الحنبلى . سيذكره المؤلف فى جوادى سنة ٨٧٢٨ .

عَقِيب موت والده تجدد الدين، وعمره خمس وعشرون سنة، وكان أبوه أيضا من العلماء. ومات في سَلَخ ذى الحجة ودُفِنَ بمقابر الصوفية بدمشق.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوِّفَى الإمام عماد الدين علي بن يعقوب [بن شجاع بن علي بن إبراهيم بن محمد] بن أبي زهران الموصلي الشافعي شيخ القراء بدمشق في صفر، وقد قارب الستين. وشيخ الإسلام الشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن أبي عمر المقدسي [محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة] في شهر ربيع الآخر، وله خمس وثمانون سنة. والإمام شهاب الدين عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية الحراني والد شيخنا في سَلَخ السنة، وله ست وخمسون سنة. والشيخ محي الدين عمر بن محمد بن أبي سعد [عبد الله بن محمد بن هبة الله بن علي بن المطهر] بن أبي عصرون التميمي في ذى القعدة عن ثلاث وثمانين سنة. والإمام شمس الدين محمد ابن أحمد بن نعمة المقدسي مدرّس الشامية في ذى القعدة. وخطيب دمشق محي الدين محمد بن الخطيب عماد الدين عبد الكريم [ابن القاضي أبي القاسم عبد الصمد] ابن الحرستاني في جمادى الآخرة، وله ثمان وستون سنة. والحافظ شمس الدين محمد بن محمد بن عباس [بن أبي بكر] بن جعوان الأديب في جمادى الأولى.

(١) زيادة عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ وغاية النهاية. (٢) زيادة عما تقدم ذكره للؤلؤ قريبا. (٣) زيادة عن تاريخ الإسلام وذيل مرآة الزمان. (٤) يزيد بها الشامية البرانية كما صرح بذلك في ذيل مرآة الزمان وشذرات الذهب، وهي من مدارس الشافعية بدمشق بحلة العقبة. إنشاء ست الشام بنت نجم الدين أيوب بن شاذي والدة الملك إسماعيل المتوفاه سنة ٥٦١٦هـ. وتعرف هذه المدرسة بالحسامة لأن أبنتها حسام الدين دفن فيها كما أنها هي أيضا دفنت فيها. وهي اليوم مدرسة ابتدائية للآيتام تقوم بها جمعية الإصفاة الخيرية. وكان درس بها من المشاهير تقي الدين بن الصلاح، وعبد العزيز بن أبي عصرون، ومحيي الدين بن الزكي، والفاروق، والشرطي، وابن الوكيل، وابن قاضي شعبة وغيرهم. (عن خطط الشام ج ٦ ص ٨١ لكزذهل). (٥) تمكّله من شذرات الذهب وعيون التواريخ وتاريخ الإسلام. (٦) تمكّله عن عيون التواريخ وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام والذيل على مرآة الزمان.

والرئيس مُحي الدين يحيى بن علي بن القلانسي في شوال . والرئيس عماد الدين أبو الفضل محمد [بن محمد] ابن القاضي شمس الدين هبة الله بن الشيرازي في صفر . وشرف الدين محمد بن عبد المنعم بن القواس في شهر ربيع الآخر . والمحدث جمال الدين عبد الله بن يحيى الجزائري في شوال . والرشيد محمد بن أبي بكر بن محمد العامري في ذي الحجة .

§ أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم أربع أذرع وخمس أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثمانى أصابع .



السنة السادسة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، وهي سنة ثلاث وثمانين وستمائة .

١٠

فيها توفى قاضي القضاة ناصر الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن منصور الجذامي المالكى المعروف بأبن المنير قاضي الإسكندرية، مولده في ذى القعدة سنة عشرين وستمائة، ومات بالإسكندرية ليلة الخميس مستهل شهر ربيع الأول، ودُفن عند تربة والده عند الجامع المرقى^(٢)، وكان إماماً فاضلاً متبحراً في العلوم وله اليد الطولى في علم الأدب والنظم والنثر . ومن شعره ما كتبه لقاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان في صدر كتاب :

١٥

(١) التكلة عن تاريخ الإسلام ونذرات الذهب وعيون التواريخ وما ذكره المؤلف في وفيات هذه السنة . (٢) كذا في الأصلين ونذرات الذهب وعيون التواريخ وذيل مرآة الزمان . وفي تاريخ الإسلام : « أحمد بن منصور بن القاسم بن مختار » . (٣) لا يزال هذا الجامع موجوداً ، ويعرف اليوم بجامع المنير وبه قبره . وكان مسجداً صغيراً . وفي سنة ١٣٠٩ هـ هدمه إبراهيم بك الناصورى من أعيان الإسكندرية ووسع مساحته وجدهه بمئذنة ، وهو عامر بإقامة الشماز الدينية . ولا يزال قبر المنير في المكان الذى دُفن فيه من يوم وفاته داخل الجامع الذى يقع على رأس تقاطع شارع المنير بشارع الباب الأخضر بالإسكندرية .

٢٠

ليس شمسُ الضُّحَا كأوصافِ شمسِ الدِّينِ قاضِي القضاةِ حاشا وكَلَّا
تلكَ مهما عَلَّتْ مَحَلًّا ثَنَتْ ظِلًّا وهذا مهما عَلا مَدَّ ظِلًّا

وله يهجو القاضي زَيْن الدِّين بن أَبِي الفَرَج لما نازعه في الحكم :

قل لمن يَدَّعي المناصبَ بالجهْدِ * لِمَ تَنعَ عنها لِمَنْ هو أَعْلَمُ
إن تكن في ربيعٍ وُلِّيتَ يَوْمًا * فعليك القضاءُ أَمسى محترَمُ

وله في صدر كتاب كتبه إلى الفائز يسأله رفع التصديق عن ثغر الإسكندرية :

إذا أَعْتَلَّ الزَّمانُ فنك يَرْجو * بنو الأيام عاقبةَ الشِّفاءِ
وإن يَنْزِلْ بساحتهم قضاءً * فانت اللُّطْفُ في ذاك القضاءِ

وفيها تُوفِّي ملك التتار أحمد بن هولاء كوقان بن تولى قان بن جَنْكِزْ قان، كان مَلِكًا
شَهْمًا خَيْرًا بأمور الرعية سالكا أحسن المسالك، أسلم وحسن إسلامه وبني بمالكة
الجوامع والمساجد، وكان مُتَّبِعًا دِينَ الإسلام لا يصدر عنه إلّا ما يوافق الشريعة،
وكان لما حَسُنَ إسلامه صالح السلطان الملك المنصور قلاوون، وفرح السلطان
بذلك، فمات أحمد بعد مُدَّة يسيرة، وملك بعده أرغون بن أْبغا .

وفيها تُوفِّي القاضي نجم الدين أبو محمد عبد الرحيم بن إبراهيم بن هبة الله بن المسلم
ابن هبة الله بن حَسَّان بن محمد بن منصور بن أحمد الجُهَنِّي الشافعي المعروف بآبن
البارزى، وُلِدَ بِحَمَّاة سنة ثمان وستمائة، وروى الحديث وبرع في الفقه والحديث
والنحو والأدب والكلام والحكمة، وصنّف في كثير من العلوم، وتولّى القضاء بِحَمَّاة
نيابةً عن والده، ثم استقل بعده ولم يأخذ على القضاء رزقاً، وصُرف قبل موته بستين .
ومن شعره تَضَمِينًا لأَوَّل قصيدة البهاء زهير البائية :

(١) يريد الوزير الفائز، وداجع الحاشية رقم ١ ص ٣٧٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) في تاريخ الإسلام : « المسلم عبد الله » .

وكان الرضا منى إليه ولم يكن * رسول فآخشي أن يتم ويتكذبا
وناديت أهلا بالحبیب ولم أقبل * رسول الرضا أهلا وسهلا ومرحبا
وفيها توفى الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا أمير آل فضل ومليك العرب
في وقته؛ وكان له منزلة عظيمة عند الملوك لا سيما عند الملك الظاهر بيبرس
البنشداري، ثم تضاغت عند الملك المنصور قلاوون، وكان كريم الأخلاق حسن
الحوار مكفوف الشرب مذول الخير، لم يكن في العرب وملوكها من يضاهيه، وكان
عنده ديانته وصدق . ولما مات ولى الملك المنصور قلاوون ولده مهنا عوضه،
وكان بين وفاته و وفاة عدوه الأمير أحمد بن حجي أمير آل مري دون السنة .

وفيها توفى الشيخ الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان
التلمساني، سمع الكثير بعدة بلاد وحدث، ومولده يتلمسان في سنة ست أو سبع
وستائة، ومات بمصر ودفن بالقرافة الكبرى، وهو غير شمس الدين محمد بن العفيف
التلمساني .

وفيها توفى الملك المنصور ناصر الدين أبو المعالي محمد ابن الملك المظفر محمود
ابن الملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة والمعزة
وآبن صاحبهما، ملكهما بعد وفاة أبيه سنة اثنتين وأربعين وستائة، والدته الصاحبة
غازية خاتون بنت الملك الكامل محمد صاحب مصر ابن الملك العادل أبي بكر
ابن أيوب . وكان مولده سنة اثنتين وثلاثين وستائة، وولى الملك المنصور قلاوون
أبنة بعد وفاته .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفى القاضي ناصر الدين
أبو العباس أحمد بن محمد بن منصور الجذامي ابن المنير بالإسكندرية في شهر

(١) هو شمس الدين محمد بن عفيف الدين سليمان بن علي التلمساني الكاتب الأديب، سيذكره المؤلف

في حوادث سنة ٦٨٨ هـ . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٦١ من هذا الجزء .

ربيع الأول^(١)، وله ثلاث وستون سنة . والملك أحمد بن هولاء هو ملك التتار . وقضى حمّاة نجم الدين عبد الرحيم بن إبراهيم بن البارزي الشافعي في ذي القعدة، وحمل ودفن بالبيق . وله خمس وسبعون سنة . وقضى دمشق عز الدين أبو المفاخر محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق الأنصاري بن الصائغ في شهر ربيع الآخر في آخر الكهولة . وصاحب حمّاة الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن المظفر محمود عن إحدى وخمسين سنة . والشيخ العارف أبو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان التلمساني بمصر في رمضان، وله سبع وسبعون سنة . ومالك العرب عيسى بن مهنا في شهر ربيع الأول .

§ أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم أربع أذرع وعدة أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث أصابع .



السنة السابعة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، وهي سنة أربع وثمانين وستمئة .

فيها كان فتوح المرقب وغيره من القلاع بالساحل حسب ما ذكرناه في أول الترجمة . وفيها ولد الملك الناصر محمد بن قلاوون، ووالده على حصار المرقب؛ وقد تقدم ذكر ذلك أيضا .

وفيها توفي الشيخ زين الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد الأندلسي الإشبيلي الأصل المعروف بكتاكت المصري الواعظ المقرئ الأديب الشاعر، مولده سنة خمس وستمئة، وقيل غير ذلك، ومات بالقاهرة في شهر ربيع الأول . وكان إماما في الوعظ ولديه فضيلة ومشاركة . وله شعر جيد . من ذلك قوله .

(١) في الأسفل هنا وتاريخ الإسلام : « ربيع الآخر » . وتصحيحه عما تقدم ذكره للوف في وفيات هذه السنة وشذرات الذهب وعيون التاريخ ونثر الجمان للفيروزي .

مَنْ أَنْتَ مُحِبُّوهُ مَاذَا يُغَيِّرُهُ * وَمَنْ صَفَوْتَ لَهُ مَاذَا يُكَدِّرُهُ
هِيَا تَعْنِكَ مَلَا حُ الْكَوْنُ تَسْغَلُنِي * وَالْكُلُّ أَعْرَاضُ حُسْنٍ أَنْتَ جَوْهَرُهُ
وله القصيدة المشهورة عند الفقهاء التي أولها :

حَضَرُوا فَمُنْذُ نَظَرُوا بِحَالِكَ غَابُوا * وَالْكُلُّ مَذْ سَمِعُوا خِطَابَكَ طَابُوا

- وفيها تَوْفَى الأمير علاء الدين أَيْدِيْن بن عبد الله البندقداري الصالح النجمي
أستاذ الملك الظاهر بيبرس البندقداري ، كان أصل أَيْدِيْن هذا من ممالك الأمير
جمال الدين موسى بن بَغْمُور ، ثم آتَنَقَلَ عَنْهُ لِلْمَلِكِ الصَّالِحِ نَحْمِ الدِّينِ أَيُّوبَ
وَجَعَلَهُ بِنْدُقْدَارَهُ وَأَمْرَهُ ثُمَّ نَكَبَهُ ، وَأَخَذَ مِنْهُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ بَيْبَرَسُ ثُمَّ أَعَادَهُ . ثُمَّ تَرَقَّى
بَعْدَ مَوْتِ أَسَاتِذِهِ وَوَلَّى نِيَابَةَ الشَّامِ مِنْ قَبْلِ مَمْلُوكِهِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَيْبَرَسُ ، وَكَانَ
الْمَلِكُ الظَّاهِرُ بَيْبَرَسُ يُعَظِّمُهُ وَيَقُولُ لَهُ : أَنْتَ أَسَاتِذِي وَيَعْرِفُ لَهُ حَقَّ التَّزْيِينِ !
وَكَانَ هُوَ أَيْضًا يَبَالِغُ فِي خِدْمَةِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ وَالنَّصِيحِ لَهُ ، وَهُوَ الَّذِي آتَرَ عَ لَهُ دِمَشْقَ
مِنْ يَدِ الْأَمِيرِ سَنَجَرِ الْحَلَبِيِّ كَمَا تَقْدَمُ ذِكْرُهُ . وَعَاشَرَ أَيْدِيْن إِلَى دَوْلَةِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ
قُلَاوُونَ ، وَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ الْأَمْرَاءِ وَأَعْيَانِهِمْ إِلَى أَنْ مَاتَ فِي الْقَاهِرَةِ فِي شَهْرِ
رَبِيعِ الْآخِرِ ، وَدُفِنَ بِتَرْبَتِهِ قَرِيبَ بَرَكَةِ الْفِيلِ وَقَدْ نَاحَرَ السَّبْعِينَ .

- (١) كَذَا فِي الْأَمَلِينَ وَذَيْلِ مَرَاةِ الزَّمَانِ : وَفِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ : « تَوَفَّى فِي حِمَايِ الْأَوَّلِ بِالْقَاهِرَةِ » .
(٢) تَرْبَةُ عَلَاءِ الدِّينِ أَيْدِيْنِ الْبَنْدُقْدَارِي ، ذَكَرَهَا الْمُقْرِزِيُّ فِي (ص ٢٠٤ ج ٢) مِنْ خَطِّطِهِ
بِأَمْرِ الْخَلِيفَةِ الْبَنْدُقْدَارِيَّةِ ، وَقَالَ : إِنِّهَا بِالْقُرْبِ مِنَ الصُّلْبِيَّةِ بِحِجَابِ الْمَدْرَسَةِ الْفَارَاقَانِيَّةِ . كَانَ مَوْضِعُهَا يَعْرِفُ قَدِيمًا
بِدَوْرَةِ سَمُودَ . أُنْشِأَهَا الْأَمِيرُ عَلَاءُ الدِّينِ أَيْدِيْنِ الْبَنْدُقْدَارِي الصَّالِحُ النَّجْمِيُّ وَجَعَلَهَا مَسْجِدًا لِلَّهِ تَعَالَى
وَحَقَاقَهُ ، وَرَتَّبَ فِيهَا صُوفِيَةً وَقَرَاءَةً فِي سَنَةِ ٦٨٣ هـ وَلَمَّا مَاتَ فِي رَبِيعِ الْآخِرَةِ ٦٨٤ هـ دُفِنَ فِيهِ هَذِهِ الْخَلِيفَةُ .
وَأَقُولُ : إِنَّ هَذِهِ الْخَلِيفَةَ لَا تَرُكُ مَوْجُودَةً إِلَى الْيَوْمِ وَتَعْرِفُ بِزَاوِيَةِ الْأَبَارِ بِشَارِعِ السُّيُوفِيَّةِ بِقِسْمِ الْخَلِيفَةِ
بِالْقَاهِرَةِ . وَقَدْ جَدَّدَهَا دِيْوَانُ الْأَوْقَافِ فِي سَنَةِ ١٣٠٠ هـ وَعَلَى بَسَارِ الدَّخْلِ مِنْ بَابِ الزَّاوِيَةِ قُبَّةٌ أَثَرِيَّةٌ
نُفْعَةٌ تَشْرَفُ عَلَى الشَّارِعِ تَحْتَهَا قَبْرُ الْأَمِيرِ عَلَاءِ الدِّينِ أَيْدِيْنِ مِنْشَأُهَا وَأَهَمُّ مَا يَلْقَى النَّظَرَ فِي هَذِهِ الْقُبَّةِ تَابُوتُ
مِنْ الْخَشَبِ الْأَثَرِيِّ مَوْضُوعٌ فَوْقَ قَبْرِ أَيْدِيْنِ مِنْ تَارِيخِ وَفَاتِهِ وَالْخَارِافِ الْمَحْصِيَةِ الَّتِي حَوْلَ حِمَارِ الْقُبَّةِ .
وَفِي دَاخِلِ الزَّاوِيَةِ قُبَّةٌ أُخْرَى أَثَرِيَّةٌ نُفْعَةٌ مِنْ عَصْرِ أَيْدِيْنِ يَرْجَحُ أَنَّهُ أُنْشِأَهَا تَرْبَةُ لِزَوْجَتِهِ ، وَمَا يَلْقَى النَّظَرَ
فِي هَذِهِ الْقُبَّةِ الشَّبَابِيكُ وَالْخَارِافِ الَّتِي بِرِفْقَةِ الْقُبَّةِ ، فَهِيَ مِنْ أَدَقِّ النَّادِجِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْخَارِافِ الْمَحْصِيَةِ .
(٣) بَرَكَةُ الْفِيلِ ، يَسْتَفَادُ مَا ذَكَرَهُ آيْنُ دِقَاقٍ فِي كِتَابِ الْإِنْتِصَارِ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى بَرَكَةِ الْفِيلِ (ص ٥) =

قلت : وما العجب أن أيدكين هذا كان من جملة أمراء مملوكه الملك الظاهر بيبرس ، والعجب أن أستاذ أيدكين هذا الأمير جمال الدين بن يغمور كان أيضا من جملة أمراء الظاهر بيبرس فكان الظاهر أستاذ أستاذه في خدمته ومن جملة أمرائه فانظر إلى تقلبات الدهر بالملوك وغيرها !

وفيها توفى الشيخ الإمام رشيد الدين أبو محمد سعيد بن علي بن سعيد البصري الحنفي مدرس الشبليّة ، كان إماما عالمًا فاضلاً مدرّسا كثير الدّيانة والورع ، عُرض عليه القضاء غير مرة فأمتنع ، وكانت له اليد الطولى في العربيّة والنظم ، وكانت وفاته في شعبان ودُفن بقايسون . ومن شعره :

(ج ٥) ، وما ذكره المقرري في خطه عند الكلام على هذه البركة (ص ١٦١ ج ٢) أنها بركة كبيرة ظاهرة القاهرة تمتد من بستان الحباينة إلى بستان سيف الإسلام إلى تحت الكباش إلى الجسر الأعظم الفاصل بينها وبين بركة فارون ، وما ظن الكباش مطلة عليها ، وأنه لما أنشأ جوهر القائد مدينة القاهرة كانت البركة تحجها خارج باب زويلة فيا بين القاهرة ومصر ولم يكن عليها مبان ثم عمر الناس حولها بعد سنة ٥٦٠ هـ . وأقول : إن بركة الفيل لم تكن بركة عقيقة فيها ماء . راكده بالمعنى المفهوم الآن من لفظ بركة ، وإنما كانت تطلق على أرض زراعية يفسرها ماء النيل سنويا وقت الفيضان ، وكانت تروى من الخليج المصرى ، وبعد نزول الماء تزرع أصنافا شتوية ، وكان أشهر محاصيلها القروط المعروف بالبرسيم حيث كان يستهلك في تغذية دواب القاهرة . وكانت بركة الفيل معتبرة في دفاتر المساحة من النواحي المربوط على أراضيها الخراج ولم يحذف اسمها من جداول أسماء النواحي إلا بعد أن تحول معظم أراضيها إلى مساكن . وقد تحولت أراضيها تدريجيا من الزراعة إلى السكن من سنة ٥٦٢ هـ ولم يبق من أرض البركة بغير بناء إلى سنة ١٢١٥ هـ = ١٨٠٠ م التي رسمت فيها الحملة الفرنسية خريطة القاهرة إلا قطعة أقيم عليها فيما بعد سراى عباس حلى باشا الأول وإلى مصر المروقة بسراى الحلبية وحديقها الكبيرة . وفي سنة ١٨٩٤ م قسمت أراضي الحديقة . وفي سنة ١٩٠٢ م هدمت السراى وقسمت أراضيها أيضا وبيعت جميع القطع وأقيم عليها عمارات حديثة تعرف بين أخطاط القاهرة بالحلبة الجديدة .

وكانت بركة الفيل تشغل من القاهرة الحالية المنطقة التي تحده اليوم من الشمال بسكة الحباينة ، ومن الغرب بشوارع درب الجواميز واللبودية والخليج المصرى ، ومن الجنوب شارع مراسينا ، ثم يميل الحد إلى الشمال الشرق حتى يتقابل مع أول شارع نور الظلام ويسير فيه إلى أول شارع الألفى ، ومن الشرق كالة شارع نور الظلام فشارع مهذب الدين الحكيم فسكة عبدالرحمن بك وما في أمثادها إلى الشمال حتى تقابل الحد البحرى . =

أَرَىٰ عَنَّا صِرَ طِيبَ الْعِيشِ أَرْبَعَةً * مازال منها فطِيبُ الْعِيشِ قد زالاً
أَمَّنَا وَصِحَّةَ جَنِيمٍ لَا يُخَالِطُهَا * مُغَايِرَ وَالشَّبَابِ الْغَضِّ وَالْمَالَا
وله مواليا :

كيف أَعْتَمَدْتَ عَلَى الدُّنْيَا وَتَجَرَّبْتُ * أَرَاكَ فُلُكُ تَرَاهَا كَيْفَ تَجْرَى بِكَ
ما زالت الخلداه تدنو فَتَغْرَى بِكَ * حَتَّى رَمَتَكَ بِإِبْعَادِكَ وَتَغْرِبُكَ

وفيها تُؤَوِّى الأديب البارِعُ مُجِيرُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ عَلِيٍّ
المعروف بِأَبْنِ تَمِيمٍ الشَّاعِرُ المشهورُ، وَهُوَ سِبْطُ أَبِي تَمِيمٍ، كَانَ أَصْلُهُ دِمَشْقِيًّا وَانْتَقَلَ
إِلَى حِمَاةٍ وَخَدَمَ صَاحِبَهَا الْمَلِكَ الْمَنْصُورَ جُنْدِيًّا، وَكَانَ لَهُ بِهِ اخْتِصَاصٌ، وَكَانَ
فَاضِلًا شَجَاعًا عَاقِلًا، وَكَانَ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْمَعْدُودِينَ. وَمِنْ شِعْرِهِ فِي الشَّجَاعَةِ
وَالْإِقْدَامِ قَوْلُهُ :

دَعْنِي أَخَاطِرُ فِي الْحُرُوبِ بِمُهْجَتِي * إِمَّا أَمُوتُ بِهَا وَإِمَّا أُرْزَقُ
فَسَوَادُ عَيْشِي لَا أَرَاهُ أَبْيَضًا * إِلَّا إِذَا أَحْمَرَتِ السَّنَانُ الْأَزْرَقُ

== ومن هذا التحديد يتبين أن بركة الفيل لم تكن على شكل فيل وأن اسمها أتى من شكلها كما يقول العامة،
وإنما كانت على شكل بيضاوى مفرطح من جهتيه الغربية وقد وصفها ابن سعيد صاحب كتاب المغرب
فقال : إنها كانت دائرة كالبدن والمناظر حولها كالنجوم .

وأما سبب تسميتها بركة الفيل فهو لأن الأمير نحارويه بن أحمد بن طولون كان مقرما باقتناء الحيوانات
من السباع والنور والقبيلة والزرافات وغيرها ، وأنشأ لكل نوع منها دارا خاصة له وكانت دار القبيلة واقعة
على حافة البركة من الجهة القبيلة الشرقية حيث شارع نور الفلام ، وكان الناس يقصدون البركة للترعة والفرجة
على القبيلة فاشتهرت بينهم بركة الفيل من وقتها إلى اليوم .

٢٠ ودار القبيلة هذه هي غير دار الفيل التي كانت على بركة فارون وأشرأها كافور الإخشيدي أمير مصر من
حبس بن مسكين ، فهذه الدار كانت واقعة على سكة المذبح من الجهة الشمالية منها جنوبي خط البغالة
بقسم السيدة زينب .

(١) في أحد الأصلين والذيل على مرآة الزمان : « لا يخالطها معا ترف ... الخ » . وفي الأصل
الآخر : « ولا يخالطها ترف » . ونظم البيت يقتضى ما أثبتناه .

وله :

لم لا أَهيمُ إلى الرِّياض وزَهْرِها * وأقيمُ منها تحت ظِلِّ ضَافِي
والفصنُ يلقاني بِشَعْرِ بِاسِم * والماءُ يلقاني بقلبِ صَافِي

وله :

عَايَنْتُ وَرَدَ الرُّوضِ يَلْطُمُ خَدَّهُ * ويقول وهو على البَنَفْسِجِ مُحَقُّ
لا تَقْرَبُوهُ وَإِنْ تَضَوَّعَ نَشْرُهُ * ما بينكم ^(١) فهو العدوُّ الْأَزْرَقُ

قلت : وقريب من هذا قولُ القائل :

بَنَفْسِجُ الرُّوضِ تاهَ مُجَبَّأ * وقال طيبي للجَوْضِجِ
فأقبل الزهرُ في آحتفالٍ * والبان من غيظه تَنَفَّخَ

الذين ذكر الذهبى وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها تُوفِّيت أمُ الخَيْرِ سِتَّ العرب
بنت يحيى بن قِيَاز الكِنْدِيَّة في المحرم . والمحدث أبو القاسم عليّ بن بَلْبَّان الناصريّ
في رمضان . وأبو بكر محمد بن إسماعيل بن عبد الله الأتَمَطِيّ في ذى الحجة . والقُدوة
الشيخ محمد بن الحسن الإخيميّ بقاسيون في جُمادى الأولى . والشيخ الزاهد
شرف الدين محمد ابن الشيخ عثمان [بن عليّ] الرُّومِيّ . والإمام الرشيد سعيد بن عليّ
[أبن سعيد] الحنفيّ في رمضان . والعلامة رضى الدين محمد بن علي بن يوسف
الشاطبيّ اللغوى بمصر، وله نيف وثمانون سنة .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم لم يحترق . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا

وعشرون إصبعا .

(١) في الأصلين : « من بينكم » . وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان وعيون التواريخ وشذوات
الذهب والمثل الصافي وثر الجمان للقيوى . (٢) زيادة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب
وذيل مرآة الزمان . (٣) زيادة عما تقدم ذكره في ص ٣٦٦ من هذا الجزء .



السنة الثامنة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، وهى سنة
خمس وثمانين وستمائة .

فيها استولى الملك المنصور قلاوون على الكرك وأتزعها من يد الملك المسعود
خضر ابن الملك الظاهر بيبرس .

وفيها توفى الشيخ معين الدين أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن أحمد
ابن تولوا الفهري^(٢)، مولده يتنيس سنة خمس وستمائة، ومات بمصر في شهر
ربيع الأول، ودُفن بالقرافة الصغرى، وسمع الحديث وتفقه وكان له معرفة بالأدب
وله يدٌ طولى في النظم، وشعره في غاية الجودة . ومن شعره وقد أمر قاضى مصر
بقطع أرزاق الشعراء من الصدقات سوى أبى الحسين الجزار . فقال :
١٠

تقدم القاضى لنوايه * بقطع رزق البر والفاجر
ووفر الجزار من بينهم * فأعجب للطف التيس بالجار

وفيها توفى الشيخ شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم بن محمد الأنصارى
الصوفى الفقيه الشافعى، الشاعر المشهور المعروف بابن الحيمى، كان إمام عصره
في الأدب ونظم الشعر مع مشاركة في كثير من العلوم . ومولده سنة اثنتين وستمائة،
١٥ وتوفى بمشهد الحسين بالقاهرة في شهر رجب، وقد أوصحنأ أمره مع نجم الدين
ابن إسرائيل لما تداعيا القصيدة التى أولها :

(١) فى الأصلين : «ابن عبد الرحيم بن أحمد بن تولو» . وتصحيحه عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ .
وشذرات الذهب ، وراجع الحاشية رقم ١ ص ٣٢٧ من هذا الجزء .
(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣١٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .
(٣) راجع حوادث سنة ٦٧٢ .

يا مطلباً ليس لي في غيره أرب * إليك آل التقصى وأتتهى الطلبُ

في تاريخنا « المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي » وذكرنا أمرهما لما أمرهما
أبنُ الفارض بنظم قصيدتين في الروى والقافية وذكرنا القصيدتين أيضاً بكاملهما،
ثم حكم أبنُ الفارض بالقصيدة لشهاب الدين هذا. والقصيدة التي نظمها شهاب الدين
أبنُ الحيمى هذا لما أمره أبنُ الفارض بالنظم أولها :

لله قومٌ يجرءاء الحيمى غيب * جنوا على - ولما أن جنوا عتبوا

والتي نظمها أبنُ إسرائيل .

لم يقص من حُكم بعض الذى يجب * قلب متى ما جرى تذكركم يجب

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفى المسند أبو العباس

أحمد بن شيبان الصالحى في صفر، وقد قارب التسعين . والعلامة جمال الدين محمد ١٠

ابن أحمد بن محمد البكرى . والشهاب محمد بن عبد المنعم بن محمد الأنصارى

أبنُ الحيمى الشاعر في رجب، وله ثلاث وثمانون سنة . والشيخ عبد الرحيم بن محمد

ابن أحمد بن فارس العلى بن الزجاج في المحرم . وأمة الحلق شامية ابنة صدر الدين

الحسن بن محمد بن محمد البكرى في رمضان . والإمام صفى الدين خليل بن أبى بكر

أبنُ محمد المرائى في ذى القعدة . وقاضى القضاة بهاء الدين يوسف أبنُ القاضى محيى ١٥

الدين [محيى] بن الزكى في ذى الحجة، وله ست وأربعون سنة . والمقرئ برهان الدين

إبراهيم بن إسحاق بن المظفر الوريرى في ذى الحجة قافلاً من الحج . وخطيب كفر بطنا

(١) في أحد الأصلين : « العلى » . وفي الأصل الآخر : « العلى » . وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام .

والثاني : نسبة إلى علة قرية بين عكبا وسامرا (عن لب الباب) . (٢) زيادة عن تاريخ الإسلام

وشذرات الذهب . (٣) في تاريخ الإسلام وغاية النهاية وشذرات الذهب أن وفاته كانت

في سنة ٦٨٤ هـ . (٤) كفر بطنا : من قرى غوطة دمشق (عن معجم البلدان لياقوت) . ٢٠

جمال الدين محمد بن عمر الدِّيَنَوِيّ في رجب، وله اثنتان وسبعون سنة .
والمقرئ الشيخ حسن بن عبد الله بن وَيْحِيَانُ الرَّاشِدِيّ في صفر .^(٢)

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع، وقيل خمس، وست أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وأربع أصابع .



السنة التاسعة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، وهي سنة ست وثمانين وستمائة .

فيها تُوِّفِيَ الشيخ الإمام العارف بالله تعالى قطب زمانه شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر المُرْسِيّ الأنصاري الإسكندري المالكي الصالح المشهور، كان علامة زمانه في العلوم الإسلامية، وله القَدَمُ الرَّاسِخَةُ في علم التحقيق، وله الكَرَامَاتُ البَاهِرَةُ،
وكان يقول : شَارَكْنَا الفقهاءَ فيما هم فيه ، ولم يشاركونا فيما نحن فيه . وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي : أبو العباس بَطَّرَقَ السماءَ أعلم منه بَطَّرَقَ الأرضَ . انتهى .

قلت : وكان لديه فضيلةٌ ومشاركةٌ، وله كراماتٌ وأحوالٌ مشهورة عنه، وللناس فيه اعتقاد كبير لا سيما أهل الإسكندرية ، وقد شاع ذكره وبعُدَ صيته بالصلاح والزهد، وكان من جملة الشهود بالتغر، وبها تُوِّفِيَ ودُفِنَ وقبره يُقصد للزيارة .

(١) ضبطه صاحب غاية النهاية بالعبارة فقال : (فتح الواو وسكون آخر الحروف وحاء مهملة مكسورة بعدها آخر الحروف . (٢) الراشدي : نسبة إلى بني راشد، قبيلة من البربر لا إلى الراشدية التي هي من قري ديار مصر (عن تاريخ الإسلام للذهبي) . وقرية الراشدية المذكورة هي التي تعرف اليوم باسم الرجدية إحدى قرى مركز طنطا .

(٣) هذا القبر لا يزال موجودا وفي مكانه الذي دفن فيه أبو العباس ، وهو اليوم تحت القبة التي على عین الداخل من الباب الغربي لجامعه . وكان هذا القبر قائما بذاته في جبانة قديمة تعرف بجبانة سيدي المرسى عند الميناء الشرقى بالإسكندرية ، وكان يزوره المغاربة الذين يقصدون الحج ، =

وفيهما توفى الشيخ شرف الدين أبو الربيع سليمان بن بُلَيْمان بن أبي الجليش
 ابن عبد الجبار بن بُلَيْمان الهمداني الأصل الرعباني المولد، الإزبيلي المنشأ، الشاعر
 المشهور صاحب النوادر، كان من شعراء الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن محمد
 صاحب الشام، وكان أبوه صائغاً وتَعَانَى هو أيضاً الصباغة، قيل إنه جاء إليه مملوك
 مبيعٌ من ممالك الملك الأشرف موسى، وقال له: عندك خاتمٌ لِصَبْعِي؟ فقال له: لا،
 إلا عندى لصبعٍ مبيعٍ لخاتمك. ومات بدمشق في ليلة عاشر صفر. ومن شعره:
 وما زالتِ الرُّجُلُ تُخبرُ عنكم * أحاديثَ كالمِسْكِ الدَّيْكَى بِلَامَيْنِ
 إلى أن تلاقينا فكان الذى وَعَتْ * من القول أذنى دون ما أبصرت عَيْنِي
 ولما قَامَ التَّلْعَفْرِى بَيَابِه وأخفاه قال فيه شرف الدين هذا قصيدة وأنشدها
 للملك الناصر بحضرة التَّلْعَفْرِى. فلما فرغ من إنشادها قال له التَّلْعَفْرِى: ما أنا جُنْدِي

== وقد قام بعضهم بإنشاء مسجد يشمل هذا القبر للحفاظ عليه من الأندثار. وفي سنة ١١٨٩ هـ، لاحظ
 بعض المغاربة النازلون بالإسكندرية أن المسجد صغير فوسعوه وجددوه، ثم قام بعد ذلك بعض نظاره
 في توسعة مساحته من أرض الجبانة المجاورة له حتى أصبح من الجوامع الشهيرة بالإسكندرية.

ولما رأى المغفور له جلالته الملك فؤاد الأول أن مدينة الإسكندرية خالية من الجوامع الكبيرة ذات البناء
 الفخم الذى يتفق مع عظيمة هذه المدينة أمر — رحمه الله — بهدم هذا الجامع وإعادة تجديده على مساحة
 كبيرة بشكل أجمل وأغرم مما كان عليه. وقد نفذت وزارة الأوقاف إرادة جلالته السامية وأضيف
 إلى مساحة المسجد ضعفها من الأرض المجاورة له من الجهة الشرقية فأصبح مساحته ٢٥٠٠ متر مربع،
 والعمارة جارية به الآن، وقد رأيت عند زيارتي له أنه من أكبر جوامع الإسكندرية بل أجملها وأغنىها،
 وهو مبنى على أساس من الشكل وسقفه محمول على ستة عشر عموداً سميكاً من الجرانيت المضلم والمكففت
 بالنحاس. وللجامع مثانة مرتفعة من الأسمت المسلح مزخرفة بقوش عربية جعلتها من أجمل المآذن في مصر.

وقد روى في بناء الجامع أن يكون من الداخل على طراز المباني الأندلسية لأن أبا العباس المرسي
 أصله من مدينة مرسية إحدى مدن بلاد الأندلس، وأن تكون المثانة على طراز مباني النصر الأيوبي،
 وهو النصر الذى جاء فيه أبو العباس إلى مصر. (١) الرعباني، نسبة إلى رعبان: مدينة بالغوريين
 حلب وسميساط قرب القرات معدودة في العواصم (عن معجم البلدان لياقوت). وفي ذيل مرآة الزمان:
 «الرغباني» بالغين المعجمة. (٢) في الأصلين: «رعت». وما أثبتناه عن ذيل مرآة الزمان
 ويعيون التواريخ وثر الجمان للقبوى. (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٥٥ من هذا الجزء.

حتى أقامَ بأخفاني . فقال له شرف الدين : يخفاف أمرأتك . فقال : مالى امرأة ، فقال له : لك مقامرةٌ من بين المجريين إما بالخفاف أو بالتعال^(١) . انتهى .
قلت : وأنا مساح التلقيرى على القمار، لحسن مقاله من رائق الأشعار :
فمن كان ذا عذيرٍ قبلتُ اعتذاره * ومن لاله عذرُ فنعسدى له عذرٌ

- وفيها توفى الشيخ الإمام المحدث قطب الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن الحسن بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القيسي الشاطبي المحدث الإمام العلامة، كان شيخ الكاملية بالقاهرة المعروف بابن القسطلاني^(٢) التوزري^(٣) الأصل المصري المولد المكي المنشأ الشافعي المذهب، مولده سنة أربع عشرة وستمائة، ومات يوم السبت ثامن عشر المحرم، ودُفن بالقرافة الصغرى، وكان مجموع الفضائل، رحمه الله .
- الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفى الإمام النحوي^(٤) بدر الدين محمد بن علي بن محمد بن علي القسطلاني^(٥) بالقاهرة في المحرم . والإمام قطب الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن علي القسطلاني^(٦) بالقاهرة في المحرم . وقاضى القضاة برهان الدين الخضر بن الحسن بن علي السنجاري بمصر في صفر . والحكيم عماد الدين محمد بن عباس الرنقي^(٧) الدنيسري^(٨)، وله إحدى وثمانون سنة . وشرف الدين سليمان ابن بليمان الإربلي^(٩) الشاعر . والمحدث وجيه الدين عبد الرحمن بن حسن السبتي^(١٠) في جمادى الأولى . والمسند عز الدين أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم [بن علي] ابن الصيقل الحراني في شهر رجب .

(١) في عيون التواريخ : « إماما بالخفاف وإما بالتعال » . (٢) في تاريخ الإسلام والمثل الصافي وثر الجمان : « محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد » . (٣) في الأملين : « التبرزي » . والتصحیح عن تاريخ الإسلام وثر الجمان . والتوزري : نسبة إلى توزر : مدينة بأفريقية عن لب الباب ومعهم البلدان لياقوت) . (٤) راجع حوادث سنة ٦٧٢ هـ . (٥) تكلمة عن تاريخ الإسلام وثر الجمان وذيل مرآة الزمان .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وأصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وعشر أصابع .



السنة العاشرة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، وهي سنة سبع وثمانين وستمائة .

فيها توفى الشيخ المعتقد الصالح برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن معضاد بن شذاد الجعبري الأصل والمولد المصري - الدار والوفاة، الصالح المشهور، نشأ بجمعة ثم أنتقل إلى الديار المصرية وأستوطنها ولزم مسجده، وكان يعظ به ويجمع عنده خلق كثير، ولأصحابه فيه عقيدة حسنة، وله مقالات كثيرة، وكان زاهداً طابداً، سمع الحديث وروى عن السخاوي وغيره، وكان غزير الفضيلة حلوا العبارة . ١٠

قال الصلاح الصفدي: أخبرني الشيخ الإمام العلامة أنير الدين أبو حيان من لفظه قال: رأيت المذكور بالقاهرة، وحضرت مجلسه أنا والشيخ نجم الدين بن مكي، وجررت لنا معه حكاية، وكان يجلس للعوام يذكّرهم ولهم فيه اعتقاد، وكان يدرى شيئاً من الحديث، وله مشاركة في أشياء من العلوم وفي الطب، وله شعر جيد. وأنشد له قصيدة أذكر منها القليل : ١٥

عشقوا الجمال مجزداً مجزداً * وح الزكية عشق من زكاهاً
منجّرين عن الطباع ولؤمها * متلبسين عفافها وتفاها
انتهى كلام الصفدي .

(١) هو علم الدين علي بن محمد بن عبد الصمد أبو الحسن السخاوي . تقدمت وفاته سنة ٨٦٤٣

(٢) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الفراءطي أنير الدين أبو حيان الأندلسي الجلياني . توفي سنة ٨٧٤٥ (عن الدرر الكامنة وشدرات الذهب والمنهل الصافي وحسن المحاضرة للسيوطي) . ٢٠

وقال القُطْبُ اليُونَنِيُّ : وأُظِنَّه نَيْفٌ عَلَى الثَّمَانِينَ مِنَ الْعُمَرِ ، وَلَمَّا مَرِضَ مَرَضُ الْمَوْتِ أَمَرَ أَنْ يُخْرَجَ بِهِ إِلَى مَكَانٍ مَدْفَنِهِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ لَهُ : « قُبَيْرُ جَاكْ دُبَيْرٌ » . ومات بعد ذلك بيوم في يوم السبت رابع عشرين المحرم بالقاهرة ودُفِنَ من يومه بالحُسَيْنِيَّةِ خَارِجَ بَابِ النَّصْرِ ، وَقَبْرُهُ مَعْرُوفٌ هُنَاكَ يُقْصَدُ لِلزِّيَارَةِ .

- قلت : ويُعْجِبُنِي فِي هَذَا الْمَعْنَى الْمَقَالَةُ السَّابِعَةُ الزُّهْدِيَّةُ مِنْ مَقَالَاتِ الشَّيْخِ الْعَارِفِ الرَّبَّانِيِّ شَرَفِ الدِّينِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ هَبَةِ اللَّهِ الْأَصْفَهَانِيِّ الْمَعْرُوفِ بِشَوْرَةِ مِنْ كِتَابِهِ « أَطْبَاقُ الذَّهَبِ » وَهِيَ :

طُوبَى لِلتَّقِيِّ الْخَامِلِ ، الَّذِي سَلِمَ عَنْ إِشَارَةِ الْأَنَامِلِ ؛ وَتَمَسَّأَ لِمَنْ قَعَدَ فِي الصَّوَامِعِ ،^(٣) لِيُعْرَفَ بِالْأَصَابِعِ ؛ خَزَائِنُ الْأَمْنَاءِ مَكْتُومَةٌ ، وَكُنُوزُ الْأَوْلِيَاءِ مَخْتُومَةٌ ؛ وَالكَامِلُ كَامِنٌ بَتَضَامِلِ ، وَالنَّاقِصُ قَصِيرٌ يَتَطَاوَلُ ؛ وَالْعَاقِلُ قُبْعَةٌ^(٤) ، وَالْجَاهِلُ طُلْعَةٌ ؛ فَاقْبَعْ قُبُوعَ الْحَيَاتِ ، وَأَكْنِ فِي الظُّلُمَاتِ ، كُنُوزَ مَاءِ الْحَيَاةِ ؛ وَصُنْ كَنْزَكَ فِي التُّرَابِ ، وَسَيْفَكَ فِي الْقِرَابِ ؛ وَحَفِّ آثَارَكَ بِالذَّيْلِ الْمَسْحُوبِ ، وَأَسْتُرْ رِوَاءَكَ بِسُفْعَةِ الشُّجُوبِ ؛ فَالْبَاهَةُ فِتْنَةٌ ، وَالْوَجَاهَةُ مِخْنَةٌ ؛ فَكُنْ كَنْزًا مَسْتُورًا ، وَلَا تَكُنْ سَيْفًا مَشْهُورًا ؛ إِنْ الظَّالِمُ جَدِيرٌ أَنْ يُقْبَرَ وَلَا يُحْشَرَ ، وَالْبَالِي خَلِيقٌ أَنْ يُطَوَّى وَلَا يُنْشَرَ ؛ وَلَوْ عَرَفَ

- ١٥ (١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٤٥ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٢) قبر برهان الدين أبي إسحاق الجعبري ، يستفاد مما ذكره المقرئ (في ص ٤٣٤ ج ٢) من خطه عند الكلام على زاوية الجعبري أن الشيخ برهان الدين إبراهيم أبي إسحاق الجعبري مات يوم السبت ٢٤ المحرم سنة ٦٨٧ هـ ودفن في زاويته الواقعة خارج باب النصر من القاهرة . وبالبحث عن مكان قبره تبين لي أن الزاوية قد اندثرت وأما القبر فلا يزال باقيا وهو ظاهر يزاور عليه مقصورة من الخشب داخل قاعة بصحرا . أبي فلاة بجبانة باب النصر ، ويتوصل إليه من شارع نجم الدين تجاه حوش الحاج دسوق القوانيسي من الجهة الغربية قرب المساكن . (٣) في أطباق الذهب : «والكامل طائل يتظلم» . (٤) القبة : من يدخل رأسه في قبضه . (٥) في الأصلين : «وأكن في الظلمات كماء الحياة» . وما أثبتناه عن أطباق الذهب طبع بيروت . (٦) السفعة : تغيير لون البشرة بلفح النار والسوم .

(١) الْجَذَلُ صَوْلَةُ النَّجَّارِ، وَعَصَّةُ الْمِنْشَارِ؛ لَمَّا تَطَاوَلَ شَبْرًا، وَلَا تَخَايَلُ كِبَرًا، وَسَيَقُولُ
الْبَلْبُلُ الْمُعْتَقَلُ : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ غُرَابًا، وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا . « إِنْتَهَى .
وَفِيهَا تُوفَّى الشَّيْخُ نَاصِرُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ حَسَنُ بْنُ شَاوَرِ بْنِ طَرْخَانَ الْبِكَانِيِّ وَيَعْرِفُ
بِأَبْنِ الْفُقَيْسِيِّ وَبِأَبْنِ النَّقِيبِ الشَّاعِرِ الْمَشْهُورِ ، كَانَ مِنْ الْفَضْلَاءِ الْأَدْبَاءِ ، وَمَاتَ
لَيْلَةَ الْأَحَدِ مِتِّصَفَ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ وَدُفِنَ بِسَفْحِ الْمَقَطِّمْ ، وَلَهُ تِسْعٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً ؛
وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَلَامَةِ شَهَابُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ صَحْبَةٌ وَمَجَالِسَةٌ وَمَذَاكِرَةٌ فِي الْقَرِيضِ .
وَمِنْ شَعْرِهِ :

نَهْنَاهُ عَنْ فِعْلِ الْقَبِيحِ فَمَا أَتَيْتُ * وَلَا رَدُّهُ رَدُّعٍ وَعَادَى
وَقُلْنَا لَهُ دِنْ بِالْصَّلَاحِ فَقَلَّمَا * رَأَيْنَا قِيَّ عَائِيَ الْقَسَادَ فَسَادَا

وله :

١٠

وَجُرِّدْتُ مَعَ قَقْرَى وَشَيْخَوْحَتِي الَّتِي * تَرَاهَا فَتَنُومِي عَنْ جُفُونِي مُشَرَّدٌ
فَلَا يَدْعِي غَيْرِي مَقَامِي فَإِنِّي * أَنَا ذَلِكَ الشَّيْخُ الْفَقِيرُ الْمَجْرَدُ
وله :

حَدَّثْتَ عَنْ تَقَرُّهِ الْمُحَلَّى * فَمَلَّ إِلَى خَدِّهِ الْمُوَرَّدِ
خَذَّ وَتَقَرَّبَ فَمَلَّ رَبُّ * بِمُبْدِعِ الْحَسَنِ قَدْ تَفَرَّدَ

١٥

وله :

يَا مَنْ أَدَارُ سُلَافَةً مِنْ رِيْقِهِ * وَحَبَابُهَا التَّنْفَرُ الشَّيْبُ الْأَشْنَبُ
تُفَاحُ خَدَّكَ بِالْمِذَازِ مُمَسَّكٌ * لَكِنَّهُ بَدَمُ الْقُلُوبِ مُحَضَّبُ

(١) والجذل : ما عظم من الحطب ويس . (٢) في عيون التواريخ : « وقد جاوز

الثمانين سنة من العمر » (٣) رواية فوات الوفيات : * فلا يدعى غيري ثيابي فاني * .

(٤) رواية هذا البيت في عيون التواريخ وفوات الوفيات :

يا من أدار بريقه مشمولة * وحبا بها التنفر النقي الأشنب

وله :

أنا العُذْرِيُّ فاعْذِرْنِي وَسَاخْ * وَجُرْ عَلَى الْإِحْسَانِ ذَيْلًا
وَلَمَّا صِرْتُ كَالْمُجْنُونِ عِشْقًا * كَتَمْتُ زِيَارَتِي وَأَتَيْتُ لَيْلًا

- وفيهما تُوُفِّيَ الملك الصالح على أبن السلطان الملك المنصور قلاوون، كان والده المنصور قلاوون قد جمعه ولَّى عَهْدَهُ وسلطنه في حياته حسب ما تقدم ذكره .
- في سنة تسع وسبعين وستائة ، فدام في ولاية العَهْدِ إلى هذه السنة مَرَضَ ومات بعد أيام في رابع شعبان بقلعة الجبل ، ووجد عليه أبوه الملك المنصور قلاوون كثيرًا ، فإنه كان نجيبًا عاقلًا خليقًا للملك .

- وفيهما تُوُفِّيَ الشيخ الطبيب علاء الدين على بن أبي الحرم القرشي الدمشقي المعروف بأبن التَّيْسِ الحكيم الفاضل العلامة في فنه ، لم يكن في عصره من يُضَاهِيهِ في الطَّبِّ والعِلاج والعلم ، أَشْتَغَلَ على المَهْذَبِ الدَّخْوَارِ حتى برَع ، وَأَتَتْهُ إِلَيْهِ رِياسة فَنَه في زمانه ، وهو صاحب التصانيف المفيدة ، منها : « الشامل في الطب » ، و « المَهْذَبُ فِي الكُؤْمَلِ » ، و « الموجز » ، و « شرح القانون لأبن سينا » . ومات في ذى القعدة بعد أن أوقف داره وأملاكه وجميع ما يتعلق به على الْبِيَارِستان المنصوري بالقاهرة .

- الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها تُوُفِّيَ الشيخ إبراهيم بن مَعْضَادِ الجَعْفَرِيِّ بالقاهرة في المحَرَّمِ عن نَيْفِ وثمانين سنة . والإمام أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله [بن أحمد بن محمد بن قُدَّامَةَ] المَقْدِسِيَّ الْقَرَضِيَّ . وخطيب
- (١) في أحد الأصلين وحسن المحاضرة للبطي : « ابن أبي الحزم » . وما أئْتناه عن الأصل الآخر ويعون التواريخ وتاريخ الإسلام وشذرات الذهب وثر الجمان للقيومي . (٢) هو عبد الرحيم ابن علي مذهب الدين رئيس الأطباء . تقدمت وفاته سنة ٥٦٢٨ هـ . (٣) هو موجز القانون في الطب ، كما في كشف الظنون . (٤) زيادة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب .

القُدس قُطْب الدين أبو الزُّكَّاء عبد المنعم بن يحيى الزُّهْرِيّ - في رمضان . والجمال
أحمد بن أبي بكر بن سليمان بن الحَمَوِيّ . والشيخ الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن
عبد العزيز اللُّوْرِيّ شيخ المالكية في صفر .

§ أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم خمس أذرع وأربع أصابع .
بلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وأربع أصابع .



السنة الحادية عشرة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، وهى سنة
ثمانٍ وثمانين وستمائة .

فيها فُتِحَتْ طرَابُلُس وما أُضيف إليها بعد أمور ووقائع حسب ما ذكرناه
في أصل هذه الترجمة مُفَصَّلًا .

وفيها تُوُفِّيَ الشيخ علم الدين أحمد ابن الصاحب صَفِيّ الدين يوسف بن عبد الله
ابن شكر المعروف بابن الصاحب ، كان نادرة زمانه في المَجُونِ والهلل وإنشاد
الأشعار واللبقات وكان بَقِيَ في آخر عمره فقيرا مجرّداً ، وكان أشتغل في صباه وحصل
ودرس ، وكان لديه فضيلةٌ وذكاء وحسنُ تصور ، إلّا أنه تَمَقَّقَر في آخر عمره وأطلق
طباعه على التَّكْدِي وصار يُجَارِدُ الرؤساء ، ويركب في قفص [على رأس] حَمَالٍ^(٦)
ويتضارب الجمالون على حمله ، لأنّه كان مهما فُتِحَ له من الرؤساء كان للذى يحمله ،

(١) في أحد الأصول : « أبو البركات » . وتصحيحه عن الأصل الثانى وتاريخ الإسلام وعيون
التواريخ وشذرات الذهب وتاريخ الدول والملوك لابن الفرات . (٢) اللورى : نسبة إلى لورة :
قلعة من أعمال إشبيلية بالأندلس (عن تاريخ الإسلام وقر الجمان) . (٣) في قر الجمان :
« أبو العباس أحمد ابن الصاحب تاج الدين يوسف ابن الصاحب صفى الدين عبد الله » .

(٤) اللبقات : نوع من التواشيح العامة كانت شائعة في بلاد الشام . (٥) في لسان العرب :
« جرد القوم جردا : سألهم فنعوه أو أعطوه كارهين » . (٦) زيادة عن عيون التواريخ .

فكان يستمر راجعا في القفص والتمال يدور به في أماكن الفرج والنزه، وكان يتعمم بشرطوط^(١) طويل جدًا رقيق العرض ويعاشر الحرافيش، وكان له أولاد رؤساء، ويقال: إن صاحب بهاء الدين بن حنا هو الذي أحوجه إلى أن ظهر بذلك المظهر، وأتمله وجنته لكونه كان من بيت وزارة، فكان ابن صاحب هذا إذا رأى

الصاحب بهاء الدين بن حنا يُنشد :

اشرب وكل وتهنا * لا بد أن تتغنى

محمد وعلى * من أين لك يا بن حنا

- قال الشيخ صلاح الدين الصفدي: «أخبرني من لفظه الحافظ نجم الدين أبو محمد الحسن خطيب صفد، قال: رأيتُه (يعني ابن الصاحب) أشقر أزرق العينين^(٢) عليه قميص أزرق، وبیده عكاز حديد. قال: وأخبرني من لفظه الحافظ فتح الدين^(٣) ابن سيد الناس، قال: كان ابن الصاحب يعاشر الفارس أقطاي فاتفق أنهم كانوا يوماً على ظهر النيل في شتور^(٤)، وكان الملك الظاهر يبرس مع الفارس أقطاي وجرى بينهم أمر، ثم ضرب الدهر ضرباً أنه حتى تسلطن الملك الظاهر يبرس وركب يوماً إلى الميدان، ولم يكن عمر قنطرة السباع^(٥)، وكان التوجه إلى الميدان من على باب زويلة على باب الخرق^(٦)، وكان ابن الصاحب هذا نائماً على قفص صيرفي^(٧)»

(١) شرطوط (شرموط): الخرقعة (عن قاموس دوزي).

(٢) هذه رواية الأصلين والمنهل الصافي والوافي بالوفيات للصفدي. ورواية عيون التواريخ وابن كثير:

أفصد بها وتهنا * لا بد أن تتغنى

يكتب على بن محمد * من أين لك يا بن حنا

(٣) هو الحسن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن مفرج، خطيب صفد وعالمها. توفي سنة ٧٢٣هـ (عن شذرات الذهب والدرر الكامنة). (٤) هو فتح الدين أبو الفتح محمد ابن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن يحيى بن سيد الناس. سيذكره المؤلف سنة ٧٢٤هـ. (٥) الشتور: المركب الصغيرة للنزه (عن قاموس دوزي). (٦) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٩١ من هذا الجزء. (٧) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٩٣ من الجزء الرابع من هذه الطبعة.

من تلك الصياف برّاً باب زويلة، ولم يكن أحدٌ يتعرّض لأبن صاحب، فتزبه الملك الظاهر فلم يشعُر إلا وأبن صاحب يضرب بمفتاح في يده على خشب الصيرفي قوياً، فالتفت الظاهر فراه فقال : هاه ! علم الدين ؟ فقال : إيش علم الدين أنا جيمان ! فقال : أعطوه ثلاثة آلاف درهم . وكان ابن صاحب أشار بتلك الدقة إلى دقة مثلها يوم المركب » . انتهى [كلام الصفي] .

قلت : ومن نوادره اللطيفة أنه كان بالقاهرة إنساناً ^(١) كثيراً ما [يجرد الناس فسموه زحل ، فلما كان في بعض الأيام وقف ابن صاحب على دكان حلوى يزّن دراهم يشتري بها حلوى ، وإذا بزحل قد أقبل من بعيد ، فقال ابن صاحب للحلوى : أعطني الدراهم ، ما بقي لي حاجة بالحلوى ، فقال : لم ؟ قال : أما ترى زحل قارن المشتري في الميزان ! وله من هذا أشياء كثيرة ذكرنا منها نبذة في ترجمته في تاريخنا « المنهل الصافي » . ومن شعره :

يانفسُ ميلٍ إلى التصاني * فاللهو منه الفتى يعيش
ولا تملّ من سُكرِ يوم * إن أعوز الخمرُ فالخشيشُ

وله في المعنى :

في تخمار الخشيش معنى مرايمى * يا أهبل العقول والأفهام
حرّموها من غير عقلٍ وتقليل * وحرامٌ تحريمٌ غير الحرام

قلت : وأحسن ما قيل في هذا المعنى قول القائل ولم أدري لمن هو :
وخضراء ما الحمراء تفعل فعلها * لها وثباتٌ في الخشى وثباتُ
توجّع ناراً في الخشى وهي جنة * وتروى مريراً الطعم وهي نباتُ

(١) زيادة عن المنهل الصافي والوافي بالوفيات . (٢) يريد بائع الحلوى .

وفيها توفى الشيخ الأديب البارع المفتن شمس الدين محمد بن عفيف الدين سليمان
ابن علي التلمساني الشاعر المشهور، كان شاباً فاضلاً ظريفاً، وشعره في غاية الحسن
والجودة . وديوان شعره مشهور بأيدي الناس، ومن شعره :

ياساً تكا قلبي المعنى * وليس فيه يسواك ثاني

لائي معنى كمرت قلبي * وما ألتقي فيه سا كان

وله في ذم الحشيش :

ما للحشيشة فضل عند آكلها * لكنه غير مصروف إلى رَشده
صفراء في وجهه خضراء في فَمِه * حمراء في عينه سوداء في كَيْده

وله أيضاً :

- ١٠ لي من هواك بعيد وقريبه * وَلَكِ الجمالُ بديعه وغريبه
يا مَنْ أُعيدُ جماله بجلاله * حَدِّثْهُ عليه من العيون تُصِيبه
إن لم تكن عيني فإنيك نُورُها * أو لم تكن قلبي فإني حبيبُه
هل رحمة أو حرمة لَمُتِمَّ * قد قلَّ منك نصيره ونصيبُه
ألف الفصائد في هواك تغزلاً * حتَّى كَانَتْ بكِ النسيبَ نسيبُه
لم تُبقِ لي سِراً أقولُ تَذِيعُه * عَنِّي ولا قلبٌ أقولُ تَنِيصُه^(١)
كم ليلة قضيتها مُتَسَهِّداً * والدمع يجرحُ مقلِّي مَسْكُوبُه
والنجم أقربُ من لِقَاكَ مَنَالُه * عندى وأبعدُ من رضاك مَغِيْبُه
والجو قد رقت على شِمَالِه^(٢) * وجفُونُه وشِمَالِه وجنُوبُه

(١) في أحد الأصلين : « تزيه » . (٢) هذه رواية الديوان : وفي الأصلين :

هِيَ مَقْلَةٌ سَهْمُ الْفِرَاقِ يُصِيبُهَا * وَيَسُحُّ وَأَبْلُ دَمْعُهَا فَيَصُوبُهُ
وَجَوَى تَضَرَّمْ جَمْرُهُ لَوْلَا نَدَى * قَاضِي الْقَضَاةِ قَضَى عَلَى لَمْبِهِ
وله :

أَنْجَلَتْ بِالنَّفَرِ شَايَا الْأَقَاحِ * بِأُطْرَةِ اللَّيْلِ وَوَجْهَ الصَّبَاحِ
وَأَعْجَمْتُ أَعْيُنُكَ السَّحَرُ مَذَّ * أَعْرَبْتُ مِنْهُمْ صِفَاحًا فِصَاحُ
فِيهَا سُودًا مِرَاضًا غَدَتْ * تَسْلُ لِلْعَاشِقِ يَسْضًا صِحَاحُ
يَا لَلْهَوَى مَنْ مُسْعِدٌ مُفَرَّمًا * رَأَى حَمَامَ الْأَيْكِ غَيَّ فَنَاحُ
يَا بَانَةً مَالَتْ بِأَعْطَافِهِ * عَلِمْتَنِي كَيْفَ تُهْزِلُ الرَّمَاحُ
وَأَنْتِ يَا أَسْهَمَ الْحَاظِلِ * أَتَخْنَتِ وَاللَّهِ فَوَادِي جِرَاحُ

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها تُوُفِّيَ كَمَالُ الدِّينِ أَحْمَدُ
أَبْنُ يَوْسُفَ بْنِ نَصْرِ الْفَاضِلِ . والمفتي نَصْرُ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَوْسُفَ الْبَلْبَكِيِّ
الْحَبْلِيَّ فِي رَجَب . ورئيس الشُّهُودِ زَيْنُ الدِّينِ الْمَهْدِيَّ أَبْنُ أَبِي الْغَنَائِمِ التُّونُخِيَّ .
والعَلَّامَةُ شَمْسُ الدِّينِ الْأَصْبَهَانِيَّ الْأَصُولِيَّ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِالْقَاهِرَةِ فِي رَجَب . والمَقْرئُ
تَقِيَّ الدِّينِ يَعْقُوبُ بْنُ بَدْرَانَ الْجَرَائِدِيَّ بِالْقَاهِرَةِ فِي شَعْبَانَ . والمُسْنِدَةُ الْعَابِدَةُ زَيْنَبُ
بِنْتُ مَكِّيَّ فِي شَوَّالٍ ، وَلَهَا أَرْبَعٌ وَتَسْعُونَ سَنَةً . وَالْعَمَادُ أَحْمَدُ بْنُ الشَّيْخِ الْعِمَادِ إِبْرَاهِيمَ
ابْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْمُقَدِّسِيَّ . وَالْإِمَامُ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْكَمَالِ عَبْدِ الرَّحِيمِ
ابْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْمُقَدِّسِيَّ فِي جُمَادَى الْأُولَى .

- (١) رَوَاةُ الْأَصْلَيْنِ : * أَعْرَبْتُ مِنْهُمْ صِفَاحًا فِصَاحُ *
وَمَا أَثْنَاءَهُ عَنْ دِيَوَانِهِ . (٢) فِي الْأَصْلِ : « ... غَيَّ فَنَاحُ » . وَمَا أَثْنَاءَهُ عَنْ دِيَوَانِهِ .
(٢) لَمْ يَذْكُرْ أَحَدُ الْأَصْلَيْنِ هَذَا الْأِسْمَ ، وَذَكَرَهُ الْأَصْلُ الْآخَرُ بِاسْمِ : « مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ
بَدْرَانَ » . وَهُوَ خَطَأٌ . وَصَوَابُهُ عَنْ تَارِيخِ الْإِسْلَامِ وَشَذَرَاتِ الذَّهَبِ وَغَايَةِ النِّهَايَةِ وَحَسَنِ الْمَخَاضَةِ
لِلْسَيُوطِيِّ وَالْوَاقِيَّ بِالْوَفَايَاتِ لِلصَّفْدِيِّ . (٤) فِي الْأَصْلَيْنِ : « بَنُ عَبْدِ اللَّهِ » . وَالتَّصْحِيحُ عَنْ
شَذَرَاتِ الذَّهَبِ وَتَارِيخِ الْإِسْلَامِ وَالْمُهَلِّ الصَّافِي وَالْوَاقِيَّ بِالْوَفَايَاتِ .

§ أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم أربع أذرع وعشر أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وعشر أصابع .



السنة الثانية عشرة من ولاية السلطان الملك المنصور قلاوون على مصر، وهي سنة تسع وثمانين وستمائة .

فيها كانت وفاة صاحب الترجمة الملك المنصور قلاوون في ذى القعدة حسب ما تقدم ذكره، وتسلطن بعده ابنه الملك الأشرف خليل .

وفيها توفى الشيخ الإمام أبو المعالي برهان الدين أحمد بن ناصر بن طاهر الحسيني الحنفي إمام المقصورة الحنفية الشمالية بجامع دمشق، كان إماما عالما فاضلا زاهدا صالحا متعبدا مفتتا مشتغلا بما هو فيه من الاشتغال بالعلم والأوراد والقراءة إلى أن مات في يوم السبت ثاني عشرين شوال ، وتولى بعده الإمامة الشيخ نجم الدين يعقوب البروكاري^(١) الحنفي، وسلك مسلكه .

وفيها توفى الأمير حسام الدين أبو سعيد طرططاي بن عبد الله المنصوري الأمير الكبير، كان أوحد أهل عصره، كان عظيم دولة أستاذه الملك المنصور قلاوون، وكان المنصور قد جعله نائبه بسائر الممالك، وكان هو المتصرف في مملكته .
فلما مات الملك المنصور قلاوون وتسلطن ولده الملك الأشرف خليل أستتابه أياما إلى أن رتب أموره ودبره ودبر أحواله، وكان عظيم التنفيذ سديد الرأي، مفرط الذكاء غزير العقل؛ فلما ربحته قدم الأشرف في السلطنة أمسكه، وكان في نفسه

(١) كذا في أحد الأصلين . وفي الأصل الآخر هكذا : « البروكاري » وقد أطلنا البحث عن كلنا

النسبتين في المعاجم التي تحت يدينا فلم نعر على شيء يقر بنا إلى وجه الصواب فيما .

منه أيام والده ، وبَسَطَ عليه العذاب إلى أن مات شهيداً وصَبَرَ على العذاب صَبْرًا لم يمهّد مثله عصر إلى أن هَلَكَ ، ولَمَّا غَسَلُوهُ وجدوه قد تَهَزَّأ لحمُهُ وتَزَالَت أَعْضَاؤُهُ ، وأن جوفَهُ كان مشقوقاً ، كُلُّ ذَلِكَ وَلَمْ يُسْمَعْ منه كلمةٌ . وكان بينه وبين الأمير علم الدين سَنَجَر الشَّجَاعِيّ عداوةٌ على الرُّبَّة ، فسَلَّمَهُ الأَشْرَف إلى الشَّجَاعِيّ وأمره بتعذيبه ، فَبَسَطَ الشَّجَاعِيّ عليه العذاب أنواعاً إلى أن مات ، فحُمِلَ إلى زاوية الشيخ عمر السُّعُودِيّ ، فغَسَلُوهُ وكَفَّنُوهُ ودفنوه بظاهر الزاوية . وكان له مواقف مع العدو ، وَغَرَّوَات مشهورة وفتوحات . وبني مدرسةً حسنةً بقرب داره بخط البُنْدُقَانِيّين (٢) بالقاهرة ، وَقَبَّةً برسم الدفن ، وله أوقاف على الأَسْرَى وغيرها . وكان فيه محاسن لولا ثُغْمُهُ وبذاءةُ لسانه لكان أَوْحَدَ أهل زمانه ، وخَلَفَ أموالاً جَمَّةً .

- ١٠ (١) زاوية الشيخ عمر السُّعُودِيّ ، لما تكلم المقرئ على المدرسة الحسابة في (ص ٣٨٦ ج ٢) من خطه ، قال في ترجمة الأمير خُصَّام الدين طرَنْطَاي المنصوري : إن الملك الأشرف خليل بن قلاوون أمر بقتله فقتل يوم الخميس ٢٤ ذى القعدة سنة ٦٨٩ هـ ، ثم أُنْجِزَتْ جثته من قلعة الجبل حيث لُفِت في حصير وحملت إلى زاوية شيخ أبي السُّعُود بن أبي العِشَّار بالقراءة ففلسه الشيخ عمر السُّعُودِيّ شيخ الزاوية وكفنه ودفنه خارج الزاوية ، وقيمت جثته هناك إلى سلطنة العادل كتبها ، فأمر بنقل جثة طرَنْطَاي إلى تربته التي أنشأها بمدرسته الحسابة بخط المسطاح من حارة الوزيرية من القاهرة .
- ١٥ وأقول : تكلم ابن الزيات في كتابه الكواكب السَّيَّارة (ص ٣١٦) وما بعدها على زاوية الشيخ أبي السُّعُود بن أبي العِشَّار وعلى قبر الشيخ سلامة المعروف بأبي طرطور وعلى زاوية الشيخ عبد الله محمد المعروف بؤفا الشاذلي . ويستفاد مما ذكره ابن الزيات أن هذه الأماكن الثلاثة قريب بعضها من بعض ويجمعها اليوم جبانة سيدى على أبي الوفا الواقعة تحت الجبل شرق جبانة الإمام الليث وبالبحت والمعاينة تبين أن زاوية الشيخ أبي السُّعُود التي دُفِنَ بجوارها الأمير طرَنْطَاي قد اندثرت . ومكانها اليوم مقابر واقعة غربي طريق الجبانة المذكورة في الشمال الغربي لمقام الشيخ سلامة أبي طرطور وعلى بعد سبعين متراً منه . وأما المدرسة الحسابة التي أنشأها الأمير طرَنْطَاي المذكور في سنة ٦٨٤ هـ فكانها اليوم المسجد المعروف بجامع أبي الفضل بحارة الصاوي من درب سمادة بالقاهرة ، ولا يزال يوجد بجوار هذا الجامع قبة أثرية تحته قبر الأمير طرَنْطَاي الذي دُفِنَ فيه بعد نقل جثته من القراءة . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٢ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .
- ٢٥

قال الشيخ قُطْب الدين اليُونَنِيّ قال الشيخ تاج الدين الفَزَارِيّ : حدثني
 تاج الدين بن الشيرازي المحتسب : أنهم وجدوا في خزانة طُرُنْطَاي من الذهب العين^(٢١)
 ألفى ألف دينار وأربعمائة ألف دينار وألفى حياصة ذهب وألف وسبعمائة كلوته^(٢٢)
 مُزْرَكشة، ومن الدراهم ما لا يُحصى؛ فأستولى الأشرف خليل على ذلك كله، وفرقه
 على الأمراء والمالِك في أيسر مدة؛ وأحتاج أولاد طُرُنْطَاي هذا وعياله من بعده
 إلى الطلب من الناس من الفقر .

وقال غيره : وَجِدَ لَطُرُنْطَاي ألف ألف دينار وستمائة ألف دينار . ثم ذكر أنواع
 الأقمشة والخيل والجمال والبغال والمتاجر ما يُستَحى من ذكره كثرة . ومات طُرُنْطَاي
 المذكور ولم يبلغ خمسين سنة من العمر .

وفيها تُوُفِيَ الأمير علاء الدين طَيْبَرَس بن عبد الله الصالحى المعروف بالوزير ،
 كان أحد الأمراء المشهورين بالشجاعة والإقدام ، وكان من المبرزين وله التقدم
 في الدول والوجاهة ، ولم يزل على ذلك إلى أن مات ، رحمه الله تعالى .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها تُوُفِيَ العلامة رشيد الدين
 عمر بن إسماعيل الفَارَقِيّ خُنِقَ في المحترم وقد كمل التسعين . والإمام نور الدين على
 ابن ظهير بن شهاب بن الكففى المقرئ الزاهد في شهر ربيع الآخر . وقاضى الحنابلة
 نجم الدين أحمد ابن الشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن أبى عمر فى جُمادى الأولى ،

(١) هو تاج الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع بن ضياء الفزاري الإمام العلامة فقيه الشام
 سيده كره الخلف سنة ٥٦٩ هـ . (٢) هو تاج الدين أحمد بن العباد بن الشيرازي توفى سنة ٥٧٢ هـ
 كما في شذرات الذهب ولم نثر على ترجمة له في بقية المصادر التي تحت يدينا . (٣) عبارة عيون التواريخ :
 « إن جملة ما أخذ من الذهب الدين ستمائة ألف دينار مصرية ومن الفضة النقرة مائة وواحد وسبعون قطارا
 بالمصري ، وأخذوا له من اللسد والسلاح والقماش والأواني الصني والفضيات شئ كثير وحواضر
 ومروج وبلج ما لا يوجد عند ملك » .

وله ثمان وثلاثون سنة . وخطيب دمشق جمال الدين عبد الكافي بن عبد الملك
ابن عبد الكافي الربيعي في سَلَخ^(١) جمادى الأولى . والزاهد نضر الدين أبو طاهر إسماعيل
عزّ القضاة بن عليّ بن محمد الصوفيّ في رمضان . والشيخ شمس الدين عبد الرحمن
أبن الزّين أحمد بن عبد الملك المقدسيّ في ذى القعدة . والسلطان الملك المنصور
سيف الدين قلاوون الألفيّ الصالحيّ في ذى القعدة .

§ أضر النيل في هذه السنة — الماء القديم ثلاث أذرع وإصبعان . مبلغ
الزيادة خمس عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعاً ، ولم يوفّ في هذه السنة .



اتهى الجزء السابع من النجوم الزاهرة ويلىه الجزء الثامن ،
وأوله : ذكر ولاية الملك الأشرف خليل على مصر

(١) في الأصلين : « ابن محمود » . وتصحيحه عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب والمنهل الصافي

استدراكات على بعض تعليقات وردت في الجزأين الرابع والخامس
من هذا الكتاب ، لحضرة الأستاذ محمد رمزي بك

قنطرة عبد العزيز بن مروان

بما أن الشرح الخاص بتعيين موقع هذه القنطرة المدرج في صفحة ٤٤ بالجزء الرابع من هذه الطبعة جاء غير وافي فيستبدل به الشرح الآتي :

لما تكلم المقرئ على ظواهر القاهرة المعزية (ص ١٠٨ ج ٢) قال : كان أول الخليج الكبير عند وضع القاهرة بجانب خط السبع سقايات وكان ما بين هذا الخط وبين المعاريح بمدينة مصر (مصر القديمة) غامرا بماء النيل .

ولما تكلم على قناطر الخليج الكبير (ص ١٤٦ ج ٢) قال : انب قنطرة ابن مروان كانت في طرف الفسطاط بالجرء القصوى بناها عبد العزيز بن مروان والى مصر في سنة ٦٩ هـ . وموضعها خلف السبع سقايات على فم الخليج الكبير وكان المرور على هذه القنطرة بين الجرء القصوى وجنان الزهرى .

ولما تكلم على حكر أقبقا (ص ١١٦ ج ٢) قال : وفي هذا الحكر تقع قنطرة عبد العزيز بن مروان .

وقد تبين لى من البحث : (أولا) أن خط السبع سقايات هو الذى عرف فيما بعد بحكر أقبقا أى أن مكانهما واحد . وفقط اختلفت التسمية باختلاف الزمن والمناسبات . (ثانيا) أن حكر أقبقا مكانه اليوم المنطقة التى فيها حارة السيدة زينب وفروعها وجنينة لاظ وشوارعها . (ثالثا) أن النيل كان يجرى وقت فتح العرب لمصر فى الجهة الغربية من جنينة لاظ حيث الطريق المسماة شارع بنى الأزرق وما فى امتداده جنوبا وشمالا . (رابعا) أن فم الخليج المصرى كان فى ذاك الوقت واقعا حذاء مدخل الشارع المذكور من جهة شارع الخليج .

ومما ذكر يتضح أن قنطرة عبد العزيز بن مروان التي كانت على فم الخليج الكبير مكانها اليوم النقطة الواقعة بشارع الخليج المصرى تجاه مدخل حارة حكر أقبقا بأرض جنيبة لآل التي هي جزء من حكر أقبقا . وهذا الخط هو الجزء الشمالى من الحمراء القصوى ويقابله على الشاطئ الأيسر للخليج أرض جنات الزهرى حيث خط الناصرية الآن وما في امتداده إلى شارع غيط العدة .

بستان الخشاب

بما أن الشرح الخاص بتحديد هذا البستان المدرج في صفحة ٤٤ بالجزء الرابع من هذه الطبعة جاء غير وافي فيستبدل به الشرح الآتى :

تكلم المقرئ على هذا البستان في جملة مواضع بالجزء الثانى من خطه فذكره عند الكلام على ظواهر القاهرة المعزية (ص ١٠٨) وعلى بر الخليج الغربى (ص ١١٣) وعلى الخليج الناصرى (ص ١٤٥) وعلى قنطرة السد (ص ١٤٦) وعلى قنطرة الفخر (ص ١٤٨) وعلى الميدان الناصرى (ص ٢٠٠) وعلى حكر الست حديق (ص ١١٦) ويستفاد مما ذكر في المواضع المذكورة البيان الآتى :

(أولا) أن بستان الخشاب كان واقعا في المنطقة التي تحد اليوم من الشمال بشوارع المبتديان ومضرب النشاب والبرجاس والجزء الغربى من شارع إسماعيل باشا إلى النيل . ومن الغرب نهر النيل . ومن الجنوب مستشفى قصر العيني وشارع بستان الفاضل وما في امتداده من الجهة الشرقية إلى شارع الخليج المصرى . ومن الشرق شارع الخليج المصرى وشارع سعد الدين إلى أن يتقابل مع الحد البحرى .

(ثانيا) أن هذا البستان كان منقسما إلى قسمين الشرق منهما وهو الواقع بين شارع المنيرة وشارع الخليج المصرى وكان يعرف بالمريس حيث كان يسكنه طائفة من السودان وبه يتخذون المزر وهو نوع من البوطة يسميه أهل السودان المريسة، والقسم الغربى وهو الواقع بين شارع المنيرة وشارع النيل كان يعرف

بالميدان الناصرى . ومكانه اليوم خط القصر العالى المسمى « جاردن سى » وكان بالجهة الجنوبية من هذا الميدان على شاطئ سيالة جزيرة الروضة عند كوبرى محمد على يوجد مواقع فم الخليج الناصرى وقنطرة الفخر وموردة الحبس وموردة البلاط .

أرض الطبالة

بما أن الشرح الخاص بتحديد هذه الأرض المدرج فى صفحة ١٢ بالجزء الخامس من هذه الطبعة جاء غير واف بالنسبة للحد الغربى للأرض المذكورة فيستبدل به الشرح الآتى :

يستفاد مما ذكره المقرئى فى خططه عند الكلام على جزيرة الفيل (ص ١٨٥ ج ٢) أن أرض الطبالة كانت ممتدة إلى شاطئ النيل القديم تجاه جزيرة الفيل التى كانت وسط النيل . ومكانها اليوم منطقة شبرا بالقاهرة . ومن هذا يتضح أن أرض الطبالة كانت واقعة فى المنطقة التى تحد اليوم من الشرق بشارع الخليج المصرى . ومن الشمال بشارع الظاهر فشارع وقف الخربوطلى وما فى امتداده حتى يتقابل بشارع مهمشة . ومن الغرب بشارع غمرة إلى محطة كوبرى الليمون فيدان محطة مصر إلى ميدان باب الحديد حيث كان النيل يجرى قديما . ومن الجنوب بشارع الفجالة وسكة الفجالة ويدخل فيها الآن محطة كوبرى الليمون والفجالة وبركة الرطلى . وباقى الشرح الوارد بالجزء الخامس صحيح .



تنبيه : التعليقات الخاصة بالأماكن الأثرية على اختلاف أنواعها، والمدن والقرى القديمة وغيرها مع تعيين وتحديد مواضعها من وضع حضرة الأستاذ محمد رمزى بك المقتش بوزارة المالية سابقا . فنسدى إليه جزيل الشكر ونسأل الله جلت قدرته أن يحزيه خيرا الجزاء عن خدمته للعلم وأهله .

استدراكات على الجزء السادس من النجوم الزاهرة

نبهنا إليها الأستاذ الشيخ محمد أحمد دهمان من علماء دمشق قنسى إليه جزيل الشكر

(١) ورد في ص ٣٥ س ١٥ : « تسلم أصحابه مدينة غزة وبيت جبريل والماطرون » وذكرنا في الحاشية رقم ٣ أن تصويبه الماطرون عن شرح القاموس ومعجم البلدان لياقوت . والصواب أنه النطرون بالنون ، لأن الماطرون أسم موضعين بالقرب من دمشق ، وفتوحات صلاح الدين كانت في فلسطين ، كما في سيرة صلاح الدين والروضتين وتاريخ أبي الفدا وتاريخ ابن الوردي في حوادث سنة ٥٨٣ هـ .

(٢) ورد في ص ٩٩ س ١١ و ١٢ : « وبنت تربة بقاسيون على نهر بردى » . وعلقنا عليه في الحاشية رقم ٥ أن « بردى نهر بدمشق » . وصوابه : « وبنت تربة بقاسيون على نهر يزيد » ، لأن نهر بردى لا يميز بقاسيون ، وإنما يميز به نهر يزيد . ولا تزال هذه التربة حتى اليوم على حافة نهر يزيد (راجع شذرات الذهب في حوادث سنة ٥٨١ هـ) .

(٣) ورد في ص ١٢١ س ٩ : « بمرج عدواء » . وعلقنا عليها في الحاشية رقم ٩ نقلاً عن ابن الأثير رواية أخرى : « أنه بمرج الريحان » . وصوابه : « بمرج عدراء » وهو مرج مشهور خارج دمشق قرب قرية يقال لها عدراء ، كما في شرح القاموس مادة « مرج » .

(٤) ورد في ص ١٥٠ س ٥ : « وأما الأفضل فإنه سار إلى مصر فأرسل العادل وراه أبا محمد نجيب الدين إليه بالزبداني » . وعلقنا عليه في الحاشية رقم ٢ بأن الزبداني : نهر بدمشق . وصوابه : الزبداني : كورة مشهورة معروفة بين دمشق وبعبك (راجع تقويم البلدان لأبي الفدا لإسماعيل ومعجم البلدان لياقوت) .

(٥) ورد في ص ٢١٨ س ١١ : «ودفن بقاسيون» . وعلقنا عليه في الحاشية رقم ٣ بأن زواية الأصلين : « مات بقاسيون » وما أثبتناه عن شذرات الذهب وعقد الجمان . وتعتبر قاسيون مقبرة دمشق . والصواب في ذلك أن قاسيون : جبل شمالي دمشق يطل عليها . وفي عصر نور الدين الأتابكي هاجرت طائفة من المقدسة هربا من إرهاب الصليبيين لهم فسكنوا هذا الجبل وبنوا فيه دورا ومساجد . فاصبح إحدى ضواحي دمشق التي لها مقبرة لا أنه مقبرة فقط فعليه تكون عبارة الأصلين صحيحة .

(٦) ورد في ص ٢٤٠ س ١٦ : « فلما كان الغد أقبلت الأطلاب » وذكرنا في الحاشية رقم ٦ أن الأطلاب : المساكر . ونزيد عليه أن الأطلاب لفظة استعملت في كتب التاريخ من عصر نور الدين الأتابكي إلى آخر أيام دولة المماليك الشراكسة، ويراد بها فرق الجيش وكثابه، والظاهر أنه مشتق من طلب الشيء إذا حاول أخذه فهو طالب وجمعه طلب وجمع الطلب أطلاب ، ويدل على ذلك ما جاء في ص ٢٩٣ من هذا الجزء : «قطع التار دجلة في مائة طلب، كل طلب في خمسمائة فارس» .

(٧) ورد في ص ٢٦٦ ص ٤ : «ودُفِنَ بقرب الصليحية» . وذكرنا في الحاشية رقم ١ رواية أخرى نقلنا عن شذرات الذهب : « بقرب القليجية » . وصوابه ما ورد في شذرات الذهب . والقليجية : مدرسة بدمشق معروفة، تنسب إلى قليج أرسلان .

(٨) ورد في ص ٢٦٨ س ٤ في الكلام على ترجمة الملك المعظم عيسى : «ودفن مع والدته في القبة عند الباب» وعلقنا على ذلك في الحاشية رقم ١ نقلنا عن ابن خلكان بأنه : قفل إلى تربته في مدرسته التي أنشأها بظاهر دمشق على الشرف الأعلى مطلة على الميدان الأخضر الكبير . وعلقنا أيضا في الحاشية رقم ٢ نقلنا عن ابن خلكان وشذرات الذهب أنه : «دفن خارج باب النصر أحد

أبواب دمشق في مدرسة شمس الدولة » . وكلا التعليقين خطأ . وصوابه أن الملك المعظم عيسى دفن في مدرسته التي أنشأها بصالحية دمشق . وبالرجوع إلى تاريخ ابن خلكان وجدناه بعد أن انتهى من ترجمة الملك المعظم عيسى يقول : « وتوفي عز الدين أيبك صاحب صرخد، إلى أن قال : ودفن خارج باب النصر في مدرسة شمس الدولة وحضرت الصلاة عليه ودفنه ثم نقل إلى تربته في مدرسته التي أنشأها بظاهر دمشق على الشرف الأعلى مطلة على الميدان الأخضر الكبير » . ولا يخفى أن هذا الكلام الذي أدججه ابن خلكان في ترجمة الملك المعظم عيسى على عز الدين أيبك (راجع ابن خلكان في ترجمة الملك المعظم عيسى وشذرات الذهب في حوادث سنة ٦٢٤ هـ) .

(٩) ورد في ص ٣١٧ س ٣ « وإمام الربوة » وعلقنا على ذلك في الحاشية رقم ٣ : « يريد ربوة دمشق وهي مغارة لطيفة الخ » . وصوابه : « وبالربوة مغارة لطيفة... الخ » راجع زهرة الأثام في محاسن الشام، نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٦٤٢ تاريخ) .

(١٠) ورد في ص ٣٢٩ س ٧ : « ودام الحصار إلى أن قدم البادراني للصلح » وذكرنا في الحاشية رقم ١ أن البادراني، نسبة إلى بادران : قرية بأصهبان . وهو عز الدين رسول الخليفة، قدم للصلح بين الملك الصالح نجم الدين والحليين . وصوابه : « البادراني » بالهمزة . وهو نجم الدين أبو محمد عبد الله بن أبي الوفا الشافعي الفرضي الذي قدم من عند المستنصر للصلح . وقال السيوطي في لب اللباب في تحرير الأنساب : « البادراني » : نسبة إلى بادرايا، : قرية من عمل واسط » . وراجع شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٦٩ في حوادث سنة ٦٥٥ هـ وتنبيه الطالب للعلمي .